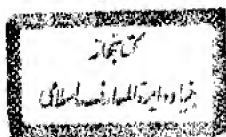


# اقتراعات العرب



مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العددان : ٢٥ - صفر ١٤٠٢ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٨٦ - السنة ٧  
٢٦ - جادى الأول ١٤٠٢ كانون الثاني «يناير» ١٩٨٧

مركز تحقيق وتطوير علوم

كه.كو



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی





مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع‌رسانی

کتابخانه ملی افغانستان



كتابخانه  
بنیاد و ایرة المعارف اسلامی

# التراث العربی

مجله فصلیه تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق

العددان : ٢٥ - منبر ١٤٠٧ تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٨٦ - السنة السابعة  
٢٦ - جمادى الأولى ١٤٠٧ كانون الثاني « يناير » ١٩٨٧

المدير المسؤول :

علي عقلة عرسان

رئيس التحرير :

د. عبد الكريم الياسيني

أمين التحرير :

عبد اللطيف أرنؤوط

هيئة التحرير :

د. عبد الهادي هاشم

د. ابراهيم الكيلاني

د. نشأت الحمارنة

د. عدنان درويش

شماره ثبت ٤٧٧٦٥

تاريخ ٢٨/١٢/٨٨

ترسل المواد والمراسلات الى العنوان التالي :

المدير المسؤول - اتحاد الكتاب العرب ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ص.ب : ٣٢٢٠ - ٢٤٦٢٩٩ - ٢٤٦٢٧٩

المواد المنشورة في المجلة تقبّر عن رأي أصحابها



مركز تحقيقات كلية التربية جامعة أم القرى

١٤٢٢ هـ

### الاشتراك السنوي

٣٦ ل. من للأفراد والدوائر الرسمية داخل القطر

٦٠ ل. من أو ما يعادلها للبلدان العربية مع أجور البريد

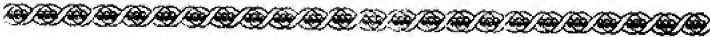
٨٠ ل. من أو ما يعادلها للبلدان الأجنبية مع أجور البريد

■ الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكا أو يقطع نقداً إلى : ( بحسب مجلة التوافق الأدبي )

الإخراج الفني : أكرم أمدار

## المحتويات

- ☐ بهاء الدين العاملي ونكرة المتصل والمنفصل .....  
د. عبد الكريم الياسي ٧
- ☐ أماليب القرآن الكريم في معالجة النفس الانسانية .....  
د. محمد فتحي الدينيني ٢٢
- ☐ عودة إلى موسيقى « القرآن » .....  
د. نعيم اليافسي ٥٧
- ☐ قراءة في فكر ابن جني من خلال « الخصائص » .....  
محمد وليد حافظ ٧٢
- ☐ تكملة لتحقيق « بديع القرآن » .....  
د. علي ميلوحي فلاورجاني ٨٦
- ☐ الشعر العربي الحديث والتراث « القرآن الكريم دراسة في القناص » .....  
د. عبد النبي اصطيف ٩٧
- ☐ كتاب في التمريب و « المرب » بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .....  
صلاح الدين الزميلوي ١٠٤
- ☐ من شعر الشيخ عبد الحميد الزهرادي .....  
جمعها وقدم لها : عبد الله نيهان ١٣٤
- ☐ أحمد أبو خليل القباني « الموسيقى » .....  
جبرائيل سماعة ١٤٥
- ☐ الاسطون الفاطمي .....  
الترانسى يوهنكير ١٥٨



- ☐ السوط والحب !! .....  
تذير الصامسي ١٧١
- ☐ ماني المرسوس من أشعر الناس .. ولكن! .....  
مجادل العامل ١٧٣
- ☐ وهج البردة .....  
منجد همارون ١٨١
- ☐ تراثنا مطبوعاً .....  
مروان عطيفة ١٨٩
- ☐ آداب التربية الإسلامية العربية .....  
محمد صالح برينسي ٢١٠
- ☐ منافع الأغذية ودفع مضارها - لأبي بكر الرازي .....  
تحقيق : حسين حموي  
عرض : حسان الكاتب ٢٢٢
- ☐ أبواب دمشق .....  
نافذة الفزري ٢٣٩
- ☐ استعدائك على ديسوان « ديك الجن » .....  
خير الدين شمسي باشا ٢٦٤
- ☐ ابن البيطار - ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد .....  
محمد أمين الميداني ٢٧٦
- ☐ كتب تراثية وفكرية .....  
فاطمة عصام صبري ٢٩٠
- ☐ نشاطات في خدمة التراث .....  
اعداد: هيدالطيف أرناؤوط ٣٠٤
- ☐ رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والأدباء والأصدقاء في العالم .....  
٣٢٥

# بهاء الدين العاملي

## وفكرة المتصل والمنفصل

د. عبد الكريم اليافي

بهاء الدين العاملي عبقريّة من عبقريات الحضارة العربية الاسلامية بزغت من بلاد الشام وتعلّبت كالكوكب النوري في ربوع العالم العربي والاسلامي الواسعة . فقد ولد محمد بن حسين بن عبد الصمد في بعلبك سنة ٩٥٣ هـ = ١٥٤٧ م من أسرة عربية الاصل ترجع في نسبها الى العارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه . وكانت قبيلته حشاً من اليمن . وتوفي بهاء الدين باصفهان سنة ١٠٣٠ هـ او ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢/١٦٢١ م عن عمر يناهز الثامنة والسبعين قضاه في العلم والعمل والعبادة والسياحة . ونقل جثمانه الى مدينة مشهد فدفن فيها .

تاريخ وفاته مختلف فيه ويقع هذا الاختلاف في مجال سنة واحدة . وأكثر المحققين على أنه سنة ١٠٣٠ . ولكن روي ايضاً عام ١٠٣٥ . وحسبنا هنا ملاحظة واحدة عابرة على هذه الروايات وهي أنه من المعروف في علم السكان أن الأرقام التي تنتهي بالصفر أو الخمسة ذات جاذبية خاصة بحيث تقترب منها الأعمار فتتراكم عندها .

عاش بهاء الدين في النصف الثاني من القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادي عشر الهجريين أي في النصف الثاني من القرن السادس عشر والرابع الأول من القرن السابع عشر الميلاديين ، وهو عهد ذو أهمية كبيرة عند المؤرخين ، هو عهد الملوك العظام من أمثال السلطان المسماني سليمان القانوني ( ملك في سنة ١٥٢٠ حتى وفاته سنة ١٥٦٦ ) ، وصلت جيوشه لحاصرت مدينة فينّة

عاصمة النمسة عام ١٥٢٩ ، والشاه عباس الأول الصفوي في ايران ( ملك من سنة ١٥٨٧ حتى وفاته عام ١٦٢٩ ) ، والسلطان المغولي جلال الدين محمد شاه أكبر في الهند ( ملك من سنة ١٥٥٦ حتى وفاته عام ١٦٠٥ ) ، والملكة اليزابت الأولى في انكلترا ( ملكت من عام ١٥٥٨ حتى وفاتها عام ١٦٠٣ ) ولويس الرابع عشر في فرنسا انتحل زهوياً لقب الملك الشمس ( حكم بعدهم بقليل من سنة ١٦٤٣ حتى وفاته عام ١٧١٥ ) .

شهر هؤلاء الملوك والسلاطين بحب العلم والاهتمام بالمران وتحسين مرافق الدولة كما شهت اليزابت بالتشجيع على التجارة وعلى الاستعمار البفيض . في ذلك العهد نشأ بتلك الدول علماء وفنانون كبار . نشأ في انكلترا فرنسيس بيكون صاحب الطريقة التجريبية ( ١٥٦١ - ١٦٢٦ ) التي أفاد فيها من مضمون التراث العلمي العربي ، والشاعر شكسبير ( ١٥٦٤ - ١٦١٦ ) وفي فرنسا الفيلسوف روني ديكارت ( ١٥٩٦ - ١٦٥٠ ) والراهب الرياضي غاسندي ( ١٥٩٢ - ١٦٥٥ ) والشاعر المسرحي كورني ( ١٦٠٦ - ١٦٨٤ ) . وقد ولد مولير في سنة ١٦٢٢ أي في عام وفاة بهاء الدين العاملي تقريباً . وفي اسبانية الكاتب المشهور سرفانتس صاحب دون كيخوت ( ١٥٤٧ - ١٦١٦ ) والمصور الكبير فيلاسكيز ( ١٥٩٩ - ١٦٦٠ ) وفي ألمانيا الفلكي كبلر ( ١٥٧١ - ١٦٣٠ ) وفي ايطالية الفيزيائي والفلكي غاليلو ( ١٥٦٤ - ١٦٤٢ ) .

وفي بلاد العرب والاسلام كتاب وفلاسفة ومؤلفون ومؤرخون وعلماء يضيق هذا الحديث عن تعدادهم منهم بل في طليعتهم بهاء الدين العاملي والفيلسوف الاسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي محمد بن ابراهيم ( وفاته عام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م ) . ونحن هنا ذكرنا أمثلة على المبكرات الأجنبية المعاصرة دون حصر ولا استقصاء .

لقد كان عهد تلك الدول جميعاً في اقبال ابان تلك الحقبة .

بلغ نجم الدولة العثمانية الأوج في زمن سلطانها سليمان القانوني ثم لم يعمت أن مال الى الانحدار بعده ، وبدأت الصروف تتصعب وتسوء ولا سيما في البلاد العربية ومنها بلاد الشام ، فقد أهملت هذه الربوع وغدت الولاة تسمي عليها وهي موطن العاملي دون اختيار الجديرين والمصلحين . « تماقب على

دمشق خلال القرن العادي عشر الهجري واحد وثمانون واليا وعلى حلب تسعة وأربعون واليا فكان الوالي لا يتمكن من الاصلاح ان اراده وقلبه متملق اهدا بثبات منصبه ، والغالب انه لا يتوفر على غير جمع المال بالطرق المنوعة ليوفي ماعليه من المقرر لجماعة الأستانة من الأموال . وكان الولاة يبتاعون الولاية ابتياعا والمزايدة الأكبر هو الذي توسد اليه » ( خطط الشام ج ٢ ص ٢٣٤ ) . وروي أن السلطان مرادا في عهد العاملي أمر » أن يكتب الى أحمد باشا كوجك والي الشام بأن يدفع الى السلحدار باشا عشرين ألف ليرة ويبقى في منصبه فاضطر الوالي أن يؤدي المبلغ . ومن أهم أدوات التخريب في هذا القرن خروج جنود الانكشارية عن حد الاعتدال وكثرة اعتدائهم على الرعية يستطيلون على أموالها وأعراضها ويثلمون شرفها ويذلون أعزتها وهم القسوة القاهرة وإذا هم لاحق بالأكبر والصغير » ( المرجع نفسه ) .

وقد روى المؤرخون فيما روه أنه في سنة ألف هجرية أمر قاضي دمشق مصطفى بن سنان بقيام النواب من المحاكم وإغلاق أبوابها فأغلقت أسواق البلد كلها . وسبب ذلك أن الدفتردار محمود أرتمشي من ابن الأقرع بخمسة عشر ألف دينار وولاه على يملبك بدل ابن الحرفوش فأدى ذلك الى خراب يملبك ( سقط رأس العاملي ) ظاهرها وباطنها ورحل أهلها عنها حتى تعطلت الأحكام الشرعية وعتا بها ابن الأقرع وأتباعه وصادر الناس مصادرة ليوفي بها المال الذي التزم به للسلطة ( خطط الشام ج ٢ ص ٢٣١ ) . ثم ان أبواب النفوذ وطائفة من العلماء في البلاد كانوا فاسدين متفرقين متملقين للولاة والحكام . ولو كانوا صالحين متعاونين لما استطاع الحكام والولاة أن يفعلوا شيئا ، ناهيك بالشعب يعاني أصناف المسف والاضط والافتلال .

كذلك بلغت الدولة الصفوية أوجها بزعامة الشاه عباس الذي كان أعظم ملوكها . على أن العداء كان مستحكما بين الدولة الصفوية الشيعية والدولة العثمانية السنية وجرت حروب شعواء بينهما مع أن مثلتهما الدينية من ينبوع واحد . وقد استعان الشاه عباس ببعض الضباط الانكليز لينظموا له جيوشه وينالوا بها الدولة العثمانية . والفريق في هؤلاء الملوك المسلمين أنهم يستعينون بأعدائهم على أبناء ملتهم . وفي عام ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م نقل الشاه عباس

العاصمة من قزوين الى اصفهان واختصها بعناية فائقة وسرعان ما زحرت المدينة بالنشاط والفنون والصنائع . وعُني الشاه بالثقافة الادبية والفنون والعمران وبناء القصور والمزارات وتقريب العلماء واجتذابهم وان ظلت الأحوال الداخلية يخامرها الفساد والارتشاء . ثم تردت تلك الأحوال في الداخل والخارج تردياً سريعاً بعد وفاته .

ولم تكن الدولة المغولية في الهند في عهد سلطانها شاه أكبر بأقل احتفالاً بالعلم وأهله وبالعمران وضبط أحوال الرعية بل كانت أعلى شأنًا في هذه الميادين . كان هذا السلطان الذي يكاد يعرف القراءة والكتابة مشغولاً بالعلم والفلسفة متفهماً لمسائلهما عميق الإدراك لقضاياهما . كان يجمع العلماء من مختلف المذاهب لعله يستطيع توحيدها فيجمع الشعب المتفرق على منهج واحد ويريح الناس من تشتهم أدياناً ونحلاً وطوائف .

كان عهده عهد حرية وتسامح وتمظيم للفكر في وقت كانت أوروبا تجتاحها عواصف مدمرة من التعصب اذ كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستانت في فرنسا ، والبروتستانت يذبحون الكاثوليك في انكلترا ، ومحاكم التفتيش تنكّل ببقايا المسلمين واليهود في اسبانية ، ورجال الكنيسة يحرقون جمهرة من العلماء بتهمة الهرطقة في ايطالية .

في هذا الاطار التاريخي ظلت بلاد الشام بما تأثّل فيها من علم ومجد وأماكن مقدسة مطلع الباحثين والسائحين والعلماء . وبهذه الصورة التي عرضناها نتفهم تقلّب بهاء الدين العالمي في ربوع البلاد العربية والاسلامية حتى انه قضى في سياحته كما يذكر الرواة نحو ثلاثين عاماً أضاف في هذه السياحة الى علمه خبرة واسعة بصروف الدنيا وحوادث الزمان . على أن رواية سياحته وتفرّقه هذه ان شك فيها بعض الباحثين فهي عندنا مقبولة اذا اعتبرنا محل اقامته موطنه الأول بعلبك وموطنه الأخير اصفهان لأن السياحة والهجرة لا بد فيها من النظر الى محل الإقامة الذي وطّن السائح المهاجر عزمه على اللبث فيه .

لقد نشأ بهاء الدين في بيت علم وأدب ودين وتقوى ، والده حسين بن عبد الصمد عالم فقيه رياضي شاعر ، ومن المعروف في العصر الحديث وباعتماد الاحصاء أن



التواضع في بيوتات معروفة بالعلم أكثر احتمالاً منهم في غيرها ، اذ ينشأ الفتى فيتلقي ثمرات العلم والمعرفة دانية قطوفها لديه ، فلا بد من أن يفيد من هذا الجو العلمي وأن يتذوق حلاوته ويدرك علو درجات أصحابه . لقد كان هذا الأب الفاضل حريصاً على تخريج ولده في المدرسة الأولى مدرسة البيت خير تخريج سواء في الأخلاق الحميدة والمزايا الرشيدة وفي قرض الشعر والتفتيح على عالم الرياضيات والعلوم وحب آل البيت ، شأنه في ذلك شأن غالبية العلماء في ذلك الوقت اذ كانوا موسوعيين متبحرين في علوم شتى ، وكان العلم في ذلك الزمان الغاية المثلى للانسان المسلم ، وكانت قيمة المراء فيما يحسن من علوم لا فيما يملك من مال ومتاع ، هذا الى وجود رعاع من الولاة والحكام لا هم لهم الا جمع العظام وتكديس المال الحلال والحرام .

ولم يكد الفتى يتزعم حتى جمع الى حب العلم والتبحر فيه حب السفر والسياحة ، شأنه في ذلك شأن أبيه ، ويظهر انه رافق أباه الى قزوین وكانت في ذلك العهد عاصمة للصفويين وشهدت حركة علمية واسعة ، ثم سافر أبوه الى هراة وتركه . ونجد في شعر الفتى الناشئة رغبة في اللحاق بأبيه . وقد أصيب في قزوین برمد تطاول أمده فازعجه يذكر ذلك في أرجوزته الطويلة :

بليت في قزوین وقتاً برمد      مترح للقلب من فرط الكمد  
يمنع من صرف النهار فيما      يرضي اللبيب الحاذق الفهيم  
من بحث او تلاوة او ذكر      او درس او عبادة او فكر  
ولم يكن من عاذتي البطالة      لأنها من شيم الجهالة . . . الخ

ولكنه لم يلبث أن لحق بهراة التي أحبها فوصف طبيعتها ومرافق الحياة فيها وصفاً بديعاً في تلك الأرجوزة نفسها .

ان بهاء الدين لم يسجل أحداث سياحاته الطويلة التي استمرت ثلاثة عقود كما سلف أنفاً ولا أزمانها ولكننا نجد لهما من أخبارها منشورة في ثنايا تأليفه وفي روايات معاصريه ومؤرخيه . فلقد زار بلاد الشام كلها تقريباً والقدس وتركيا العثمانية ومصر والحجاز كما أنه لم يترك ناحية من نواحي المملكة الإيرانية

الا زارها ولا سيما بعد أن تلقاه الشاه عباس ومكّن له في دولته وقرّبه منه وغدا  
رئيساً في دار السلطنة بأصفهان وشيخ الاسلام فيها . وقد رافق هذا السلطان في  
سياحاته وحروبه فزار خراسان وأذربيجان وأران وديار الكرج .

ويذكر المؤرخون أن البهائي كان مطبوعاً على حب الحرية ومجافة التصنع  
والتكلف ، مشغولاً بمظاهر البساطة في الحياة ، حسن الاختلاط بالناس ، محباً  
للخير ، ميلاً الى التصوف السليم الى جانب علومه الواسعة . ولا أستطيع أن  
أملك نفسي دون ذكر هذه النادرة في علاقاته بأقرانه ، فقد حكى أن الشاه  
عباساً ركب يوماً الى بعض متنزحاته وكان البهائي والداماد ( صهر السلطان ) في  
موكبه اذ كان غالباً لا يفارقهما وكان الداماد عظيم الجثة والبهائي نحيفها ،  
فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما فقال للداماد وهو راكب فرسه في  
مؤخرة الجمع وقد ظهرت عليه آثار الاعياء والتعب والبهائي في مقدمة الركب : ألا  
تنظر الى هذا الشيخ كيف تقدم بفرسه ولم يمش على وقار كما تمشي أنت ؟  
فقال الداماد : أيها الملك ! ان جواد الشيخ قد استخفه الطرب عن ركبه فهو لا يستطيع  
التأني . ألا تعلم من ركبه ! ثم قال للبهائي : يا شيخنا ألا تنظر الى هذا  
السيد كيف أتمب مركبه بجثمانه الثقيل والعالم ينبني أن يكون مرتاضاً مثلك  
خفيف المؤونة . فقال البهائي : أيها الملك ان جواد الشيخ أعيا بما  
حمل من علمه الذي لا يستطيع حمسه الجبال . فعند ذلك نزل الشاه عن جواده  
وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء . وهكذا يسعد الزمان وأهله  
بأمثال هؤلاء العلماء المتواضعين المتعاونين على حين نجد في العصر الحاضر من ألم  
يطرف من العلم يتنطع ويطاول الذرا العالية . هذا وكان البهائي واثقاً بنفسه  
عارفاً قدرها وهو القائل :

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي      ولا تصل الأيدي الى سبر أغواري  
أخاطب أبناء الزمان بمقتضى      عقولهم كيلا يفوهوا بانكاري

ومع هذا فقد كان في قرارة نفسه يؤثر التفرغ للعلم والتخلي للعبادة  
واعترال الملوك والبعد عن المناصب لأن بلاط الحكم لا يخلو من دسائس ومن  
حسد ومناوأة وأطماع ومنافسة . وقد كتب يحاسب نفسه أي حساب ويعن إلى

وطنه العربي على الرخس من الصروف التي اعتورت هذا الوطن : « لو لم يأت  
والذي قدس الله روحه من بلاد المرب ولو لم يختلط بالملك لكنت من أتقى  
الناس وأعيدهم وأزهدهم . لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه  
الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتصفت بصفاتهم ثم لم  
يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا الا القيل والقال والنزاع والجidal ، وآل  
الأمر أن تصدى لمعارضتي كل جاهل وجسر على مباراتي كل خامل » .

نقول : هذا شأن كل مبرز في العلم والمعرفة سليم القلب طيب السريرة .  
أما ما جاء في كتاب الكشكول من احماض ومن شعر خليف لابن حجاج أحيانا فمحمل  
ذلك على التفكته وعلى الرغبة في اجسام القلب والترويح عن النفس الدؤوب في  
العمل الجاد . ويبدو لنا أن البهائي كان مجاملا في حياته للحكام وللجهال شأنه في  
ذلك شأن العلماء الذين يتحامون الشرور والاضطهاد ما استطاعوا ولكنه لم يكن  
راضيا عن الأحوال الداخلية التي كانت في بلاد الاسلام . ان بيت الشعر السالف :

أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا بانكارى

دليل على ما نذهب اليه من وصفه بالمجاملة . ولذلك يحسن بمطالع كتبه  
وأشعاره في جانب ما زخرت به من فوائدها أن ينتبه الى ما أدمجه فيها من  
فقرات وحكم ومواعظ . ففي الجزء الثاني من الكشكول ( ص ٢٦٧ تحقيق  
طاهر أحمد الزاوي ) وردت رواية عن علي بن أبي رافع الذي كان على بيت علي  
ابن أبي طالب رضي الله عنه في شأن اعارته بنته عقدا عارية مضمونة مردودة بعد  
ثلاثة أيام . فهذه موعظة للولاة والحكام . وفي الجزء نفسه موعظة للمتنفذين وهي  
أنه « مر » ديوجانس الحكيم بشرطي يضرب لصا فقال : انظروا الى لص الملاينة  
يضرب لص السر . » وعندنا أن قصيدته في اللغة الفارسية التي يصف فيها شابا  
تقيا صالحا قتل أمه الفاسدة لا تفهم الا على أنها رمز يهيب مؤلفها في أغلب الظن  
اهابة خفية بالشعب للثورة على الحكم الفاسد والا فان قتل الأم لا يميزه عقل  
ولا شرع . انه في ذلك يجري على نسق الشعراء الايرانيين الذين تقدموه باعتماد  
الرمز في أشعارهم لافادة مقاصدهم (منطق الطير مثلا لغريد الدين المعطار ) .

من أجل دراسة أفكار العاملي وبيان علومه الواسعة لا بد من العمل قبل كل شيء على تجميع تراثه الفكري الواسع الذي يناهز تسعين مؤلفاً ورسالة وعلى طبعه وإشاعته. ونحن في موضوعنا «المتصل والمنفصل في فكر العاملي» اعتمدنا نبذة قليلة منشورة في كتاب «الكشكول» وحده لأن «المغلة» لا تشتمل على شيء من موضوعنا . ولم نستطع أن نطلع على رسالته الموسومة بالجوهر الفرد التي تهمننا في هذا الموضوع . وقد راجعنا إلى جانب ترجماته وما رواه المؤرخون عنه كتابه «خلاصة الحساب» الذي في المكتبة الظاهرية نسخة منه مطبوعة على الحجر، وكذلك عثرنا على شرح ممتاز ولكنه وجيز لكتاب العاملي «تشریح الأفلاك» ولم نمثّر على الكتاب نفسه وعجبنا لهذه الأفكار الجيدة التي في الشرح حول سقوط الأجسام في الغلاء وسقوطها الحر في الهواء وعلى شؤون جاذبية الشمس والشوابع والسيارات والأقمار بحيث تسبق سبقاً لا مثيل له كلام نيوتن الذي ينسب إليه الكشف عن الجاذبية وقوانينها .

وكم يسعدنا حين نقرأ مسرحية لشكسبير أو لشاعر فرنسي مثل كورني وراسين وموليير أو مقالة لفيلسوف وعالم مثل ديكارت أن نجد الطبقات الكثيرة المحققة مع الشروح ومع الدراسات الكثيرة لكل منها . وكم يؤسفنا في المقابل حين نريد أن نفتش عن كتاب الجوهر الفرد للعاملي ولنبعض رسائله العلمية ألا نجد لها أثراً أي أثر في مكتبتنا العامة أو الخاصة . أو أها كم نشعر بالمرارة وكم يحزّ في النفس أن الأموال العربية والإسلامية الطائلة تذهب هدراً في حروب مدمرة بين الأخوة والأشقاء ، وكان من الممكن أن ينصرف عشرين معشارها في خدمة التراث العربي والإسلامي لتجلى صفاته وتصل صفائحه ، هذا إلى جانب مئات الألوف من القتلى والمشوهين وهم في ريعان الشباب ومخايل القوة والمطاء .

أما موضوع المتصل والمنفصل فهو حديث فكري فلسفي علمي طويل ومتشعب نعرض خلاصته عرضاً واضحاً لنبرز أهمية الشيخ البهائي في إطار هذا الشأن . وكما أن العالم الفيزيائي يستطيع أن يحلل سناكوكب متوهج بمقياس العليف ليمسّم ما يشتمل عليه الكوكب من عناصر، كذلك نستطيع أن نتبين من وراء فكرة واحدة وهي فكرة المتصل والمنفصل مثلاً مدى تعمق البهائي في علم الحكمة . قضية

المتصل والمنفصل تبحث في الرياضيات وفي الفيزياء وفي الكيمياء . ومعنى المتصل أن الخط مثلا قابل للانقسام غير التناهي ، وكذلك السطح والمادة . ومعنى المنفصل أن الخط أو السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة محدودة وأن الانقسام يقف عند هذه الأجزاء فهو متناه فالتصل والمتصل والمنفصل لنظمان شاع استعمالهما في التراث العلمي العربي وانتقلا إلى اللغات الأجنبية على طريق الترجمة فيقال في اللغة الانكليزية والفرنسية مثلا للمتصل *continu, continuous* وللمنفصل *discret, discontinu, discontinuous* وثمة لفظ ثالث "الحق" بهما وهو *discret* بمعنى المنفصل أي المتقطع يطلق على بعض الحوادث أو النقاط المفردة . اتصال الخطوط والسطوح والأجسام والطاقة والضوء أو انفصالها شغل المفكرين منذ قديم الزمان وقد عرضنا في أكثر من موضع من كتبنا ومقالاتنا هذه القضية فلا نفيض فيها بل نكتفي بعرض بعض المفارقات واللمع الفكرية في تاريخ الفلسفة والعلم لنصل إلى موقف البهائي.

الانفصال في المادة عُرِفَ في كلا المذهبين نيايا وفايشيكا عند براهما الهند القدماء . ولقد نوه لوقيوس وديمقريطس ثم أبيقورس عند اليونان بأن المادة تتألف في النهاية من أجزاء لا تتجزأ . ولكن المعلم الأول أرسطو اعتمد الاتصال والانقسام اللامتناهي . وقد ضحك زينو الايلي من فكرة الاتصال حين صور الخُلُفَ في فكرة الحركة المتصلة فمثل أخيلوس ذا القدمين الخفيفتين يلحق بسلحفاة . فلو كان الطريق متصلا أي مؤلفا مما لا نهاية له من الأجزاء لكان أخيلوس كلما قطع نصف المسافة بينه وبين السلحفاة مثلا ووصل إلى النقطة التي كانت بها السلحفاة لزم أن تكون السلحفاة قد قطعت مسافة ما . وهكذا لا يمكن له أن يلحق بها منطقيا مع أن الواقع بلوغه مكانها . ولما جاء المفكر الروماني القديم لوقيريطس انضم إلى أبيقورس في تنويهه بانفصال المادة .

وثارَت هذه القضية في التراث الاسلامي . فالاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين . وربما كانت آراؤهم بادئ بدم صادرة عن دوافع دينية . ذلك أن أبا الحسن الأشعري أخذ هذه النظرية عن سابقيه من المعتزلة واعتمدها في دهم اتجاهه الديني إذ حصر التناهي في المخلوقات والأشياء المحدثه وترك اللاتناهي لله . لقد

ورد في القرآن الكريم : « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » وورد فيه أيضاً « وأحصى كل شيء عدداً » ولا يتم هذا الإحصاء إلا بما له نهاية . وعادوا الفكرة تلميذه القاضي أبو بكر الباقلاني وأتباعهما من المتكلمين .

وكان العرب المسلمون يقولون للأجزاء التي لا تتجزأ الجواهر الفردة والذرات . وقد تسربت فلسفة أرسطو الطبيعية الى التراث الاسلامي وهي قد أنكرت الذرات فلا غرو أن نجد بين المعتزلة من أنكر وجود الذرات أيضاً . وأبرز هؤلاء ابراهيم النظام . ورد على النظام بمثل المفارقة التي نوه بها زينون وذلك أن الماشي الذي يقطع مسافة متناهية يقطع ما لا نهاية له لأن هذه المسافة تقبل القسمة الى غير نهاية . ولكن النظام تخلص من هذه الصعوبة بالطرفة ومعناها أن الجسم المتحرك لا يُساسد أجزاء المسافة التي يقطعها بل يصير الى مكان دون أن يمر بالذي قبله .

وفي تاريخ التراث العربي الاسلامي صور متعددة لهذه القضية التي كانت تلوح للمفكرين وتشغل عقولهم . فالشيخ الرئيس ابن سينا من أكبر ممثلي الفلسفة المشائية ( فلسفة أرسطو وتلاميذه ) . وقد قالوا ان الجسم كم متصل وفرقوا بين الانقسام بالفعل والانقسام بالقوة فأجازوا الثانية الى ما لا نهاية وأنكروا الأولى .

ولما تناور أبو الريحان البيروني وابن سينا جاء في السؤال الرابع الذي سأل به البيروني ابن سينا في الرد على المعلم الأول : « لم استشنع أرسطو طالع قول القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ ؟ » وقد شعر البيروني بالصعوبة التي تكمن في القول بالجزء ولكنه وجد صعوبات أكثر في القول المقابل فأشار الى أن « القول بأن الجسم يتجزأ الى ما لا نهاية أشنع » ثم يسأل كيف التخلص من حرج كلا الموقفين . ويحيب ابن سينا أن أرسطو انما أراد الانقسام بالقوة ولكن البيروني يلزمه اذ ذاك بمشكلة أن لو قسمت الأبعاد انقساماً غير متناه لوجب أن يساوي قطر المربع أحد أضلاعه لأن كليهما ينقسم الى ما لا نهاية . ويبدو من هذا أن النظرية تجاوزت الميدان الديني وغدت قضية مطروحة في الفلسفة الطبيعية عند مختلف المفكرين من ممثلي الفلسفة المشائية ومن المستقلين البارزين

أمثال البيروني وهبة الله أبي البركات البغدادي ومن علماء الدين أمثال  
فخر الدين الرازي . وقد عرض هذا المفكر العلامة فخر الدين في كتابه «المباحث  
المشرقية» مختلف المذاهب في هذا الشأن مع براهين كل فئة على مذهبها بحيث  
تتجلى صعوبة كلا الموقفين وحرجهما . وورث العلم والفلسفة هذه المشكلة في  
المصور الحديثة وتوزعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم فلاسفة وفيزيائيين  
وكيميائيين . ولا يمكن في هذا المرض السريع جلاء تلك المذاهب . ولكن لا بد  
من الامتع ببعضها ثم تحقيق ما أفضى اليه العلم في هذا الشأن . يذكر الفيلسوف  
الانكليزي برتراند رسل في كتابه *portraits from memory and other essays*  
الذي ترجمه أحمد إبراهيم الشريف بعنوان «العقل والمادة» وراجعه الدكتور  
زكي نجيب محمود مثلاً عجباً على الاستغراق في الفلسفة وهو لقاؤه  
لفيلسوف اليوغسلافي برانسلاف بترونييفك سنة ١٩١٧ وانهماك هذا  
الفيلسوف في مشكلة الجزء والذرة منصرفاً عن الأحداث الخطيرة  
الجارية . يقول رسل : «وكان الصرب في ذلك الوقت قد نجحوا في الانسحاب الكلي  
الرائع أمام الغزاة الألمان وكنت متشوقاً لأن أعرف القصة منه لأنه شاهد عيان ،  
ولكنه لم يرد إلا أن يسطر رأيه في أن عدد النقاط في المكان محدود وأنه يمكن  
تقديره حسب اعتبارات مستفادة من نظريات المسدد . فكان هذا  
الاختلاف في الاهتمام من جانب كل منا مدعاة لعديث على شيء من  
المعجب والغريبة . قلت : «أكنت في الانسحاب العظيم ؟» فأجاب : نعم ! ولكن  
ألا ترى أن طريقة حساب عدد النقاط في المكان هي ...» فأقول : «أكنت ماشياً  
على قدميك ؟» فيقول : «نعم ، إن عددها لا بد أن يكون أولياً» فأقول : «ألم تحاول  
أن تحصل على حصان ؟» فيقول : «بدأت على ظهر حصان ولكنني سقطت من على  
ظهره ، ولا يمكن أن يصعب علينا أن نعرف أي عدد أولي هو .» وعلى الرغم  
من كل محاولاتي لم أستطع أن أحصل منه على أكثر من هذا القدر عن موضوع تافه  
(١) كالحرب العالمية ، وأحسست بالاعجاب بقدرته على التناهي بعبقه عن حوادث  
وجوده الجسدي .»

أما في العلم الحديث فقد كان الاتصال أول الأمر من صفات  
الفيزياء الاتباعية التي سادت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .  
فالمكان متصل والزمان مستقل عنه وهو متصل أيضاً . ولكن العلماء بالتدريج

ولا سيما في الكيمياء اضطروا الى التخلي عن فكرة الاتصال في مجالات تجاربهم وتأملاتهم . غدوا يتصورون المادة تتألف من ذرات ولكن تصوّرتهم كان مبهماً اضطروا اليه اضطراباً بسبب القوانين الكمية لاتعداد العناصر البسيطة بعضها ببعض كقانون النسب المحدودة لبروست وقانون النسب المضاعفة لدالتون وبسبب اعتبارات العالم الايطالي أفوغادرو لعجوم متساوية من الغازات تحتوي على عدد متساوٍ من الجزيئات وبالتالي من الذرات دون أن يستطيعوا بشكل من الأشكال أن يروا الذرة أو الجزيء ولو بأقوى المجاهر . حتى أنهم حسبوا بطريق غير مباشرة عدد الجزيئات الحقيقية فيما دعوه بالجزيء الغرامي ( سمي هذا العدد عدد أفوغادرو وهو يساوي  $6.023 \times 10^{23}$  ) وحسبوا أن الذرة لا تنقسم ثم راعهم أن الذرة التي يدعونها في لغاتهم بالأتوم أي ما لا يتجزأ قد تجزأت ، وأن بناءها يشتمل على كهارب تدور حول نوى تتألف من أوّيلات وأوّيمات ( بروتونات ونيوترونات ) وكذلك على أجزاء أخرى دقيقة اعتبروها جميعاً نهاية المادة . وكذلك الأمر في الضوء فبعد اعتباره موجياً متصلاً نظر اليه على أنه يتألف من جسيمات دقيقة هي ما دعوه بالفوتون . ورأوا أيضاً أن الصاغة عند تبادل المادة والاشعاع لها انما يحصل التبادل بصورة منفصلة . ولكن العلماء أنفسهم في الوقت نفسه كانوا مضطرين الى الحفاظ على فكرة الاتصال لأنهم قرنوا بالأجزاء الدقيقة أمواجاً ذات مقادير رياضية والموج يفيد الاتصال . وكذلك رأوا أن تلك الأجزاء الدقيقة يؤثر بعضها في بعض تأثيراً متصلاً ضمن مساحات في المكان تجاذبية وكهرطيسية وما الى ذلك . فالاتصال والانفصال بدّوا جانبيين متقابلين لحقيقة واحدة . فدعا العلماء هذا الاقتران المتقابل بالتنامية . وليست هذه التنامية الا شكلاً نظرياً للحيرة التي يحيط العالم بها بدلا من أن تحيط به .

مثل هذه الحيرة أو التنامية . نجدها عند بهاء الدين العاملي . لقد كانت فكرة المتصل والمنفصل تشغل تفكيره اذ يتبدّى أحد الجانبين فيها تلو الآخر . فهو يعقد فقرة في كتاب « الكشكول » يبرهن فيها على ابطال الجزء فيقول : « مما سنح بغاطر جامع الكتاب تفرض دائرة مركبة من الأجزاء وتخرج فيها خطين مارين من المركز بين طرفيهما جزء واحد من محيط الدائرة فهما متقاطعان على



المركز فالانفراج الذي بينهما قبل التقاطع اما أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقل والكل باطل لاستلزام الأول كون المتقاطعين متوازيين والثاني كون المتقاربين في جهة متباعدين فيها والثالث الانقسام» . (طبعة ١٩٦١ ج ٢ ص ٦٠) . ولكنه في الكتاب نفسه يذكر لنفسه برهاناً على امتناع اللاتناهي فقد ورد في اثبات الجزء قوله : « ليس لمثبتي الجزء حجة أقوى من حكاية وضع الكرة على السطح المستوي اذ لو انقسم موضع الملاقاة لوصل من طرفيه الى مركزها ليحدث مثلث متساوي الساقين ويخرج من ملاقات القاعدة عمود الى المركز . فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز الى المحيط متساوية لأنها كذلك ويلزم أن يكون أطوال الساقين أكبر من العمود لأنهما وترا القائمتين وهو وتر العادتين » ( ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ ) .

وفي الكتاب نفسه أيضاً برهان آخر على امتناع اللاتناهي يسهل الرجوع اليه ( ج ٢ ص ٥١ ) ويذكر المؤلف برهاناً ينسب الى السيد السمرقندي على امتناعه ( ج ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨ ) ويناقشه . وهذا يدل فيما يدل على أن العاملي كان مُدمن الفكر في قضية اثبات الجزء أو نفيه . تارة يشبته وتارة ينفيه . فهو في هذه الحيرة العلمية يبدو في صف العلماء الحديثين اذ كان هؤلاء العلماء يلحون على التنافر بين هذين الوصفين المقترنين عند دراستهم للظواهر الميكروفيزيائية : يلوح فيهما الاتصال فيخفى الانفصال أو يلوح الانفصال فيخفى الاتصال ، فكأنهما وجهان لمعلمة واحدة لا نراها معاً . وان قصارانا أن نرى الوجه الواحد تلو الآخر .

وليس معنى كلامنا أننا نقبل براهين بهاء الدين العاملي في هذا الشأن ، هيئات ! ذلك أن أساليب البحث والبرهان العلميين قد تبدلت تماماً حين تجاوز العلماء مقاييس الظواهر الفيزيائية في السلم الانساني وبلغوا فيما دعوه بالميكروفيزياء شفا المادة والطاقة أي نهاية أطرافهما . ومع ذلك فهم يتساءلون هل الكهرباء أي الالكترون وحبة النور أي الفوتون قابلتان للانقسام أولاً ؟ وهم يستشفون الجواب من أشكال المسادلات الرياضية التي تفيد صيغها كلاً منهما .

المهم هو أن تسجل قلق عالم كبير مثل بهاء الدين العاملي تجاه هذه القضية . وهو يشبه قلق العلماء المعاصرين وان كنا نرى أدلته وأدلة أمثاله قديماً من

العلماء في غاية السذاجة • ولكنه يسدوا حصف موقفاً وأعمق فكراً وأنفذ ذكاءً  
حين يتردد بين الجانبين كان كلاً من الجانبين يتم الجانب الآخر على حد اصطلاح  
فلاسفة العلوم المعاصرين • بل ان هذا القلق الفلسفي حول الاتصال والانفصال،  
حول الانقسام اللامتناهي أو الانقسام المتناهي جعل العامل يَدْخِل هذه المشكلة  
في بعض الغازه التي كتبها تنشيطاً للتفكير :

وصفة القول أن بهاء الدين العاملي فقيه صوفي نحوي لغوي أديب راوية شاعر  
مهندس رياضي فلكي • وكأنما عناء القائل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نعم لقد قل أن تجمت هذه الصفات العلمية والأدبية عند الغربيين ، وان كنا  
نجدها أحياناً مجتمعة ومؤلفة عند أعلام بارزين في الحضارة العربية الإسلامية  
بفضل الاسلام وحثه على طلب العلم والمعرفة والحكمة • من هؤلاء الأعلام  
من نحن في صدد تكريم ذكره • بل فوق ذلك كله نجده يمثل في شخصه التمازج  
العميق بين العرب والاييرانيين في تجسيد القيم الرفيعة وفي ظل سلام العلم والمحبة •  
ان التأمل في مزايا هذا العلم الحميدة وخصاله الفريدة يجعلها تسري في خفاء  
وبتعاطف عميق الى المتأمل • ولما كان شاعراً جميلني أتفنى بهذه الأبيات التي  
تلخص حياته وتحيي ذكره :

شدا كل العلوم وفاق فيها	فيا لفتى العلوم المبقرى
وبالعربي تَمَقَّ كل نشر	وشمر رائق والفارسي
لسانه تمانقتا ائتلافاً	تقول عناق أم للصبي
له الكشكول والمخللة سارا	سير النور في الأفق القصي
هما كنزان من علم ووعظ	وهندسة ومن أدب وضي
يزينان التسرات على غناه	كما ازدان الفواني بالعلمي
وما الأسماء ان حَقَّقَت الا	ثمار تواضع القلب التقى
فيا لك عالماً وأديب عصر	وصوفياً وذو خلق رضي
تناهى الفضل والعرفان فيه	وحب الأمل مع حب النبي
وتلك حضارة فاقت سمواً	حضارة عالم باغ غوي

سمى فيها الشقي مع الشقي  
عن الأقصى وعن حق جلي  
تَنَمَّرَ مُمَعِنًا في كل غي  
وتاهت في الضلال المنجهي  
هواه مع الأخس مع الدني  
على ساح الوجود اليمربي

حضارة عالم لا خلق فيها  
ليسترقا منازلنا ونقصي  
إذا صار الشقي رئيس قوم  
قوى قد غطرت وطفقت عثوا  
كان الدهر بعد هداه أمسي  
لحاهما الله من دنيا تمادت

\* \* \*

صروح المتجد والعيش الهني  
أواصرها من الدين السني  
وظم الصف والشتم الأبى  
لدى البأساء كالركن القوي  
زيت بالفار والزهر الجني  
وتملو في القدو وفي العشي  
اليس النور غاية كل حي  
فاكرم بالثرى المطر الزكي  
رفيف النجم في الليل المتي  
يقر بنا من المولى العلي  
ويبقى نور قلبه لوذمي

سمنشي للملا قدما وتبني  
وما أحلى التعاون في شعوب  
وليس يتم إلا بالتصافي  
أحاك أخاك إن أخاك حقاً  
إذا أوطأنا ضمت عراها  
تري الرايات تخفق في رباهها  
يشع النور حلوا من حياها  
وتزكي كل مكرمة ثراها  
أمان للقلوب ترف فيها  
لمعري أفضل الأعمال علم  
وما شغص الفتى إلا خيال

\* \* \*

تظنرت اليه من طرف خفي  
سوى من كان مثل العاملي  
سلاماً عادلاً في كل حي  
الى مجد النبوة والولي  
فكن لي مسعداً في كل شي  
زكا برعاية الله الغني  
وعزني بانتسابي للموصي

أتيت منو ها بسنا بهائي  
ولا يستطيع أن يثوي سناه  
لمل الله يكلونا ويضفي  
سلام الله والآيات تهدي  
الهي أنت تعلم ضعف حالي  
وما عبد الكريم سوى فقير  
حبيبي كل محبوب لديه

عبدالكريم الياني

# أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الإنسانية

- ٣ -

د. محمد فتحي الدريني

## منهج البحث موجهاً ومفصلاً

١ - مقدمة

ب - الفرق العاسم بين « الرجاء والأمانى » في المفهوم القرآني ، مصدراً ، ومفهوماً ، وحكماً .

ج - المعنى العقائدي ، في الإسلام ، لا ينفصل عن العمل الدنيوي ، وصلاً للدين بالدنيا .

د - تحذير القرآن الكريم المؤمنين ، أن يميلوا عن سنن الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة آثارها - منذ القدم - في الأولين ، بسبب من الغفلة ، أو عامل الاستهواء ، والاعتراف ، من قبيل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو بدواهي الرغبة في التحلل من تبعات رسالة التكليف ، ارسالاً للنفس على عواهنها ، أو التلهي بالأمانى الكواذب ، والتعلل بالأوهام ، على ماسياتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .

هـ - القرآن العظيم ، وتقويته لمعنوية النفس الإنسانية ، وتعبئتها روحياً في مواطن الجهاد القتالي ، تنفيذاً لمقتضيات سننه العامة المطردة في هذا الوجود ، وتجنيساً للإنسان من اعتسافها .

و - القرآن العظيم ، إذ يزجي في النفس الإنسانية المؤمنة ، روح البشرى والترجية ، يقرن ذلك بالتوعية ، والتبصير ، بحقائق الوجود ، وسنن الله تعالى التي بثها في الحياة والأحياء ، ويقفها على منطلق طبائع الأشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بيئة من أمرها ، في كل ما تأتي به ، وما تذر ، وما تتخذ من « مواقف » حاسمة ، في تقرير المصير .

ز - يقف القرآن العظيم ، النفس الانسانية على مسار التاريخ الانساني الطويل ، بل والموغل في القدم ، يستعرضه ، من خلال التجارب الحيوية الواقعية التي مرت بها ، وعانتها الامم الغالية ، لتستهدي بانعوامل المؤثرة في توجيهها ، ثمرة آثار وستن الله المتحركة فيها .

ح - يرسم القرآن العظيم ، المنهج الاقوم الذي ينبغي أن تسلكه الانسانية جمعاء ، في مسارها الطويل ، لو تأتت الى رشدنا ، واستهدفت المصلحة الانسانية العليا ، للبشرية كلها - وقد أعدها الله تعالى اعداداً خاصة لذلك ، لتمكنها من التنفيذ ، والاداء ، مرشداً الى موضوعية قيمه ، وانسانية مثله ، وعالمية مبادئه ، وشمولية مفاهيمه ، ومقدرا تغير ظروفها ، بقوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » لكنه يحذر - في الوقت نفسه - من غرور الاوهام ، وخداع الاماني ، ليبيسر بما جاء به من بساتن وبيئات من الهدى والفرقان ، ويوقظ الوعي للذات ، ويهدي الى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الخلق الاول .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العملية التي تعتبر من اصل تعاليمه ، في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المباداة بهاجمته اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتنبهته في كافة مواقفه التي لا بد منها ، او اعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتحرير التواني عن اللحاق به ، حيثما تنقف ، او استشعار الوهن في مجابهته ، وهو اصل متبذر مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصريح النص .

ي - نهى المقاتلين عن التواني عن المباداة بالهجوم ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، يشمل - لزوماً عقلياً - نهيمهم عن أن يتيحوا لأسباب الوهن التي يبتها العدو من خلال وسائل اعلامه ، أن تتسرب الى نفوسهم ، وأن يغدعوا بها عن أمرهم ، ليرد على العدو قصده من التخذيل ، والتثبيط ، والتوهين ، ومحاولة تعظيم البنى المعنوية للمجاهدين .

ك - معالجة القرآن للنفس الانسانية ، بالقيم الروحية ، ذات اثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي ، توصلنا الى مهمته الكبرى من الاصلاح العالمي ، وتفسير ذلك .

ل - الاصل أن الانسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة انسانية اذا كان هو نفسه ، غير متحضر انسانياً ، وسبيل ذلك هو اعتبار القيم العليا الغالبة ، في المقام الاول .

م - اقام الاسلام الدليل البين على صدق تلك « الحقيقة » من « فطرية الوحدة الانسانية تمهيداً لتحقيق مهمته من الاصلاح العالمي ففدت تلك « الحقيقة » - في منطقها القرآني - « معتقداً » بصريح النص القاطع ، فضلاً عن أنها مما يكبر على العقلاء ، والعلماء ، والمفكرين ، جعده ، وانكاره .

ن - تاصيلاً للمعنى الانساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الاسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، نقضاً لانسانية الحضارة ، فضلاً عن أن هذا التمييز ، يشكل افتئاتاً صارخاً على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها ، التي برأ الله الناس عليها ، مما يعول بالآخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي .

ص - تكوين الانسان معتقداً ، على اساس من القيم الروحية الموضوعية المطلقة ، ذواتاً بالغ في مدى تشكيل ابعاد تصوره للحياة والاحياء ، وأن عناصر هذا « المعتقد » ومفاهيمه الكبرى - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط الحيوي في كافة أنواعه ، ومناحيه ، توجيهها ، وتحديد مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي - من أهم العوامل المؤثرة في امكانية تحقيق مبدأ الاصلاح العالمي الذي نادى به الاسلام منذ نزوله على الأرض وحياً ، وتفسير ذلك .

ع - القيم الروحية ضرورة حيوية لتحقيق مقتضيات الاصلاح العالمي ، بدليل أن كثيراً من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي عصرنا هذا ، بوجه خاص ، لا يعوزهم « الضمير » ولكنه معطل الأحكام ، لغلبة الهوى والأثرة ، فضلاً عن أن هذا « الضمير » يتأثر حتماً بعوامل شتى ، من البيئة ، والنشأة الأولى ، والتقاليد ، والعادات السائدة ، والأفكار الضالة المنبثقة عن نظريات سياسية أو اجتماعية فاسدة ، مما يفسد عليه تصوره ، أو يعتقل أحكامه .

★ ★ ★

## أساليب القرآن الكريم في معالجة النفس الإنسانية

### مقدمة :

انتهينا في البحث الألف ، الى تقرير « حقيقة يقينية » قد أسهلها القرآن الكريم ، مؤداها : أن « الانسان » بمعناه الاستغراقي المصم - أفرادا وجموعاً وأماً ، وفي ضوء الحكمة القرآنية - قد خلق للأمل ، والعمل : أشرفه ، وأحسنه ، وأجوده ، تميراً حياً واقعياً ، عن أمهات الفضائل التي صدق بها ابتداء - عقلاً وقلباً - مصداقاً لقوله - عز وجل - : « فإما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى ، اذ لا ينجزيه التصديق بها ، دون تحقيق معانيها ، وتنفيذ مضمونها - تماماً وسلوكاً - بل ترى القرآن الكريم ، يقدم « العطاء » في الذكر ، على التصديق ببواعثه ، في منطوق الآية الكريمة التي تلونا ، في حين أن « التصديق » أو « الاعتقاد » سابق في الوجود على العمل ، ذلك ما تقضي به طبائع الأشياء ، والسُنن المطردة في الحياة ، وانما قدم القرآن ما من شأنه التأخير - لكونه أثراً ، أو مسبباً للاعتقاد - اهتماماً بشأن العمل والعطاء ، وحثاً للناس على الاستجابة لمقتضى إيمانهم ، اذ كثيراً ما يقع « التناقض » بينهما لدى كثير منهم - نهائياً أو انحرافاً - وبهذا ، جعل القرآن أمر التصديق بالحسنى - وهو الايمان الحق ، وما يقتضيه من الفضائل - جعل ذلك اعتقاداً سلوكياً ، لا اعتقاداً ذهنياً وجدانياً مجرداً ، حتى يكون للاعتقاد ما صدق « عملي » في مواقع الوجود ، وليكون « السلوك اعتقادياً » أيضاً ، بمعنى أن لقيمة لسلوك مهما كان حسناً ، اذ لم يكن نابعاً أصلاً من عقيدة صحيحة ، حتى اذا كان السلوك اعتقادياً ، كان ذا قيمة انسانية بالضرورة ، وهذا - في نظر العقل والشرع - هو الشأن في كل حيٍّ سويٍّ ، الأمر الذي يؤكد ما تبين لك آنفاً ، من أن حقيقة الرجاء القرآني - في ضوء ما قررنا من السلوك الاعتقادي ، والاعتقاد السلوكي - لا مكان فيها « للأمانى الكواذب » عريضة عن العطاء المطلق ، مقروناً بصدق الاعتقاد ، لمريح ما تلونا ، وبذلك يميز القرآن العظيم - كما ترى - تمييزاً حاسماً ، بين كل من « الرجاء والأمانى » مصدرًا ، ومفهوماً وحكماً ، وهو ما نتناوله بالبحث والتفصيل فيما يلي :

الفرق الحاسم بين كل من الرجاء والإيماني ، في المفهوم القرآني، مصدراً ، ومنهوما ، وحكماً .

١ - أما مصدراً ، فلأن الرجاء في الله عز وجل ، وحسن الظن به ، تابع من معين العقيدة نفسها ، معقوداً بالعمل ، أساساً له ، أو شرطاً فيه ، بصريح منطوق النص - كما أشرنا - فكان «الرجاء» لذلك ، أمراً عقائدياً ، فضلاً عن كونه عملاً إيجابياً بنشأ منتجاً ، في أن ما .

أما أية كونه عقائدياً في المقام الأول ، فذلك لأنه أمرٌ تستلزمه طبيعة الاعتقاد نفسه ، والإيمان بوجوده سبحانه ، استلزماً حتمياً ، إذ ليس من المتصور عقلاً ، أن يكون ثمة اعتقادٌ ، أو إيمان صادق بالله عز وجل ، دون رجاء فيه ، أو حسن ظن به ، أو أمل مستبشر في هونه ، ونصره ، وغفرانه ! والاكأن «الاستغناء» عن الله تعالى - والميأذ بالله - وهو سبب شقوة الحياة ، كما بينا ، ولأن «الاستغناء» لا يجتمع مع صدق الاعتقاد ، للتناقض .

يدل على هذا ، أن القرآن الكريم جعل التضرع اليه سبحانه - ولا سيما إبان الأزمات والضوائق والمحن - آية صدق العبودية له ، مصداقاً لقوله عز وجل : « فَاخْذُنَاهُمْ بِالْأَسْوَءِ وَالْضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ! » وقوله سبحانه - في وقعة بدر الكبرى ، حين أدلهم الخطب ، وعظمت الكوارث ، واشتد القتال ، وحسي الوطيس - يصف حال المؤمنين في موقفهم الحاسم : « إذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم » فكانت « الاستجابة » وهي النصر - عقب الاستغاثة ، لأنها دليل حقيقة العبودية لله جل شأنه ، بل ترى القرآن الكريم ، ينمى على الذين لا يتضرعون اليه ، وقت الشدة ، ولا يلجأون الى ربهم ليكشف ما حل بهم من آرزاء ، في مثل قوله تعالى : « فما استكانوا لربهم ، وما يتضرعون ! » ولا ريب ، أن الاستكانة لله سبحانه ، واللجوء اليه ، تضرعاً ، مظهر للعبودية الصادقة ، ولا مزية أن العبودية من صميم الاعتقاد بوجود المعبود ، وحسن الظن به ، وذلك دليل كون الرجاء - والتضرع أبلغ من الرجاء معنى - اعتقادياً في المقام الأول .

هذا ، وفي الحديث القدسي فيما يرويه الرسول ﷺ عن رب العالمين : « أنا عند حسن ظن عبدي بي » فكان الرجاء - وحسن الظن بالله أساسه - دليل صدق الإيمان ، ومظهر الثقة المطلقى به جل وعلا ، فكان - كما بينا - نابعاً من العقيدة ، وأمانة على صدقها ، ورسوخها ، ثم هو - آخر الأمر - مناط الابتلاء فيه ، لما تلونا ، بخلاف «الإيماني» في المفهوم القرآني ، وبيان ذلك :

أن مصدر «الإيماني» - كما علمت - غرور الشيطان ، وإيحاءات الاستهواء ، بصريح منطوق النص القرآني : « يَدْعُهُمْ ، وَيُمْنِيهِمْ ، وما يَعدُّهم الشيطان إلا غروراً » فيورث ذلك في «الانسان» اغتراراً بوعده ، بما مل «الاستهواء» .

هذا ، وقد يكون «الاستهواء» بما مل الغريزة العمياء ، وإيحاء منها ، وتزيين ، وأياً ما كان ، فالاغترار ، والاستهواء النفسي ، هما مصدر الأيماني الكاذب ، مما لا يمتد الى



« الرجاء الايجابي في مفهومه القرآني بصفة، لأن منبته « المتقيدة » الصحيحة ، والوهي النفسي بحقائق الوجود ، ولذا كان « الاغترار » بجميع مظاهره ، محرماً قطعاً ، لأنه سبب « الغفلة » عن تلك الحقائق ، ويحتمل الغافل في ميدان الحياة العملي ، لأمرين :

**اولهما :** أنه ضرب من الاتباع لخطوات الشيطان - استهواء واغرام - وهو محرّم بالنص ، لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا، لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان ، فإنه يأمر بالفحشاء ، والمنكر » (٢) ولقوله عز وجل : « يهديهم ، وما يعدهم الشيطان الا غروراً » (٣) ولقوله عز وجل : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من اتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني » .

**ثانيهما :** ان مواطن الاغترار بالأماني الجوفاء ، أو مظانها - كما يقول الامام الشاطبي (٤) - قد جاء فيها « التخويف » في القرآن الكريم على نحو « أغلب واشد » ومثل ذلك بأن ذمه المفسد أكد (٥) ، فكانت « الأماني » اذن وكما ترى - من المفساد الواجب درؤها قطعاً ، وذلك آية « الحرمة » التي تفسر لنا شدة التخويف القرآني من الوقوع فيها ، بما هي أوهام ، أو رؤى حائلة ، أو غفلة عن الواقع الحي للمجتمع الانساني ، وعن سنن الله فيه !

وعلى هذا ، يتبين لك الفرق حاسماً بين مفسدة الأماني ، وبين عقائدية الرجاء والامل في الله تعالى ، مصدراً ، على ما يقرره القرآن الكريم ، كما رأيت .

ب - وأما من حيث « المفهوم » والحققة ، فالرجاء - بما ورد في القرآن الكريم معقوداً بالعمل الصالح ، ارتبط بالشرط بالجزاء - كما قدمنا - يتضمن معنى « ايجابياً » قوامه الامل المستبشر معقوداً بالعمل الجاد الصالح : الامل في الله تعالى - فرعاً عن الايمان الصادق - والاستبشار بوعده ، عز وجل ، والاستيقان بأنجاز ما وعد ، والوفاء به ، مصداقاً لقوله سبحانه : « ومن أوفى بعهده من الله !! فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به » (٦) .

على أن هذا المفهوم القرآني للرجاء ، ليس استبشاراً خالصاً ، بل هو مشوب بالخشية من الله وقارا ، لايمان المسلم بعتمية لقائه يوم الحساب !!

يرشدك الى هذا ، صريح قوله عز وجل : « والذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة ، انهم الى ربهم راجعون » (٧) . وقوله تعالى في تضمينه « الرجاء » معنى الخشية « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » (٨) « فلم يخلص الرجاء - كما ترى - لمعنى الاستبشار !! »

هذا ، ويستقر معنى الخشية في مفهوم « الرجاء » في القرآن الكريم بتأكيد حلول أجل هذا اللقاء ، حتماً ، في مثل قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء الله ، فإن أجل الله لآت » (٩) . على سبيل التأكيد ، من دخول اللام على خبر أداء التأكيد .

على أن هذا هو شأن الايمان نفسه ، من أنه دائر بين الامل والخشية ، على ما تقرر في القرآن الكريم ، وبيان ذلك :

## حقيقة الايمان نفسه دائرة بين الخوف والرجاء .

يقرر الامام الشاطبي (١٠) هذه الحقيقة بقوله : « ومن هنا يتصور للعباد ، ان يكونوا دائرين بين الخوف والرجاء ، لان حقيقة الايمان دائرة بينهما » .

والأدلة قد وردت في هذا الخصوص ، من قوله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (١١) » وقوله عز وجل « ان الذين آمنوا ، والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله » (١٢) وقوله جل ثناؤه : « أولئك الذين يدعون ، يبتغون الى ربهم الوسيلة ، أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويغفون عذابه » (١٣)

ج - وأما من حيث « الحكم » أو الوصف الشرعي ، فان الرجاء الايجابي العامل - سواء اكان مسبوقاً بأداء أمانة التكليف ، وانفاذ تعاليم الرسالة ، وتحقيق مثلها العليا ، في الواقع الحيوي المعيش ، أم كان مقارناً لذلك ، أم لاحقاً له ، وبما هو فرع عن العقيدة الصحيحة ، وأما « على سديها » كما بينا ، فان هذا الرجاء الايجابي العامل ، مفروض و « مستجاب » من قبل الله تعالى ، بمقتضى وعده ، ولكونه جارياً على ستن ثابت هومن وضع الله تكويننا ، ولكونه - آخر الأمر - من اللوازم العتمية للايمان نفسه ، كما بينا ، اذ لا يتصور خلوص النفس الإنسانية المؤمنة ، من الأمل المرجو في الله تعالى بمغفرة ، ورحمة ، وعونا ، وانعاما ، وتوفيقا ، ونصرا - حتى اذا خلت من هذه البواعث والأمال ، كان مردء ذلك الى أحد أمرين ، أو كليهما :

أ - ضُتِفَ الثقة به سبحانه ، أو الاستغناء عن الله - والعياذ بالله - وهذا ليس من صدق الايمان في شيء ، بل هو مما ينكره !

ب - لمكان اليأس والقنوط ، أو مظنته (١٤) والخوف من عدم الغفران ، للإصراف في الشر والاثم ، وهذا قرين الكفر ، كما أسلفنا ، بصريح قوله عز وجل : « انه لا يبياس من رَوْحِ الله ، الا القوم الكافرون » .

أما مجرد « الأمانى » باطراح التكليف ، والتحلل من أعباء الرسالة ، كفرأ بها ، وتكذيباً لها ، أو تهاوياً في أمرها ، أو تلهياً واغتراراً بأحلام اننى - فتلك - على النقيض من الرجاء المتقاضي الايجابي - تشكل موقفاً سلبياً تجاه حقائق الوجود ، ومناهاة بينة للوضع الصحيح للحياة الإنسانية التي وضعها الإسلام فيه ، تساوقاً مع فطرتها ، فكانت غفلة عن سنن الله الثابتة النافذة ، أو اعتسافاً لها ، وملهاة صارفة عن مقتضياتها ، وبضيعة للحياة ، وبسببها في خسارة الآخرة ، كما قد سنا ، ومن هنا كانت هذه « الأمانى » محرومة قطعاً ، للدلالة التي أشرنا .

وتأسيساً على هذا ، فان ايمان المرم وحده - في شرعة الاسلام - لا يعميه من المسئولية عن نفسه ، وعن غيره من الأفراد والمجتمع أيضاً ، التزاماً بأداء التكليف ، وتحقيقاً للتكافل الانساني المزم ، ولا يعصه بالتالي من توقيع الجزاء الوفاق على ما فرط

في جنب الله ، وتتكب سننه الثابتة في وضعها الشرعي العام - اخلايا وتعطيلها - اذ لا ينفع نفساً إيمانها ، دون تعبير عملي واقعي عنه ، ليتم الابتلاء فيه ، وذلك يتحمل اعباء التكليف وادائها على الوجه الاكمل - وفي حدود السعة والاختصاص - بجهد مستمر ايدياً ، وكدح دائم لا يقتر - ليقتر من مستوى المثل العليا ، وأمها الفضائل - تكمة للنفس ، وتنمية لها ، وأداء لتكليفها ، ان لم يكن في وسعه بلوغه ، مهما طال جهاد الانسان العام ، وكدحه عبر الاجيال المتعاقبة ، لقوله تعالى : « يا ايها الانسان ، انك كادح الى ربك كدحاً ، فملاقيه » (١٥) أي دنيا وأخرى !

يرشد الى هذا ، ان كدح الانسان ابتغاء وجه ربه الأعلى ، يتطلب زمناً طويلاً ، وعملاً جاداً ، وعطاء كثيراً ، اذ عبّر عن هذا المعنى قوله تعالى : « ولستوفى يرضى » دون الاكتفاء بسين التسوية (١٦) .

على أن مفهوم « الابتلاء » في القرآن الكريم - بما هو غاية الحياة الانسانية - ليس مقصوراً على العقائد - وان كانت هي المنطلقات الأساسية للسمي المسؤول ، والا حبط العمل - بل الابتلاء معنى شامل بابعاده ، للعقائد والشرائع العملية ايضاً ، بصريح النصوص ، فالاسلام عقيدة وشرعية معا ، والتكليف والابتلاء شامل لهما ، والشرعية بوجه خاص ، قوامها تكاليف تستهدف تشييد الحياة الانسانية على سنن ثابتة ، ودعائم راسخة ، هي عين سنن الفطرة ، لتبلغ ارفع مستوى من المعاني الانسانية ، والمثل الرفيعة ، في كل عصر وبيئة ، عدلاً مطلقاً ، واحساناً ، ومنسأوة ، وحرية ، واخوة ، وهزة وسيادة ، ومنفعة وصلاً ، وتزكية ، وإثارة واصلاً ، وجهاداً بالنفس والأموال ، وتسامحاً ، ورحمة ، وحضارة انسانية ، بل وتحريراً للمستضعفين المقيدين في الأرض ، ولو لم يكونوا يدينون بدين الاسلام ، ولا تربطنا بهم رابطة من المواطنة ، أو اللغة ، أو الدم ، أو الدين ، محققاً لأصول الظلم والعدوان والبهس في الأرض ، وليس ثمة من ايجابية - في التصور أو الوقوع - أقوى أثراً ، وأشمل محتوى من هذه المعاني والمثل العليا الرائعة حقاً ، فيما نرى ، فذل ذلك قطعاً على أن الايمان وحده دون أداء التكاليف لا يعفي من المسؤولية ، تلك حقيقة من الحقائق المستقرة في شرع الله ودينه !

على أن هذا الاصل العظيم - من العمل والأمل - لا يتنافى - كما بينا - ومقتضى المغفرة الشاملة ، على الرغم من اطرأ العمل لفترة ، أو اقتراف المعاصي ، اذا تمت الانابة اليه تعالى كما في قوله عز وجل : « قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعاً ، انه هو الغفور الرحيم » (١٣) ، وأنبيوا الى ربكم .. الآية ، لاختلاف العالين ، وبيان ذلك :

ان هذه الآية الكريمة ، مسوقة لمقصد بين ، هو معالجة النفس الانسانية وهي في مقام اليأس ، أو مظنته ، واحتمال وقوعه ، على ما يرشد اليه سبب نزولها الذي يكشف عن المراد منها (١٤) ، دون أن يخذ هذا السبب من شمول حكمها ، اذ العبرة بعموم اللفظ

لا بخصوص السبب « حيث ترى القرآن الكريم في هذا المقام ، لا يني يث في النفس الانسانية روح التبشير والاطماع والتوجيه ، حماية ووقاية لها أن تتردى في حماء القنوط ، أو تسترسل فيه بعد الوقوع ، لأن «القنوط» موت معنوي مبيد - كما أسلفنا - بخلاف « مقام الاسترسال في الهوى والشهوات » اعتماداً على « التمني » على الله تعالى في الغفران ، عجزاً ، وحسناً ، واغتراراً بالأمانى المجردة ، دون اناة صادقة اليه عز وجل ، أو توبة نصوح ، أو عقد للزم على استئناف حياة جديدة ، قوامها « عمل إيجابى صالح » يستقرب به الى الله زلفى ، حيث ترى القرآن الكريم - في مثل هذا المقام - يؤكد وجوب « العزاء » على الامعان في اجتراح المعاصي ، والاصرار على انتهاك الحرمات ، ايقاظاً للنفس الانسانية من غفلتها ، وتبصيراً لها بمآل أمرها ، لقوله تعالى : « ليس بامانيكم ، ولا امانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجز له من دون الله ولياً ولا نصيراً » (١٥) .

ج - المعنى العقائدي في الاسلام ، لا ينفصل عن العمل الديني ، وصلا للدين بالدينيا .

وعلى هذا ، فالمعنى العقائدي - كما ترى - لا ينفصل عن العمل الديني ، بل هو روحه وملاك أمره ، انفاذاً لرسالة الله في الأرض ، ووصلاً للدين بالدين ، وتفسيراً للوجود الانساني فيها ، بل العمل الديني - بشتى صوره ومناحيه - هو المظهر العملي الواقعي للمعنى الديني ، وتجسيد - حي له ، حالة الاداء والتففيذ ، فلا فصل - كما ترى - بين الدين والدين ، وفي هذا من الدلالة البينة على ان المعاني العقائدية في الاسلام ، حقائق وجودية ، تنفيذاً ومآلاً ، وليست مجرد تجريدات ذهنية ، أو فلسفية تأملية ، أو ترف فكري ، أو مفاهيم ميتافيزيقية - كما يقال - ليس لها « ما صدفات » في الواقع العيوي للمجتمع الانساني ! اذ لا يجوز شرعاً ، الاجتزاء بالمعنى العقائدي دون المعطاء المطلق الذي يعبر عنه تعبيراً واقعياً حسياً واميناً - كما بينا - فكانت العقائد - في الاسلام - سلوكية ، والسلوك اعتقادياً - كما ترى - وهذا سنن - الهى ثابت ونافذ في الحياة الانسانية ، منذ النشأة الأولى ، لقوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (٢٠) لينهض بالوضع الصحيح للحياة الانسانية ، وهي - على التحقيق - سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها - كما أسلفنا - لا تبديل لها ، ومن هنا يشكل تمثيلها ، أو الاخلال بها ، أو الخروج عليها ، نقضاً لطبيعة الفطرة نفسها ، ولن يحقق عمل للانسان خيراً في حياته ، ولا صلاحاً في أمره ، اذا جاء على النقيض من طبيعة فطرته ! !

وعلى هذا ، يتبين لك ، أن « التحريم » أو « الايجاب » أو الأمر والنهي في الاسلام ، لم يكن تحكماً ، ولا اعناتاً ، وانما هو تدبير الهى للحياة الانسانية ، وتوجيهها الى ما تقتضيه طبيعة فطرتها ، وما تستلزمه « معقولة » سنن هذا الوجود !!

د - تعذير القرآن الكريم المؤمنين ، أن يميلوا عن سنن الله تعالى الثابتة المطردة ، والنافذة آثارها - منذ القدم - في الأولين ، بسبب من الغفلة ، أو عامل الاستهواء والاغراء ،

من قبل من يتبعون الشهوات في كل عصر ، أو بدوامي الرغبة في التحلل من تبعات رسالة التكليف ، أرسالا للنفس على عواهنها ، أو التلهي بالأمانى ، والتحلل بالأوهام ، على ما سيأتي تفصيله ، وبيان وجه الاستدلال عليه .

هذا ، وأرشدهم - سبحانه - تطهر لهم من رجس الأمم المخالفة السابقة ، وتوبته من - تعالى - عليهم ، ردا لاعتبارهم - أقول من أجل ذلك كله ، أرشدهم الى وجوب أن يستأنفوا - مع الاسلام - حياة انسانية جديدة عاملة آمنة ، وملزمة هدية الأقوم ، وسالكة سوام السبيل ، لتعبر بذلك عن خصائص فطرتها ، ولتتبرأ مركزها الصحيح الذي أعده الله لها ، مستعينة - لانتاج سعيها ، وبلوغ غايتها المرسومة لها - بما تزخر به مواطن العبر من التجارب الانسانية الواقعية مع هذه السنن ، عبر القرون ، بما هي خفية بالمعظفات البآلفة ، وعناصر الاسترشاد الموجهة ، مما يقيم الدليل القاطع ، على صدق تلك السنن التاريخية ، وحتمية آثارها ، بوضع الله تعالى ، قصداً منه سبحانه ، الى ايقاظ الرمي الانساني ، وتبصيره بالعقائق الاجتماعية والكونية الثابتة ، وتغليب جانب « الحكمة » والنظر العقلي الرشيد على منازع الهوى والشهوة وعوامل الاستهواء والتفريط ، وإلغى التقليد والمحاكاة العمياء ، تمكيناً لهم من الاستواء على جادة الحق ، وتجنب مواقع الميل والانحراف ، باجتراح المعاصي ، وانتهاك الحرمات ، وممارسة البغى والعدوان على الشعوب الآمنة والمستضعفة في الأرض ، واقتراء صنوف الاجرام الدولي في حقهم ، استلاباً للثروات ، وابتغاء الاستعلاء في الأرض والهيمنة الدولية ، ظمناً وحلوا ، مما حذر القرآن الكريم من انتهاج سبيله - سياسياً وعسكرياً - في مثل قوله تعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ليذيقهم بعض الذين عملوا ، لعلهم يرجعون » (٢١) وقوله تعالى الذي يصف خصائص المعتدين ، والمجرمين دولياً ، بوجه خاص : « وإذا تولى سعى في الأرض ، ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (٢٢) مما تشرت ، بل انتكست به الحياة الانسانية في مسارها التاريخي الطويل ، فأفضى بها ذلك حتماً الى الخروج عن طبيعة فطرتها ، ووضعها الانساني الرشيد ، حيث كان الهبوط ، والتدني ، والارتكاس ، واستشراف الظلم والفساد في الأرض ، ومماناة أسباب الشقاء ، واضطراب حبل الأمن والسلام العالمي ، مما اتخذ مظهره في الحروب الشرسة الضارية المدمرة التي تمتد بسبب قوي الى عهد البدائية الأولى ، ولكن على نحو أكثر وحشية ، وأظهر بربرية ، بفضل تطوير أدوات الفتك والتدمير ، ولا سيما في هذا القرن العشرين !

يؤكد هذا ، بل ويؤصله ، قوله تعالى : « يريد الله ليعين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات ، أن تميلوا ميلا عظيماً » (٢٣)

وتفصيل ذلك ، أن القرآن الكريم اذ يحذر المؤمنين ، أن يعتسفوا ما وضعه الله تعالى من السنن الفطرية الثابتة ، والمطرودة ، والنافذة آثارها في الأولين ، منذ النشأة الأولى ، لقوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً » (٢٤) أو يحيلوا

عن حقائق القيم الإنسانية ، والمثل العليا الموضوعية الثابتة المطلقة التي هي من مقتضيات الفطرة الإنسانية وسننها ، أو يميلوا ميلا يخرجهم عن طبيعتها فطرتها ، أقول ان القرآن الكريم اذ يفعل ذلك ، يحضر لهم صورة من الماضي الانساني المريق في القدم ، وما يليه ، تاريخاً حافلاً بالتجارب الإنسانية ، يحضره أمام النظر العقلي ، في كل عصر - تدليلاً منه على صدق ما يبصر به من حقائق ثابتة مطلقة ، بما هي تجارب حيوية واقعية للأمم السابقة ، أثراً لتعاملهم مع تلك السنن ، ووفقاً لطبيعة مواقفهم منها - سلباً أو إيجاباً - وأرشدتهم الى وجوب استخلاص مواطن المبرة منها ، بما هي مادة خصبة للدرس والبحث والاستنتاج والاعتبار ، لقوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » (٢٥) وقوله عز وجل : « وقد خلت من قبلك سنن ، فسيرا في الأرض » (٢٦) .

هذا ، وانما عرض ذلك ، تبياناً لحقائق تلك السنن التاريخية ، وتبصيراً بآثارها الحتمية ، كما أشرنا ، لأنها تجارب واقعية حقيقية ، لا وهمية : « ما كان حديثاً يفترى » (٢٣) وما يتضمن توجيهاً قوياً للمؤمنين ، أن يغيثوا الى تلك السنن الثابتة اذا ما انصرفوا عنها ، كيلا يصيبهم ما أصاب السابقين ممن تنكبوا ، لأن قصد الشارع من الاكراه بها ، عملاً ، تطهير عباده المؤمنين ، روحياً ، ونفسياً ، ومادياً - مما التاثت به الأمم المخالفة من رجس حين اتبعوا الشهوات - ايثاراً لها على حقائق القيم وأصول الفضائل - والارتقاء بهم الى مستوى إنسانيتهم ، وتجنبيهم ما قد آل اليه أمر أولئك من سوء المصير في وجودهم الدنيوي ، وهو المعنى بقوله عز وجل : « والله يريد أن يتوب عليكم » .

هذا ، وتعقل حقائق السنن الالهية ، وأبعادها في الوجود الانساني التي أثمرت تلك التجارب الواقعية الفنية بالمعبر والعظات ، واستخلاص عناصر الاسترشاد منها ، انما يتم من طريقين :

**اولهما : النظر العقلي ، والبحث العلمي الموضوعي العر ،** مما ينهض بالحكمة ، لقوله تعالى : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٢٨) .

**الثانية :** تحصين النفس الإنسانية بالتزكية عن طريق تعاليم الوحي الالهي : « وقد أفلح من زكاها » (٢٩) أن تؤخذ بتأثير اغراء أو استهواء الذين يتبعون الشهوات في كل عصر ، افتتاناً بها ، واستجابة لمنازع الهوى في المطامع المادية القريبة المألوفة والغاصية ، وتحللاً من أعباء التكاليف التي لا تتفق وتلك المطامع والأهواء ، ليخرجوا بالحياة الإنسانية عن الوضع الصحيح الذي وضعا الاسلام فيه .

هذا ، ويستخلص من مواقع هذا « التعذير » الحقائق القرآنية التالية :

**اولاً -** وجوب تغليب جانب الحكمة ، والنظر العقلي الرشيد ، كيلا تتحكم في النفس الإنسانية ، شهواتها ، وتهيمن عليها أهواؤها ، فتسد على العقل منافذ التفكير الموضوعي العر ، أو تعطل أحكامه ، فيكون حينئذ ، « الميل » الحتمي عن سنن الحياة الإنسانية الفطرية السوية ، وحقائق مثلها ، وقبيلها الموضوعية الغالدة ، ويفضي الى سوء المصير .

ثانياً - واقعية هذه السنن التاريخية التي تنتظم الحياة الانسانية منذ القدم ، وعبر احقابها المتطاولة ، مما جهد القرآن الكريم في ايقاظ الوعي الانساني بحقائقه وابعاده ، كيلا يستغرقه الاستهواء ، او تنغيبه الغفلة ، او يستبد به الوهم والافتراء ، او يتردى الانسان معه - آخر الامر - في مهاوي القنوط عجزاً ، وحمقاً .

ثالثاً - حتمية آثار تلك السنن الالهية الثابتة بوضع الله تعالى ، تكويناً : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، وكان امر الله قدرامقدوراً » (٣٠) وقوله تعالى : « سنة الله في الدين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً » (٣١) وقوله سبحانه : « سنة الله التي خلت في عباده ، وخسر هنالك الكافرون » (٣٢) .

هذا ، وقد كانت تجارب الماضين - بما هي ثمرة حسية واقعية لتلك السنن ، وفقاً لطبيعية مواقفهم منها - ايجاباً أو سلباً - برهاناً ساطعاً على صدقها ، وحقيقتها وحتمية آثارها ، وهذا يفسر لنا السر في كثرة ورود النصوص الامرة بوجوب التماس العبرة من تلك التجارب ، ترشيداً للسمي الديني على مقتضى من الحكمة ، والنظر العقلي ، والبحث العلمي ، ليخلص الى القياس المنطقي الاجمالي في المحسوسات ، بمد البحث والنظر ، أي « اعتبروا انفسكم بهم ، حتى اذا عملتكم عملهم ، وسلكتكم مسالكهم ، وسكنتم في مساكنهم ، ظلموا وعلموا ، اصابكم ما اصابهم » - وهذا نوع من مجاوزة حال النفس الى حال الغير ، أو العكس ، مقارنة وقياساً - كما ترى - وهو ما تقضي به الحكمة والتعقل ، وعمق الإدراك ، وصواب التقدير .

رابعاً : السنة الالهية الثابتة ، والنافذة في الخلق منذ القدم ، قدر مقدور ، بوضع الله تكويناً ، بمقتضى نصوص الآيات التي تلونا ، وهي تقضي بأن الغفلة عن مآل التحلل من امانة التكليف ، واطراح رسالة الوجود الانساني ، والافتتان بالشهوة والهوى والتلهي بالاماني الكواذب ، ميلا عنها ، أقول تقضي بأن الغفلة عن مآل هذا التحلل تؤدي - لامحالة - الى الخروج بالحياة الانسانية عن وضعها الفطري الصحيح ، والتسبب في انتكاسها ، مما ينعقب المذلة والهوان والشقاء في الدنيا أولاً ، جزاء وفاقاً ، فضلاً عن خسار الآخرة ، ووقائع التاريخ ، وتجارب الأمم ، أصدق شاهد على ذلك .

هـ - القرآن العظيم ، وتقويته لمعنوية النفس الانسانية ، وتعميقها روحياً في مواطن الجهاد القتالي ، تنفيذاً لمقتضيات سننه العامة المطردة في هذا الوجود ، وتجنّباً للانسان من اعتسافها .

ليس عبيراً على الباحث في أي القرآن العظيم التي تتعلق بتقوية النفس الانسانية ، وتفجير طاقاتها الكامنة ، وايقاظ غواي ملكاتها وقدراتها ، أن يلحظ ، أن هذه التقوية ، والتعنية ، والايقاظ والاستثارة « تبدو - أكثر ما تبدو - في مواطن الجهاد القتالي ، ومجابهة أهوال الصراع المر العاني ، بين الحق والباطل ، ليحملها على « الثبات » في

تحمل مشاقه ، والصبر على لأوائه ، على الصميد الدولي ، بوجه خاص ، حيث ترى القرآن العظيم ، يثبت في خلدها ، أن هذا الجهاد المستبسل في مجابهة العدو ، دفعا لعدوانه ، وإزالة آثاره ، واسترداد ما اغتصب من الحق عنوة ، أن هذا الجهاد المستبسل في سبيل ذلك ، هو من « صميم التقوى » المتورعة ، باعتبار أن الجهاد - في منطق القرآن الكريم - هو التعبير العملي الواقعي عن « التقوى » ، وصدق العبودية ، لله جل وعلا ، أو بالأحرى ، هو الأمانة الظاهرة اليقينية على تغلغل العقيدة في أعماق النفس الانسانية ، ترى ذلك بينما في مثل قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا ، وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين » (٣٣) « فالفيصل الحاسم بين الصدق والكذب في الاعتقاد - كما ترى - هو الجهاد ، أمضاء لسنة الابتلاء !!

هذا ، وما لا ريب فيه ، أنه سبحانه يعلم ما تكن الأنفس ، وما تخفي الصدور ، وعلى هذا ، فإنه سبحانه يعلم ما سيكون من المكلف قبل وقوعه ، ولكن الآية الكريمة جاءت لتفيد تقرير سنة الابتلاء عملا ، ليرى المكلف نفسه ، ما يصدر منه واقعا ، وليقيم الله تعالى الحجة عليه من واقع تصرفه ، قطعا لحياثل المعاذير : « قل فله الحجة البالغة » ولقوله عز وجل : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره » (٣٤) وترى هذا الاقتران بين الاعتقاد والجهاد ، مبثوثا في مواضع كثيرة من القرآن العظيم ، ترسيخا لهذه السنة الماضية في الأمم ، في مثل قوله سبحانه : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (٣٥) وقوله عز شأنه : « والصابرين في البأساء والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (٣٦) فأمارة الصدق على الإيمان والتقوى ، هو الصبر على احتمال أهوال الحرب ، والتمرس بأفاتها وكوارثها ، لأنها من أشد صنوف البأساء والضراء ، فتكا وتدميرا . وعلى هذا ، فالقرآن العظيم يوقظ في النفس الانسانية كامل وعيها بحقائق الوجود ، ويبصرها بالسنة الالهية الماضية في الحياة الانسانية ، ولا سيما فيما يتعلق بتقرير مصيرها في الدنيا أولا ، ويلفتها لفتا قويا ، الى أن الجهاد القتالي ، والثبات في موطنه ، والصبر على كوارثه ، هو ( المصدق ) للإيمان والتقوى ، ولهذا كان الجهاد ذروة سنام الاسلام ، كما جاء في الحديث وذروة سنامه الجهاد « فلا يجتزى الاسلام بالإيمان وحده في تدبير الحياة الانسانية على وجه هذه الأرض ، كما ترى ، وإن كان هو المنطلق الأساسي للسمي المسئول عن اقامتها ، إذ الاسلام لا يعرف الفصل بين المعتقد الديني ، وواقع الحياة الانسانية ، توجيهها وتدبيرها ، ما يدل على أن عقائده عملية حيوية ايجابية سلوكية ، بدليل ما قدمنا ، من ربطه بالإيمان والتقوى بالتكليف وتبعات الجهاد ، ربطهما محكما وعلى أساس أداء التكليف ، والنهوض بمبعم الجهاد ، يكون تقويم الاعتقاد ، حقا وصدقا ، أو زيفا ونفاقا ، فندا الاعتقاد الحق - كما ترى - أمرا سلوكيا عمليا ، بل « مواقف كبرى حيوية حاسمة مجسدة لأرقى ما يتصوره العقل من القيم الانسانية ، بالمعطاء المطلق ، والأثار المنبعث من النفس الانسانية ، سجية روحية عارمة ، تضمحل أزماء كافة الاعتبارات



المادية العارضة ، بحيث تبلغ حد التضحية بذات النفس ، فضلا عن المال ، بل والتلف على « الاستشهاد » في سبيل المثل العليا التي آمنت بها ، بما أطلق القرآن الكريم عليها « كلمة الله » وأنها هي « العليا » معنى ، وقيمة ، ووجودا ، يستमित في سبيلها المجاهد ، ليغير ما قد حاق بالآمة من ظروف قاسية ، وما نزل بساحتها من كوارث ، حفاظا على عزة كيائها ، وسؤدد وجودها الدولي ! ! ولا نعلم للانسان الحر ، بعد هذا ، وجها من التضحية والفداء ، أشرف ولا أنبل ، ولا أسى ، في سبيل الحق الذي آمن به ، والمتقد الذي أشربته روحه لتحقيق عزة وجوده !!

### • سنة الجهاد القتالي رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغيير وسيلة •

هذا ، وسنة الجهاد القتالي في الاسلام ، رسالة ، وثيقة الصلة بسنة التغيير وسيلة ، لقوله عز شأنه : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ومقتضاها : أن تغير الله تعالى أحوال الناس ، وأعانتهم عليه ، وتيسر سبيله لهم ، انما هو رهن بتغييرهم هم أولا ، لما بأنفسهم ، سنة الهية مطردة ، مما يجعل للإرادة الحرة ، والاختيار الانساني ، الدور الاصيل في تحقيق التغيير واقما ، والقرآن العظيم صريح الدلالة على ما أولى الارادة الانسانية الحرة من قيمة كبرى ، وأثر فعال ، في التدبير والتصرف في مصير الأمة ، سياسيا ، وعسكريا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، وعلميا ، لاطلاق النص ، مما ينفي « أصل الجبرية » في عقائد الاسلام نفيًا قاطعا ، تقريراً لمبدأ المسؤولية والابتلاء ، عدلا .

و - القرآن العظيم ، اذ يزيج في النفس الانسانية المؤمنة روح البشرى والترجبة ، يقرن ذلك بالتوعية والتبصير ، بعقائيق الوجود ، وسنن الله تعالى التي بثها في الحياة والاحياء ، ويوقفها على منطلق طبائع الاشياء ، من خلال ما جاء به من « بصائر » لتكون على بينة من أمرها ، في كل ما تأتي به وما تذر ، وما تتخذ من « مواقف » حاسمة في تقرير المصير !

وتفصيل ذلك ، أن القرآن العظيم ، اذ يثبت في المجاهدين روح البشرى والترجبة ، نصرا ، أو استشهادا ، وغفرا بنعيم الآخرة وهي خير وأبقى - تراء - في الوقت نفسه - يقرن ذلك ، بإيقاظ « الوعي » في النفس الانسانية ، وتبصيرها ، بعقائيق العياة ، وسنن الوجود ، وآثارها العنمية ، بجعل الله تعالى ، فتراه - على سبيل المثال - يبشر بالنصر المبين ، على أنه « وعد » منه تعالى لمباهة المؤمنين المجاهدين الصادقين في جهادهم ، بل هو « حق » قد قطعه الله تعالى ، وأوجب على ذاته العلية : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ويقول جل ثناؤه « ان تنصروا الله ، ينصركم ، ويثبت اقدامكم » فقد جعل النصر المبين على الأعداء ، مقودا بنصر شرائعه ، ومبادئه ، وسننه في الوجود ، عملا ، والالتزام واداء ، عقد الشرط بالجزاء ، كيلا يستبد بأنفسهم الوهم ، أو يخالجهما خدر الأمانى ، أو تستغرقها غفلة أو عماية عن مكونات الواقع ، فتسبح في متاهات من الأغيلة والتصورات ، أو تستأثر بها منازع الهوى والأثرة ، اسرافا في المادة والشهوة وحب

الذات ، فتتحرف عن ممدلة الطريق ، وعما تقتضيه حقائق القيم ، عدا ، أو جحدا ظاهرا مع استيقان النفس الانسانية بحقيقتها ، وسمو مضمونها ، وبالف أثرها ، مكابرة ، وانقثا ، لقوله عز وجل : « وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ، ظلما وعلوا (٣٧) » انسياقا وراء منازع الأهواء ، أيا كانت صورة الهوى التي نزعَت إليها ، من العصبية ، أو العنصرية ، أو الطائفية ، أو حب الهيمنة والاستعلاء على الشعوب المستضعفة المقهورة في بلادها ، انتهابا لغراتها ، وثروراتها ، تجد هذا بيتا في مثل قوله عز شأنه : « قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها (٣٨) » وقوله تعالى : « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣٩) » ومن تلك البصائر ما ينتظم الوجود الانساني من سنن هي عين السنن التي انتظمت الأمم الغالية ، قدرا مقدورا ، من نشأة الخلق الأول ، مصداقا لقوله عز جل : « سنئة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا (٤٠) » وفي هذا المعنى يقول الامام الشيخ محمد عبده ، مانصه : « يصرح الكتاب أن الله في الأمم والأقوام ، سنن لا تتبدل ، والسنن هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشئون ، وعلى حسبها تكون الآثار ، وهي التي تسمى شرائع ونواميس ، والذي ينسادي به الكتاب ، أن نظام الجمعية البشرية ، وما يحدث فيها ، هو نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير ، وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ، أن ينظر في أصول هذا النظام ، حتى يرد إليها أعماله ، ويبني عليها سيرته ، وما يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك ، فلا ينتظرن الا الشقاء (٤١) »

وعلى هذا ، فلا يملك أحد جحد سنن الله تعالى في الخلق ، أو انكار آثارها فيهم ، كما لا يملك أحد لها تبديلا : « فهل ينظرون الا سننة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا (٤٢) »

هذا ، وقد تمثلت هذه السنن وآثارها ، في الوقائع التاريخية الثابتة ، ففرت مسار التاريخ في عهد الرسالة المحمدية ، وما تلاها من العصور ، بل غيرت معالم الجغرافية السياسية للعالم الوسيط أبان انتهاجها ، والسير على مقتضاها باخلاص وتجرد .

ز - القرآن العظيم ، اذ يملأ النفس الانسانية أملا مستبشرا ، ووطيدا ، تقوية لمعنوياتها ، ولا سيما في مواطن الجهاد القتالي ، ويوقظ وعيها بما جاء به من « بصائر » ليبصرها بمكونات الواقع ، وسنن الوجود ، وآثارها فيه ، كما نوهنا ، تراه يقفها أيضا ، على مسار التاريخ الانساني الطويل ، يستعصره ، من خلال التجارب الحيوية الواقعية التي مرت بها ، بل وعانتها الأمم الغالية ، لتستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيهها ، ثمرة لآثار سنن الله فيها .

تبين بجلام مما قدما آنفا - فيما نحسب - أن القرآن العظيم ، اذ يملأ النفس الانسانية ، أملا مستبشرا يشيع بين جنباتها ، ورجاء واثقا في الله تعالى ، وعدا قوامه المون ، والتوفيق ، والنصر في الدنيا - فضلا عن الأجر العظيم في الآخرة - ليصوغها على أشد

ما تكون صلابة وعنفواناً في مواجهة الحياة ، بأحداثها ، وصروفها ، وأزائها ، ثم يهصرها بحقائق هذا الوجود ، لتكون واقعية ، وعلى بيئته من أمرها ، في كل ما تأتي به وما تذر ، لأن خوارق العادات ليست أصلاً من أصولنا ، بعد الأنبياء والرسل ، ولتنبيش منطق طبائع الأشياء ، وما يسلكها من سنن ثابتة مطردة آثارها ، كيلا ينفجوها ما ينزل بساحتها من كوارث وفواجع ، لأنها كانت - كما بينا - على وعي من ارتباطها بأسبابها ، أقول ان القرآن العظيم ، اذ يتخذ هذا المنهج القويم في معالجة النفس الانسانية ، ترجية ، وتبشيراً ، وتوعية وتبصيراً أيضاً ، تراه يقف النفس الانسانية - في الوقت نفسه - على مسار التاريخ الانساني الطويل ، يستعرضه ، من خلال التجارب الحية الواقعية التي عانتها الامم الماضية ، لتستهدي بالعوامل المؤثرة في توجيهه وقائمه وأحداثه ، سواء من طريق « القصص الواقعية » التماساً للعبرة ، بمدتها ، وامعان النظر في الأسباب الكامنة وراء أحداثها ، لقوله عز وجل : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى » (١٣) أم كان من خلال الاشارة الى ما ينتظم الحياة من سنن الهية مطردة ، حتمية الآثار - كما قلنا - لقوله جل شأنه : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (١٤) « تمكيناً لها من أن تتخذ مواقف حيوية حاسمة ، على ضوء من هذه العبر المستخلصة ، وآثار تلك السنن الماثلة في تجارب الماضين ، سواء أكانت تلك الآثار سلبية أم ايجابية ، تبعاً لطبيعة « المواقف » المتخذة ، واتجاهاتها ، ولا سيما ما يتعلق منها بالقضايا الكبرى المصرية ، فتلخص ، أن أي القرآن العظيم التي تتعلق بتقوية النفس الانسانية ، وتميئتها ، ممنوياً ، وروحياً ، وباستشارة كرام ملكائها العليا ، وتغجير طاقاتها الفطرية ، تبدو - أكثر ما تبدو - في مواطن الجهاد القتالي ، حملاً لها على « الثبات » في ميدان الصراع المرّ العاتي ، وتحمل لوازمه ، ونتائج الطبيعية من الكوارث ، والفواجع ، لأن هذه النتائج ، من مستلزمات القتال ، وسنة الله فيه ، ولذا أشار القرآن الكريم الى أنها « قدر مشترك » بين المجاهد وعدوه ، لقوله تعالى : « ان تكونوا تأمنون ، فأنهم يأمنون كما تأمنون » (١٥) والفارق هو أنكم : « ترجون من الله ما لا يرجون » (١٦) فالرجاء في الله تعالى في النصر المغمم به قلب المؤمن بربه ، قوة نفسية ، وطاقة روحية هائلة ، لا تنفصل أبداً عن القتال المستميت في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، والا كان خوام ، وضرباً من الأمانى الكواذب ، وليس « التواكل » من هذا المعنى الأخير بعيد .

هذا ، وإذا كان الجهاد - كما قدمنا - من صميم « التقوى » لصريح قوله تعالى : « والصابرين في البأساء ، والضراء ، وحسن البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » (١٧) فإنه - في الوقت عينه - أمانة ، ومظهر يبين على صدق الايمان ، ورسوخ العقيدة ، بل هو ما تقضي به سنة الابتلاء التي هي الغاية القصوى من هذا الوجود الانساني على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ، ليبليوكم أيكم أحسن عملاً » فالابتلاء هي السنة الماضية في الاناسي منذ نشأة الخلق الأول ، قدراً مقدوراً ، لقوله عز شأنه : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١٨)

ومن هنا ، تدرك ، أن القرآن الكريم ، يربط العقائد - ومن أجل ثمراتها التقوى - بالتكاليف بوجه عام ، والجهاد بوجه خاص ، وصلا لعقائد الدين بنظام الدنيا ، وصلا عضواً واقعياً محكماً ، بحيث يكون أداء الثانية ، وإقامتها ، دليلاً يثبت على صدق الأولى ، أو مظهراً مجسداً لمضمونها ، ومقتضياتها ، حتى لا تبقى تلك العقائد مجرد تجريدات ذهنية فلسفية لا صلة لها بالواقع الحيوي ، وتدبير شئون الأمة ، بما يحقق مصيرها ، وليقيم الحجة البالغة على المكلفين أنفسهم من واقع تصرفهم في حياتهم ، ومما كانوا يتخذون من « مواقف » حيوية حاسمة ، تجاه أحداث عصرهم ، ومصائر شعوبهم ، وبذلك حسم القرآن العظيم ، الفرق بين الرجاء الإيجابي العامل الجاد المثمر البتاء ، وبين التواكل ، أو الأمانى الخوادم في النصر ، أو في الحياة بعمامة ، مجردة عن اتخاذ الأسباب الممثلة المناسبة والفعالة من الاستبسال في الجهاد ، وبخاصة ، وأداء التكاليف ، وإقامة الحياة الإنسانية المثلى بعمامة .

ج - القرآن العظيم ، إذ يرسم المنهج « الأقوم » الذي ينبغي أن تسلكه الإنسانية جمعاء في مسارها الطويل لو ثابت إلى رصدها ، واستهدفت المصلحة العليا للبشرية كلها - وقد أعدها الله تعالى أعداداً هائلة خاصة لذلك ، لتمكينها من التنفيذ والأداء ، مرشداً إلى موضوعية قيمه ، وإنسانية مثله ، وعالمية مبادئه ، وشمولية مفاهيمه ، ومقدراً تغير ظروفها ، بقوله سبحانه : « أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » يحذر - في الوقت نفسه - من غرور الأوهام ، وخدر الأمانى ، ليبصر بما جاء به من بصائر ، وبينات من الهدى والفرقان ، ويوقظ الوعي للذات ، ويهدي إلى السنن العامة التي تقوم عليها حقائق هذا الوجود ، منذ نشأة الخلق الأول .

هذا ، وترى القرآن العظيم ، ينص صراحة ، على أن « أمانى المرء » التي تحمله على التواكل ، والافتقار ، والاسترخاء - بما هي خلوة من العطاء ، والتضحيات الجسام عند الاقتضاء ، ولا سيما في مواطن البأس والضراء ، وحين البأس ، أي دون جهاد مشنن ، وتحمل لأشد مشاق القتال ، أقول أن تلك الأمانى ليست من السنن الإلهية في شيء ، بل « الأمانى » المجردة ، أو هام وأخيلة ، أو هي من غرور الشيطان ووعده ، لمناقضتها لسنة الحياة نفسها ، ولكونها مضادة لما زاد الشارع من وضعها ، ومفضية - آخر الأمر - إلى نتائج عكسية ، ولأن المتضمن على الله الأمانى ، مجردة من تبعات التكاليف بعمامة ، والجهاد بخاتمة ، يطمس في نفسه « أصول المسؤولية الكبرى » عن مصير أمته ، ويتجاهل سنة إحراز النصر لها في جهادها الواجب مع عدوها ، ولأن النصر - في منطق القرآن العظيم - ليس هبة تمنى ، وليس ثمنه مجرد أمنية تطوف بالمخيلة ، أو دعاء يشتد به ، أو أمل سانح في سماء الأوهام ، والرؤى العالمة ، بسله النصر - في شرعة الاسلام - باهظ التكاليف في الأنفس والأموال ، بما يتطلب من النفس الإنسانية أن تستفرغ كافة طاقاتها ، وتبذل من ذات نفسها ، وتصير في مواطن المعن صبرا يكاد يشارف على ما يشبه اليأس ، ولكن لا يقع فيه ، لقوة إيمانه ، إذ « النصر » - كما تصوره الآيات الكريمة - وإن كان من عند الله تعالى القوي العزيز الحكيم ، غير أنه « مطلب عزيز » لا يناله إلا أولو العزم ، ولو

كانوا من الرسل !! حتى ليكاد الجهاد من أجل الظفر بالنصر ، يذهب بصبر المؤمنين ، ويأتي على رباطة جاشهم ، وقوة عنفوانهم ، بل قد يحمل - لشدة مأساه ، وكوارثه - على الدخول في مداخل تشبه « الاستيئاس » لفرط ما كان الرسول نفسه ﷺ وأصحابه يتحملون من أهوال ، ويمنون من ويلات ورمق ، تجد هذا جلياً ، فيما تمبر منه الآية الكريمة من قوله عز شأنه : « مستهيم الباساء والضراء ، وزلزلوا » ، حتى يقول الرسول ، والذين آمنوا معه ، متى نصر الله (١٩) ! ! » .

هذا ، والتعبير من « زلزلتهم » بصيغة الماضي ، تأكيد للوقوع ، هذه هي سنة الحياة ، وتلك آثارها العتمية ، قدر مقدور ، لا تبدل له ، وقد جاءنا من نبا الدين من قبلنا ، ممن سلكوا سبيلها ، والتزموا بها التزاماً طوعياً إيمانياً صادقاً ، فاجتروا ثمارها جنيئة بعد تروس شديد بأفات الجهاد ونتائج ، أحراراً للنصر المؤزر ، ما يدل على أن من ابتغى « نصراً » من غير هذه الطريق ، أو دون سلوك هذه السنة الثابتة المطردة في الحياة والأحياء ، فلن يحرزها أبداً ، لأنه في غفلة عن سنن الله التي أقام عليها هذا الوجود الانساني ، تفسيراً له ، نشأة واستمراراً ، ومصيراً ، وقد بهرته القرآن العظيم بحقائقه ، ليستهدى بها ، إذ الأسباب التي وضعها الله تعالى في أيدي المؤمنين ، ينبغي اتخاذها ، لتحقيق ما يرتجون ، ولتترتب عليها مسبباتها ، بإرادة الله تعالى وجملة ، ونظام شرعه في كونه ، وفي حياة المخلوقين على السواء ، مما يدل دلالة قاطعة على أن من يضاد الله تعالى في سننه ، كمن يعصى الله في شرعه .

هذا ، واتخاذ « مواقف » مناقضة لسنن الله تعالى ، ثم العكوف على التمني ، أو الانعطاف على النفس - اقتناعاً لها - بأن الله تعالى سيتولى نصرها - هو محاولة للتخفيف من أعباء التكاليف التي أوجبها الله تعالى لأحرار النصر في شرائعه ، ومبادئه ، فضلاً عن عقائده ، ولا ريب أن التخفيف منها منافي لمنطوق النص الصريح رأساً ، في مثل قوله جل وعلا : « ولينصرن الله من نصره » أي في شرائعه وتعاليمه ومبادئه وسننه الثابتة ، لأن هذا هو المعنى المراد ، والا فلاه تعالى لا يفتقر الى من ينصرذاته العلية ، وإنما المراد انفاذ كل أولئك عملاً وأداء .

هذا ، وقد جاء الربط - كما ترى - بين نصر الله تعالى للمؤمنين ، في كافة شئون حياتهم ، لا في الجهاد القتالي لحسب ، لا إطلاق النص في منطوق الآية ، وبين نصرهم هم أولاً لشرائعه ، وسننه عملاً ووقوعاً ، وأخرى في صورة قسم ، للتأكيد ، « ولينصرن الله من نصره » والله تعالى بارء بقسمه ووعد ، دون ريب ، وقد أكد الله تعالى هذا الربط أيضاً في سورة أخرى ، كسنة ثابتة من سننه في الوجود ، هي صورة الشرط والجزاء ، في مثل قوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم » (٥١) .

وعلى هذا ، فلن يكون ثمة جزاء إيجابى إذا غاب شرطه ، ذلك من بدائه العقل والشرع ، لأن مثل هذا الارتباط بين الشرط والجزاء ، قد جرى الأسلوب القرآنى على اعتباره « سنة الهية ثابتة مطردة ، حتمية الآثار ، بجعل الله تعالى ، ووضعه تكويناً ،

لا تنتقض ولا تتخلف ، فكانت نظاما الهياثا ، قد اقام الحياة الانسانية عليه ، ليؤتي ثماره ، والا كان النقيض !! وهذا ما يقتضيه منطق طبائع الأشياء أيضا ، فضلا عن منطق الشرع ، اذ لا يُعقل في مواقع الوجود ، أن يتم نصر" مؤزر دون جهاد قد تم اعداده وعدته ابتداءً ، وانطلق المجاهدون بدافع عقائد صحيحة ومثل عليا ، هي روح العمل القتالي ، وغاية أمره ، والا كان مجرد اقتتال على منافع مادية ، وتكالب عليها ، كما هو الشأن في شريعة الغاب ، وما أهون ! لأن هذا انتكاس ، وتقهقر الى عهد الجاهلية الأولى ، حيث كانت « القوة » هي التي تحتكم في العلاقات بين الناس ، ليصبح ما تمليه القوة الغاشمة ، وما تنتهي اليه ، هو « العدل » المزعوم ، مما يرفضه العقل ، والوجدان ، والضمير ، والدين : « أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما ، لقوم يوقنون » (٥٢) .

لهذا ، ترى القرآن الكريم ، يعتبر « الأمانى » على الله في تحقيق النصر ، دون أن يأخذوا أنفسهم بسنة الجهاد القتالي التي أرساها القرآن العظيم بصريح نصوصه في مواضع شتى ، مصوغة في أسلوب قسسي تارة ، أو شرطي تارة أخرى - كما بينا - اعتبر هذه الأمانى مضيقا للحياة ، وملهاة صارفة عن الوقوف على حقائق الاسلام في هذا الوجود ، بل قد أشار الى أن هذا التمني الأجوف - ومنه التواكل - من سمات الكفر ، بصريح قوله عز شأنه : « ذرهم ياكلوا ، ويتمتعوا ويلههم الأمل ، فسوف يعلمون » (٥٣) .

هذا ، ولا يخفى ما في تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى : « فسوف يعلمون » ومن التهديد ، مما يدل على أن التلهي بالآمال والمنى الكاذبة منشؤه الكفر بالله تعالى ، وشرعه ، وسنته .

ط - شرع القرآن العظيم ، الوسائل العملية التي تعتبر من أصل تعاليمه في توهين القوى المعنوية للعدو ، ومنها ، وجوب المبادرة بمهاجمته ، اذا تعينت خير وسيلة للدفاع ، وتتبعه في كافة مواقع التي لاذ بها ، واعتصم ، لمواصلة مقاتلته ، وتحريم التواني عن اللعاق به ، حيثما وجد ، أو استشعار الوهن في مجابهته ، وهو أصل عتيق مقرر في هذا الكتاب العزيز ، بصريح النص ، نفصله فيما يلي :

ان من أصل مبادئ القرآن العظيم ، فيما يتعلق بهذا الصدد ، أعني الجهاد القتالي ، ما قرره ، من وجوب المبادرة بمهاجمة العدو ، والنهي عن التواني عن مبادرة العدو بها ، اذا تعينت هذه المبادرة بالمهاجمة خير وسيلة للدفاع ، حسب الأحوال ، ومقتضيات الظروف ، ومعطيات الخبرة العسكرية ، مما تمليه ظروف « الموقف » .

هذا ، وقد حرم الله تعالى التخاذل عن مواصلة مقاتلة العدو ، وتتبع مواقع التي لاذ بها ، واعتصم ، بعد شن الهجوم عليه ابتداءً ، اشاعة للرعب في صفوفه ، واحباطا لخطته المدبرة قبل تمكنه من تنفيذها ، وصدا له عن التمكن من المبادرة بالهجوم علينا ، انتقام لشره ، ودفعاً لعدوانه قبل الوقوع ، ولأريبابان هذا من قضايا العقل والدين !

هذا ، ومناطق حكم وجوب شن الهجوم على العدو ابتداءً ، وتتبعه حيثما شئت ، هو « العداء السافر » بما هو شعورٌ حادٌ جارف يقذف بحمم من الغيظ الذي من شأنه أن يجعل العدو على تيبّيت نية العدوان ، بل والمبادأة به إن استطاع ، وتنفيذ كل خطة ترمي إلى تحقيق ذلك كلما واثته الظروف ، وهذا أمرٌ « واقع » لا سبيل إلى تجاهله ، أو إنكاره ، ومن هنا ، كان الأمر بالمبادأة بمهاجمته ، بنص الكتاب العزيز ، وتحريم التقاعس عنها ، معاملة له بتقيّض قصده ، وأحياناً لسميه ، وانسداداً لخططه عليه ، ولأن هذا « الهجوم المبتدأ » قد تبين أنه خير وسيلة للدفاع ، على ما افترضنا .

أما النص الصريح الذي ينهض بوجوب المبادأة بمهاجمة العدو ، فذلك في قوله عز شأنه : « ولا تهنأوا في ابتغاء القوم ، فإن تكونوا تالمون ، فإنهم يالمون كما تالمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » (١) .

ووجه الدلالة ، أن « الابتغاء » فيمنطوق الآية الكريمة بمعنى « الطلب » وطلب العدو لغة ، هو مبادأته بالهجوم مقاتلة وجاء النهي صريحاً بمنطوق النص ، عن التواني والاسترخاء عن النهوض بسبب هذه المبادأة ، والنهي عن الشيء ، أمرٌ بضده ، والأمر يفيد الوجوب ، وهو وجوب شن الهجوم ابتداءً ، يؤكد ذلك ، سياق الآية الكريمة من العث على تحمل أرواء الحرب ، وكوارثها : « فإن تكونوا تالمون ، فإنهم يالمون كما تالمون » وهذا القدر المشترك من الآلام ، بين المجاهدين وعدوهم ، لا يكون إلا في ميدان القتال !

ي - نهى المجاهدين عن التواني عن المبادأة بالهجوم يشمل نهيمهم عن أن يتحسروا لأسباب الوهن أن تتسرب إلى نفوسهم .

على أن النهي عن التواني عن المبادأة بالهجوم يشمل - فيما يشمل - نهى المجاهدين أيضاً عن أن يتحسروا لأسباب الوهن أن تتسرب إلى نفوسهم ، لاضعاف قواها وملكانها ، وعزمها ، بأن يصيخوا إلى ما يبشّر العدو من خلال وسائل إعلامه - من عوامل « التثبيط » و « التخذيل » في إطار ما يسمى « الحرب النفسية » ليفت في عضدهم ، أو يقعدهم من مواصلة القتال ، تهيباً وضعفاً ، أو أن يثغدوا بها .

والنهي عن الشيء نهى عن لوازمه ، كذلك مشمول بقوله عز وجل : « ولا تهنأوا في ابتغاء القوم » مما يدل قطعاً على أن الشارع الحكيم ، قد قصد تدمير القوى النفسية للعدو أولاً ، وتحطيم بنيته العسكرية بهذه المبادأة ، والمتابعة ، للتعقب عليه ودحره !

تشير أي القرآن العظيم ، إلى أن مقصد الشارع الحكيم ، من الجهاد القتالي ، هو مواصلة مقاتلة العدو ، حيثما شئت ، وفي كافة مواقفه ، بعد المبادأة بمهاجمته ، بما يكون المجاهدون قد أعدوا له من الخطط العلمية الحربية المدروسة ، وبما تليكه الخبرة والتجربة العملية في كافة فروع الاختصاص الحربي ، نتيجة للاحاطة بظروف

« الموقف » ومقوماته ، ومستلزماته ، « والموازنة » الدقيقة بين قوى الطرفين ، ومسدى امكانياتهما ، وبما أعد المؤمنون من صفوف « القوة المرهبة » من أقوى الأسلحة ، فتكا ومضاء ، بل وعلى أرفع مستوى بلفه العصر في تصنيفها وإبداعها ، وبالقوى جهدهم استطاع ، استئصالا لشافة العدو ، إذ ليس المقصود منه مجرد أشغال نار الحرب ، ارتجالا ، أيا كانت مآلاتها ونتائجها !

يرشدك الى هذا ، وجوب المبادرة بالهجوم الساحق على العدو بنص الآية الكريمة التي تلونا ، وتتبع مواقفه جيشا ثقف ، للقضاء عليه نهائيا ، في مثل قوله عز وجل : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » (٥٥) وتشتيت شملهم ، وتشريد مَن خلفهم ممن يناصرهم ، في مثل قوله عز وجل : « فشرّد بهم من خلفهم » (٥٦) ، وأوجب الثبات العنيد في مواطن القتال ، مهما عظمت الكوارث ، واحلوكت الفواجع ، وادلهمت الغلوط ، لقوله عز وجل : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٥٧) حيث قدم الاستشهاد على النصر - كما ترى - مما يوحي بأن المجاهد الحق هو من يضع نصب عينيه ، احتمال الموت ، قبل احتمال الظفر بالنصر ، ثم حرم عليه التولّي من الزحف عند المجابهة والتقاء الجميع : « يا أيها الذين آمنوا ، اذلقم الذين كفروا زحفا فلا تولّوهم الأدبار » (٥٨) واعتبر التولّي من الزحف من الكبائر ، ومواقف الاثم الكبرى ، وإن التولّي ييوم بغضب من الله مصيرا ، فالؤمن الحق ، لا يعرف الجبن أو الخور الى قلبه سبيلا ، إذ لا يجتمع في قلبه ايمان وجبن ولا ذلة ، فكانت « الاستماتة » في القتال ، أولى ثمرات عقيدة الاسلام ، كما ترى .

وأما اعداد القوة المرهبة ، فلقلوله عزّ شأنه : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٥٩) ومعلوم أن « عنصر الارهاب » لا يتأتى وقوعه في نفوس الأعداء ، الا اذا كانت القوة المعدة لدى المجاهدين ، أقوى مضاء ، وأشد فتكا ، مما يملك عدوه من قوة ، ولكل عصر نوعية أسلحته ، وأدواته القتالية ، ومعداته التي أنتجها مستوى العلم التجريبي فيه !

إن عنصر « الارهاب » في منطق الآية الكريمة : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » هو مناط الاستدلال على وجوب تطويع الأسلحة المعدة ، ليلبغ أعلى مستوى مسن النووية ، مضاء وقوة ونفاذا ، مما أنتج العلم في كل عصر ، حتى اذا تغلّفت نوعيته ، فلن يتأتى « الارهاب » الذي هو الغاية من الاعداد .

أما الدليل على أن الشارع قد قصد تدمير قوى العدو النفسية ، وتوهين معنوياته ، فذلك ، لأن الشأن في المبادرة بالهجوم الساحق ، وعلى كافة المواقع العربية للعدو ، برا وجوا وبحرا ، لا ملاقاة النص : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم » أقول : إن الشأن في مثل هذا الهجوم الساحق ، أن يشيع « الترويع » في صفوفه ، وهذا « الترويع » شامل أيضا ، لشمول مواقفه ،



فكان أشد وقعاً على النفوس ، وأفثك بقواها من « الارهاب » الذي مبعثه ، مجرد اعداد القوة قبل المهاجمة ، بصريح قوله عز وجل: « ترميهم به عدو الله ، وعدوكم » فهو «ارهاب» منشؤه اعداد القوة قبل استغلالها - كما ترى - بغلاف « الترويع » بالقوة المهاجمة فعلاً .

وعلى هذا ، فإن تدمير « القوى النفسية » للعدو ، سواء بالترويع بالمبادأة الهجومية ، أم بالارهاب باعداد القوة على أرفع مستوى من المضام ، والنفوذ ، مقصد شرعي قطعي ، وحقيقة من الحقائق التي تقتضيها العلاقات الدولية في الاسلام زمن الحرب .

هذا ، ويتناول النص - ولكن بمعقوله - سائر وسائل « الدعاية » على اختلاف أنواعها ، وطبائعها ، مما ينهض به فن الاعلام في الدولة ، إذ يعتبر من « جزئيات » ذلك المقصد الشرعي العام ، أو من لوازمه .

وتفصيل القول في « تاصيل » هذا المبدئي الجهاد القتالي ، يتجلى في النقاط التالية :

أولاً : لقام النهي الصريح عن التواني عن طلب العدو « ولا تهنوا في ابتغاء القوم » والنهي عن الشيء ، أمرٌ بصدده ، كما قدمنا ، وهي مبادأة الهجوم « والبيدار اليه ، والأمر يقتضي الوجوب ، فكانت المبادأة بالهجوم مفروضة » .

ثانياً : ما يفيد منطوق الآية التي تلونا ، من استواء المجاهدين وأعدائهم ، في تحمل أوزام الحرب وأوزارها ، لأنها « نتائج » طبيعية للحرب وحتمية ، فكان ما يمانيه المجاهد من ويلاتها ، مماثلاً لما يمانيه العدو من ذلك ، وقد أكد القرآن العظيم هذا « المعنى المشترك » في أكثر من موضع ، من مثل قوله سبحانه : « أن يمسسكم قرح » فقد مس القوم قرح مثله « (٦٠) » وهذا ما يؤكد قوله عز شأنه : « أن تكونوا تالمون ، فإنهم يالمون كما تالمون (٦١) » فلا ميزة إذن ، ولا فضل لفريق على فريق في تحمل مشاق القتال ، لأنه قدر مشترك ، إذ أوزام الحرب نتائج طبيعية لها ، والا ما كانت حرباً .

هذا ، ولا سبيل الى التخفف مما تقتضي به طبائع الأشياء ، وفي هذا من تهوين وقع آثار الجهاد على نفوس المجاهدين ما فيه احتمالاً لهم على المبادأة بالمهاجمة ، وتشجيعها عليها ، وإغراء بها ، والإغراء بالشئ فرع عن ثبوت أصله شرعاً بلا مرأ .

ثالثاً : ومما يؤكد هذا الأصل أيضاً ، من ألوان الإغراء به ، والحمل عليه ، أن القرآن العظيم ، إذ يقرر منطوق طبائع الأشياء ، من وجوب الصبر على احتمال ما هو نتائج طبيعية للحرب ، وأموالها ، وحتمية الاشتراك في أوزامها ، يوحى الى المجاهدين - في الوقت نفسه - بأنهم أولى من العدو بتحمل آثار هذه المبادأة ، وكوارثها ، ذلك ، لأن « العدو » إذا كان يشترك في تحملها ، ويصبر عليها ، وهو مبطل ، ظالم ، ومعتد ، فلأن يحتملها ،

ويصبر عليها ، المؤمن الحق ، من باب أولى ، ذوداً عن قيمه ، وحقه ، ووطنه ، وتحقيقاً  
لعزة وجوده ، واستتملاً لجذور العدوان والظلم والبيس . ومعناً لأسباب الفساد في  
الأرض !!

ومؤدى هذا ، أنه ينبغي ألا تضعف نفوس المجاهدين ، أو تتوانى مهمهم عن المباداة  
بشن الهجوم على العدو ، ما دامت عداوته سافرة ، ونواياه ظاهرة ، وخططه واضحة .

وابها : أن القرآن العظيم ، لا يني يث في نفوس المجاهدين روح الاستبشار  
بالنصر المؤزر ، أو الشهادة : « ومن يقاتل في سبيل الله ، فيقتل أو يغلب ، فسوف نؤتيه  
أجرًا عظيمًا » (٦٢) اغراء لهم بالانقدام على المباداة بالهجوم ، قبل أن يبادنهم العدو  
بمهاجمة ديار الاسلام ، ولأن دفع الضرر قبل الوقوع ، أولى واجدر من معالجته بعد الوقوع ،  
وقد يطول امد ازالة آثاره .

ترى ذلك بيئنا فيما جعله الله تعالى ، فيصلا حاسماً بين المجاهدين وعدوهم ، من  
الترجية والاطماع والبشرى في الآية التي تلونا : « وترجون من الله ما لا يرجون » أي من نصر  
الله لكم ، بحكم ايمانكم ، وجهادكم واستبسالكم في سبيل الحق الذي آمنتم به ، ونهوضكم  
بالمباداة بالمهاجمة فعلاً ، أو ما ترجون من المظفر بنعيم الآخرة بالنسبة الى من كتبت  
له الشهادة ، لأنها احدى الحسنين : النصر أو الشهادة ، وهو أمر لا يرتجيه العدو ، بل لا  
يخطر بباله ، لانتقام أصل الرجاء لديه ، أولاً اغتراه من نوازع اليأس الذي هو قرين  
الكفر ، لشدة ما يلقي من بأس المجاهدين واستبسالهم في ميادين القتال ، مما افقده  
« الرجاء » أو « الأمل » في النصر ، وفي هذا تقوية لروح المجاهدين ، واستشارة لغواني  
طاقاتهم ، لمباداة الهجوم ، وتأسيس للعدو في الوقت نفسه - لتدمير ممتوياته ، وأياً ماكان ،  
فان افتقاد عنصر الرجاء في نفسية العدو ، قرع عن فقد أصله ، وهو الايمان ، ومن فقد  
الأصل ، فقد كل ثمراته .

الخبر بأسلوب القرآن الكريم ، يرى أنه اذ يربط وقائع ماضي البشرية ، بأحداث  
حاضرها ، اهان نزوله ، ليستحضرها في أذهان المؤمنين ، ويجليها لبصائرهم ، ثم يشير الى  
ما نجم عن ذلك كله من ثمرات ونتائج حاسمة ، تراه يوجه الى ما ينبغي أن يكون  
عليه أمر مستقبلها ، منبهاً الى وجوب تفادي أسباب الانحراف الذي يورث الشقاء الدنيوي ،  
فضلاً عما يؤول اليه مصيرها في الآخرة ، أقول : أن القرآن الكريم ، اذ يسير في أسلوبه  
البيناني على هذا المنهج من الربط والتوجيه ، فانما يقصد بذلك الى ايقاظ العقل ،  
ليقوم بدوره في التفكير والبحث والتأمل في تلك الوقائع والأحداث ، للوقوف على ما يسلكها  
من نواميس هذا الوجود ، لاستخلاص المغزى العميق الذي يكمن وراءها ، وهو ما يطلق  
عليه القرآن الكريم ، كلمة « العبرة » التي هي على هاية من الخطر والأهمية ، نتناولها  
فيما يلي بايجاز :

الأول : اشارة قدرات الانسان ، وملكانه ، لادراك وجوه النشاط البشري ، ودوره  
وتأثيره في هذا الوجود ، والنتائج العتمية التي تمثلت على مسرح الحياة بحيث تثرى بالعين المجردة ،

لأنها واقعة تحت الحس، بل إن القوم قد خاضوا غمارها، بأنفسهم، رطباً للماضي الموهل في القدم، بالحاضر الشاهد، كأنه يقول لهم: إن كنتم لم تشهدوا وقائع التاريخ السحيق الذي استحضره لكم، وأقص وقائمه عليكم، فعليكم أن تفكروا في الواقع الماثل أمامكم، وعلى مرمى من أبصاركم، لتوقنوا بصدق المبدأ الذي تجنون ثماره اليوم بأيديكم، فإن في هذا لمبرة لكل ذي بصر، فضلاً عن ذي البصرة، يقول سبحانه عقب بيان حال الأقدمين، في هذا الشأن قولاً يصف لنا الآية الكبرى المستخلصة من غروة بدر: «لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، يرونهم مثليهم، رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لمبرة لأولي الأبصار» (٦٤).

هذا، وقوله تعالى: «إن في ذلك لمبرة لأولي الأبصار» أي من اليسر استخلاص المبرة، ولا تفتقر إلى طول تأمل، وتفكير، لأنها بادية للعيان، مما يدل - بالمفهوم المخالف - على أن الذي يتغافل عن ذلك، فليس من ذوي الأبصار، بل هو في حماية أو ضلالة، يتعثر بها، أو يشقى في هذا الوجود، مصداقاً لقوله سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى، فإن له عيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حسرتني أعمى، وقد كنت بصيراً، قال كذلك، أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» (٦٥).

وفي هذه الآية الكريمة - كما ترى - إشارة إلى أن نسيان الآيات - في شرعه وكونه وسننه الثابتة - سبحانه - وما تنطوي عليه من تشريع أمر، وتوجيه، وغير مستخلصة من وقائع التاريخ - قديمه وحاضره - ومآلاتها التي استلزمها جريان سنن الله تعالى عليها، أقول: أن نسيان ذلك، والتغافل عنه، حماية فكرية وعقلية ونفسية تستلزم حماية أخروية، إذ الجزاء من جنس العمل: «قال رب لم حسرتني أعمى، وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك، أتتك آياتنا، فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» (٦٦) أي تلغى وتطرح في مصير معتمود!

هذا، والواقع أن ما عثر عنه القرآن من التغافل أو الإعراض عن آيات الله بامطلاق، شرعاً، وتوجيهاً، وهداية، وسنناً كونية، عثر عن التغافل عن كل أولئك بالنسيان، إنما هو - في ضوء المفاهيم القرآنية - نسيان للذات الانسانية نفسها، لفقدانها الوحي الكامل المستبصر لكيانها، وشخصيتها المعنوية، يؤكد هذا المعنى قوله عز وجل: «نسوا الله فنسيهم» (٦٧).

ولا ريب أن هذه «مشكلة لفظية» والإفان الله تعالى لا ينسى، وهو سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإنما المقصود من النسيان، الضياع، والخسر، مصداقاً لقوله تعالى: «والعمران الانسان لنفسه خسر، إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر» (٦٨) فمصره في الدنيا أن يقدو مضيئاً منسياً ومهملًا في زوايا التاريخ، يعانى صنوفاً من الدلة، والشقاء، وفقدان الذات والشأن، والوجود المعنوي، ومصره في الآخرة على هذا الوزن، كما قدمنا، إذ وحدة المصير يستوجبها وحدة السبب، عدلاً، وجزاء وفاءً.

يرشدك الى هذا الترجيحه الالهي في مثل قوله سبحانه : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله ، فانساهم انفسهم (٦٩) » .

هذا ، وانني اذ اذكر « الانسان وسعيه الدنيوي ، ومواقفه تجاه رسالة خلافته في هذا العالم ، سلباً او ايجاباً ، فانما اقصد «الانسان» بمعناه الاستغراقي العام ، افراداً ومجتمعات ، وشعوباً ، وأماً » .

الثاني : وجوب تبين « الاصول العامة » التي تنظم تلك الوقائع بنتائجها الحتمية ، مستخلصة من جزئيات تلك الاحداث ، كل طائفة منها متشابهة في طبيعتها ونوعيتها ، ترتبت على مقدمات متشابهة ايضاً طبيعة وظروفاً ، من حيث البواعث ، والقصود ، وما تتخذ من ألوان السعي ، والنشاط ، والفاعلية ، وما يستلزم ذلك كله من ( الآثار المادية الظاهرة التي هي من مدركات الحس تجسدت على ارض الواقع ، وتعكمت في مجرى التاريخ اثراً لسنن الله فيها ، مما يقيم البرهان السالمع ، والحجة البالغة ، على صدق تلك الاصول العامة في مقتضياتها ، اذ ليس شمة اذل على صدق الاصل العام من تحقق آثاره ، صلي لقوة نفاذه ، واستعالة تخلفه ! وهوما يطلق عليه القرآن الكريم « سنن الله » وهي نظام نافذ في الحياة والأحياء ، بما هو من وضع الله تكويناً ، بل هي - بنسب الكتاب العزيز - قدر مقدور ، لقوله جل ثناؤه : « سنن الله في الذين خلوا من قبل ، وكان امر الله ، قديراً مقدوراً » وقوله عز وجل : « يريد الله ليبين لكم ، ويهديكم سنن الذين من قبلكم » (٧٠) / ٢٦ النساء .

يوضح هذا ، مما يتصل بموضوعنا ، بل ويؤكد ، ما تجده صريحاً في آيات متتالية ، من سورة آل عمران ، قد جمعت فيما بينها « وحدة الموضوع » حيث ترى القرآن الكريم ، في مثالنا الذي اوردناه ، يربط ما كان من آل فرعون ، بل والامم الذين من قبلهم ، في التاريخ المومل في القدم ، يربط كل اولئك بما كان من مشركي قريش ، في وقعة بدر الكبرى في عهد النبوة ، وما آل اليه امرهم جميعاً ، ماثلاً تحت سمعهم وابصارهم ، ربطاً محكمًا ، ليقيم الدليل البين ، على أن وحدة السبب تستوجب وحدة المال ، لا محالة ، ولا نمني بالسنن الالهية العامة الماضية النافذة الا هذا المعنى ، وبيان ذلك :

انه فيما يتعلق بالامر الاول ، تجد القرآن العظيم صريحاً في مثل قوله تعالى : « كذاب آل فرعون ، والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا ، فاحذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب » ١١ / آل عمران .

وأما فيما يتعلق « بوقعة بدر الكبرى ، مما يلي هذه الآية الكريمة التي تلونا آنفاً ، فتجده صريحاً ايضاً في قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، واخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار » آل عمران / ٣ .

ولا ريب أن شدة العقاب ، تؤذن بمظم أسبابه . هذا ، وتاويل الآية الأولى ، أن « الدأب » - كما يقول الامام الطبري (٧١) - هو في الأصل العمل المستمر ، ويعني الامام الطبري ، أنه صار شائناً ، أو عادة مطردة متعكمة فيهم ، ولهم قبلهم من الذين ترسّموا خطاهم ، وساروا على سنتهم ، من تكذيبهم بآيات الله الدالة ببراهينها الدامغة على الحقيقة الكبرى لهذا العالم ، وارتباطه بالالوهية خلقاً وتدبيراً ومصيراً ، وهو تكذيب بعد قيام الحجة ، مما يعتبر مكابرة أو عناداً ذافها إلى النكوص عن أداء أمانة التكليف ، وهي رسالة الاستخلاف في هذا العالم ، عمراتاً ، وحضارة انسانية ، وإقامة للحق والعدل فيه ، وتحقيقاً واقمياً للمثل العليا ، والفضائل ، والقيم الروحية ، بحيث تصبح أوضاعاً قائمة في المجتمع ، وتكذيبهم أيضاً بما يتصل بتلك الحقيقة الكبرى لهذا العالم ، من أن الحياة الدنيا فيه موصولة بالآخرة ، مما يفسر غائية الأولى تفسيراً ينفي عنها معنى الميت ، والسودوية ، واللامعقولية ، كما يستبعد عن الفكر الانساني ما يشل طاقاته ، من فكرة الفناء الأبدي الرهيب ، لقوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم مبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون » (٧٢) .

هذا ، ولا ريب ، أن التكذيب بعد قيام الحجة الدامغة - كما قلنا - مكابرة بل كفر لا يسوغه منطق انساني سليم ، ومن هنا ، هوجلوا بالعقوبة من أخذهم تكالاً ، واهلاكهم جزاء وفاء .

هذا في التاريخ الموهل في القدم ، والذي روّيت لنا وقائمه تواتراً ، فضلاً عن ثبوت صدقه في قصص القرآن الكريم : « أن هذا هو القصص الحق (٧٣) » ولقوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء » ، وهدي ، ورحمة لقوم يؤمنون (٧٤) .

أما فيما يتعلق بوقعة بدر الكبرى بوجه خاص ، ففيما تلونا آنفاً ، من قوله تعالى : « لقد كان لكم آية في فئتين القتلى ، فئة قتلت في سبيل الله ، وأخرى كافرة » تجد ربطاً هذا الحاضر المشاهد في ساحة القتال ، في عهد النبوة ، بالماضي السحيق ، كما نوهنا ، فإذا كان النصر المؤزر للفئة المؤمنة على قتلها ، عدداً وعدداً ، فإن ذلك أكبر مظهر حسني لانجاز وعد الله تعالى فيهم « ومن أوفى بمعهده من الله » وتفسير ذلك :

أن ذكر الطائفتين ، مقرونة احداًهما بصفة منافية لصفة الأخرى ، من الايمان والكفر ، فيه إشارة بيّنة إلى أن « الايمان » نفسه سنة كونية لا تتغلف آثارها فيمن أخذها بحققها ، وعلى شروطها ، وأن وعد الله تعالى في ترتيب ثمراتها لا تتغلف البتة ، وآية ذلك ماثلة عياناً في هاتين الفتنتين ، والايمان تبعات جسام ، وأولها الجهاد والتفاني في سبيل انفاذها ، لتصون الكيان والوجود والعزة ، وأن الاستغاثة والضراعة إلى الله تعالى ، ولا سيما في أشد المواقف حرجاً ، وإبان الأزمات المصيبة العادة المتقدمة - مما يحقق معنى « العبودية » لله تعالى خالصة مخلصمة لا بد أن تتدخل عقبها العناية الربانية إزاء تلك المواقف

بالاستجابة التي تعني النصر والتأييد : « اذتستفيثون وبكم فاستجاب لكم » وهي استغاثة أعقبتها الاستجابة ، وقد تأسوا فيها برسول الله ، لما رأى من رقة حال أصحابه ، فقرا ، وجوعا ، وحفا ، بل وعزياً ، فضلاً عن قلة العدد والمدة ، حتى جاش فؤاده الشريف ﷺ يجار بالضرعة والدعاء : « اللهم انهم حفاة ، فاحملهم ، وعثرة فاكسهم ، وجياح فاشبهم ، وعالة » فأنقذهم من فضلك « مما يقطع بأنهم قد كان لعون الله تعالى ومده مكان في وقعة بدر الكبرى ، لا يمكن انكاره ، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بأبلغ عبارة وأروعها في قوله عز وجل : « ولقد نصركم الله ببدر » وأنتم اذلة » (٧٥) على سبيل الامتنان ، وسيظل وقعها عميقاً في النفوس المؤمنة الى يوم القيامة .

هذا ، وتجد ذلك بيئناً أيضاً في بث « روح الثبات » من الغيب في نفوس هؤلاء المؤمنين ، وتقوية معنوياتهم ، مصداقاً لقوله سبحانه : « اذ يوحى ربك الى الملائكة ، اني معكم ، فثبتوا الذين آمنوا » ذلك ، لأن من لم يتخذ للحرب أهبتها الكاملة ، لا بد أن يداخله شيء من الوهن النفسي ، وهذا واقع في موازين البشر وتقديراتهم ، مدلولاً عليه في الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين أصحابه هؤلاء ، حيث قالوا : « يا رسول الله ما خرجنا لقتال ، انما خرجنا للعر ( القافلة التجارية ) هلا » أخبرتنا أنها الحرب ، ففعله لها عدتها ، وتناهب لها أهبتها (٧٦) « ولقد قرر القرآن الكريم هذا المعنى ، وأنهم انما خرجوا للاستيلاء على الأموال الوفيرة التي تروج بها القافلة التجارية المغيلة من الشام الى مكة ، وهي عبر قريش ، عوضاً عما استولى عليه كفار قريش من أموال المهاجرين وديارهم في مكة ، أقول : لقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى : « واذ يسعدكم الله احدى الطائفتين ، انها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم (٧٧) - أي تودون « القافلة » لا جيش قريش المدجج بالسلاح ، والالتقام به ، لمقاتلته ، وقطع دابر الشرك ، ولكن تدبير الخالق جل وعلا ، قد تبدى في ارادته التقاء الفريقين للحرب ، وأن العير انما كانت وسيلة للأغرام بهذا الانتقام في ساحة القتال ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، وهو المعنى الذي اتبعه سبحانه الآية التي تلونا أنفاً بقوله عز وجل : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون » (٧٨) ووصفهم بالاجرام ذو صدى بعيد في حكم أسراهم ، على ما سيأتي .

تدبير الهي قد تجلى في هذه « الارادة والمشئة العليا » التي اتجهت على خلاف ما اتجهت اليه ارادة هذه الطائفة المؤمنة ابتداءً ، بل ان الرسول نفسه ﷺ لم يخرج الى هذه الحرب ، ولم يسع اليها ، أو يقصدها ، بل أخرجه الله تعالى اليها اخرجاً ، ودون أن يعلم بما يكون من أمرها بادئ الأمر ، مصداقاً لقوله عز وجل : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين ، كأنما يساقون الى الموت ، وهم ينظرون (٧٩) »

وعلى هذا ، فقد اتجهت ارادة الله تعالى الى تحقيق التقاء هاتين الطائفتين في مجابهة قتالية ليحسم أمراً يتغير به مجرى التاريخ ، وهو أسنى مقصداً ، وأعظم أثراً في حياة البشرية كلها ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى كما أسماها القرآن الكريم بحق « فرقانا »

في قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا ، يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير » (٨٠) ويوم الفرقان هذا هو يوم وقعة بدر الكبرى ، بأجماع المفسرين (٨١) حيث فرق به الله تعالى - جلّت قدرته - بين الحق والباطل ، أو هو - في حقيقة الأمر - فرقان حاسم بين جاهلية بادت ، وبين حضارة إنسانية وعالمية قد ابتدأت ، لتأخذ مسارها في الحياة البشرية الى الزمن المقدر لبقاء هذا العالم !

هذا ، وفي تذييل الآية الكريمة التي تلونا آنفاً ، بقوله تعالى : « والله على كل شيء قدير » إيحاء قوي بأن هذا الفرقان الحاسم ، لم يكن أمراً هيئاً ، ولا سهلاً ، ولا سيما إذا لاحظنا ، أن الطائفة المؤمنة - بما فيهم الرسول ﷺ - لم تكن تقصد الحرب ، بادئ الأمر ، وإن فريقاً منهم كان كارهاً لها ، وإنما أخرجوا إليها أخرجاً بتدبير منه تعالى ، بصريح قوله تعالى الذي تلونا آنفاً : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » (٨٢) ولهذا لم يتأهبوا للحرب أهبتها ، بادئ الأمر ، كما أسلفنا ، فلم تتوفر لديهم من أسباب لأمة العرب ، وعدتها ، وعتادها ، ما يضاهي أو يداني قوة العدو ، فاختل بذلك « توازن القوى » اختلالاً بيئياً ، ولهذا ، كان هذا « الفرقان الحاسم » مفتقراً أشد الافتقار الى مدد من الغيب ، من عون الله تعالى ، وقوته وتشيته ، وإلا ما كان لهذا التذييل من معنى ، وقد بدت مظاهر ذلك كله ، حسية ، مجسدة على أرض المعركة ، يشاهدها الفريقان كلاهما ، بأب أعينهم ، لوروعها بين ظهرانيهم ، مما يقطع بأن صلة « الغيب » بالحياة البشرية ، أمرواق ومشهود ، بحيث يمكن القول - بصدد موضوعنا - بأنه لولا الغيب والقدرة الإلهية ، لما كان هذا النصر المؤزر ، لأن تقديرات البشر ، وموازينهم ، لا تنتج تعقّق ذلك « الفرقان » الحاسم باطلاق ، لاختلال توازن القوى اختلالاً بيئياً - كما أسلفنا - من حيث القوى المادية والنفسية ، بادئ الأمر - كما ناسقون الى الموت وهم ينظرون (٨٣)

يؤكد هذا قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى » (٨٤) ولكن من حيث تحولت ارادة الاستيلاء على الغنيمة الى ارادة القتال ، بعد أن أخذ الرسول ﷺ مشورتهم فيه ، بل الى الارادة العامة للتضحية والتفاني ، نصر الله تعالى في شرعه ودينه ، وطمعاً في نعيم جنته ، كان المدد الإلهي والعون الغيبي الذي اتجه حيث اتجهت الارادة العامة للطائفة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ، وهنا حشّت كلمته ربك ، انفاذاً لسنة ووعده ، في قوله سبحانه : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون » (٨٥) « ما يؤكد ما قررنا آنفاً ، من أن الايمان نفسه إذا أخذ بحقه ، وغروحه ، وتبعاته الجسم ، باخلاص وتفان ، هو بذاته سنة إلهية كونية ثابتة حتمية النتائج ، ورد تأكيدها بالأسلوب البياني البليغ على ما سيأتي بيانه ، وأن مدد الله الملي القدير ، من الغيب ، ملازم لهذه السنة ، يتجه حيث تتجه الارادة العامة المؤمنة ، ويؤكد هذا قوله تعالى : « أن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٨٦) .

هذا ، ويؤكد اتجاه الارادة العامة للطائفة الى القتال ، بعد أن كان الهم منصباً على الاستيلاء على الغنيمة ، ما جاء في استشارته ﷺ للمهاجرين والأنصار ممن كانوا معه

في بدر حيث قام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال قوله المشهورة : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى بئر الكنعان ( موضع بناحية اليمن ) لجالدنا معك من دونه ، حتى تبغفه ، فقال له رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له به (٨٧) هذا موقف المهاجرين !

غير أنه ﷺ أراد أن يستوثق من أمر الأنصار ، حيث كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد على أن يعموه ويدافعوا عنه ، ومن دعوته ، كل من دأبه في « المدينة » ولم يكن المهد شاملا للالتزام بالدفاع عنه ﷺ خارجها ، فطلق يستطلع رأي الأنصار ، وموقفهم من الحرب ، فقال : أشيروا علي أيها الناس - وهو يريد الأنصار - حتى اذا كان موقفهم من الحرب ايجابيا ، فقد اتحدت الارادة العامة للمهاجرين والأنصار على السواء ، فبرز سعد بن معاذ رئيسهم ، وقال : « والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال : فقد أمنا بك ، وسدقناك ، وشهدنا أنما جئت به هو الحق ، وأمطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أدرت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر غثه ، لغمضته ، لفضنا معك ، ما تغلث سنا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد (٨٨) »

هذا ، ولا رمية أن المقصود بقوله تعالى « كلمتنا » في الآية الكريمة التي تلونا أنفا « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون (٨٩) » هي وعده سبحانه ، بل سنته فيمن اتجهت ارادته لنصر الله ودينه وشرعه ، على النحو الذي رأينا في موقف كل من المهاجرين والأنصار ، وقد كان « النصر » والغلبة في وقعة بدر الكبرى ، مظهرا حسيًا ومشهودا ، لصدق هذا الوعد ، بل آية كبرى لأولي الأبصار في هاتين الفئتين يوم التقتا بنص الكتاب العزيز ، وهي سنة نافذة في رسل الله وجنده ، بل جاء التأكيد لهذه السنة التي تشمل بحكمها القادة والأمة من المسلمين ، اذا اخلصوا لله دينهم ، والا ما كان لوجوب استخلاص « العبرة » في بدر أي معنى ، قلت : جاء التأكيد لهذه السنة بالأسلوب القرآني البليغ من دخول « لام التأكيد » على خبر أداة التأكيد « انهم » فاجتمع تأكيدان قاطمان ، لنفاذ هذه السنة ، ولحتمية آثارها ، في كل من قوله تعالى « انهم لهم المنصورون » « وان جندنا لهم الغالبون » .

ك - معالجة القرآن الكريم للنفس الانسانية بالقيم الروحية ، ذات اثر بالغ في امكانية تحقيق الصلاح الذاتي وصولا الى مهمته الكبرى من اصلاح العالم ، وتفسير ذلك :

لا مراء أن « الانسان » من حيث عناصر تكوينه ، وخصائصه الذاتية - بما منح من الملكات العليا ، والفرائض الدنيا ، فطرة - لا يتغير على الدهر ، لقوله تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله (٩١) » فالانسان هو الانسان ، أنى كان ، ذلك لأن



تلك المقومات والخصائص ، أو الملكات والغرائز ، من سنن الفطرة ، على ما أشارت اليه الآية الكريمة ، غير أن « الانسان » من حيث هو كائن حي ، مفكر ، ذو ارادة حرة ، يتغير من حيث وجوه نشاطه الفكري ، وألوان سميه الدنيوي ، وطبيعة ما ينشؤه من علاقات بينة وبين افراد مجتمعه الذي يعيش فيه ، وما يتخذ من « مواقف » حيوية حاسمة ، مما يعتبر أثراً لعوامل عدة : بيئية ، وتيارات فكرية ، وسياسية ، واجتماعية ، وقيم انسانية رفيعة .

هذا ، ومن الثابت ، أن « القيم » والمفاهيم الكبرى ، والقواعد الفكرية أو العقائدية التي تعتبر منطلقات أساسية لنشاط الانسان ، قد تبلغ من الرسوخ في أعماق النفس الانسانية - اعتقاداً واقتناعاً - بحيث تنازع الوراثة اثرها .

ومما لا ريب فيه ، أن وجوه النشاط الانساني - المادية والمنوية - تعتبر مظهرًا لطاقتها ، وقدراته ، وانكاساً لبواعث ومشاعره ، وما يجري في وجدانه ، تحت تأثير ما استقر في عقله ونفسه من قيم ، وما تقتضيه القواعد الفكرية ، التي انطلق منها ، عن تفهم ، وقناعة ، ورضا .

ومن هنا ، كان التفاوت بين الافراد ، من حيث « نوهية » السمي ، ومدى آثاره ، وغاياته وتختلف بالتالي المجتمعات البشرية ، باعتبار أن المجتمع ظاهرة يكونها الافراد ، أو بميزة أخرى ، أن المجتمعات البشرية تختلف ، بل قد تكون متباينة من حيث نوهية العضارة ، وسماتها الاصلية ، ومستواها الانساني ، تبعاً لاختلاف افراد كل مجتمع ، بما يسوده من قيم ، وما يتحكم في توجيه نشاطه مما اعتنقه من مثل عليا ، اتجه سميه المسئول تجاه تعقيها .

اذن ، منشأ طابع كل مجتمع واتجاهاته ، هو « المكونات المنوية » لشخصيات ائمراده وعناصرها ، وما استكن في أنفسهم من بواعث ، ومقاصد توجه طاقاتهم ، وتتحكم في ارادتهم ، لتحقيق غايات معينة ارتسمت في أذهانهم .

ل - الأصل أن الانسان الفرد ، لا يمكن أن يساهم في تحقيق حضارة انسانية ، اذا كان هو نفسه غير متحضر انسانياً ، وسبيل ذلك ، هو اعتبار القيم العليا الغالبة في المقام الأول .

لذا ، رأى الاسلام - وبحق - أن هذا الأصل لا يعقل أن يكون ممكن التطبيق عملاً الا على أساس ربط الخليقة البشرية كافة بمفهوم « الانسان العام » الذي يستلزم تلك « الحقيقة » الغالبة ، الا وهي « وحدة النوع الانساني » لوحدة مصدره ، ومن هنا ، جعل تلك « الحقيقة » « معتقداً » حيث أشار اليها في مواطن عدة من الكتاب العزيز ، بنصوص صريحة قاطعة ، قوله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً (٩٢) » .

وتأكيداً لهذه « الحقيقة » وترسيخها في ضمير المجتمع البشري - ولا سيما في وجدان القادة ، والزعماء ، والمفكرين ، والساسة ، والمصلحين - أشار الى أن « التمايز » أو

التفاضل ، إنما يكون بمدى تحقيق الخير الانساني العام ، دون أن يكون لاختلاف الأعراق ، والألسنة ، والألوان ، دخل في هذا التفاضل ، بل بما يعود على المجتمع البشري نفسه من أسباب الارتقاء في مدارج المعنى الانساني ، ومعراج العلم والحضارة ، تحقيقاً للمصلحة الانسانية العليا في المجتمع الدولي ، لقوله تعالى : « يا أيها الناس ، انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (١٣) وليس هذا الجعل الالهي من الانتماء الى الشعوب والقبائل ، بمغل بالوحدة الانسانية فتيلاً ، ذلك لأن هذه الانتماءات العرقية بدءاً طبيعياً ، وتدرج واقعي ، بحكم الولادة والنشأة الأولى ، سبيلاً الى الارتقاء الى مستوى الوحدة الانسانية الشاملة - صلاحاً واصلاحاً - بحيث يتسع شموله ، ليفيد انسانياً عالمياً ، اذ الاصلاح الحق ، ينبغي أن يتسع نطاقه ، كيلا يحرم من مزاياه أي شعب من شعوب الأرض ، اذ النعمة ينبغي أن تتم ولا تخص ، والعدل أو الرحمة ينبغي أن لا يتجزأ ، والا كانت المعايير ، والتفرقة بالعنصر ، وهو ما حاربته الاسلام حرباً لا هوادة فيها .

م - أقام الاسلام الدليل البين على صدق تلك « الحقيقة » تمهيداً لتحقيق الاصلاح العالمي ، فكانت - في منطقها - القرآني - معتقداً - بصريح النص القاطع ، كما نوهنا - مما يكبر على العقلاء ، والمفكرين ، جعده وانكاره .

لا أدل على صدق هذا المعتقد ، من « وحدة التكوين الفطري » منذ أن أبدع أصل هذا « النوع البشري » على وجه هذه الأرض ، انساناً : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » (١٤) . ولا ريب أن هذا نظراً موضوعي حقيقي واقعي ، يقرره العلم ، مما لا يستطيع أحد فيه جدلاً .

ن - تاصيلاً للمعنى الانساني العام في المجتمع البشري ، اعتبر الاسلام التمييز بالعنصر ، أو اللون ، أو اللغة ، نقضاً لانسانية الحضارة ، فضلاً عن أن هذا التمييز ، يشكل افتتاتاً صارخاً على مكونات الفطرة ، ومقوماتها ، وخصائصها التي برأ الله الناس عليها مما يعول بالآخرة دون امكان تحقيق منهجه العام في الاصلاح العالمي : ذلك ، لأن مآل هذا التمييز ، ومعتقداته ، أو الادعاء به ، مذهباً سياسياً ، أو قاعدة فكرية « ايديولوجية » مآل ذلك ، نشوء نزعة « الاستعلاء » والاستكبار في الأرض بنسب الحق ، على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي ، تلك النزعة البدائية التي هي أشبه ما تكون بالعصبية القبلية الجاهلية ، ولا سيما اذا أتيح لها من المناخات والأجواء والظروف ما ينميها ، ليستشري فسادها في أرجاء العالم ، بما أوتيت من أسباب القوة المادية المدرسة التي أنتجت التقنية الحديثة ، أو العلم لتجريبي ، حتى أضحت تلك القوة ، الرهيبة المذهلة ، هي « المتحكمة » في العلاقات الدولية في عصرنا هذا .

هذا ، والدليل على استشراف الفساد ولاضطراب العالمي ، ما نراه اليوم ، من انفضاء تلك النزعة من الاستكبار ، والاستعلاء ، الى شن حروب استعمارية شرسة على الشعوب

الأمنه ، فتسلب حقوقها ، وتدمر معالم حضارتها ، وتشردوا من أوطانها ، ظلما وعتوا ، وما أمر الصهيونية ، ومن خلفها ، ممن يغذي نزعتها التوسعية الاستيطانية في البلاد العربية ، هنا ببعيد ! !

هذا ، ومن أسف أن نرى مبدأ التمييز العنصري الظالم ، قائما متحكما حتى في هذا القرن العشرين ، بل وفي أرقى الدول حضارة مادية ، إذ تراه يتخذ من قوانينها الداخلية سبيلا الى تنفيذه قسرا وبسلطان الدولة ، ليصبح وضعا اجتماعيا ، وسياسيا قائما فيها .

وتأسيسا على هذا ، يمكن القول بأن « الحضارة المادية » مهما كان حفظها من التقدم التقني ، لا تستلزم « الحضارة الانسانية » بالضرورة ، ولا تعتبر مقياسا لها ، بل قد تكون ضدا عليها ، وهو ما جاء الاسلام على نقيضه تماما ، فثبت يقينا - فيما نحسب - أن « القيم الروحية » الموضوعية ، المطلقة ، والمثل العليا الخالدة ، قد باتت اليوم ، ضرورة حيوية ، ولا سيما لتحقيق مبدأ « الإصلاح العالمي » المبرم من نزعة الاستعمار والاستكبار ، صدى للتمييز بين البشر فيما ليس لهم كسب في ايجاده ، من اختلاف اللون ، أو العنصر ، أو اللغة ، ذلك المبدأ من الإصلاح الشامل المبني على المساواة ، والحرية ، والتكافل الانساني ، والعدل المطلق بين البشر ، بل وعلى الرغم من اختلاف الدين ، إذ « لا اكراه في الدين » ، قد تبين الرشد من الفی .

ص - تكوين الانسان « معتقدا » على اساس من « القيم الروحية » الموضوعية المطلقة ، ذو اثر بالغ في مدى تشكيل أبعاد تصوره للحياة والأحياء ، وأن عناصر هذا « المعتقد » ومفاهيمه الكبرى - بما هي المنطلقات الأساسية للنشاط الحيوي في كافة أنواعه ومناحيه ، توجيهها ، وتحديد مسار ، ولا سيما على الصعيد الدولي - من أهم العوامل المؤثرة في إمكانية تحقيق مبدأ الإصلاح العالمي الذي نادى به الاسلام ، منذ نزوله على الأرض وحيا ، وتفسير ذلك :

أن الاسلام حين أقام حضارته الانسانية على اساس من المفهوم الحقيقي الموضوعي الواقعي للانسان العام ، حيثما كان ، دون تزييف أو تحوير ، أو اجتزاء لذلك المفهوم الفطري ، أو تمييز باللون ، أو العنصر ، أو اللغة ، أو الدين ، وشرع هذا المبدأ تشريعا عالميا انسانيا ، وأبلغه للناس كافة ، في خطاب الهي انساني عام ، أقول : أن الاسلام إذ شرع ذلك ، كان منطقيا مع نفسه حين اعتبر « الانسان » من حيث هو ، وحيثما كان « القيمة الكبرى » في هذا الوجود ، بل ومهيما عليه ، باعتبار أن هذا « الكون » بل وما في السموات ، قد خلق مسخرا له ، يتصرف فيهما بطاقاته وملكاته التي فطر عليها ، تصرف ابداع ، واصلاح ، وتميم ، وانتفاع ، واستثمار ، بل جعل ذلك ، مادة ابتلائه في حسن العمل وصلاحه مدى حياته ، بل اعتبره « الغاية القصوى » من الوجود الانساني كله على وجه هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة ، تجد هذا صريحا في قوله تعالى : « وسفر لكم ما في السموات ، وما في الأرض » أي من أجل اصلاح هذا العالم ، وقال تعالى : « تبارك الذي بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ، ليبولكم أيكم أحسن حملا »

وقال جل شأنه : « هو الذي أنشأكم من الأرض ، واستعمركم فيها » أي طلب اليكم  
اعمارها ، مادة ومعنى ، لاطلاق النص .

هذا المنطق القرآني ، واتساقه ، بين تشريعه الانساني العام وقيمه ، من جهة ،  
وبين مقتضيات مبدئه الملن على الناس كافة من الاصلاح العالمي ، قد ارتفع بالانسان الفرد  
عن تصور العنصرية ، وسائر ألوان المصيبة البدائية المحدودة ، أساساً لنطلقه ، أو محوراً  
لنشاطه الفكري ، أو غاية لسعيه الدنيوي بعامه ، حرصاً من الاسلام على تحقيق مهمته  
الكبرى ، من الاجتياز بالانسان - بمدتكوينه بنيتة المعنوية ، معقداً ، وبناء شخصيته  
الكاملة - المعقبة الكاداء التي تحول دون تحقيقه انسانية الحضارة للمجتمع البشري كله ،  
حيث جعل « التفاصيل » مشتقاً مميّاره من معدن هذا المبدأ ، عملاً صالحاً مبدعاً نابهاً من  
الذات الانسانية ، وليس معياراً منحوتاً من أمر خارج عنها ، أو لا كسب لها في ايجاده .

فلتخلص ، أن الاسلام قد أقام منهجه في الاصلاح العالمي ، على أساس من « المفهوم  
الحقيقي الموضوعي للانسان العام » .

واعتبره « القيمة الكبرى » في هذا الوجود ، وحمّله « أمانة التكليف » لينهض  
بمقتضيات هذا الاصلاح العالمي الشامل ، وقد أعد لذلك اعداداً فطرياً خاصاً ، وفي أحسن  
تقويم ، خلقاً وتكويناً ، تمكينا له من ادائها وتفسيرها لاستخلاصه في الأرض واقعاً ، وتبريراً  
لنفعيله وتكريمه على سائر المخلوقات ، بديل تسخيرها له ، بل وتسخير ما في السموات  
أيضاً ، ولم يكن ذلك أمراً وهمياً يستعصى على التطبيق ، والتنفيذ ، بل رأياً يتحقق  
فعلاً فيما قام به من منجزات مذهلة ، كانت مظهر لابداعه العلمي ، ولا يزال مستمر  
في ابداعه هذا ، مؤذناً بانجازات مستقبلية ليس من اليسر على العقل تصورها ، أو  
تحديد مداها .

تبين لنا ، أن نزعة العنصرية ، والاستعلاء ، كآثر لها ، من المستحيل تصورها بالنسبة  
الى الانسان المسلم ، باعتبار أن طبيعة القيم الروحية « التي هي مناط التوجيهات  
في الاسلام ، تأبأها أباه يجعل من المستحيل استساغتها ، بل هي عصيان واثم كبير ،  
وفساد عريض ، بديل أن النصوص القاطعة التي نهضت بتلك التوجيهات ، جاءت لتحذر  
منها بما يوجب خسران الآخرة ، « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ،  
ولا فساداً » (٩٠) ولا جرم أن « الاستسلام والافساد » كليهما ، سبب الاضطراب العالمي ،  
فشبت ، أن نقيضيهما هما سبب الاصلاح العالمي ، وهو ما جاء به الاسلام ، كما ترى .

ع - القيم الروحية ضرورة حيوية - ولا سيما في عصرنا هذا - لتحقيق مقتضيات  
الاصلاح العالمي ، بديل أن كثيراً من ساسة الاستعمار في العالم ، وفي هذا القرن بوجه  
خاص ، لا يعوزهم « الضمير » ولكنه معطل الأحكام ، لقلبة الهوى ، والآثرة ، فضلاً عن  
أن هذا « الضمير » يتأثر حتماً بعوامل شتى ، من البيئة ، والنشأة الأولى ، والتقاليد  
والعادات السائدة ، والأفكار الضالة المنبثقة عن نظريات سياسية فاسدة ، مما يفسد عليه  
تصوره ، أو يعتقل أحكامه .

ان عدم الايمان بالقيم الروحية ، والمثل العليا ، ومبادئ الأخلاق التي اعترفت بها البشرية جمعاء منذ أقدم العصور ، وسلخها عن السياسة ، أو عدم تبنيها « ايدولوجيا » كمنطلقات أساسية للتصرف السياسي العام - ان تمرد اعتناقها دينياً - سبب رئيسي من أسباب الفساد الحياة الانسانية على وجه هذه الأرض ، لقوله تعالى : « واثق عليهم نيا الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان ، فكان من الفاوين ، ولو شننا ، لرغمناه بها ، ولكنه اخلد الى الأرض ، واتبع هواه (١٦) » ولقوله تعالى : « ولر اتبع الحق (هواهم) ، ففسدت السموات والأرض » وما مرفسا كالهوى عابثا بالتشريع ، لاطراحه قواعد العدل ، والحق ، والمساواة ، والحرية ، والتكافل الانساني العام الملتزم بتلك المفاهيم ، وغير ذلك من القيم الخالدة وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ، أن تأثير « القيم الروحية » في ميدان النفس الانسانية ، لا يضاهيه تأثير الضمير الانساني فيه ، بل لا يدانيه باطلاق على ما هو واقع ومشهود على الصعيد الدولي بوجه خاص .

لذا ، كانت هي ميزان العمل الانساني العظيم المبرم من شرعة الهوى ، ونزعة المنصرية ، توقف الضمير ، وتزكي النفس الانسانية ، وتسمو بها الى ما تنتشوق هي اليه من الفضائل والمثل ، وتسدد الارادة ، مما يشكل بالآخرة الأساس المكين لاصلاح هذا العالم الذي لن يتم على الوجه الأكمل الا بصلاح المعتقد ، وما يتفرع عنه من القيم الانسانية الخالدة !

هذا ، وبالله التوفيق .

الدكتور محمد فتحي الدريني  
عميد كلية الشريعة ورئيس قسم العقائد  
والاديان في جامعة دمشق

□ الحواشي :

- ١ - النساء / ١٢
- ٢ - النور / ٢١
- ٣ - النساء / ١٢٠
- ٤ - الموافات - ج ٣ - ص ٣٥٨ وما يليها - للمصاحف الشاطبي .
- ٥ - المرجع السابق - ج ٣ - ص ٣٦١ - يقول الشاطبي ما نصه : « ومواطن الافتراء يطلب فيها التطويق أكثر من طلب الترجية ، لأن هذه المفاصل أكثر »
- ٦ - التوبة / ١١١
- ٧ - المؤمنون / ٦٠
- ٨ - لوط / ١٢
- ٩ - العنكبوت / ٥
- ١٠ - الموافات - ج ٣ - ص ٣٦٥ - ص ٣٦٦
- ١١ - المؤمنون / ٥٧
- ١٢ - البقرة / ٢١٨
- ١٣ - الاسراء / ٥٧
- ١٤ - المائدة في الاحتمال
- ١٥ - الانشقاق / ٦
- ١٦ - راجع لتفسير جزء « م » ، تفسير الشيخ محمد عبده .
- ١٧ - الزمر / ٥٣ - ٥٤
- ١٨ - الموافات - ج ٣ - ص ٣٦١
- لقد جاء فيه ما نصه :
- « ان اناسا من اهل الشرك ، كانوا قد قتلوا واكثروا ، وزنوا واكثروا ، فانوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقاتلوا : ان الذي يقول ، وتدمو اليه ، لحن ، لو تميزنا اثنا عسلنا ، ككارة ، فزوت »
- ١٩ - النساء / ١٢٣
- ٢٠ - الاحزاب / ٣٨
- ٢١ - الروم / ٤١
- ٢٢ - البقرة / ٢٠٥
- ٢٣ - النساء / ٢٦ - ٢٧
- ٢٤ - الاحزاب / ٦٢
- ٢٥ - يوسف / ١١١
- ٢٦ - آل عمران / ١٣٧
- ٢٧ - يوسف / ١١١
- ٢٨ - البقرة / ١٢٩

- ٢٩ - الشمس / ٩ .  
 ٣٠ - الأحزاب / ٣٨ .  
 ٣٢ - غافر / ٨٥ .  
 ٣٣ - العنكبوت / ٢ - ٣ .  
 ٣٤ - النجاة / ١٤ .  
 ٣٥ - الحجرات / ١٥ .  
 ٣٦ - البقرة / ١٧٧ .  
 ٣٧ - النمل / ١٤ .  
 ٣٨ - الأنعام / ١٠٤ .  
 ٣٩ - الأعراف / ٢٠٣ .  
 ٤٠ - الأحزاب / ٣٨ .  
 ٤١ - الإسلام دين العلم والمدنية - ص ٩٧ - للإمام الشيخ محمد عبده .  
 ٤٢ - فاطر / ٤٣ .  
 ٤٣ - يوسف / ١١١ - ١١٢ .  
 ٤٤ - النساء / ١٠٤ .  
 ٤٥ - الشاء / ٢٦ .  
 ٤٦ - النساء / ١٠٤ .  
 ٤٧ - التلاذ / ١ - ٢ .  
 ٤٨ - الأحزاب / ٣٨ .  
 ٤٩ - البقرة / ٢١٤ .  
 ٥٠ - الحجج / ٤٠ .  
 ٥١ - محمد / ٧ .  
 ٥٢ - المائدة / ٥٠ .  
 ٥٣ - العنجر / ٣ .  
 ٥٤ - النساء / ١٠٤ .  
 ٥٥ - البقرة / ١٩١ .  
 ٥٦ - الأنفال / ٥٧ .  
 ٥٩ - الأنفال / ٦٠ .  
 ٦٠ - آل عمران / ١٤٠ .  
 ٦١ - النساء / ١٠٤ .  
 ٦٢ - النساء / ٧٤ .  
 ٦٣ - النساء / ١٠٤ .  
 ٦٤ - آل عمران / ١٣ .  
 ٦٥ - طه / ١٢٦ .  
 ٦٦ - طه / ١٢٥ - ١٢٦ .  
 ٦٧ - التوبة / ٦٧ .  
 ٦٨ - العصر / ١ - ٥ .  
 ٦٩ - العنجر / ١٩ .  
 ٧٠ - النساء / ٢٦ .  
 ٧١ - تفسير الطبري - ج ٦ - ص ٢٢٣ طبع دار المعارف القاهرة .  
 ٧٢ - المؤمنون / ١١٥ .  
 ٧٣ - آل عمران / ٦٢ .  
 ٧٤ - يوسف / ١١١ .  
 ٧٥ - آل عمران / ١٢٣ .  
 ٧٦ - الأنفال / ١٢ .  
 ٧٧ - سيرة ابن هشام - ج ٢ - تحقيق محيي الدين عبد الحميد .  
 ٧٨ - الأنفال / ٧ .  
 ٧٩ - الأنفال / ٧ - ٨ .  
 ٨٠ - الأنفال / ٦ .  
 ٨١ - الأنفال / ٤١ .  
 ٨٢ - تفسير الطبري - ج ١٣ - ص ٥٦٠ - ص ٥٦٣ .  
 ٨٣ - الأنفال / ٦ .  
 ٨٤ - الأنفال / ٦ .  
 ٨٥ - الأنفال / ١٧ .  
 ٨٦ - الصافات / ١٤١ .  
 ٨٧ - الرعد / ١١ .  
 ٨٨ - سيرة ابن هشام - ج ٢ - ص ٦١٤ - تحقيق الأستاذ مصطفى السقا .  
 ٨٩ - المرجع السابق .  
 ٩٠ - الصافات / ١٤١ .  
 ٩١ - الروم / ٣٠ .  
 ٩٢ - النساء / ١ .  
 ٩٣ - الحجرات / ١٣ .  
 ٩٤ - الحجرات / ١٣ .  
 ٩٥ - القصص / ٨٣ .  
 ٩٦ - الأعراف / ١٧٥ .

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .  
 - السنة النبوية المطهرة .  
 - الموافقات في أصول الشريعة - للإمام الشاطبي .  
 - تفسير الطبري - طبع دار المعارف .  
 - سيرة ابن هشام - تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد .  
 - الإسلام دين العلم والمدنية - للإمام محمد عبده .  
 - تفسير جزء عم - للإمام محمد عبده .  
 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

# عمدة الموسيقى القرآنية

د. نعيم اليافي

تنزلت الكتب السماوية بلغة إيقاعية موزونة كما يرى علماء الأديان الثقات . وغاية كاتب المقال أن يشرح ما استطاع الوزن والإيقاع في التنزيل الكريم . وهو يستعمل لفظ الموسيقى بهذا المعنى التقويي ما يذهب إلى اظهاره منهما في ذلك البيان المعجز . ويدرك الدكتور نعيم ذلك فهو يقول : « حقا أنه لا يوجد فيه ولا في الأدب عامة موسيقى بالدلالة العلمية الدقيقة لهذه الكلمة ما دام مقام الصوت منعما ... » وعلى هذا استعمال اللفظ الموسيقي هنا من باب المجاز .

وقد قسم الكاتب بحثه أقساما درس في المقامة انزان الإيقاع في الفواصل ثم مصدر النظم يريد به الإيقاع والوزن في النص ، ثم مصدر المقراء يريد به فن التلاوة التجويدية ، ثم مصدر المتلقي يريد به أثر التلاوة في النفس الانسانية ، ونحسب أن الكاتب كان يفكر من خلال الأقسام في مكانة اللفظ وأنواعه من لازم ومنعرج وجائز ومتعاقب مع بقية مصطلحات الضبط سواء كان ذلك في إبراز الإيقاع والوزن أو في تجويد التلاوة أو في أثرها العميق لدى السامع . وتلك القواعد تحمي التلاوة لتصبأ آخر من حربة التجويد الخاصة بالمقراء . كما تلون أثر التلاوة في النفس المنصتة .

هذا وقد أبان الدكتور نعيم أمورا مهمة في إيقاع النص ووزنه وكذلك بعض الخصائص في تلاوة ثلاثة من كبار المفسرين . أما بيان أثر التلاوة في النفس فقد أجمعه في الفهم وربما عاين المستقبل فتناول هذا الأثر بشيء من التفصيل زيادة على تناول بعض العلماء له من أمثال الغزالي وذلك في كتابه « الاحياء » حين بحث آداب التلاوة وأعمال الباطن في التلاوة .

ع. ك. ي

★ ★ ★

ينبع اهتمامي بموسيقى القرآن من أمرين : أولهما تأكيد التلاحم الوشيج في طبيعة التعبير الأدبي بين الإثارة الوجدانية ونظام الأصوات ، وثانيهما إبراز مكانة الإيقاع في اعجاز النص وقدرته على الإبلاغ . وقد سبق أن نشرنا مقالتين في هذا الشأن (١) .

وقد أرخت تلك المقالات فريقتاً وأغضبت آخر ، ومن غضب أو من لم يستحسن احتج بان القرآن كتاب مقدس لا يجوز أن نخضعه لمصطلحات العلم البشري الوافد اليها من الغرب أو من الشرق ، وكان يخلط في بعض ما ذهب إليه - كما أظن - بين فن الأداء الخاص لقارئ النص ، وبين مكونات النص الالفاظية أو طرائقه في تشكيل النغم .

أحاول في هذه المقالة أن أناقش هؤلاء وهؤلاء وأعرض وجهة نظري تحت عنوانين: القرآن والموسيقى ، وبمصدر النغم في هذه الموسيقى . هذا مع الاحتراز الدائم بأن التذليل الكريم فوق كل الاعتبارات الالفاظية والموسيقية ولكن هذه الاعتبارات تعين بعض الشيء على تفهم آثاره البليغة والعميقة .

## □ القرآن والموسيقى :

ملاحظة: الموسيقى في القرآن أمر يرفضه قوم ، ويخرج من ذكره آخرون ، يرفضه أولئك الذين يزاوجون بين الموسيقى والوزن الشعري قافية وروياً وتفاعيل فينزهون القرآن عن هذا الوزن قافية وروياً وتفاعيل . ويخرج منه هؤلاء الذين يحسون فيه نفماً وجرساً وإيقاعاً ، ولكنهم يجدون في المصطلح مادة غريبة ونابية عنه وعن مستلزماته من ورع وتقى وصلاح .

وموقفنا هو المقابل لهؤلاء وأولئك ، فنحن لا نرفض دعوى الموسيقى ولا ملاحظتها في القرآن لأن الوزن أو العروض لا يشكلان وجهاً واحداً لقضية لها جانبان ثانيهما هو الإيقاع ، وإذا كان القرآن ينأى عن وزن الشعر ولو تلاصقت فيه بعض أشطره وأبياته فإنه لا ينأى عن الإيقاع بل يتوسل به في نسقه العالي الجميل حقيقة لا ادعاء ، ولا نتخرج من استعمال المصطلح ما دام هذا المصطلح أو سواء مما يحمل معناه قد دخل مجتمنا ولغتنا ونقدنا وأصبح جزءاً من فكرنا التراثي ، ونحن في زمن يعيننا فيه أن نوضح خصوصية كتابنا المقدس ومبلغ إعجازه فناً وأداءً أكثر مما تمنينا أو تحرجنا حساسية فائقة أو زائفة تجاه بعض المصطلحات ، وأنه لغير لنا - فيما أتصور - ولقرآننا أن نستعمل مصطلحاً عالمياً هو من خصائص التعبير السامي الرفيع فنثبت أن أسلوب القرآن - معجزة العربية الأولى - يتوسط به ويتوسل ، ويبدع في هذا التوسط والتوسل من أن ننأى عن استعماله ونتخرج ونؤثر عليه كلمات لا يفهمها سوى أصحابها ، كلمات أصبحت اليوم من الماضي البعيد . ثم لنا أن نتساءل ما جدوى الرفض أو الحرج ما دام المصطلح لا يمس العقيدة ولا الثرمية بقدر ما يوضح روعة القرآن أسلوباً وأداءً ، ويبين أو يساعد على بيان مدى إعجازه .<sup>٩</sup>

لا جناح عليّ إذن ولا تشريب إذا استعملت مصطلح الموسيقى في القرآن بالدلالة التي أوضحتها ، وأسأرف همي في هذا الفصل للتدليل على أن الكتاب الكريم في تعبيره وطريقه أدائه يسمى نحو الموسيقى ، ويتوخاها بدقة كبرى ، يتفياها عن قصد وهدف حتى يكون في أسلوبه أوقع وأحكم ، وفي تعبيره أكثر أناقة وفند أشراقاً وتأثيراً .



سأفرق تفريقاً اعتبارياً بين الظواهر الأسلوبية التي تساعد على الأداء الموسيقي والظواهر الإيقاعية أو قواعد التشكيل ، في الظواهر الأسلوبية سواء أكان ذلك في فواصل الآيات أو سياقها تختار الكلمة غريبة أو مألوفة ، تقدم أو تزخر ، تحذف أو تذكر يعدل عنها أو إليها أسباب عدة من بينها الموسيقى . أما في قواعد التشكيل أو الظواهر الإيقاعية فإن وضع الحرف أو الكلمة أو الجملة على هذا النحو من الأنعام إنما يكون للملح فنية تأتي في مقدمتها الموسيقى ، وبذلك يضحى التعبير أبهر والتأثير أقوى ، ولما كنا لا نفصل في طريقة دراستنا بين المعنى والمبنى ، بين دلالة التركيب وشكله فليس لزاعم أن يزعم بأن وضع اللفظ على هذا النحو إنما كان لمعنى في السياق وليس لضرورة الإيقاع ومن أجله .

لقد لاحظ بعض القدماء مبلغ اتزان الإيقاع في الفواصل فنقل السيوطي في الاتقان (٢) عن شمس الدين بن الصائغ أربعين وجهاً ونيفاً سماها و الأحكام التي وقعت في آخر الآية مراعاة للمناسبة » ورحنا نتتبع هذه الأحكام وسواها من الضروب المختلفة فاستقننا معظمها لعدم وضوح المسوغ التسمي أو لأنها أقرب إلى أن تدرس في علم المعاني من أن تدرس في ميدان الظاهرة الأسلوبية - الإيقاعية (٣) ، واضفنا غيرها ، ولم تقتصر في رصد الوجوه والأحكام على الفواصل وحدها بل عمدنا إلى نسق الآيات وسياقها فكانت لنا جملة من الظواهر الموسيقية نحاول أن نمثل لها :

القاهرة	الصورة العالية	الصورة القياسية
<b>١ - التقديم :</b>		
- تقديم المفضول على الفاضل	برب هارون وموسى	برب موسى وهارون
- تقديم الضمير على ما يقترنه	فاوجس في نفسه خيفة موسى	فاوجس موسى خيفة في نفسه
- تقديم ما هو متأخر في الزمان	فلله الآخرة والأولى	فلله الأولى والآخرة
- تقديم خبر كان على اسمها	ولم يكن له كفواً أحد	ولم يكن أحد كفواً له
- تقديم المفعول على الفاعل	لقد جاء آل فرعون النذر	لقد جاء النذر آل فرعون
<b>٢ - الحذف :</b>		
- حذف المفعول	ما ودمك ربك وما قلبي	وما قلاك
- حذف ما إضافه	فكيف كان هذا بي ونذر	فكيف كان هذا بي ونذري
- حذف ما المتقوص	فكيف كان عقاب	فكيف كان عقابي
- حذف ما الفعل غير المجزوم	الكبير المتعالي ، يوم التناد	المتعالي ، القنادي
<b>٣ - الذكر :</b>		
- أفرأيتم اللات والعزى ومناء الثالثة الأخرى	والليل إذا يسر/ ذلك ما كنا نبغ	يسري ، نبغي
- تلك - إذن - قسمة ضيزى		
		ومناء الثالثة/أو/ الأخرى
		تلك قسمة ضيزى

## الظاهرة

## الصورة العالية

## الصورة القياسية

### ٤ - الخطف :

- الذي خلقني فهو يهدين .. ويسقين ..  
- يشفين .. يحيين

يهديني ويسقيني ..  
يشفيني .. يحييني

### ٥ - صرف ما لا ينصرف :

- قواريرا ... قوارير (\*)

قوارير .. قوارير

### ٦ - العدل عن الافراد الى سواء والعكس :

- فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى  
- واجعلنا للمتقين إماما  
- لا يبيع فيه ولا خلل

... فتشقى  
... أئمة  
... ولا خلل

### ٧ - ايراد أحد الجزأين غير مطابق للآخر :

- وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين  
- أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

... الذين كذبوا  
... الذين اتقوا

### ٨ - تغيير بنية الكلمة :

- طور سينين

طور سيناء

نختار بعض هذه الظواهر لدراستها :

● يقول تعالى : « أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » ، لو قرأنا بحذف الثالثة مرة والأخرى مرة لاختلت الفاصلة وتأثر الإيقاع لأن الآية تنقسم الى جملتين موسيقيتين متوازنتين ومتناسبتين كلتاهما مؤلفة من ثلاث وحدات « أفرايتم اللات والعزى » ، « ومناة الثالثة الأخرى » ، فلو حذفنا من الجملة الأخيرة إحدى الودعتين الثانية أو الثالثة لبقيت وحدتان وفقدت الآية تناظرها واختل بالتالي تناسقها الصوتي أو النفسي .

● ويقول : « الكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك - أذن - قسمة ضيزى » ، لو قرأنا الآية بحذف كلمة أذن لاختل الإيقاع الذي لا يستقيم ويتوازن إلا بها وذلك :

١ - لأن التناظر بين جزأي الآية يتلشى فكلاهما مؤلف من أربع وحدات ، نحن بأزاء سلم موسيقي تام ، أربعة أزمنة صاعدة ، وأربعة أخرى هابطة ، ولكل منها قرار وجواب .

\* قراءة نافع والكسائي وعاصم في زوايا أبي بكر بالتثنية فيهما وعمره وابن عامر والى عمرو وحفص بغير تنوين فيهما ، وابن كثير تنوين الأول .

٢ - تمثل كلمة اذن سكتة موسيقية أو وقفة ، ان النشفس مندها يستريح قبل أن يصل الى النهاية الموسيقية التي فرضت اللفظ الغريب ضيزى مراعاة للفاصلة ولو لم تكن هذه الوقفة لاندفع الصوت حتى ارتطم بهذه المفردة الغشنة الثقيلة التي تحمل معناها ، ولا تقوم مقامها كلمة أخرى .

● ويقول : « أفرايتم ما تعبدون ، انتم وأباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لي إلا رب العالمين ، الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميّتي ثم يعين ، والذي أطمع أن يفر لي خطيئتي يوم الدين » ، لقد خطفت ياء المتكلم في نهاية الآيات محافظة على رؤوسها حتى تتناسب أو تتسجم مع كلمات تعبدون والأقدمون والعالمين والدين ، ولوأعدنا الياء وقرأنا لشمرنا بنوع من الاختلال يبدو جلياً لكل ذي سمع رفيف .

● ويقول : « يوم يدعو الداع الى شيء نكر ، خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ، مهطعين الى الداع » ، القياس في الآية أن نقول الداعي بارجاع ياء المنقوس ، وإذا نحن لم نخطف هذه الياء أو نحذفها في أثناء التلاوة لوجدنا ما يشبه الكسر في ايقاع العبارة ، ولما توازنت لفظة الداع مع كلمة حسر في رأس الآية .

● وقد لا يكون هناك حذف ولا تقديم ولا عدول عن صيغة الى صيغة ومع ذلك فانا نلاحظ في الآية الموسيقية الكامنة في التركيب والتي تغفل لو غيرنا نظامه ، ولنقرأ قوله تعالى : « وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل .. » ، ان التوازن أو التقابل بين الد في ابراهيم والد في اسماعيل واضح ومتناسق فلو جعلنا اسماعيل يأتي مباشرة بعد ابراهيم وقرأنا لتوالى مدان وأحسننا بالتالي أن الوزن سيختل لا محالة .

حين تنملى هذه الأمثلة والنماذج ، وننعم النظر فيها فانا نلاحظ أن التعاسب أو الأتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن ، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم يتسجم مع طبيعة السماع أو التلقي ، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتعالي أو النبر الشديد في كلمتين متقابلتين ، بل انها لترفض صيغة النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمان ضيفان وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية لضعيفة ثم أغرى قوية غرابمة ضعيفة تساوي زمن الثانية ، وانما تقبل أو تستريح للتوازن وتلد به وتنشفي .

لنقرأ قوله تعالى : « ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفياً ، قال رب اني وهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً » ، تشكل وسط الآية الإيقاعي حسب لواطن الارتكاز أو النبر ، أو حسب النقرات القوية والضعيفة هو على الصورة التالية :

قال      رب      إنني      وهن      العظم      مني

●      ●      ●      ●      ●      ●

وهي صورة متوازنة ومنسجمة تقبلها الأذن وتستريح لها ، فلو صرفنا السمع عن موسيقى الفواصل مؤقتاً ، وحاولنا أن نبرّز كلمة منثى فنجعلها سابقة لكلمة العظم ، وأعدنا الياء المحذوفة أو المخطوفة الى كلمة رب حتى يصبح التشكل النفسى هكذا :

قال ديبى إنسى وهن منى العظم

لأحسننا ما يشبه التقلقل أو الاضطراب في نغم الإيقاع ، والسبب في ذلك واضح لأن الأذن ترفض صورة الارتكاز المتتابع أو توالي النقرات القوية والضعيفة بالصورة السالفة ، صورة التردد الرتيب وتؤثر عليه التنوع مع التناسق ، أو الانسجام في توالي المقاطع .

ان دور الموسيقى في القرآن - هذا الدور الكبير - لا تنبع أهميته من أنه أحد عناصر الأسلوب الفني أو وسيلته البارزة وسيلة التصوير والتعبير والتأثير فحسب بل لأن له هدفاً دينياً أولاً ، ولأننا نستطيع أن نجمله - ثانياً - أساساً أو معياراً أو مفتاحاً - اختر ما شئت - لأحد علوم القرآن الكريم .

فالإيقاع ذو هدف ديني من جانب جانبي العاطف وجانب المستمع ، الأول يساعده على حفظ القرآن وتذكره وتلاوته ، والثاني يجعله يفعل له ويتأثر به ويهتز ، ويحدثنا اليوم علماء اللغة وعلم النفس الموسيقي أن ادراك الطفل لنغم الكلام وجرسه يسبق ادراكه لمعناه وأحقيقه ، ويقولون أن لدى الإنسان ميلاً غريزياً أو استعداداً فكرياً للتقاط بعض المقاطع جملة من المقاطع الصوتية المنفصلة والمتردة أكثر بكثير من استعداده للتقاط بعض المقاطع العادية غير الموسقة من الكلام ، وكل من شاهد حفلة القرآن من الولدان يعرف أنهم يجدون سهولة واضحة في حفظه وتذكره أكثر مما يجدون في حفظ غيره من النصوص وتذكرها لأن الإيقاع يساعدهم على هذا .

وما يقال عن الحفظة الأطفال يقال عن المتلقين الكبار الذين يفعل فيهم القرآن فعل السحر حين يتلوونه أو يستمعون اليه من قارئه موجود يرتل على آذانهم آياته البيّنات بأحكام ، أنهم يجدون له في أنفسهم أثراً من صور الغشوع والعزّ والتمسّل والبشرى والعباسية والانفعال والاندفاع والبكاء ، وربما صاحبته لدى السامع هزات جسمانية وأهات داخلية وصيحات عالية . . . ذلك كله بسبب النشوة الموسيقية ، نشوة النغم المعجيب ، نغم القرآن الذي يملك القدرة على تكبيرنا بالزمن والقدرة على محو شعورنا به في آن .

وبالإيقاع أو بالموسيقى نستطيع أن نعرف المكى من المدني لا سيما في تلك السور التي وقع حولها خلاف فقيل أنها مكية كما قيل أنها مدنية (١) ، ويمكن عن طريق فحص الموضوع والأسلوب وطريقة الأداء والوقوف عند نغم الآيات وإيقاعها أن نحدد - ونحن مطمئنون - مكية بعضها مثل التكاثر والماديات والزلزلة والرحمة والرحمن ، ومدنية بعضها الآخر مثل الجمعة ومحمد والحج والنساء ، ولنأخذ سورة الزلزلة مثلاً :

يقول تعالى :

« إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ماله ، يومئذ تعدل أخبارها بأن ريك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

تبدأ حركة النص عنيفة قوية ، انه يوم القيامة حيث تخرج الأرض وتزلزل ، وتنفض ما في جوفها ، تتخفف من أثقالها التي حملتها وقامت بها ، مشهد مروع مخيف أين منه مشاهد الدنيا في زلازلها وبراكينها ١٩٠٠ ، ويقف الإنسان دهشا ضائعا مذمورا يتساءل : ما الأمر ؟ ما لهذه الأرض تخرج وتزلزل ، ماذا أصابها ؟ ، وتتحدث الأرض ، تصف ما جرى لها ، انه أمر الله ، أسرها أن تمور فمات ، أن تقذف ما في بطنها فقلدت ، هنا والإنسان مشدود بكاء لا يلتقط أنفاسه ، خائف يترقب ، في لحظة سريعة يمرض مشهد القيامة من البعث حتى الحساب ، الناس يصندون كأجراد ، وينتشرون موزعين متخالفين ، فقوة الزلزلة ، هول البركان العظيم لفرعهم ، جعلهم مذمورين خائفين أشتاتا أشعنا حيارى يهرعون في كل اتجاه ، ولكن إلى أين ؟ إلى الميزان ليحاسبوا ، ليروا أعمالهم ، فمن يعمل الخير أو الشر مهما يكن هذا أوزاك خشيلا ودقيقا سيجده ماثلا إزاءه ، يراه رأي العين .

إيقاع النص يساق هذا المعنى ويحمته فهو مثله لاهث سريع يرفج كالارض وكالإنسان فرقا واضطرابا ... كل ما فيه متحرك بارز مائل ، الكلمات في جرسها ، في طباقها وتوافقها ، فيما تنتشر من ألياء وظلال .. الزلزلة ، أفعال ، مثقال ، ذرة ، أشتاتا ، ليروا ، يره ... تشي بالموقف وتبرعته ، ومع ذلك فهذه الكلمات وسائر ما في المعجم من أمثاله لا تبلغ في وصف المشهد قدرا يبلغه الخيال السعوي والبصري حين يتحلى النص ، فالسورة هزة ، وهزة عنيفة للقلوب الغافلة ، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي ، انها صيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها ، فما يكادون يفيقون حتى يراهم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار ، فهل هذا أو بعض هذا مما يجيء في السور المدنية ، أو تعبر عنه وتصفه السور المدنية ١٩

هذه هي الموسيقى في القرآن تأخذ مجراها ، وتفعّل فعلها ، تهز القلوب والنفوس والأرض والسماء ، تصور ، توحى ، تؤثر ، تميز ، تحكم ... فهل لنا أن نضيق بها ذرعا ولها هذا الدور ؟

على أولئك الذين يرفضونها ، أو يحرجهم الحديث عنها ، من مكانتها ووظيفتها وطبيعتها أن يتذكروا أن هذا الكتاب قد نزل على قلب محمد ﷺ بلسان عربي ، بيانه فناء ، وآياته حكم وأمثال ، ولفته موسيقى وإيقاع ، وترتيل قرآنه عبادة ، وعتاف نبية المنسوب إليه **يلا الآفاق** :

« ليس منا من لم يتغن بالقرآن » .

ومعناه كما يذكر الفراءح ليس من العاملين بسنتنا الجارين على طريقتنا من لم يحسن صوته به لأن التطريب به أوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء .

## □ مصدر النغم :

استعمل كلمة نغم هنا بدلالة خاصة وواسعة لتشمل الايقاع والتنفيم معاً وأتساءل : ما مصدر النغم في القرآن لإلام يرجع ؟ أو يرجع الى الآيات بما فيها من قيم موسيقية ؟ أم يرجع الى التنفيم بما فيه من قيم انشائية ، أم يرجع ثالثة الى مصدر غيبي بما له من سحر خفي نحس أثره في النفس ولا نعرف منبعه ؟ وبكلمات أخرى هل يعود النغم في القرآن الى النص أو الى المقروء أو الى المتلقي ؟ نناقش المصادر الثلاثة .

## أولاً : مصدر النص - الايقاع :

ميزنا في مقالة سابقة بين الوزن وبين الايقاع ، ورأينا أن الأول من خصائص الشعر ، وأن الثاني من خصائص الشعر والنثر معاً ، وعليها الآن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الايقاعات الشعرية :

- ايقاع النثر العادي أو العام الذي يقلت من عنصري الانتظام والتوقيت .
- ايقاع النثر الفني الذي يعتمد بالضرورة عليهما .

وايقاع القرآن الذي يباينهما لينشئ وتدرجات صوتية مختلفة وكيفيات نغمية تتراوح بين الانتظام والتناسب ، بين التوازن والتقابل تبعاً للفكرة أو للموضوع ، للموقف أو للمعنى الذي يريد أن يعبر عنه أو يوصله .

في كل سورة أو نص قرآني ينبع الايقاع من الانساج عنصرين : من نغمة خاصة تناسب الفكرة ، وتقوم القافية فيها بدور المفتاح ، ومن لحن ينظم النغمات جميعاً على اختلاف درجاتها وفي شكل منسجم ومتناسب يخلف في روح المتلقي شعوراً ما ، بالنغمات يوقع القرآن ايقاعات شتى على أوتار النفس ، وباللحن المتساق يترك وحدة الأثر ، والملاقة بين النغمات التي تصنع اللحن علاقة ذات أساليب شتى ، فقد تقوم على الشوق أو الترقب ، أو على التراجع أو على سواها من قواعد التشكيل حتى يشير القرآن في أنفسنا ألواناً من الانفعالات تنصهر أخيراً في بوتقة الإحساس النهائي حين تتجه الى غايتها المنشودة .

ندرس أحد النصوص :

- ١ - والنازعات غرقا ، والناشاطات نشطا ، والسابعات سبعا ، فالسابعات سبعا ، فالمدبرات أمرا .

- ٢ - يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة ، يقولون أئنا لمدودون في العافرة ، أئذا كنا عظاما نغرة ، قالوا تلك لأن كرهة خاسرة ، فانما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة .

٣ - هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتغشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكلب وعصى ، ثم ادبر يسعي ، فحشر فنأى ، فقال أنا ربكم الأعلى ، فآخذه الله تكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يغشى .

٤ - انتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاه ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعاً لكم ولأنعامكم .

٥ - فإذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبهرزت الجعيم لمن يرى ، فاما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجعيم هي الماوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الماوى .

٦ - يسألونك عن الساعة إيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها ، إنما أنت مشر من يغشاها ، كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .

موضوع السورة يوم البعث ، شغل القرآن الشاغل في الآيات المكية ، فهذا اليوم الذي ينكره ويهزأ به الكافرون كيب يثيرة في نفوسهم ؟ يلفت نظرهم أولاً الى واقع مادي ماثل يشاهدونه كل يوم ، منظر الخيل المقيمة السابعة التي تكابد وتنزع في أعنتها حتى تنهي الحرب ، وتدبر أسر الظفر والغلبة . . . ويستحضر لهم في المقابل واقعاً آخر غيبياً يرفضونه ولا يؤمنون به ، ومثل ما يحدث فيه من هزة عنيفة تغير الثابت من نظام الكون مثل تلك الهزة التي أعقبت الغزاة ، ثم يأخذ بهم ثانياً في الماضي وفي الحاضر ، فيما يسمعون وفيما يرون ، ويعود بعد ذلك الى القضية ، يوم القيامة فيصف سأل الناس فيها الى نعيم مقيم أو عذاب خالد ، ويختم بالسؤال عن موعد هذا اليوم وعن ترقبه الداهم .

يتألف الإيقاع السورة من ست جمل موسيقية :

١ - الجملة الأولى واجفة مسرعة ، تركض ركضاً ، وتنزع نزاعاً ، وتستحيل في ارتفاع درجتها ، وحدة جيشاتها الى خمسة تركيبات متساوية كأنها موزونة وزن الشعر (مستفعلن فعلن) ، وهذا المطلع السريع يتفقم مع ظل المعنى الفاض وإيماءاته المتعددة وما يثيرة في النفس من هزة ورهبة وتوجس ، ان الأنفاس تكاد تنقطع ذعراً وارتجافاً وانبهاراً مرة بالموسيقى الغامضة القارعة ، ومرة بفني المعنى الغامض .

٢ - ثم تجم الجملة الثانية - المشهد الأول - طابعها من طابع المطلع ، وإيقاعها من إيقاعه كأنها المطلع لهذا المشهد إطار ، الموسيقى ما زالت واجفة ، هزاتها في الحس قوية ، وتوجساتها في الشعور تهول وتروع .

٣ - تتغير النغمة أو الإيقاع في العبارة الثالثة - المشهد الثاني - فجور الحكاية وعرض الماضي واستحضار الذكريات لا تناسب نغمات قارعة ولا واجفة ، معها يبدأ الإيقاع وينساب

تمتد العبارة ، وتطول الجملة ، ويتحول الخيال السلمي الى خيال تأملي استرجاعي ،  
ومما يوافق هذا الخيال - شريط الذكريات - نغمات لا تنفد ولا تشتت بل تبطل وتسترخي .

٤ - ترتفع نبضة النغمة في الجملة الرابعة - المشهد الثالث - حين تنتقل من ساحة  
التاريخ والذكرى الى كتاب الكون المفتوح ومشاهده الهائلة ، هنا يبدو التعبير قوي  
الأسر قوي الايقاع ولكنه لا يصل الى درجة المطلع أو المشهد الأول ، فزمنه أضعف ،  
ونقراته الخف .

٥ - يجمي المشهد الرابع في الجملة الخامسة ، مشهد الطامة الكبرى فتعود النغمة  
حادة كما كانت في المطلع ، تتسق معه قوة وهنفا وبروزا .

٦ - في اللحظة التي يغمر فيها الوجدان ذلك الشعور المنبعث من التوقيعات المختلفة  
واللمسات الموحية يرتد السياق في الجملة الأخيرة الى المذبيين بيوم الساعة بايقاع حازم  
هائل وسريع يزيد من روعة الساعة وهولها وضخامتها في الحس وفي النفس ، وتشارك  
الهام الممدودة في تجسيم الهول وتشخيص الضخامة .

ولقد كانت القافية في النغمات جميعا تقوم بدور المفتاح فتلون النغمة وتمنحها  
ترجمتها ، وتعددت القوافي بتعدد النغمات حتى بدت كأنها النهايات الطبيعية التي كانت تصل  
اليها كل موجة متتلفة من موجات التعبير الزاخر بالحركة والجيشان .

أما لحن السورة ، مجموع النغمات بمفاتيحها وقوافيها ، في ارتفاعاتها  
وانخفاضاتها فانه يعتمد على لونين من الايقاع هادئ بطيء هو اللون الثانوي كما في  
الجملة الثانية ، وإيقاع شديد بارز هو نغمة القرار الرئيسة ، ويبدو في حدة نقراته ،  
وشدة نبراته : النزع ، الفرق ، الراجفة ، الرادفة ، الزاجرة ، الطامة ، طفى ، برزت ،  
الجهيم (لم يقل جهنم) . . . وكان يتم الانتقال من نغمة الى نغمة ، أو من جملة الى جملة  
ضمن اللحن العام بالشوق أو المشابهة ١-٢ أو بالمغايرة ٢-٣ أو بالتناسب ٣-٤ أو الترجيع  
٤-٥-٦ ، وجميعها صور من صور التعانق أو التآلف تسري فيها حركة واحدة رغم  
تموجها ، حركة الايقاع وحركة الصورة ، حركة الكون الخارجي وحركة النفس الداخلية ،  
حركة تقوم على الرجف والوجف والاضطراب ، وتكون النتيجة أن القلب البشري يحس في  
ذاته آثار الزلزلة والهول ، ويهتز هزة الخوف والوجل ، ويتهيأ لادراك ما يصيب القلوب  
يوم الفزع الأكبر من ارتعاش لا ثبات معه ، وبذلك تبلغ الحركة قراها ، ويصل القرآن  
الى مقصده .

هذا هو المصدر الأول لنغم القرآن ، موسيقى النص أو إيقاعه يتجلى واضحا لكل  
من عاش القرآن ، واستلهم روحه ، وأرشف السمع لنغماته ، حقا انه لا يوجد فيه ولا في  
الأدب عامة موسيقى بالدلالة العلمية الدقيقة لهذه الكلمة ما دام مقام الصوت متمسكا ، إلا  
أن فيه عنصرا موسيقيا ما دامت الكلمات ذاتها قد تكون سرية أو بطيئة ، خفيفة أو مثاقلة ،  
حادة أو خشنة ، صلبة أو لينية ، فيه عنصر موسيقي لأننا نشعر في طريقة تعبيره بجوهر  
ما يطرق على الأشياء من حالات أو تبدلات : من صمت أو حركة ، من هبوط أو ارتفاع ،



من جیشان أو انحسار ، من توافق أو تطابق ، من تنافر أو انسجام ، من توقع أو مفاجأة ..  
كل ذلك موسيقي أو عنصر موسيقي يتوسل به النص ، ويمكن تحليله ودراسته .

#### ثانيا : مصدر المرقىء - التنغيم :

نميز تلاوة القرآن من تنغيمه ، فالتلاوة بطرائقها الثلاث : الترتيل والتدوير والمعدر علم شرعي يتناول الحروف في مخارجها وصفاتها ، وهو علم قديم له أصوله وقواعده التي ثبتت عبر العصور فلم تتغير ، ولعل القرآن من هذه الجهة هو الحافظ الوحيد الذي حفظ العربية وطريقة نطق حروفها ، ومن يستمع الى المصحف المرتل يستطيع أن يتمثل أحكام النطق ومواقع النبرات في لفتنا (٦) .

لما التنغيم أو التنغني فأسر آخر مختلف ، انه فن المرقىء الخاص ، كيفية أدائه للقرآن ، مظهر من مظاهر الإبداع ، أو محاولة من المرتل لإظهار براعته ملاءمة على تميق أثر النص الذي يقرأ في نفس سامعيه ، وبهذه الدلالة للتنغني يكون أقرب الى الموسيقى منه الى التلاوة ، فهو والغناء صنوان يلتقيان في الأصل الإيقاعي وفي الجندر اللغوي ثم يفترقان أو يتخالفان .. كل في طريق فيلتزم الغناء بالحن المؤلف المكتوب غالباً ، ويقتيد بالزمن الإيقاعي تقيدا صارماً في حين يجنح التنغني الى العزم المفتوح المرتجل أو الحر .

ويبدو أن التنغني مثله مثل الغناء والموسيقى يتطور خلال العصور ويتأثر بهما في هذا التطور ، وإذا ما وزنا مثلاً بين طبيعة التنغني في المصدر الأول وبين طبيعته في المصدرين الأموي والعباسي فسجد الفارق كبيراً ، في المصدر الأول كان التنغني لطيفاً وبسيطاً ، كان صد الصوت وترقيه ورفع طبقة يتم دون درجة صوتية ولا معرفة موسيقية ، فلما أن اتسعت علوم الغناء والموسيقى بعد ذلك اتسع معها التنغني بالقرآن وتنوع ، حلت أصوات مدربة مصقولة مثقفة محل الأصوات الفطرية الأفقية ذات النغمات المتقاربة ، امتدت الدائرة التي تتحرك فيها أوتار العناجر ، ظهرت كيفيات من الأداء تنغني بأحكام ، وتعرف مواقع النغم ، وهذا معنى ما نقوله من أن التنغني كالفناء يختلف من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ، ومن مرقىء الى مرقىء .

لكي نفهم نوع العلاقة بين القيم الموسيقية للقرآن وبين القيم الموسيقية لفن المرقىء لا بد أن نميز بين طراز الصوت المعبر به وعنه وبين كيفية أدائه ، طراز الصوت هو نظمه وطريقة تواليه ، هو عنصر الإيقاعي الكائن في نغم العبارة الفنية ، أما كيفية أدائه فهي تنغيمه ، أي تلوين حالات التعبير من إخبار وتأكيذ واستفهام وتعجب وارتفاع في الطبقة ، أو تفسير في موجاتها ، صحيح أن كيفية الأداء هي تحقيق لطراز الصوت بيد أنه تحقيق فردي أو شخصي يضاهي إليه ، وقد يعرف أصلاً من أصوله ويشوّهه ، انه عنصر ذاتي خاص بالمرقىء ، وإذا كنا نزع لأنفسنا أننا نستطيع دراسة موسيقى طراز الصوت فانا لا نزع أننا نستطيع أن نقيم علماً للايقاع ولا حتى دراسة جادة له من خلال كيفيات الأداء الفردية .

لقد أتاحت لي الفرصة خلال ربع قرن أن أستمع غير مرة إلى أشهر المقرئين وفي مقدمتهم ثلاثة: محمد رفعت ومصطفى اسماعيل وعبد الباسط عبدالصمد ، سمعت للأول معظم ما أذيع له ، واستمعت إلى الآخرين حيث كانوا يقرآن في الجامع الأزهر ومسجد الإمام الشافعي في القاهرة ووجدت أن لكل منهم طريقة في الأداء تباين طريقة صاحبيه وتتعمق فيها أمور عدة منها خلقية (امكانات الصوت وطاقته) وثقافية (مدى المعرفة بالنغم والمقامات الموسيقية) وأبداعية (موهبة القارئ وحسه المرفه) ، وسنوازن فيما بينهم من منظور ذاتي لنبين أن التفاوت في الأداء لا يعود إلى موسيقى القرآن بل هو في منأى عنه .

لا أدري لم يمثل لي مصطفى اسماعيل بالصانع الماهر ، وعبد الباسط عبدالصمد بالمطرب المحبوب ، ومحمد رفعت بالفنان المتخصص الموهوب ؟ ، ولعل السبب يعود إلى طريقة كل منهم في تنفيذه للآيات ، حين نستمع للأول ( ولا أقول نسمع فنتشان ما بين السمع والاستماع نحس صوتاً جليلاً تغلبه صفة صاحبه ، يغلبه وقاره وجلاله والأسول الدقيقة لعلم التجويد وإن خولفت في بعض الأحيان ، فمصطفى ماهر في الآبانة والاطهار والتفخيم والترقيق والتشديد والغنة والحركة ، وربما كان من أجل هذا المقرئ الرسمي للدولة حتى وفاته .

أما عبد الباسط فهو المطرب وأبلغ ما يتصف بهذه الصفة حين يلتقي بالجماهير ويتغنى في المسجد ، عندها يحاول أن يشيرو يستثير ، يروض الانفصالات في النفوس ويطلقها فتملو التاوهات والصيحات ، وهويلجأ - لكي يحقق ذلك - إلى أداء الآية الواحدة بأكثر من صورة كما يلجأ إلى شتى الطرائق التي تحرك الجماهير ، وتؤثر في عواطفهم مثل الترميد والترقيص والتطريب والترديد والتخزين ، قد نقول أنه ظاهرة في قراءة القرآن ، وهذا لا ريب فيه ، غير أن هذه الظاهرة جنحت نحو النغم وفضلته على صفة التلاوة .

يبقى أولهم محمد رفعت المقرئ التقى الضرير الذي مات بالفالج فقيراً ممدماً فهو الفنان الذي لا يضارع ، لقد وهب الله له - إذ فقد البصر - البصيرة والحس السليم ، وآتاه حظاً من الثقافة في النغم والموسيقى ، ومنحه صوتاً ثرياً رغم صغر حجمه وخفوته إلا أنه يمتد على مساحة واسعة مكنته من التنقل صموذاً وهبوطاً دون مكابدة ولا معاناة ، والذي ينصت إليه حين يتلو « طه » أو غير « طه » من أي الذكر يحس كأنما أتى هذا الشيخ إلى الدنيا بشيراً ونذيراً ، في آيات الرحمة يندى صوته بالفرحة والبشرى ، وفي آيات الزجر والعقاب يهتز هزة الوجس والاستغفار ، مع ذكر الجنة تشم الأنوف عطرها ، وتنسم أريجها ، وينعم الإنسان بظلمها ومائها السلسيل ، ومع ذكر الجحيم يتسمر الجلد فرقا من المذاب ، وتغلظ النفس برمضاء النار ، ويسج الفم طعم الزقوم والفلسين ...

ليس هذا كله نوعاً من أنواع التصدير ؟ سئل - رحمه الله - مرة كيف تختار لكل آية من الكتاب أداء يناسب معناها ؟ أجاب - حين أتلو يذهب أدائي إلى معاني الآيات ويذهب صوتي إلى إدائي وينجاب من حولي الظلام فأرى كل شيء في النور .

— وما حكاية فنك العجيب الباهر الذي تتشكل به نبرات صوتك حسب الأصول الموسيقية ؟

— ما تسمونه فناً أسميه تفنياً على الأصول الشرعية .

قد يكون حكمي على قراءة الثلاثة حكماً شخصياً وقد لا يكون فالهم ان لكل منهم طريقة في الأداء أو التلقي وهذه الطريقة شخصية الى أبعد الحدود ولا تدخل في تقديرنا عندما ندرس مسألة الإيقاع ، اننا نردها — بشكل أو بآخر — مصدرًا من مصادر النغم في تلاوة الكتاب الا انها لا يمكن أن تعد في أي حال مصدرًا من مصادر موسيقى القرآن .

ثالثاً : مصدر المتلقي — النفس :

الذين يتحدثون عن الإيقاع في فن الأدب — شعره ونثره — ينتهون الى أن الفصيل في وجود هذا الإيقاع يتوقف الى حد كبير على الإحساس به ، والذين تناولوا بشكل هام وسريع موسيقى القرآن يعترفون بأن في القرآن نوعاً من الموسيقى الغنية تلفظ ولا تشرح ، أو تدرك بهية لدنية (٧) ، فهل يعني هذا أو ذلك أن ثمة عقبة كاداء تعترض في أثناء الدراسة تسمى مرة الإحساس والآخرى الغفام ؟ في ظني ان الموقفين لا يبرزان عقبة بقدر ما يشيران مشكلة هي التلقي ، كيف نلتقي القرآن ؟

ان الدراسات النفسية والجمالية (٨) لعملية التلقي أثبتت أن تركيب الأثر الفني لا يكون تاماً ولا كاملاً الا اذا التقت في رحابه وتداخلت طائفتان الطاقة الكامنة في النص والطاقة المنبثقة عن التلقي ، ولقد كانت معظم الدراسات القديمة — اللهم الا تلك التي أشارت الى تأكيد العامل النفسي في إثبات الإعجاز — تذهب الى فصل الصورة عن المسادة ، فصل المدرك عن المدرك ، وبالتالي ترى أن القرآن يحمل قيمة الفنية الى الجاهل والعالم على السواء ويؤثر فيهما .

رؤيتنا اليوم تختلف لأن تحليل عملية الإدراك يختلف ، القرآن — الموضوع — يلتقي فيه عالمان هبر عنهما بالاستماع والتدبر ونعبر عنهما بعالم النص وعالم المتلقي ، الأول حياة تمج بالحركة والامتداد، كلمات تعبيرية، صور فنية ، قيم موسيقية ، تركيبات بلاغية ، والثاني حياة وخبرات جمالية وثقافية تتصف هي الأخرى بالحركة والتقابل والامتداد ، في عملية الإدراك تتصالح العيانتان ، تلتقي الطائفتان — الطاقة الكامنة في النص ، والطاقة المنبثقة من القارئ ، ولن يكون التلقي كاملاً ، ولن يدرك القرآن إدراكاً كاملاً ، الا اذا حدثت المعجزة ، وتداخل العالمان وتناهما .

يملك القرآن قيمه الروحية والفنية الخاصة به ، وهذه القيم لا تحضر اليه أو تفرض عليه ، والمتلقي الذي يكابد قراءة وتدبره ، ويميش حاله ، ويحمله لا يجلب منه شيئاً يتغلبها ، أو لا يوجد في النص الذي بين يديه شيئاً غير موجودة ، انه يكشف القيم الكامنة فيه ، وفي حالة القرآن تبدو العلاقة بين النص وقارنه أقوى لأن الأمر يتعلق بالإنسان ، بتلك الحالة النفسية التي اشترط بعضهم وجودها لإدراك ما في الكتاب من جمال ومن أداء ومن إعجاز .

حين يمشي المتلقي عالم موسيقى القرآن يجد نفسه في واحد من أربعة مواقف :

- ١ - أن يشعر بالايقاع وجوداً ونوعاً ويعلمه .
- ٢ - ألا يلاحظ شيئاً اسمه ايقاع .
- ٣ - أن يرى تناقضاً بين المعلومات التي يعرفها عن الايقاع وهذا الذي يجده في النص .
- ٤ - أن يحس الايقاع ولكنه لا يستطيع أن يشرحه ويعلمه ، أو يحدد مصدره .

الموقف الأول منطقي ومتناسك ، والثاني يشير الى أن إحدى الطائفتين الكامنة أو المنبثقة معطلة ، والثالث يدعونا الى أن نجعل من معلوماتنا في خدمة الاحساس والا حكمنا بغساده ولو جزئياً اذا ناقضته ، أما الرابع فقد أغنانا عن التعليق عليه الغطائي حيث ذهب في رسالته عن اعجاز القرآن<sup>(٩)</sup> الى أن السبب قد يغنى وآثره في النفس واضح ، وهذا لا يقتنع في باب العلم ، ودون أن نصل الى ذلك نقول أن مجرد المحاولة لتلمس الظواهر الايقاعية الداخلية في التعبير القرآني مهما خفيت تظل ضرورية بنض النظر عن نتائجها .

موسيقى القرآن هي موسيقى النفس ، للمباراة معنيان - أولهما أن الايقاع هو احساس المتلقي يضفيه على النص وهذا هو الغطل بعينه ، وقد بينا فسادَه لأن القارئ لا يحضر الى النص قيمة ليست فيه ، والنظرية الانفعالية في معالم الجمال التي كانت ترى أنه حالة شعورية في النفس أكثر منه قيمة مستكنة في الموضوع ذهبت الى غير رجعة .

المعنى الثاني أن موسيقى القرآن تعبر عن حالات النفس ، وترتبط بحركة شعورها ، وهذا أمر نقصد اليه ونقرره ونسعى الى بيانه . أجل صوت الموسيقى في القرآن هو صوت النفس البشرية ، صوت حالاتها المتباينة ، صوت فرحها وحزنها ، أملها وآسها ، غضبها وسعادتها ... لقد لامس أعصابها ، ووقَّع على أوتارها ، وصور حركة احساسها ، وكان صدى مشاعرها وانفعالاتها ، وبلغ في ذلك الغاية ، وأربى على الغاية تعبيراً وتأثيراً .

كانت هذه مصادر النغم في القرآن - مصدر النص والتلاوة والنفس لا نستطيع أن نضعها على مستوى واحد ، ولا أن نقبلها على علاقتها دون مناقشة ، فالأخير مقبول بمعنى ومرفوض بآخر ، مقبول بمعنى التعبير والتأثير ، ومرفوض بمعنى الاحساس ، والثاني أمر متبدل يتعلق بكيفية الأداء ، ولا يمت الى موسيقى الأثر بصلة ، وكلا المصدرين خارج عن حدود هذه الدراسة ، يبقى المصدر الأول - النص - فهو الظاهرة الفنية الجمالية التي يمكن تحليلها وتحليلها بكل اطمئنان .

\* \* \*

## □ العواشي :

١ - من هذه المقالات :

- ١ - قواعد تشكل النظم في موسيقى القرآن ، التراث العربي ع/ ١٥ - ١٦ ص/ ١٢٢ نيسان ١٩٨٤ .
- ٢ - ثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن ، التراث العربي ع/ ١٧ ص/ ٨٩ تشرين الأول/ ٨٤ .
- ٣ - حروف القرآن ، دراسة دلالية في علمي الأصوات واللغات مجلة الفيصل ع/ ١٠٢ ص/ ١٠٣ أيلول/ ١٩٨٥ .
- ٢ - انظر جلال الدين السيوطي ، الاتقان ص/ ٩٩ ج/ ٢ القاهرة ١٩٥١ .
- ٣ - من الأمثلة التي تساق :

تقديم الكلمة لتتضمنها في الزمن أو العمل ، أو لتفري من القليل إلى الكثير . أو لتقدم هذا على ما بعده ، أو للاختصاص وإجراء غير العاقل مجرى العاقل .

استخدام صيغ المبالغة ، الفصل بين المتعاطفين ، الفصل بين الصفة والوصف ، إيقاع الظاهر موقع الضم ، وقوع مفعول موقع فاعل والعكس ، إيقاع حرف مكان حرف ، المفعول عن صيغة الماضي إلى المستقبل اللب والنشر ... ولنا أن معظم هذه الظروف يمكن أن تدرس في باب علم المعاني فهي به أولى ، وإن كان لا يعني ذلك إبتدائها عن الهدف الإيقاعي ولا دلالة التوخاة .

- ٤ - انظر - بدر الدين الزركشي . البرهان في علوم القرآن/ ١٨٧ القاهرة ١٩٥٧ ، والسيوطي . المرجع السابق ٦/١ .
- ٥ - روي الحديث بصيغ عدة ، أحدها لبيداني عن أبي هريرة . ولما أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع يستدل بها العنقية والشافية على جواز القراءة بالتنوين . انظر في ذلك محمد علي الصاوي روائع البيان/ ٦٣٠ دمشق ١٩٨٥ .
- ٦ - هذا الحكم فيه شيء من المجازفة وشيء من التجاوز لنتقي فيه مع إبراهيم أنيس وشكري عياد وتام حسان انظر للأول . موسيقى الشعر ، و - الأصوات اللغوية ، ولثاني . موسيقى الشعر العربي ، ولثالث - اللغة العربية معناها وسبناها . و - اللغة بين الوصفية والميادية - مراجع سبق ذكرها .
- ٧ - انظر في ذلك - ثلاث رسائل في أبعاد القرآن ، الرماني والخطابي والجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله ، القاهرة .
- ٨ - من هذه الدراسات - جون ديوي - الفن خبرة ، وكونتفورد - مبادئ الفن - مرجعان سبق ذكرهما . وأرجع في بسط المسئلة ومناقشتها إلى المؤلف في كتابه - الشعر بين الفنون - الفصلان الثالث والرابع .
- ٩ - انظر - الخطابي ، رسالته في أبعاد القرآن . المرجع السابق .

★ ★ ★

# قراءة في فكر ابن جني من خلال «الخصائص»

## على ضوء علم اللغة الحديث

محمد وليد حافظ

ينتمي ابن جني مثل معظم اللغويين الكبار في تاريخنا ، سيويه والفراء والفارسي والزمخشري وغيرهم إلى المعتزلة ، وهم الجماعة المعروفة بتحكيم العقل ؛ فالاعتزال « منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي » (١) . وقد كانت ثقة المعتزلة كبيرة بالعقل لا يحدّها إلا احترام أوامر الشرع ؛ فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل ؛ فما قبل أقرّوه ، وما لم يقبل رفضوه (٢) .

وجعلته هذه الأرضية الفكرية وتمثله لقراء سابقيه يلج على جعل اللغة علماً . واليه يمكن أن ننسب بالعثمان وضع القاعدة اللغوية المطردة الشاملة التي لا يطن فيها طاعن ، فهو بهذا ذو عقل شمولي متميز ، خطّ لمن بعده أسس البحث اللغوي وأساليبه .

أثّر ابن جني كتاب الخصائص لبيعث النظام العام للغة منطلقاً من تمثله لأراء أستاذه أبي علي الفارسي القائمة على دراسة اللغة دراسة بنيوية وظيفية ، فشرح عموميات اللغة في مستهل الخصائص ، كالفرق بين القول والكلام ، ومعنى النحو والإعراب والبناء . وتطرق إلى أصل اللغة ؛ أوحى « هي أم اصطلاح ، ولم يجزم بواحدة منهما ، وقبّل بنظرية ثالثة هي نظرية الأصل الطبيعي . ولم يتوقف طويلاً عند هذا الموضوع ما دام لا يغير شيئاً من حقيقة القوانين اللغوية . وأوضح أن هدفه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه ورفع الملل النحوية التي كانت مضرب المثل في الضعف إلى مرتبة الملل الكلامية ؛ فخطّ أسلوب البحث العلمي ، وطريقة وضع القواعد الشاملة . وأكد أن اللغة قوانين تحافظ عليها ، وأفرد أبواباً كثيرة للقياس الذي يتزعم مدرسته إلى جانب دراسات صوتية تصب في أخرى في مجرى النظام العام للغة .

بواه الأستاذ أحمد أمين زعامة مدرسة القياس (٣) . ورآه الأستاذ سعيد الأفغاني أعلى علماء العربية كتباً في جميع عصورها، وأوصهم عامة على استمرار حلم العربية ، والاهتمام إلى النظريات العامة فيها . ونسب إليه ابتداء نظرية الاشتقاق الأجرس ، وتأسيس فقه اللغة ، وإمارة علم التصريف بلا منازع (٤) . وكذلك أقر الأستاذ محمد علي النجار محقق الخصائص بنبوغه في الصرف ، وسعة درايته وروايته وفضله على المتأخرين (٥) . ونسب إليه الدكتور شوقي ضيف وضع القوانين الكلية في التصريف (٦) .

وهاجمه ، وسائر النحاة المعتزلة ، كثيرون بتهمة اضطراب الرؤية اللغوية نتيجة لإحكام المنطق في النحو . وعلق أبو علي الفارسي نفسه على مزج أحد النحاة المعتزلة في عصره ، وهو الرماني ، النحو بالمنطق قائلاً : « إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء » (٧) .

ولتلمس موقع الرجل بين هذه الأطرام والاتهامات ، ولبيان مدى نجاحه في محاولته ، لا بد من العودة إلى شيء من علم اللغة العام .

يعود تاريخ علم اللغة العام إلى بدايات القرن العشرين ، عندما أعلن عالم اللغة مابيه عام ١٩٠٦ : « أن التاريخ لن يكون بالنسبة للفوي غاية بل وسيلة » (٨) مشيراً بذلك إلى أن جهود علماء اللغة في القرن التاسع عشر وما قبله انصبحت على الأبحاث التاريخية والمقارنة ، وعلى إثبات القرابة بين اللغات : ولا سيما بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية ، وردة الفعل العنيفة ضد فواعد بور رويال . وفي العام نفسه بدأ عالم اللغة الشهير سوسور في جامعة جنيف معاضراته في « علم اللغة العام » فأسس عملياً هذا العلم .

وهكذا أدار علم اللغة ظهره للدراسات المقارنة التاريخية ، وأكد إمكان إخضاع كل حالة من اللغة إلى دراسة سكونية متزامنة بغض النظر عن التطور الذي تعد هذه الحالة امتداداً له : وبناء على هذا المفهوم طرح سوسور التمييز بين « التطورية » التي هي دراسة التغيرات عبر الزمن ، و « التزامن » الذي هو دراسة حالات محدودة من اللغة في فترة محدودة من التطور . فانقسم علم اللغة إلى فرعين : علم لغة تماثلي أو تطوري (Une linguistique diachronique ou évolutive) وعلم لغة تزامني أو سكوني (Une linguistique synchronique ou statique) وتنضم الطريقتان التزامنية والتماثلية موضحة أحدهما الأخرى (٩) . وينطبق هذا التقسيم السوسوري على اختصاص ابن جني بالدراسة التطورية للغة ، واختصاص الإمام الجرجاني بالدراسة التزامنية لها في دلائل الإعجاز . وتنضم الدراسات في مدرسة واحدة يطلق عليها اسم مدرسة أبي علي الفارسي .

لمماذا علم اللغة العام ؟ وما مدى إسهام ابن جني فيه ما دام عمله لا يمتد حدود اللغة العربية ؟

و إذا كان هناك علم لغة عام فلأنه يمكن صياغة مبادئ تنطبق انطباقاً عاماً على وظيفة اللغات وتطورها ومصلها : وهذا هو مفهوم علم اللغة العام أو الكلي (Panchronique)

مقابل علم اللغة الخاص (Idiochronique) الذي هو دراسة سكونية أو تطويرية للغات خاصة، (١٠) •

• ويرتبط علم اللغة العام بعلم اللغة الخاص بصفة ما ، كالعربية ، لأنه يقوم على ما هو عام ومشترك بين اللغات جميعها؛ كما أن علم اللغة الخاص يستفيد بدوره من النتائج التي يتوصل إليها علم اللغة العام بتطبيقها على اللغة التي يختص بدراسة (١١) •

• ولذلك فإن لعلم اللغة العام في المرحلة الأولى ، قبل مرحلة البحث عن القوانين العامة مهمة وصفية ؛ فمن مجموع الدراسات الخاصة المنفذة على اللغات المختلفة تستخلص تعليمات ذات طابع عام عن نماذج الأنظمة المتحققة في اللغات (١٢) •

ترتبط الخصائص العامة للغة بحقيقتين كبيرتين :

١ - كل لغة هي نظام اشارات •

٢ - كل لغة تتجلى في اطار اجتماعي يحدد انتظام عملها وتطورها •

تعرف الاشارة اللغوية بأنها • الكل المحصل من ضم دال ومدلول ، ويرتبط الدال بالصورة السمعية ، والمدلول بالتصور أو المعنى المجرد ، وتمثل ظاهرة التلفظ وظاهرة الاصغاء الجانب الفيزيولوجي - النفسي ؛ أما موضوع علم اللغة فهو الجانب النفسي الصرف ، أي التلازم بين الفكرة والصيغة • وقد شبه سوسور العلاقة بين الدال والمدلول بوجهي الورقة الواحدة ؛ فكما أن من المحال تصور ورقة بوجه واحد ، فمن المحال تصور دال بدون مدلول ؛ والعكس صحيح • وإذا انعدم التلازم بين الدال والمدلول كان لدينا تعاقب صوتي لا يصح أن نعدده اشارة لسانية ، فتعاقب (ك ت ب) أو (ك ب ت) يعطي اشارة لسانية ؛ أما تعاقب (ت ب ك) فلا يعطي اشارة لسانية • والعلاقة بين الصيغة اللفظية وما تحيل اليه هذه الصيغة هي علاقة اعتباطية (Arbitraire) موضوعة بالاتفاق أو التوافق (Convention) فليست الاشارة للسانية من قبيل الرمز بمعناه المحدد لأننا لا نستطيع التصرف بالرموز كما نشاء ؛ فنحن نرمز الى العدالة مثلاً بالسيف أو الميزان ، أو بهما معاً ؛ ولكن لا نرمز اليها بكتاب أو مصباح • أما الاشارة للسانية فانها لا تتقيد بمثل هذه الرموز ، فالاشارة للسانية الى (الطويل) تساوي الاشارة الى (القصر) •

صاغ مصطلح الاعتباطية في الفرنسية من (Arbitre) التي تعني الحاكم المستبد أو السيد المطلق • وفي العربية من فعل (اعتبط) ، ومعناه القتل ظلماً ، أو ذبح الذبيحة سميعة فتية لا حلة فيها • وعلى هذا يلتقي المصطلحان عند فكرة الظلم والتسف • ومن الجدير بالذكر أن اللغويين العرب القدامى استعملوا هذا المصطلح بمعنى اللابعية (١٣) • أما سوسور فقد شعر بأن المصطلح الفرنسي لا يعبر تمام التعبير عن العلاقة بين الاشارة للسانية والشيء الخارجي ، فاستخدم مصطلحاً أوضح وهو (Immotive) ، أي اللابعية ، أو دون علاقة طبيعية • وبدعي أنه تستثنى من هذه العلاقة



الاعتباطية الألفاظ التي لها ارتباط طبيعي بالأشياء كالغريز والقرقة ، والألفاظ ذات الدلالات النفسية ، مثل (أف) و (أه) ، وهي محدودة في كل لغة .

أوضح ابن جني أن الاعتباط أحد أسس اختيار الأصول الثلاثية في اللغة العربية ، وهي أصول الإغلبية العظمى ، قائلا : « أعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم يفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جعلها وتفصيلها ، وهلم أنه لا بد من رفض ما شنع تألفه منها ، نحو (هع) و (قج) . ففناء عن نفسه ، ولم يمرره بشيء من لفظه ، وعلم أن ما طال وأمل بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن في أحد الأصول وأخفها وهو الثلاثي . . . فلما كان الأمر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض ، وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم ، ومارضة أنفسهم على تخييرهم ، جرت لذلك عندهم مجرى مال ملقى بين يدي صاحبه ، وقد أجمع اتفاق بعضه دون بعضه ، فميز ردهته وزائفه ، ففناء البتة ، كما نفوا عنهم تركيب ما قبس تأليفه . ثم ضرب بيده إلى ما أطف له من عرض جيدة ، فتناولوا للحاجة إليه ، وترك البعض لأنه لم يرد استعمال جميع ما بين يديه منه لما قدمنافذكره ، وهو يرى أنه لو أخذ ما ترك مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدى في الحاجة إليه تاديتة : ألا ترى أنهم لو استعملوا (لجع) مكان (نجع) لقام مقامه وأغنى منه » (١٤) .

يكشف النص السابق تصور ابن جني مراحل وضع ألفاظ اللغة على النحو التالي :

- ١ - رفض ما شنع تألفه من الأصوات ، وغالباً ما تكون - حسبما يشرح في مكان آخر من الخصائص - الأصوات التي لها مقرج واحد ، مثل (هع) .
- ٢ - الابتعاد ، لا الرفض المطلق ، عن الأصول الطويلة ، أي عن الرباعي والخماسي .
- ٣ - الانتقاء من بين الأصول الثلاثية ، لأنه لا يمكن استيعاب كل هذه الأصول . ويتعلق هذا الانتقاء بقانون آخر سنتعرض له في حينه .
- ٤ - لا مقياس في هذا الانتقاء إلا مقياس الاعتباط .

ومن مظاهر الاعتباطية التي تخرج عن ساحة البحث ، والتي ساقها ابن جني في الخصائص ظاهرة عدل بعض الكلمات دون بعضها الآخر ؛ يقول في الباب الذي استقينا منه النص السابق « فقد نجد في اللغة أشياء كثيرة غير محصاة ، ولا محصلة ، ولا نعرف لها سبباً ، ولا نجد إلى الإحاطة بعلمها مذهباً ؛ فمن ذلك أعمال ما أهمل ، وليس في القياس ما يدعو إلى أهماله ، ومنه أنهم هملوا (فملاً) عن (فامل) في أحرف محفوظة ، وهي ثعلل وزحل وعسر . . . وما يقل تعداده ، ولم يعدلوا في نحو مالك وحاتم وخالد ، وغير ذلك ، ولنا نعرف سبباً أوجب هذا العدل في هذه الأسماء التي أرىناها دون غيرها » (١٥) .

ومن مظاهر الاعتباطية التي لها علاقة باجتماعية الظاهرة اللغوية أوثق من علاقتها باعتباطية الإشارة اللغوية ظاهرة الاستثناء ، إنما تعنيها منها هنا الكيفية التي تم بها

الاستغناء ؛ فلماذا استغني عن ماضي ( ذَرُ ) و ( دَع ) ولم يستغن عن الماضي ( وثب ) إذا جرت هذه الظاهرة على الأفعال المبسوطة بالواو ، ومثل هذا التساؤل في الاستغناء بجمع القلة عن جمع الكثرة أو العكس .

إن الغرض في المظهرين الآخرين ، العدل والاستغناء يتطلب الكثير من العذر ، واعتقد أنهما يحتاجان إلى بحث تاريخي تطوري .

وسنظهر رابع للاعتبارية ، وهو التصادفات الواقعة في اللغة أو ما يسميه ابن جني و تلاقي اللغة ، ويستشهد له بأسمي العلم ( سلمان ) و ( سلمى ) : « ألا ترى أن فتلان الذي يقاوده فتلى إنما باباه الصفة كفضبان و غضيبي وعطشان وعطشى ؛ وليس سلمان وسلمى بصفتين ولا نكرتين ، وإنما سلمان من سلمى كعطشان من ليلى . غير أنها كانا من لفظ واحد فتلاقيا في عرض اللغة من غير قصد لجمعهما ، ولا إيثار لتقاودهما » ( ١٦ ) .

ويتطلب الحديث عن اجتماعية الظاهرة اللغوية التقديم بأصل الكلام الانساني . ونستطيع اجمال النظريات التي ظهرت لتفسير أصل الكلام الانساني في الاتجاهات التالية :

- ١ - النظريات الطبيعية التي نسبت أصل الكلام الى تقليد اصوات الطبيعة .
- ٢ - النظريات الأنثروبولوجية التي نسبتها الى العلاقة الرمزية المتبادلة بين وقع المصدر الصوتي ومعناه ، أو الى الأصوات المرافقة لجهد عضلي ...
- ٣ - النظريات الفلسفية التي نسبتها الى العقل الانساني المتمتع بفريزة خاصة زود بها جميع أفراد الجنس البشري .
- ٤ - النظريات اللاهوتية التي عدت اللغة هبة من الله .

وقد وقعت النظريات السابقة في خطأ افعال العامل الاجتماعي في نشوء الكلام . وهذا ما أدركته وتداركته كلتا المدرستين اللغويتين المنبثقتين في القرن العشرين ، وهما البنيوية في الغرب ، والمدرسة اللغوية السوفييتية .

أما مدرسة الفارسي فقد أدركت هذا منذ مئات السنين ، يقول الإمام الجرجاني « فإن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليُعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده » ( ١٧ ) ويؤكد على أن المفردات لم توضع لتعرف معانيها بأنفسها ، وإنما ليضم بعضها الى بعض ، فيعرف ما بينها من فوائد ، أي أن نشأة الكلمة المفردة ارتبطت بنشأة الكلام ، ولم تقتصر مهمة الكلمات المفردة منذ نشأتها على التسمية ، بل كانت مهمتها الإخبار أي الوظيفة الأساسية للغة هي كونها أداة اتصال بين الناس .

وينتمي الإمام الجرجاني بهذا الى مدرسة الفارسي ، يقول ابن جني في ( باب في هذه اللغة ، في وقت واحد وضمت أم تلاحق تابع منها بفارط ) : « أعلم أن أبا علي رحمه الله كان يذهب الى أن هذه اللغة - أعني ما سبق منها ثم ما لعق به بعده - إنما وقع كل صدر منها في زمان واحد . وإن كان تقدم شيء منها على صاحبه فليس بواجب أن يكون

المتقدم على الفعل الاسم ، ولا أن يكون المتقدم على الحرف الفعل ... وإنما يعني القوم بقولهم : « أن الاسم أسبق من الفعل » أنه أقوى في النفس ، وأسبق في الاعتقاد من الفعل ؛ لا في الزمان ؛ أما الزمان فيجوز أن يكونوا عند التواضع قدموا الاسم قبل الفعل ، ويجوز أن يكونوا قدموا الفعل في الوضع قبل الاسم ، وكذلك الحرف . وذلك لأنهم وزنوا حينئذ أحوالهم ، وعرفوا مصائر أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون إلى المبادرات من المعاني ، وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف ؛ فلا عليهم بأيها يدؤوا ؛ أي بالاسم أم بالفعل أم بالحرف لأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جميع ؛ إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن . هذا مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتي « (١٨) » .

يؤكد علم اللغة الحديث بدوره على اجتماعية اللغة ، وعلى أنها تتمثل لنا خارجياً كأداة للتواصل بين الناس ؛ فهي تظهر في كل مكان حيث يعيش أناس في مجتمع . ولا تمارس لغة دون أن تستخدم وسيلة اتصال . ويعرف اللغة على تنوع أشكالها : الفصيحة ، والعامية واللهجات المحلية على أنها « وظيفة إنسانية تستند إلى ضم محتويات الفكرة إلى أصوات منتجة بواسطة الكلام » (١٩) .

وتتوضع اللغة لتكونها وسيلة اتصال ضمن مجموعة الأنظمة اللغوية المستخدمة للتواصل ، مثل أنظمة المرور وطقوس الزواج والوفاة . وعلى هذا وجدت - ولا تزال - لغات غير منطوقة بجهاز النطق الإنساني مثل نداءات الانذار ، وقرع الطبول في الفريجية ؛ ولكن الأساس هو وجود لغة منطوقة يتكون نظام عملها من بث واستقبال أصوات منتجة بعملية الكلام . وهذه اللغة هي موضوع علم اللغة .

وأنت الحاجة إلى التواصل بين الناس الذين يتكلمون لغات مختلفة ؛ لا إلى تعلم إحدى المجموعتين لغة المجموعة الأخرى فحسب ، وإنما إلى ظهور لغات خاصة تسمى « لغات الاتصال » تتميز عن اللغات القومية ، مثل لغة البدين (Pidgin) المكوّنة من عناصر انكليزية وصينية وماليزية ، ولغة السابير (Sabir) ذات الأصول الرومانية ، التي كانت تستخدم سابقاً على شواطئ البحر المتوسط (٢٠) .

كيف تزدي اللغة وظيفتها بصفاتها أداة اتصال ؟

١ - يجب أن يكون للغة نظام . يقول ابن جني في معرض حديثه عن الاختلاف بين لغة تميم ولغة الحجاز : « هذا الخلاف لقلته ونذارته غير محتفل به ولا مبيع عليه . وإنما هو شيء من الفروع يسير ، فأما الأصول وسأعليه العامة والجمهور فلا خلاف عليه . وكل واحد محافظ على لفته ، لا يخالف شيئاً منها ، ولا يوجد عنده تمازج منها ؛ فهل ذلك إلا لأنهم يحتاطون ويقتاسون ولا يفرطون ولا يخلطون » (٢١) . و « لو كانت هذه اللغة حشواً مكبلاً وحشواً مهيباً لكثير خلافتها وتمازجات وصفاتها فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاع إليه » (٢٢) .

إذن ما يختلف فيه العرب قليل بالقياس إلى ما يتفقون عليه ، ثم إن ما يختلف فيه

العرب قليل بالقياس الى ما يختلف فيه العلماء؛ وذلك لأن العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اختلفت عليه العرب، كما اختلفوا أيضا فيما اختلفت العرب فيه .

ويعود الفضل في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جني الى القياس .

٢ - يجب أن يكون هذا النظام قائما على حاجة الناس الى اللغة ، وعلى استعمالهم لها ؛ فاللغة ملك الجميع . كما أنه ليس بوسع فرد أو أفراد ابتكار لغة خارج نطاق المجتمع . ولهذا أخفقت المحاولات التي قام بها في القرن السابع عشر خاصة بعض الفلاسفة مثل ديكارت ولايبنتز لوضع لغات اصطناعية .

٣ - ويجب أن يتصف هذا النظام بالمرونة لتلبية الحاجات المتزايدة من الألفاظ . ان الأساس الوطيد لهذه المرونة هو الاعتبار، ثم القياس . فكيف فهم ابن جني العلاقة بين الاستعمال والقياس ؟

يمهد ابن جني لشرح هذه العلاقة بتقسيم كلام العرب الى أربعة أضرب :

١ - مطرد في القياس والاستعمال جميعا ؛ وهذا هو الغاية المطلوبة ، نحو : (قام زيد) و (مررت بسميد) ؛ يعني رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المجرور .

٢ - مطرد في القياس ، شاذ في الاستعمال ؛ وذلك نحو الماضي من (يلد) و (يدع) ؛ يعني ان القياس يميزهما ، غير أنهما شاذان في الاستعمال .

٣ - مطرد في الاستعمال ، شاذ في القياس ؛ نحو (استصوب) و (استعود) . والقياس أن يقال : استصاب واستعاذ ، بأعلال العين .

٤ - شاذ في القياس والاستعمال جميعا ، مثل تنعيم (مفعول) فيما عينه واو ، نحو (فرس مقوود) و (ثوب مصوون) ، والقياس يحذف الواو الثانية منهما .

ثم يشرح العلاقة بين الاستعمال والقياس على النحو التالي :

١ - اذا تمارضا، أي اطردها في الاستعمال ، وشذ عن القياس أخذت بالأول ، أي بالاستعمال لأنك تتكلم كلام العرب ؛ ولكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره .

٢ - اذا شذ في القياس وكثر في الاستعمال أخذت بما كثر في الاستعمال ؛ وان لم ينته قياسه الى ما انتهى اليه استعماله ، أي وان لم تكن قوته في القياس على قدر قوته في الاستعمال . والعربي قد يتكلم اللغة وغيرها أقوى في القياس عنده .

٣ - اذا أوملك القياس الى شيء ، ثم سمعت العرب تنطق غيره فدع ما كنت عليه الى ما هم عليه .

٤ - اذا أهد قياسك سماع فانت مغير فيه ؛ فان صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك كنت على ما أجمعوا عليه البتة ، وأمددت ما كان قياسك أذاك اليه لسماع مولد ، أو لساجع ، أو لضرورة لأنه على قياسهم .

٥ - وإذا فشا الشيء في الاستعمال ، وقوي في القياس ؛ فذلك ما لا غاية وراءه ، نحو منقاد اللغة من النصب بحروف النصب والجسر بحروف الجسر .

٦ - وأما ضعف الشيء في القياس وقلته في السماع فمردود مطروح ؛ غير أنه قد يجيء منه الشيء إلا أنه قليل .

ويؤكد ابن جني أهمية العامل الاجتماعي في مواضع أخرى من الخصائص على النحو التالي :

١ - لا يقصد بالاستعمال استعمال فرد أو أفراد ، بل الاستعمال الاجتماعي ؛ يقول « فإن ورد من بعضهم شيء ينفعه كلام العرب ، وبآباء القياس لا يمتنع في قبوله أن تسمعه من الواحد ، ولا من المدة القليلة ؛ إلا أن يكثر من يطلق به منهم » (٢٣) .

٢ - يحذر ابن جني من أن الغطا إذا تكرر توطد ، يقول « ومنهم - من العرب - من إذا طال تكرر لفة غيره عليه لصقت به . ووجدت في كلامه - يعني أبا علي - : ألا ترى إلى رسول الله ﷺ وقد قيل : يا نبي الله ، فقيل : لست بنبي الله ولكنني نبي الله . وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أنكر الهمز في اسمه ، فردّه على قائله ، لأنه لم يدر بما سماه ، فحاشق أن يمسك على ذلك » (٢٤) .

٣ - يجب أن يرتبط القياس بالاستعمال ، أي بالواقع الموضوعي ، ولا يجوز أن يؤخذ بمنهاته النظري للصرف أخذاً مطلقاً ، ولذا يستنكر وفقاً لهذا الفهم أن يكون قولهم « رفع عقيرته » مشتقاً من (عقر) مثلما أوله أبو اسحاق ، وهو وافق على أن معنى الصوت في (عقيرته) مأخوذ افتراضاً من أن أحدهم قطع رجله ، فرفع رجله المعقورة ، وصرخ ؛ فقالوا : رفع عقيرته . ثم يقول ابن جني « ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا : أو لأن الأول وجعل اليه علم لم يصل إلى الآخر ؛ يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل » (٢٥) .

ويبلغ على أن مشاهدة حال المتكلم في أثناء الكلام ، أي ربط الكلام بالموقف الذي يجري فيه أشدّ نفعا للغمي من شعر الفرزدق إذا أخبر به ، ولم يحضره ينشده .

٤ - لا تستدرك اللغة كلها قياساً ؛ فمنها ما لا بد من إرادته ، ونص الفاعله إذا لم يجدوا بدا منها ، ولا متصرفاً عنها ؛ ومعاداة أن ندعي أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً » (٢٦) .

٥ - وهناك حدود لا مكان التصرف في اللغة لا يمكن تجاوزها ، مثل حدود الحذف والفصل والتقديم والتأخير .

ولا شك أن المسموع الذي وصل إلى عصر التدوين من كلام العرب قليل بالنسبة إلى حجم اللغة وإمكاناتها التوليدية . يقول عمر بن الخطاب « كان الشعر علم القوم ، ولم يكن لهم علم أصح منه . فبجاء الإسلام فتشاهلت منه العرب بالجهاد ، ولهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، وأطمأنت العرب في الأمصار راجعوا

رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب لحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم كثيره » (٢٧) .

ولا يعقل طبعاً أن ترد اللغة الصحيحة كلها عن طريق السماع ، ولا يعقل كذلك أن تتجمد اللغة على المسوع ؛ كيف تفتني اللغة وتتجدد ؟ وكيف يتأصل الجديد ؟

١ - لا شك أن اقتران الاستعمال بالقياس الصحيح يؤصل القياس ، بدليل قوله « اذا فشا الشيء في الاستعمال ، وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه ، نحو منقاد اللغة » (٢٨) .

٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب « ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ؛ وانما سمعت البعض منه ، فقيست عليه غيره ، فاذا سمعت : (قام زيد) « أجزت (ظرفاً بشر) » و (كرم خالد) » (٢٩) .

٣ - وينطبق هذا على الألفاظ الأعجمية التي تدخل اللغة « قال أبو علي الفارسي : اذا قلت : (طاب الغشكان) فهذا من كلام العرب ؛ لأنك بأهراك آياه قد أدخلته كلام العرب » (٣٠) .

يعني الإعراب إذن اخضاع اللفظة الأعجمية لنظام العربية صوتياً وصرفياً ونحوياً ، فاللفظة حين تنتقل من لفتها الى العربية تغير أصواتها ، ويتصرف في وزنها بحيث تندرج في أقرب وزن من أوزان العربية ، ويحرك آخرها بحركات الإعراب ، ويشق منها ، فيقال : (درهمت الخيازي) ، أي صارت كالدرهم ، فاشتق من الدرهم ، وهو اسم أعجمي . كذلك يدخلون على هذه الألفاظ الدخيلة لام التمرين تشبيهاً لها بأصول كلام العرب ، أي النكرات (٣١) .

٤ - عن طريق التدرج ؛ وهو « أن يشبه شيء شيئاً من موضع ، فيمضي حكمه على حكم الأول ، ثم يرقى منه الى غيره » (٣٢) . ومن أمثلته قلب الدال دالاً في (الدكر) ، ثم تدرجوا منه الى غيره بأن قلبوها ذالاً في (غير) (افتصل) ، فقالوا : (الدكر) . وفي شرح مثال آخر للتدرج يستخدم ابن جني لفظة هامة المدلول ، وهي الاعتقاد ، يقول : « لاعتيادهم عليها حتى صارت كأنها كانت أصلاً » (٣٣) .

٥ - استعارة اللفظة والاستعمال الطويل لها ؛ يمثل ابن جني اجتماع لفتين فصيحيتين أو أكثر في لغة رجل واحد قائلاً : « وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل أحداها ، ثم أنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال مهده بها ، وكثر استعماله لها ؛ فلحقت لطول المدة ، واتصال استعمالها بلفته » (٣٤) . ويقول في موضع آخر : « ومن العرب من اذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به ، ووجدت في كلامه » (٣٥) .

ويخلص علم اللغة الحديث تولد اللفظة بالقوانين التالية (٣٦) :

اعتباط × وضع ← اصطلاح . أي أنه تم وضع الألفاظ على أساس الاعتباط .

اصطلاح × استعمال ← عرف • أي أن الاصطلاح يجب أن يؤيده الاستعمال  
ليصبح عرفاً •

عرف × تواتر ← اطراد •

ويتفق هذا مع مفهوم ابن جني في أن كثرة الاستعمال مع طول المدة تلحق اللفظة  
باللغة • ويعمل هذا المفهوم عجزنا عن تصحيح الأخطاء الشائعة ، وعجز المجامع اللغوية عن  
فرض مصطلحاتها •

لماذا اصرار ابن جني على أن الاستعمال هو الأصل مع أنه ورث مدرسة القياس  
البصرية ؟

١ - اللغة عقد اجتماعي ، كما يقول علم اللغة المعاصر ، ومؤسسة موضوعية ،  
بمعنى أنها لا تتعلق بإرادة فرد أو أفراد من المجتمع ؛ فلا قيمة للغة خارج استعماله •

٢ - يحد الاستعمال من استطلاة القياس ، فيحد من اتساع اللغة الناجم من  
الاسراف في القياس • ويرجع السبب في هذا إلى :

١ - أن الامكانات النظرية للغة هائلة • يعمل ابن جني قلة استعمال الأصليين الرباعي  
والخماسي قائلاً : « ذلك أن الثلاثي يتركب منه ستة أصول ، والرباعي يتركب منه أربعة  
وعشرون أصلاً ... وإذا كان الرباعي مع قربه من الثلاثي إنما استعمل الأقل القدر منه  
فما ظنك بالخماسي ؛ ألا ترى أنك لا تجد شيئاً من نحو (سفرجل) قالوا فيه : (سفرجل) ،  
ولا نحو ذلك ؛ مع أن تقلبيه يبلغ به مائة وعشرين أصلاً ؛ ثم لم يستعمل من كل ذلك  
الا (سفرجل) وحده » (٣٧) •

ثم هناك إمكان تقليب كل أصل ثلاثي من الأصول الستة تسع مرات بتغيير حركة  
المعين في الماضي والمضارع ، وهناك صيغ الزوائد أيضاً • أن هذه الامكانات إذا أطلقت  
ستؤدي إلى ما يشبه التضخم الاقتصادي • وتحتفظ اللغة بهذه القدرات إلى حين اللزوم ؛  
وعلى هذا يطلق على اللغة اللاتينية التي لم تعد تستخدم لغة اتصال مصطلح (En conserve)  
أي قيسد الحفظ ، تشبيهاً بالمخزون الغذائي يستجر منه على قدر الحاجة •

ب - وما دامت اللغة وسيلة اتصال فإنها يجب أن تكون مفهومة من قبل كل  
الذين يتكلمون بها ليستطيعوا التفاهم من طريقها ، ولتكون عامل توحيد لهم ؛ والا  
فقدت وظيفتها الإبلائية الاجتماعية ، وعليه تشبه وظيفة الإبلاغ بالقرود الذي يوجه اللغة  
انتشاراً أو تقليصاً •

٣ - ينتمي ابن جني بشكل ما إلى مدرسة البصرة التي أدركت حقيقة هامة ،  
وهي أن اللغة نظام ، بمعنى أنه يجب احترامها يمكن احتواؤه من كلام العرب ضمن النظام  
اللغوي ، واعتبار ما يقع خارج تلك الحدود شاذاً يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ويكون حسب  
مفهوم ابن جني منبهاً على أصل بابه •

إذا كان الاستعمال قوة ضاغطة على اللغة باتجاه التقليس ؛ فما القوة التي تجعل النظام اللغوي مرناً يستجيب لمطالبات التواصل من جهة ، ولتطلبات التطور من جهة ؟ أنها مرونة القياس ومن مظاهرها في فكر ابن جني :

١ - جواز القياس على ما يقل ، ورفضه على الأكثر منه إذا كان الأكثر غير قياس .

٢ - ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

٣ - للانسان أن يرتجل من المذاهب ، ما لم يلو بنص ، أو ينتهك حرمة شرع . وليس اجماع أهل البلدين - يعني البصرة ، والكوفة - بحجة عليك إذا لم تخالف المنصوص ؛ يقصد حرية الاستنتاج والبحث العلمي .

٤ - يحمل على الظاهر ، وإن أمكن أن يكون المراد غيره ، تسهيلات للبحث وللغة ، ومثاله حمل سيبويه كلمة (سيئد) على الياء لأنه الظاهر ؛ وإن كانت الواو أكثر وروداً في هذا الموضع ، أي عين الاسم .

٥ - الاستحسان ضرب من الاتساع والتصرف ، ومن أمثلته ترك الأخف إلى الأثقل من غير ضرورة ، والحق نون التوكيد باسم الفاعل تشبيهاً له بالمضارع ، وما خرج منبهة على أصل بابيه ، مثل (استحوذ) و(استصوب) .

٦ - إذا انفرد العربي بشيء نظري إلى كلامه ؛ فإن كان كلامه فصيحاً قبل منه ؛ فقد يكون من لغة قديمة . أن ابن جني يتجاوز هنا قاعدة الاستعمال الجماعي ، ويقبل الاستعمال الفردي لتسهيل احتواء النظام للغة .

٧ - العمول والإضافات والالفاظ لكثرة هذه اللغة وسمتها وغلبة حاجة أهلها إليها للتصرف ؛ يقول سيبويه ؛ « وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً » (٣٨) .

٨ - قبول لفتين أو أكثر ؛ لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخذ إليه ، وليس لك أن ترد إحدى اللفتين بصاحبها » (٣٩) ، ومثاله أعمال (ما) وأعمالها .

٩ - لا تجوز المبالغة في التشكك بكل لهجة أو لغة أو قياس ؛ لأن هذا التشكك « يوحشك من كل لغة صحيحة لأنه يتوجه منه أن تتوقف عن الأخذ بها مخافة أن يكون فيها زيغ حادث لا تعلمه الآن ، ويجوز أن تعلمه بعد زمان ... » وإن اتجه هذا انشطر عليك منه ألا تطيب نفساً بلغة ؛ وإن كانت فصيحاً مستحسنة » (٤٠) وكذلك « لا يجوز ترك العاشر الذي له وجود من القياس لغائب مجوز ليس عليه دليل » (٤١) .

١٠ - ولا بد أن نضيف إلى ما سبق باباً واسعاً في الخصائص سماء المؤلف « شجاعة العربية » يعني بها الحذف والفصل والتفريق والتقديم والتأخير .

كيف تحافظ اللغة على توازنها بين هاتين القوتين المتعاكستين : قوة التقليس المتأتمنة من قيود الاستعمال الاجتماعي ، وقوة الانتشار الناتجة عن مرونة القياس ؟



١ - لا يتغير النظامان الصري والنحوي للغة إلا ببطء شديد ، وما دام هذان النظامان قادرين على استيعاب الدخيل من الألفاظ ، فلا خوف على اللغة .

٢ - أما المعاني الجديدة التي يفرضها التطور الحضاري فإن اللغة تتمكن من التعبير عنها دون اللجوء إلى التوسع المجسم في غالب الأحيان عن طريق العبور باللفظة من الحقيقة إلى المجاز ، وتحقق كذلك عبر السياقات المختلفة لللفظة ؛ يقول ابن جني عن الحقيقة والمجاز : الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان ضد ذلك . وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد (١٢) .

ويقول الدكتور عبدالسلام المسدي : « إن العملية التي سماها العرب في وقت ما المجاز ، من فعل جاز ، هي عبور باللفظة من حقل دلالي إلى حقل آخر ، وكذلك الاستمارة ؛ فاللفظة قادرة على التحول الذاتي ، أي على أن تتحول دلالتها زمنياً عبر الزمن . وتلقبه هذه العملية عملية الانسلاخ في الكائنات الحية ، حيث تجدد اللفظة منسأماً دون أن تفقد جوهرها » (١٣) .

وتخفف اللغة حملها المجسم من طريق الاستفناء ، وهو على أنواع :

١ - نوع استعمالي ؛ حيث تصوت اللفظة المهجورة زمناً طويلاً وفقاً للقاعدة نفسها التي تثبت بها اللفظة الجديدة من طريق الاستعمال .

٢ - نوع تمنعه قواعد القياس ، وهي القواعد التي تسمح في الوقت نفسه بتوسع اللغة ، مثل صيغ التعجب والتفضيل من بعض الأفعال .

٣ - نوع اعتباطي لا ضابط له ، كالاستفناء بجمع القلة عن الكثرة أو بالعكس ، والاستفناء عن صيغ بعض الأفعال ببعضها الآخر كالاستفناء عن (فقر) و (شد) بصيغتي (افتقر) و (اشتد) والاستفناء عن الأصل المجرد بما استعمل مزيداً ؛ وهو صدر صالح من اللغة كما يقول ابن جني ، نحو (كوكب) و (حوشب) إذ لم يرد في كلامهم (ككب) ولا (حشب) .

وينطوي تحت عنوان اجتماعية الظاهرة اللغوية ما يسميه الاستغفاف والاستثقال وحس المتكلم ، يقول في باب (علل العربية اكلامية هي أم فقهية : قال أبو إسحاق الزجاج) في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، ثم سأل نفسه فقال : فإن قيل : فهلا مكست الحال ، فكانت فرقاً أيضاً ؛ قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ؛ فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة ؛ وذلك ليقول في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستغفون (١٤) . ويمثل ابن جني لهذا بثقل الواو الساكنة بعد كسرة في نحو ميوزان ، وثقل الياء الساكنة بعد ضمة في نحو شيسر ؛ فقلبوا الواو ياء والياء واوا .

ولهذا الحديث أكثر من موضع في الخصائص : وانما أوجز أبرز مظاهره  
فيما يلي :

- ١ - اختيار الأصل الثلاثي دون الرباعي والخماسي لغفته ولثقلهما .
  - ٢ - الهروب من الحركة الثقيلة الى الغفيفة ، مثل تسكين المتحرك في نحو (عضد - عَجَز) وورود معظم الحروف المنفردة على الفتح كالف الاستفهام وواو المعلنف ؛ وما ورد منها مكسورا انما كسر لغنى ، مثل لام الأمر : وورود الأحرف المثناة كلها مفتوحة الأول ، مثل هلّ و لمّ .
  - ٣ - الإعلال الذي سبقت أمثله : بالإضافة الى أنه يشبه قلب الأوصال الثلاثية بالإعلال ، ويحمل هذا الشبه أحد أسباب النفور من الثقليات الممكنة .
  - ٤ - اختلاس الحركة ، مثل قراءة بعضهم « مالك لا تأمننا على يوسف » (١٥) مختلساً حركة النون .
  - ٥ - الإشمام ، ومعلوم أنه للعين ، لا للآذن ، وليس هناك حركة البتة ، يقول ابن جني « فاذا قتموا من الحركة بأن يؤمّثوا إليها بالآلة التي من عاداتها أن تستعمل بها عن اللطوق بها من غير أن يخرجوا الى حس السمع شيئاً من الحركة ... لم يبق وراء ذلك شيء يستدل به على مناهيتهم بهذا الأمر (يعني الاستخفاف) » (١٦) .
  - ٦ - إدراج همزة الوصل .
  - ٧ - الحذف ، سواء بحذف الكلمة كلها ، أم بحذف جزء منها .
  - ٨ - ظاهرة أسماء الشرط والاستفهام التي يسأل بها عن الكثير .
  - ٩ - الإلحاق بالأفعال من أولها ، وبالأسماء من آخرها ، وزيادة الألف فقط على الخماسي لغفتها ، مثل (قبمثرى) و (خبمطرى) .
- وفي علم اللغة الحديث ما يسمى بقانون المجهود الأدنى (١٧) . يشرحه الدكتور عبدالسلام المسدي على النحو التالي « تنزع اللغة الى ابلاغ أكثر عدد من الشعنات الاخبارية ، أي أكبر عدد من المعلومات بأقل ما يمكن من الجهد العضلي ، ومن أمثله في العربية تحول اللغة العربية الى لهجات والوقوف على ساكن » (١٨) ويحسن هنا ذكر ملاحظة ثاقبة لابن جني يضيفها الى حديث الاستخفاف والاستثقال ، وهي أن اللغة تنزع أحياناً الى الأطول والأثقل دفعا للملل وطلب التنوع ، كالمعدل من الياء مع خفتها الى الواو على ثقلها في كلمة (حيوة) ، وحققا أن تقلب واوها ياء ، وكذلك المعدول من الإعلال مع توفر اللة في نحو (استصوب) و (استعوذ) . ويمثل الدكتور المسدي هذه الظاهرة بأنها وظيفة نفسية واجتماعية للغة ، وهي وظيفة تركيز دعائم الاستئناس التي يتكلم بها مع المتخاطب » (١٩) .
- ونشير أخيراً اشارة هابرة ، لتشعب الموضوع ، الى صنيع آخر لابن جني يصب في التيار نفسه ، وهو توجيهه للقراءات الشاذة في كتابه « المحتسب » لأن هذه القراءات انما هي لهجات تكلمت بها مجموعات بشرية ، فثقت أو كشرت . واكمل ابن جني بهذا صنيع أستاذه أبي علي الفارسي الذي وجهه القراءات السبع في كتابه « العجبة » .

## □ العواشي :

- ١ - في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفطاني ط ٣ مطبعة جامعة دمشق ص ٩١ .
- ٢ - المذاهب الإسلامية . أحمد أبو زهرة ص ٢١٥ .
- ٣ - في أصول النحو ص ١٠٣ .
- ٤ - المصدر السابق ص ١٠٤ .
- ٥ - مقدمة الفصائل ، مطبعة دار الهندى ، الطبعة الثانية ص ٤٧ .
- ٦ - المدارس النحوية . د. شوقي شيف ص ٢٦٨ .
- ٧ - في أصول النحو ١٣٧ .
- ٨ - La linguistique, Jean Ferrat. 11<sup>e</sup> édition, P. 98 .
- ٩ - المصدر السابق ص ٩٩ .
- ١٠ - المصدر السابق ص ١٠٠ .
- ١١ - والدور الإيجابي للتكلمين والمعتزلة في علم اللغة العربية. معاصرة للدكتور جعفر هاد الهادي . القيث في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة الإسلامية بدمشق عام ١٩٨١ .
- ١٢ - La linguistique, P. 100 .
- ١٣ - انظر مثلا منفي النليب ص ٣٦ مطبعة دار الفكر - الطبعة الثانية .
- ١٤ - الفصائل ١ - ٦٥ - ٦٥ .
- ١٥ - الفصائل ١ - ٥٢ .
- ١٦ - الفصائل ١ - ٣٢٢ .
- ١٧ - دلائل الإحجاز لتمام الجرجاني منشورات دار المعرفة ص ٤٠٨ .
- ١٨ - الفصائل ٢ - ٣٠ .
- ١٩ - La linguistique, P. 8 .
- ٢٠ - المصدر السابق ص ٣٤ .
- ٢١ - الفصائل ١ - ٢٤٤ .
- ٢٢ - الفصائل ١ - ٢٤٤ .
- ٢٣ - الفصائل ٢ - ٢٥ .
- ٢٤ - الفصائل ١ - ٢٨٣ .
- ٢٥ - الفصائل ١ - ٢٤٨ .
- ٢٦ - الفصائل ١ - ٢٩٨ .
- ٢٨ - الفصائل ١ - ١٢٦ .
- ٢٩ - الفصائل ١ - ٢٥٧ .
- ٣٠ - الفصائل ١ - ٢٥٧ .
- ٣١ - الفصائل ١ - ٢٥٧ .
- ٣٢ - الفصائل ١ - ٣١٧ .
- ٣٣ - الفصائل ١ - ٢٤٩ .
- ٣٤ - الفصائل ١ - ٢٨٣ .
- ٣٥ - الفصائل ١ - ٢٨٣ .
- ٣٦ - مجموعة معاضرات للدكتور عبد السلام الفيت على طلبة الدراسات العليا بجامعة دمشق عام ١٩٨١ .
- ٣٧ - الفصائل ١ - ٦١ - ٦٢ .
- ٣٨ - الفصائل ١ - ٢١٤ .
- ٣٩ - الفصائل ٢ - ١٠ .
- ٤٠ - الفصائل ١ - ٢٥٢ .
- ٤٢ - الفصائل ١ - ٤٤٢ .
- ٤١ - الفصائل ١ - ٢٥٢ .
- ٤٣ - معاضرات الدكتور عبد السلام الفيت .
- ٤٤ - الفصائل ١ - ٤٨ - ٤٩ .
- ٤٥ - يوسف ١١/١٢ .
- ٤٦ - الفصائل ١ - ٧٣ .
- ٤٧ - La linguistique, P. 121 .
- ٤٨ - معاضرات الدكتور عبد السلام الفيت .
- ٤٩ - المصدر السابق .

# تكملة لتحقيق بديع القرآن

د. علي ميرلوي فلاورجاني

الدكتور علي ميرلوي مدرس اللغة العربية في كلية اللغات بجامعة اصفهان . وقد كلف ترجمة « بديع القرآن » لابن أبي الاصبع المدائني . وهذا الكتاب من افضل الكتب التي تناولت بلاغة القرآن الكريم . فكلف الدكتور علي علي نقله الى الفارسية نقلا دقيقا واثينا . هذا والغاية من نص الكتاب ربما لا يقف عند بعض المواضع الغامضة او القليلة او الحرة . ولكن المترجم الدقيق يلهم النظر عند كل جملة بل عند كل كلمة ليحققها ويفهم معناها في السياق . وهكذا كان شأن المترجم . فانه لما عالج النص معالجة علمية متفهمة ورجع الى كتاب المؤلف الاول « تحرير التجميع » والى مظان الشواهد في غير الكتابين استطاع ان يصحح بعض الجمل وينبه على سهو المؤلف والمحقق وازاد ان ينشر تكملة لتحقيق « بديع القرآن » خدمة لوجوه البلاغة في القرآن الكريم وخدمة للغة العربية الاصيلية .

ع . ك . ي .

□ مقلمة :

لا ريب ان دراسة المخطوطات وتحقيقها تحقيقا علميا وفق المناهج المتبعة اليوم من اهم الوظائف التي القيت على عاتق الباحثين والعلماء الذين اعتنوا باحياء ما ورثه لنا المتقدمون من آثار قيمة وكتب نفيسة . فكم هنا وهناك من دور ثمينة هي من ثمار جهود العلماء السالين ما زالت محبوبة وراء ستار الغفلة والذهول ؛ وبينها كتب تحتوي على طرائف الافكار وبدائع الآراء ، ومصابيح مضيئة تنير طريق البحث وتساعد على تقدم العلم في شتى المجالات .

ومن حسن الحظ قام العلماء المعاصرون بتحقيق المخطوطات وعرضها للنشر عرضا يفيد المدارس والباحث الى حد بعيد . ولكننا مع ذلك بحاجة الى مزيد من النشاط وبذل الجهود في هذا المجال ؛ اذ ان المخطوطات التي نشرت حتى الآن لا تخلو عن ثلاثة اقسام :

قسم طبع عن نسخة واحدة او وحيدة دون أي تحقيق ، وقسم نشر عن تحقيق غير

مكتمل ، وقسم طبع بمد التحقيق الكامل والمقابلة بأقدم النسخ وأصحها ؛ مع براءة المحقق واضطلامه في موضوع للكتاب المحقق ، وهذا القسم الأخير هو القليل عددا والكثير فائدة .

وأما كتاب « بديع القرآن » هذا الكتاب الذي ندرس ونكمل تحقيقه في هذه المحاولة فهو كتاب حققه الأستاذ حفني محمد شرف ونشر عام ١٣٧٧ هـ ، ولما قرأت الكتاب وجدت فيه من الأخطاء ما يمتني على كتابة هذا المقال تكملة لتحقيقه ، فكم ترك الأول للآخر .

وقبل الخوض في البحث ، ينبغي أن نشير إلى موضوع الكتاب وأهميته وإلى مؤلف الكتاب وشخصيته :

أما موضوعه . فهو - كما يظهر من اسمه ، عرض لأنواع البديع التي وردت في القرآن الكريم ؛ ولا يخفى ما فيه من الأهمية ، لأنه وجه من الوجوه التي بها ينظر إلى أعجاز القرآن الكريم ، وهو المعروف بالأعجاز البياني . وقد اهتمت به الأدباء منذ المصور الإسلامية الأولى ؛ فنرى بعضهم قد تكلموا على بلاغة القرآن ونظمه العجيب وبيانه البديع (١) ، ولكن ليس بينهم قبل ابن أبي الأصبغ من خصص كتاباً بدراسة بلاغة القرآن ؛ فكتابه « بديع القرآن » يمد أول كتاب إفرده مؤلفه لهذه الدراسة ، ويعتبر الكتاب الوحيد الذي استخرج مؤلفه ما استطاع من آيات القرآن التي اشتملت على الوجوه البديعية ؛ وأنه كثيراً ما يعرض على القارئ أنواعاً بديعية عديدة تحويها ألفاظ قليلة من آية واحدة .

أما مؤلف الكتاب ، فهو أبو محمد زكي الدين عبد الحليم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري المعروف بابن أبي الأصبغ المدائني (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) (٢) ، كان أديباً شاعراً مفسراً ومتضلماً في علوم البلاغة ولا سيما البديع منها ، وهو صاحب الإبداع في فن البديع ؛ لأنه اخترع أنواعاً بديعية كثيرة أوردتها في آخر كتابه هذا « بديع القرآن » ، وفي كتابه « تحرير التعبير » ، وفي كتابه بديع القرآن لمحات دالة على أنه قد نال نصيباً من علم المنطق ، والكلام والفلسفة والحديث وبعض العلوم الأخرى .

وقد اعتمدت في تبیین موارد الغطاء وإيضاح الوجه الصواب على النص نفسه ، وأخذت الدليل منه عليه ، وربما استنبطت الصواب بمعونة القرآن المكتنفة بالنص أو بمراجعة بعض مصادر علم البديع ولا سيما « تحرير التعبير » الذي يعتبر أصلاً لهذا الكتاب (٣) .

وبعد هذا العرض الموجز عن بديع القرآن ومؤلفه نبداً ببحثنا عن نصه ، وبيان موارد الغطاء ووجه الصواب فيها :

مقدمة المؤلف ، وفي مساق الحديث عن أبواب الكتاب ، ص ١٥ جاء ما نصه :  
« ... فاستنبطت واحداً وثلاثين باباً » .

والوجه الصواب ينبغي أن يثبت « اثنين وثلاثين باباً » ، ودليل ذلك أن الأبواب التي أوردها المؤلف في آخر الكتاب ونسبها إلى نفسه هي اثنان وثلاثون باباً ، أولها باب التغيير ، من ٣٣ : وأخراها باب حسن الغاتمة .

### باب الاستعارة :

« في معرض الكلام على استعارة المحسوس للمعقول » ص ٢٢ ، س ٦ ، أتى النص كما يلي : « ٠٠٠ ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » (٤) فالاستعارة منه الزجاجة والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له [معقول] المكلفين . »

والصواب « ٠٠٠ (عقول) المكلفين » لأن معنى « المعقول » لا يتناسب وسياق الكلام إطلاقاً ، ويؤيد هذا الوجه ما جاء من لفظة « القلوب » بعد تلك العبارة ، التي يراد بها نفس معنى العقول : جاء بعدها : « والمعنى صريح » بجميع ما أوحى اليك وبين كل ما أمرت ببيانه ، وإن شئت ذلك على بعض القلوب فانصدعت » ونقل المحقق عن نسختي « ١ » و « ٢ » الوجه الذي استصوبناه .

### باب المذهب الكلامي :

« في معرض الحديث عن المذهب الكلامي الواقع من الآيتين الأوليين من سورة الكوثر » ص ٤٠ ، س ١٦ ، ورد النص كالتالي : « ٠٠٠ عطية الكوثر تعدل جميع العطيات ٠٠٠ وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات (لأنه <sup>يقطع</sup> أمر بالصلاة والنحر والصلوة جامعة لجميع العبادات ) فهي تعدل جميع العطيات ، وإنما قلنا ذلك لأن الأمور به جميع العبادات البدنية . »

ويلاحظ القارئ أن الكلام بهذا النظم لا يفيد المعنى ، وفيه قلق واضطراب : وإنما يعطي المعنى إذا أحرثت العبارة الموضوعة بين الهمالين إلى ما بين « جميع العبادات » و « البدنية » فينظم الكلام على الشكل التالي : « ٠٠٠ وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات فهي تعدل جميع العطيات ، وإنما قلنا ذلك لأن الأمور به جميع العبادات ( لأنه <sup>يقطع</sup> أمر بالصلاة والنحر والصلوة جامعة لجميع العبادات ) البدنية ٠٠٠ . »

### باب الالتفاتات :

١ - « في البحث عن أقسام الالتفاتات » ص ٤٤ ، س ١٢ ، جاء ما نصه : « ٠٠٠ أو الانصراف عن التكلم إلى المغاطبة كقوله تعالى : ٠٠٠ . »

والصواب « أو الانصراف عن التكلم إلى الأخبار » ودليله كلام المؤلف بعيد ذلك : « ثم قال منصرفاً عن التكلم إلى الأخبار ٠٠٠ » كما يشهد لذلك نفس الآية أيضاً .

٣ - أيضاً في معرض الكلام على الالتفاتات « ص ٤٥ ، س ١ ، جاء نص كالتالي : « ٠٠٠ أو الانصراف من التكلم إلى الأخبار كقوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ٠٠٠ وما ذلك على الله بعزيز . »

وكما يلاحظ القارئ ليست الآية مثالا لهذا القسم من الالتفات ، بل هي مثال  
للافتات من الضمير الى الاسم الظاهر .

### باب الكناية :

« في تعريف الكناية » ص ٣ ، س ٧ : عرف الكناية بالنص التالي : « هي عبارة  
عن تمثيل المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر وعن الفاحش  
بالمفيد ، هذا اذا قصد نزاهة كلامه عن المييب ( وقد يقصده بالكناية عن ذلك ) وهو  
ان يعبر عن الصعب بالسهل ... »

وعندي أن العبارة الموضوعة بين الهالين معرفة لأنها لا تفيد معنى لائقاً بموضوعها من  
الكلام . ويبدو أنها حُرِّفت عن « وقد يقصد بالكناية غير ذلك » .

### باب التشبيه :

« في بيان وجوه التشبيه » ص ٥٨ ، س ٣ : جاء النص في عبارة هي : « منها  
( اخراج ما تقع عليه العادة ) ... » .

والصواب ( اخراج ما لا تقع عليه العادة ) الى ما تقع عليه العادة [ ودليل ذلك  
تكرار النص بوجهه الصواب بعد ذكره بقليل .

### باب المساواة :

« في معرض الحديث عن المساواة الواقع في الآية الكريمة : ( وقيل  
يا أرض ... ) ص ٨٠ ، س ١٤ جاء ما نصه : « وذلك أنه لما قال سبحانه في  
أول القصة : « وكلنا سر » عليه ملا من قومه سخرؤا منه » (٦) ، وقال بعد ذلك :  
« ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » (٧) . »

ولا يستقيم المعنى الا اذا قلنا ان الآيتين وقع في نقلهما تعريف بتقديم المؤخرة  
وتأخير المقدمة : وذلك ان الآيتين متعاقبتان وهما بالترتيب : « واصنع الفلك بأعيننا  
ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » . ويصنع الفلك وكلما مر عليه  
ملا من قومه سخرؤا منه ... » .

### باب الايضال :

« في البحث عن الايضال الواقع في الآية الكريمة : « ولا تسمع الصم الدعاء ... » (٨) ،  
ص ٩١ ، س ١٤ ، جاء النص كالتالي : « ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - بذكر  
توليهم متمسكاً للمعنى في حال الغطاب » . »

والصواب » ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - [ أنهم صم لا يسمعون أراد ]  
بذكر ٠٠٠ » .

يلاحظ أن الكلام ناقص دون زيادة العبارة الموضوعة بين الهمالين ، وهذه  
الزيادة وردت في نص التحرير ، نفس الموضع ، ص ٢٣٥ .

#### باب الموازنة :

« في مرض التمثيل بالآية الكريمة : « ٠٠٠ إن ابنك سرق (١) » ص ٩٥ ، ص ٩  
جاء في شرح الآية على قراءة « سُرِقَ » ما نصه : « فان يوسف عليه السلام سُرِقَ  
ولم يسرق » .

والصواب « فان أخا يوسف عليه السلام ٠٠٠ » لأن المراد من « الابن » في الآية هو  
أخو يوسف لا هو نفسه .

#### باب الاستثناء :

« في توضيح الاستثناء الواقع في الآية « فاما الذين شقوا ٠٠٠ » ص ١٢٢ ، ص ١٨  
ورد النص كالتالي : « فانه سبحانه علّم أن أهبل الشقاوة الذين ٠٠٠ استثنى  
سبحانه ٠٠٠ » .

يلاحظ أن العبارة لا يوجد فيها ما به ترتبط جملة « استثنى بجملة « علم » مع  
ما نفهم من الكلام من معنى الترتيب فينصرف الذهن الى سقط أداة تربط الجملة  
الثانية بالأولى . وأسلوب المؤلف في الكتابة يرشدنا الى أن الأداة الساقطة لا تكون الا  
« لما » فأتى بها قبل « علم » فالصواب « فانه سبحانه [ لما ] علم ٠٠٠ » .

#### باب التوهيم :

« في توضيح الآية : قل تمالوا اتل ما حرم ربكم ٠٠٠ » (١١) .

١ - ص ١٣٣ ، ص ٥-٤ جاء ما نصه : « ولذلك عطف بشم دون حروف النسق » .  
والصواب « ٠٠٠ من بين حروف عطف النسق » كما نقل النص كذلك في أنوار  
الربيع ، ص ١٣٢ .

٢ - وأيضاً في نفس الباب والصيغة الواردة عبارة نظيرة العبارة السابقة ، وهي  
« فان شم دون حروف العطف » .

والصواب فيها نفس الصواب في سابقتها .

٣ - وأيضاً في البحث عن الآية السابقة ، ص ١٣٤-١٣٥ ، ص ٢١ ، جاء النص  
كالتالي : « فان قيل : فلم عدل من لفظ التأويل ، ولم لا جاء التنزيل به ، ولفظ



التأويل على ما بينتم ابلغ وأخصر ، به يرتفع الإشكال الوارد على ظاهر الكلام ؟ وتحريم الشرع هو أهم ما في هذه الوصايا ، فإن الإيمان أصل الدين وأساسه عليه تبنى هذه الوصايا وغيرها من الدين وتتفرع فروعه منه ، ولا جرم أنه قدم الاهتمام به ، فافتضت البلاغة التصريح بلفظ التحريم لذلك ، فإن قلت «...» .

يلاحظ أن الشرط لم يأت له جواب في مساق هذه العبارة الطويلة . فلا جرم أنه سقط من قلم النساخ أو سها عنه المؤلف ، وعلى أية حال ، لا يكون إلا و قلت « فيجب أن يزداد حيث تنتهي جملة الشرط ، والظاهر أنها تنتهي عند قوله « على ظاهر الكلام » فنزيد جملة « قلت » بعده ، وقبل « وتحريم الشرع » ، فيصير نظم الكلام على الشكل التالي : « فإن قيل : فلنم عدل ... على ظاهر الكلام [قلت ...] وتحريم الشرع ... » ، وبسبب أن صدر جملة الجواب سقطت منها علاوة على « قلت » أجزاء أخرى .

### باب نفي الشيء بإيجابه :

في الحديث عن الباب في قوله تعالى : « ألهم آمين ... » (١٢) ص ١٥٢ ، س ٥ ، ورد النص كالتالي : « فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح وباطن الكلام يقتضي ... » .

والصواب : « فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح [ولمزمومه يقتضي اثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح] وباطن الكلام يقتضي ... » ، والعبارة المثبتة بين المعقوفتين زنادها من التحرير نفس الباب ص ٣٧٧ .

### باب الاتساع :

ص ١٧٣ ، س ١٥ ورد الشطر الثاني لبنت شريح بن أوفى ، كالتالي :

« فهلا تلاقيل التقدم » .

والصواب : « فهلا تلاحميم قبل التقدم » كما ورد في التحرير نفس الباب ، ص ٤٥٦ .

### باب المجاز :

١ - « في بيان حذف المفعول » ص ١٨٨ ، س ١٢ جاء النص كما يلي : « وإذا كان كذلك قال : قد طلبنا مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده لم يوقع نفي الوجود على المشل وأوقعه على ضميره ... » .

والصواب : « وإذا كان كذلك [ فلو ] قال ... بزيادة « فلو » وبدونها تظل العبارة خالية عما يربط جملة « لم يوقع » بجملة « قال » ، ويبقى الكلام غير متماسك الأجزاء » .

٢ - « في بيان وجوه المفاضلة بين آية القصاص » وقول العرب « القتل أنفى للقتل » التي نقلها عن الاسام فخر الدين ص ١٩٣-١٩٧ ، وقت أخطاء عجيبة من التعريف والتقديم والتأخير ! هي كالآتي :

أ - في بيان الوجه السادس من كلام الإمام فخر الدين ، ص ١٩٣ ، س ١٠ ، جاء ما نصه : « وهذا الوجه أيضاً جيد » .

ليس هنا موضع هذا الكلام ، وليس قبله ما تشير إليه لفظة « أيضاً » بل موضعه حيث أعاد المؤلف ذكر الوجه السادس بصدد التعليق عليه ، ولمزيد الايضاح نورد تعليق المؤلف على الوجه الخامس وما جاء بعده بصدد التعليق على الوجه السادس - كي يتضح كيف وقع هناك فراغ ينبغي أن يملأ بكلامه هذا الذي أقيم أثناء الوجه السادس نفسه - ، جاء في التعليق على الوجه الخامس وبعبده على الوجه السادس ، ص ١٩٧ ، س ٧ ما نصه : « والوجه الخامس لمعري هوجيد لا مقال فيه ، وهو قوله : ان حروف القصاص حياة عشرة . وحروف كلامهم أربعة عشر حرفاً وهذا أمر معتبر في الابهاز ، والوجه السادس وهو قوله : انه ليس في قولهم : « القتل أنفى للقتل » كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع واحد ، بل كلها الا ذلك الموضع اسباب خفيفة أكثرها متواليه وذلك ينقصر من سلاسة الكلمة ، بخلاف قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » [ ١٠٠ ] .

فنلاحظ أن تعليق المؤلف هذا ناقص لا يتم الا بقوله : « وهذا الوجه أيضاً جيد » الذي أقيم أثناء ذكر الوجه السادس . زد على ذلك أن لفظة « أيضاً » في سياق الكلام هذا تجد مرجعها اللائق في الوجه الخامس .

ب - وفي كلام المؤلف نفسه على ترجيح آية القصاص ، وقع انفصال بين أجزائه وتقديم وتأخير فيها ،

وبيان ذلك أن معظم كلامه جاء مقحماً بين الوجه السادس والسابع من كلام الإمام فخر الدين ، وهو قوله في الصفحة ١٩٣ ، س ١٤ : « والذي يجب أن يرجح به نظم القرآن على نظمهم ما جاء في تلك اللفظتين من البديع الذي لم يأت في نظمهم على طوله بالنسبة : فانهما جاء فيهما المجاز والادماج ، والايضاح ، وحسن البيان ، والاراداف ، والطباق ، وإما الاراداف فان الأصل أن يقال : « موت القصاص حياة » فتجاوزت الحقيقة بحذف المضاف ، فجاء الاراداف مدمجاً في المجاز لأنه عبث عن المعنى بغير لفظة الموضوع له ، وإما الطباق ففي اللفظتين ، فان الحقيقة فيهما [ الموت المخصوص حياة مخصوصة ] وهذا طباق معنوي ( فهذه ستة أضرب من البديع في لفظتين عدة حروفيهما عشرة ) والايضاح فيهما فهو ايضاح ما على نظم العرب ...

فأنت ترى أن كلام المؤلف هنا لم يتم بعد ! لأنه فصل ما أجمل بيانه من المجاز والادماج ، والاراداف ، والطباق ، ولم يتم تفصيله حول الايضاح ولم يرد شيء من التفصيل حول حسن البيان ، فنبحث عن تفصيلهما ، فنجد في آخر الفقرة الأولى ،

ص ١٩٧ ، ص ١٢ ، وهو قوله : « ... الإشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد بظاهره وحسن البيان من حيث أن السامع يفهم منه المعنى المراد من غير مراجعته بخلاف الأول [٥٠٠] والله أعلم . »

ولكي يمكننا ضم الجزء الأول من كلام المؤلف الى الجزء الثاني الذي انفصل عنه ، يجب أن نزيد كلمة « من » بينهما ؛ لأنها هي التي تربط الجزء الثاني بالجزء الأول . وهنا ينبغي الانتباه الى أن الجملة المشبهة بين الهلالين في الجزء الأول من كلامه ، وقعت في غير موقعها ، ويجب أن تثبت حيث فتحنا لها المعقوفتين في الجزء الثاني .

فبعد ما شرحناه من ضم الجزء الأول الى الثاني ، وردت الجملة المتقدمة عن موضعها الى مكانها ينظم كلام المؤلف على الشكل التالي : « والذي يجب أن يرجع به نظم القرآن ... » .  
ايضاح ما على نظم العرب [من] الاشكال من جهة انه لا يدل على المعنى المراد ... بخلاف الأول [فهذه ستة أضراب من البديع في لفظتين عدة حروفهما عشرة] والله أعلم .

ونظم الكلام يقتضي أن يثبت كلام المؤلف هذا بعد انتهائه من التعليق على الوجوه المذكورة للامام فخر الدين ، لا متوسطاً ومترضاً بين تلك الوجوه .

ج - وفي كلام المؤلف على الوجوه السبعة ، ص ١٩٥ ، ص ١٥ ، جاء ما نصه :  
« وفي هذه الوجوه السبعة مقال اذا لا يسلم منها الا الأول » .

ولا شك أن الكلام اما وقع فيه الخطأ من قبل النساخ أو اختلط الأمر فيه على المؤلف نفسه ؛ لأن مفهومه يخالف ما يورده من الاشكال على الوجه الأول ، وما ينص عليه من تأييده للوجهين الخامس والسادس .

د - ويبدو من قول المؤلف : « وفي هذه الوجوه السبعة مقال » أن كلامه حول الوجه السابع سقط من المتن .

٣ - في معرض الكلام عن الإيجاز المختصر ، ص ١٩٨ ، ص ١٧ جاء ما نصه :  
« فان قوله هذا تأويل رؤيائي من قبل » حتى « وخرروا له سجداً » مقتضراً ...

والصواب : « فان قوله » وخرروا له سجداً « حتى » هذا تأويل رؤيائي من قبل » مقتصر (أو جاء مقتضراً) .

#### باب الإيضاح :

في شرح الإيضاح الواقع في الآية « إن الله فائق الحب والنوى » (١٢) ، ص ٢٤٩ ، ص ٤ ، جاء ما نصه : « ويجب أن يقتصر على ذكر الحب دون الشئ » .

والصواب : « ... أن لا يقتصر ... » .

## باب الافتنان :

« في بيان الجمع بين التمزية والتهنئة » ص ٢٩٨ ، س ١٥ جاء ما نصه : « وأما قول أبي نواس ... » .

ولا يوجد لأما هذه جواب بعدها ولا توجد قرينة تدل على حذفه ، فلا بد من القول بأنه سقط من النص ، وقد يكون عبارة كالمبارة التالية : « أما قول أبي نواس ... » [فأحسن شعر فتن فيه بالجمع بين تهنئة وتمزية] وقد زدناها هنا عن التحرير (نفس الباب ونفس الموضع ص ٥٨٩) ووقعت هناك كمبتدأ للكلام .

## باب المقارنة :

« ص ٣١٩ ، س ٧ » جاء النص كما يلي : « فان هذا الشاعر قرن الاستعارة ... » .  
والصواب : « قرن الاستعارة [بالتشبيه] » بزيادة بالتشبيه وبدونها لا يتم الكلام .

## باب الانفصال :

١ - « في ايضاح الانفصال الواقع في الآية » وما سن دابة ... (١٤) « ص ٣٢٧ ، س ٤ ، جاء ما نصه « لأنه لا يطلق الجناح حقيقة الا على العضو الذي ليس له ريش ... » .  
وانما يصح النص بخذف « إلا » أو « ليس » وهذا معلوم لا خفاء فيه .

٢ - « في بيان الانفصال الواقع في الآية » ... فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحجج « ص ٣٣٨ ، س ١٢ ورد النص كما يلي : « فانه يقال لم خصص هذين الحرفين ... » (ويقال) : ان النعاة ... » .

والصواب : « فانه يقال لم خصص ... » (ولا يقال) ان النعاة ... » وقد اشتهر الأمر على المحقق حيث أثبت الوجه الخطأ في النص وأورد الصواب في العاشية ، وخطأه بقوله : « وهي مفسدة للمعنى ؟ »

هنا ينتهي ما قصدت ايضاحه من مواضع الخطأ التي وجدتها في كتاب « بديع القرآن » ، وحاولت أن أبين وجه الصواب قدر المستطاع « ولا يكلف الله نفساً الا وسعها » .

وبقي موارد من الخطأ لا أرى من الضروري اثباتها ؛ لأنها من الواضح بدرجة لا تحتاج الى اقامة دليل . فنثبت هنا وجه الصواب مشيرين الى موضعها من الأبواب والصفحات والسطور :



الباب	الصفحة	السطر	الغطاء	الصواب
الاستعارة	٢٦	٦	المستعار	المستعار له
الطباق	٣٥	٣	معنويًا	معنويًا
الالتفات	٤٣	٣	مِنْ حِجْرٍ	مِنْ حِجْرٍ
التعشيب	٥٨	٦	وقد أصبحتا	وقد اجتمعا
التعشيب	٥٨	١٣	وقد اجتمعا	وقد اجتمعا
صحة التفسير	٧٦	١٥	كما	كلّما
الاشارة	٨٢	١٦	قَاتِلُهُمْ	قَاتِلُهُمْ
باب اختلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام	٨٩	٤	في موضوعها	في موضوعها
التمطّف	٩٧	٢	المشاركة	المشاركة
التقويف	٩٩	١٨	والاعتراف	الاعتراف
الغورية	١٠٣	١١	أَنْ يَسْتَسِي	أَنْ يَسْتَسِي
القسم	١١٢	٩	القسم عليه	القسم عليه
الاستدراك والرجوع	١١٨	٧	من القتل والرّمي	من القتل إلى الرّمي
الاستثناء	١٢١	٩	ولأنّ	ولأنّ
التوهم	١٣٤	١١	لا هذا	لا هذا
التوهم	١٣٥	٧	ألاّ تشاركوا	أنّ تشاركوا
التكميل	١٤٤	٤	موجب	موجب
المناسبة	١٤٦	١٠	الباب الابصار	اولى الابصار
القدييل	١٥٧	١٤	واحدما	واحدما
القدييل	١٥٨	٢	ولي ذكر البيتين	ولي عَجَزَ البيتين
القدييل	١٥٨	١٤	من المواضع الاول	من المواضع الاول
براعة التخلص	١٧١	١٨	وغيرما	وغيره منّا
الاجاز	١٨٤	١٨	ايجازهما	اتجازهما
الاجاز	١٨٥	١٠	الزّلفت	الزّلفت
الاجاز	١٨٧	١٥	اكرمتي	اكرمت
الفتكيت	٢١٥	١٣	الرّابع	الواقع
الفتكيت	٢١٣	٥	وقلوا	تفاوتوا
التدريج	٢٢٤	٨	التحويل	التحويل

البسب	الصفحة	السطر	الغطسا	الصواب
البسط	٢٥٦	٧	العاملين	العالمين
العنوان	٢٥٨	١٢	الكتاب	البسب
الايضاح	٢٦٩	٤	ان يقتصر	ان لا يقتصر
الايضاح	٢٦٤	١٣	الى مَنْ	الى ان مَنْ
الايضاح	٢٦٤	١٥	دون حروف النسق	دون بقية حروف النسق
الايضاح	٢٧١	١٢	اكل بيته	اكل من بيته
الايضاح	٢٧٤	٥	في جزء	في جزء
الايضاح	٢٧٦	١٢	عن قولهم	مَنْ قولهم
النزاهة	٢٩٤	١٠	ليبقى	ليبقى
الافتنان	٢٩٩	١٣	ومشى	وما مشى
المراجعة	٣٠٢	٤	باستخلاصه	باستخلاصه
التفريق والجمع	٣١٣	١٦	كلثما	حتى اذا
حصار الجزئي والعاقه	٣١٨	٢	يوم القيامة	يوم لقائه

انتهى بمون الله تعالى

د. علي مبرورحي فلاورجاني

مدرس قسم اللغة العربية  
كلية اللغات بجامعة اصفهان

★ ★ ★

## □ العواشي :

- ١ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بديع القرآن ص ٤٠
- ٢ - راجع مقدمة المحقق لكتاب بديع القرآن ص ٦٧
- ٣ - راجع مقدمة المؤلف ص ١٥
- ٤ - سورة الحجر : ١٥ ، آية ٩٤
- ٥ - سورة هود : ١١ ، آية ٤٤
- ٦ - سورة هود : ١١ ، آية ٣٨
- ٧ - سورة هود : ١١ ، آية ٢٧
- ٨ - سورة النمل : ٣٧ ، آية ٨٠
- ٩ - سورة يوسف : ١٢ ، آية ٨١
- ١٠ - سورة هود : ١١ ، الآيات من ١٠٦ - ١٠٨
- ١١ - سورة الانعام : ٩ ، آية ١٥١
- ١٢ - سورة الاعراف : ٧ ، آية ١٩٥
- ١٣ - سورة الانعام : ٩ ، آية ٩٥
- ١٤ - سورة الانعام : ٩ ، آية ٣٨

## الشعر المعرني الحديث والتراث

# القرآن الكريم

## دراسة في التناسق

د. عبد النبي مصطفى

□ مقالة :

يستطيع المتأمل في طبيعة الأدب العربي الحديث أن يقع فيه على نوعين من المكونات Constituents : داخلية وخارجية : داخلية Internal تشمل البنى Structures اللغوية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية - هذه البنى التي يشكل مجموعها السياق Context الذي يحكم إنتاج هذا الإنشاء Discourses اللغوي الذي توظف فيه اللغة على نحو خاص؛ وخارجية External تشمل البنى المتنوعة المتصلة بواقع المواجهة مع أوروبا والعالم بشكل عام - هذه المواجهة المتعددة الوجوه والأبعاد ، والتي تنعكس عادة في الإشارات الضمنية : Implicit والصريحة Explicit ، الثقافية وسواها، إلى هذا المكون الخارجي ، والتي تنعكس من قبل المعنيين بالأدب المقارن بصفتها مؤثراً اجنبياً له دور معين في حفز أنماط Modes من التغيير على مختلف المستويات في هذا الأدب .

وإذا ما رغب المرء في التركيز على واحد من المكونات الداخلية هو اللغة ، فإنه يمكن

★ النفاذ ، أو تفاعل النصوص ، ترجمة لمصطلح Intertextuality .

★ عبد النبي مصطفى هو مدرس النقد الحديث ( العربي والأوروبي ) في جامعة دمشق ، ومدرس مشارك لمادتي الأدب المقارن و النقد الأدبي في قسم اللغة الانكليزية في جامعة البعث في حمص . حصل على درجة الدكتوراة في النقد المقارن ( عربي - أوروبي ) من جامعة أكسفورد ، وله مساهماته المعروفة في مختلف المؤسسات الجامعية والثقافية والإعلامية . نشر أكثر من مائة وخمسين بحثاً ودراسة ومقالة وترجمة باللغتين العربية والانكليزية في دوريات القطر العربي السوري والوطن العربي وأوروبا ، وحضر العديد من المؤتمرات المتعلقة بعقل تخصصه داخل القطر وخارجه .

أن يشير إلى أن هذه اللغة بالنسبة إلى منشئها هذا الأدب العربي الحديث ليست مجرد نظام لسوي Langue يحكم إنتاج انشائه الفردي Individual discourse ويكفل له الوصول إلى الآخرين وحسب ، بل هي أيضاً أداة للتفكير لها إجراءات وعادات وأعراف معينة تفرض نفسها على مستخدم هذه اللغة . وفوق هذا وذاك ، أن اللغة هي الأداة الأهم من غيرها التي تتجلى من خلالها الثقافة الموروثة لمن يستخدم هذه اللغة . أن ممارسة أية لغة لا يعني مجرد استخدام أداة توصيل وتفكير فقط ، بل أنه يتضمن أيضاً استيعاباً لجملة متفاوتة من الثقافة التي دونت فيها . بل أن عملية الاستيعاب هذه تتأثر وتتوثر بمدى استيعاب مستخدم اللغة لها ، حتى أن المرء ليخال أنهما عملية واحدة ، أو أنهما وجهان لعملة واحدة تستهدف استيعاب العالم فينا ومن حولنا ، وإدراكه ، وأسرره ، والتحكم فيه .

إن التكوين الثقافي Cultural formation للأدب العربي الحديث يشمل - دون شك - عناصر متنوعة جداً . ولكن ليس ثمة من يماري في أن موروثه الثقافي الذي ينتقل إليه عبر اللغة كما تقدم ، والتي هي من الناحية العملية بالنسبة له على الأقل مجموعة نصوص Texts أدبية وغير أدبية من مختلف المصورات ووجهها هذا الأدب في مختلف مراحل تكوينه الثقافي . أن القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي من الجاهلية إلى العصر الحاضر ، ونصوص التاريخ العربي ، والقصص ، والفكر في مختلف تجلياته ، هي مكونات صغرى لهذا العنصر الذي يتسرب إلى خلفية الأدب الثقافية عن طريق اللغة ، ويتجلى فيما بعد في الانشاء الأدبي نفسه ، في النص الذي ينشئه والذي هو في الحقيقة تراكم نصوص سابقة .

ومعنى هذا أن دراسة مجدية للأدب العربي الحديث لا يمكن أن تتم دون أخذ دور هذا المكون Constituent الداخلي بعين الاعتبار . والواقع أن هذه الدراسة ينبغي أن تشمل الجوانب التالية :

- ١ - تحديد الشكل الذي يتجلى به هذا المكون الداخلي في النص الجديد أي في الانشاء الأدبي العربي الحديث .
- ٢ - بيان أصوله من جهة ، والتحولات التي طرأت عليه في النص الجديد من جهة أخرى .
- ٣ - ربط هذه التحولات بالوظيفة الجديدة التي أسندت إليه في معرض انتاج الدلالة الكلية للنص الجديد .
- ٤ - الحكم على أهمية هذا المكون الداخلي من خلال تقويم مدى حيوية الوظيفة التي يؤديها في السياق الجديد .

وربما كان من الهام هنا التأكيد على أن دراسة هذه الجوانب ينبغي أن تتم في إطار الدراسة الشاملة للنص الجديد - هذا الإطار الذي تحدده بشكل عام طبيعة هذا النص .



وما دام هذا اللون من الدراسة لا يزال في مراحله التكوينية الأولى ، وفي طور التجريب ، فإنه ربما كان من الأفضل أن يبدأ المرء ببعض النماذج التطبيقية التي ربما توضح بعض هذه الجوانب المشار إليها آنفاً . وقد تم اختيار نص للسياب أحد أعمدة الشعر العربي الحديث لبيان جوانب تأثير النص القرآني فيه ، ومدى افادة السياب منه . وربما كان من لوازم فائدة دراسة كهذه زعزعة رأي ساد الكثير من دراسات السياب ، وهو أنه مدين أساساً في شعره للمؤثرات الأجنبية التي كانت وراء ما فيه من عبقرية .

★ ★ ★

□ القصيدة - النص الجديد :

لاني غريب

لأن العراق الحبيب

بعيد ، واني هنا في اشتياق

اليه ، اليها ... أناذي : عراق

فارجع لي من ندائي نجيب

تفجر عنه الصدى

احس بانني عبرت المدى

الى عالم من ردى لا يجيب

ندائي ،

وما هزرت الفصون

لما يتساقط حجر الردى :

حجار

حجار وما من ثمار ،

وحتى الميون

حجار ، وحتى الهواء الرطيب

حجار ينديه بعض الدم

حجار ندائي ، وصخر فمي

ورجلاني ريح تجوب القفار

## □ التعلييل :

مهما اختلفنا حول طبيعة الأدب ، أو حول ما يشكل أدبيته - على حد تعبير رومان جاكسون - فإن ثمة إجماعاً على أنه انشاء لغوي توطف فيه اللغة توظيفاً خاصاً ، وهو بمعنى ما نسيج مؤلف من خيوط متنوعة ، مختلفة الشببات والألوان ، والجيد منه نسيج محكم غاية الأحكام ، يصعب تمييز خيوطه المكونة ، وإن كان بالطبع لا يستحيل .

وإذا كان الأدب نسيجاً ، فإن دراسته تفسد وتفكيكاً لهذا النسيج من أجل تبين مكوناته . فالنص ، أي نص ، هو انشاء في نهاية الأمر ، حصيلة تراكمات لنصوص مختلفة في مخزون النشء الثقافي . ومعنى ذلك أن من ضمن مهام الناقد معرفة الطريقة التي تراكت فيها هذه النصوص لتكون فيما بعد النص الجديد .

والحقيقة أن لكل نص مفتاحاً رئيسياً يمكن من خلاله الوقوع على النقطة الحساسة التي تمكن القارئ - والناقد قارئاً معتمداً - من وضع يده على مكوناته ، خيوطه ، عناصره التي تراكت وكونت النتاج الجديد . اذتداد تتجمع في هذه النقطة - نقطة الفك - نهايات الخيوط المشكلة للنسيج . ومن هنا كانت أهمية وضع اليد على هذه النقطة إذ دونها يستفلق النص ، ويحجب دلالاته الأساسية عن مستهلكه ، أو تنعدم عملية التواصل بينه وبين القارئ ، فينصرف الأخير عنه انصراف اليأس ، المتشكك ، الزاهد أحياناً . وبالطبع فإن هذا يحمل خطراً ما بعده خطر على عملية الانتاج الأدبي ، فالأدب في النهاية انتاج بحاجة الى مستهلك مهما كان شأنه . ولعل إحدى أهم وظائف الناقد تسهيل عمليتي انتاج الأدب واستهلاكه وتطويرهما باستمرار .

\*\*\*

وإذا ما حاول قارئ قصيدة السياب «لأنني غريب» أن يلج الى عالمها ، أن يقع على مفتاح يكشف له دلالتها الأساسية ، فإنه ربما وجد في موقف القطيعة ، الذي تحمله الغربة ، مع الآخر والعالم ، النقطة الحساسة التي تتجمع فيها نهايات خيوط نسيج القصيدة .

ثمة انقطاع عن الآخر (وطننا وحبيبة - واني هنا في اشتياق اليه ، اليها...) ، وهناك سافة فيزيائية ونفسية بين أنا الشاعر والآخر الذي يهمه شأن التواصل معه . الشاعر كما تذكر كتب السيرة المتعلقة به كان في بيروت للاستشفاء (١) . ومعنى ذلك أن حاجته الى التواصل مع الآخر تتكثف ، تتركز ، فالمرض ضعف ، شعور بالعجز وبالحاجة الى الآخر ، والغربة كذلك ضعف ، شعور بالعجز والحاجة الى الآخر . وعندما يتزامن ، يتكثف الحنين نحو الآخر ، ويتجمع في بؤرة تصدر عنها هذه الصرخة الضارمة :

أنادي : هراق

ولكن ما هي حصيلة هذا التمدد باتجاه الآخر ، وهذا النداء الحار له . انها النحيب ،

رجع الموت ، رجع عالم من ردى لا يهيب النداء . وهكذا يتمق الشعور بالقطعة ، ويكتسب مأساوية جديدة تضاف الى مأساوية الموقف الاساسي (تزامن العربة والمرضى) .

ان الشعور بالانقطاع عن الآخر (وطنيا وجيبيا) واستحالة التواصل معه بسبب سيادة الموت ، يضع الشاعر في موقف يشبه الى حد كبير موقف السيدة مريم التي تدرج انقطاعها عن الآخر ، على نحو مماثل .

ولنقرأ ما ورد من آيات كريمة بشأنها . يقول الله عز وجل :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا \* خلت تحتها من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا \* قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا \* قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا \* قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان اسرا مقضيا \* فحملته فانتبذت به مكانا قصيا \* فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا \* فتادها من تحتها الا تعزنى قد جعل ربك تحتك سريا \* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رعبا جنيا \* فكلى واشربى وحزى حيسا ٠٠ » (٢)

والحقيقة أن نقاط التشابه في المواقف لا تقتصر على الانقطاع عن الآخر ، ذلك الانقطاع المكثف تدريجياً (السيدة مريم تنتخب من أهلها مكاناً شرقياً ؛ وتتخذ من دولهم حجاباً ؛ وتنتخب يمسد حملها بجنتيتها مكاناً قاصياً ؛ والسياب ينقطع عن الوطن والعبيبة لغربته ؛ وينقطع عنها بضعفه وعجزه لمرضه) ، بل تشمل كذلك حضور الموت (السيدة مريم تمنى لنفسها ، هو شفاء ذاتها الوعيد(٣) ، والسياب يضرع الى عالم من ردى لا يوجب ، وهو الى جانب ذلك يرقب في مرضه شبهة الذي يلوح في الأفق القريب) . وأهم من ذلك كله مأساة الموقف نتيجة تمسك الشعور بالحاجة الى الآخر من ناحية ، وسعفة استحالة تواصل كهذا من ناحية أخرى بسبب طبيعة الظرف الخاص بكليهما (البعد الفاصل بين يروت وبغداد لدى السياب المريض العاجز ، والعمل غير المهود ، والذي لا سبيل الى تفسيره هو حقبة التواصل مع الآخر لدى مريم) .

مهما كان الأمر فان لمعاناة السيدة مريم نهاية ممكنة ، هي ولادة السيد المسيح الذي  
 سيقوم بشرح كل شيء ، وبذلك يهيد قنوات التواصل بين أمه والآخر . وفوق ذلك فانه  
 بمجرد ولادته سيعمل عزاء من نوع ما للسيدة مريم . ومعنى هذا أن ثمة ما يمكن أن نتعظده  
 في المستقبل القريب ، وفي هذا عون من نوع ما على تحمل ما هي فيه . ولكن يبدو أن ذلك  
 كله لم يكن كافياً للأطمنشان من السيدة مريم بالنسبة للخالق الرحيم وهكذا تادأها مناد  
 من تحتها ألا تعزني قد جعل ربك تحتك سرى \* وهزي اليك بجذع النخلة تساقط  
 عليك رطباً جنيهاً \* فكلى واشرىي وقرىي ههنا \* .

إن لحظة حضور الموت الممكن (الموت المرغوب فيه شفاؤه لدى السيدة مريم ، والموت المتأدى ، والمهدد لدى السياب) جعلت السياب مباشرة يفكر في هزّ الفصون الذي قد يحمل له بعض ما حملته للسيدة مريم، وثمة ما يجعل هذا المؤمل أقرب وأدنى فهو محمول على الفصون وهزها أسهل وثمرها أقرب متناولاً . أن مأساويه موقف السياب التي تضارع إلى حد بعيد مأساوية موقف السيدة مريم الجأته إلى الأمل الوحيد المتاح أمامه ، خاصة أنه لم يناده منادٍ يطعمه ، أو يشير عليه بهز الفصون . وهكذا كان ، هزّ السياب الفصون طمعاً في الرطب الجني ، في أن يأكل ويشرب وتفسر عينه . ولكن ماذا كانت العvisلة ؟

إنها لم تكن غير تعميق مأساة الانقطاع عن الآخر ، إذ هو غير موجود . ليس هناك غير العجارة ، الثمار حجارة ، والعيون حجارة ، والهوام الرطب حجارة ، ونداؤه كذلك حجارة ، بل إنه ليس ثمة من دلالة على وجود حياة ما في هذا الدفق من العجارة غير بقايا الدم - دمه هو ، دليل الجرح ، دليل المأساة . وهكذا يسود التعجر ، والإفقار ، كل ما يحيط بالسياب ، وقد كان يطمع في الرطب الجني ، في أن يطعم ويشرب ، وفي ولادة تحمل معها السلام ، وقرارة النفس ، وطمانينتها وسكينتها . إن حس مأساته يتمم ، فهو مشرف على الموت ، وهو لذلك أقرب إلى عالمه وما فيه ومن فيه ، من هذا العالم الحي بما فيه ومن فيه .



إن قصيدة السياب ، كما يلاحظ القارئ ، تبدأ بذرة هي لحظة الانقطاع عن الآخر وطناً وحبيبة . ومع نمو القصيدة تتسع اللحظة ويتمم الإحساس بها ، حتى إن الشاعر لا يكاد يظهر بالصدى ، برجع نداءه ، إذ لا يأتيه إلا النحيب الأتي من عالم الموت ، متمدداً هو أيضاً باتجاهه ليأتي عليه بشكل أو بآخر .

وكأخر سهم في جعبة الشاعر الذي يصارع الموت ، يهز الفصون ، وبدلاً من الرطب الجني ، والطعام والشراب والسكينة ، تأتيه العجارة التي تنهال على رأسه وتتندى بدمه ، ويكاد الكون كله يتعجر ، يتحول إلى حجارة (هي المعادل الموضوعي لانعدام استجابة الآخر ، ليقينية القطعية بينه وبين الشاعر) تجسد الانقطاع وتشير إلى استحالة التواصل .

وربما كان من أهم ما يلتفت النظر في هذه القصيدة هو الاستخدام المبكر للصورة القرآنية . والواقع أن السياب طورها تطويراً عملياً عليه موقفه هو ، ويحاول أن يزيل حجاب الألفة عنها ، ويخون بذلك توقعات القارئ ، وبالتالي يقدم له في النهاية صورة جديدة على نحو مثبّر . أنه يكاد يفجرها حيوية وطاقات تعبيرية ، بل يجعلها محوراً للقطعية التي تحيط به ، إذ تجسد ما يبدو في ظاهره الطريق إلى نقيض هذه القطعية ولكنها ترد في النهاية لتصبح أقصى المتطرف في عملية التواصل السلبي بينه وبين الآخر . إن الإنسان

ليحن شوقاً ، وهذوب وجداً نحو الآخر ، وأنه ليضرع اليه ، وأقصى ما يمكن أن يتوقعه من سلبية منه هو الصمت المميت القاتل . ولكن أن يلقاه بالحجارة التي تتراكم عليه ، وحوله ، حتى لتكاد تأتي على الكون كله ، لذلك تواصل هو في جوهرة قمة القطيعة ، تكثيفها ما بعده تكثيف ، وتركيز إلى الدرجة القصوى التي ما بعدها تركيز . هكذا تنمو القصيدة ، وهكذا تتمق القطيعة حتى تشمل الكون ، ويقف الشاعر وحيداً ، ويفرق فرقا شديداً ، وتتحول رجلاه إلى ربح تجوب القفار .

جامعة دمشق  
أيار ١٩٨٥

\* \* \*

□ هوامش :

١ - انظر :

• عبد الكريم حسن ، الموضوعية البنيوية : دراسة في شعر السياب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ص ( ٣٨٦ - ٣٨٤ ) • و

• احسان عباس ، بدر شاكر السياب : دراسة في حياته وشعره ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ص ( ٣٦٧ - ٣٦٥ ) •

٢ - القرآن الكريم ، سورة مريم ، الآيات ( ١٩ - ٢٩ ) •

٣ - اشارة لقول المتنبي :

كلني بك هاء أن ترى الموت شافيا وحسب المناسبات أن يكن أماسيا

\* \* \*

# في التعريب و «المعرب»

وهو المعروف بـ «حاشية ابن بري على كتاب «المعرب»

لابن الجواليقي

بتعقيق الدكتور ابراهيم السامرائي

صلاح الدين الزعبلاني

- ٤ -

وجاء في الكتاب ( ص / ٣٥ و ٣٦ )

قال أبو منصور : و ( إرمينية ) (١) كذلك . وكان القياس في النسب اليه ( إرميني ) ، إلا أنه لما وافق ما بعد الراء منها ما بعد الحاء من ( حنيفة ) حذفت الياء كما حذفت من ( حنيفة ) في النسب وأجريت ... مجراها في ( رومي ) و ( روم ) و ( سيني ) و ( سندر ) أو يكون مما غير في النسب (٢).

قال ابن بري : شاهد ( إرميني ) قول سيثار (٣) [ من الطويل ]

ولو شهدت أم القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمني لرنث

ويعني أن الياء في ( رومي ) للفرق بين الواحد والجماعة ، كتمر وتمررة (٤).

وقال ابن بري أيضا : انه لما كانت الياء مع الميم المكسورة قبلها بمنزلة الياء مع ( حنيفة ) مع النون المكسورة قبلها . وكان ما بعد النون من ( إرمينية ) ياء النسب المنزلة منزلة تاء التأنيث التي بعد الفاء من ( حنيفة ) نزلت منزلتها في حذف الياء منها وصح ما قبلها ، فقل ( إرميني ) كما قيل ( حني ) . والياء في ( إرمينية ) هي عنده مخففة من ياء النسب كما أن الياء في ( انطاكية ) والالف (٥) في ( يمان ) للنسب ، وإن لم يكن في معنى نسب .

١ - فات المحقق أن يحكم ضبط ( إرمينية ) فقد أثبتها بكسر الهمزة وضم الراء . ولعل الغلط خطأ في الطبع سها المحقق من تصحيحه . ( إرمينية ) في «المعرب» ( المطبوع ١٩٤٢ )

بكسر الهمزة وسكون الراء وتغفيف الياء الثانية ، وهي كذلك في ادب الكاتب وتقويم  
اللسان . وحكى ياقوت فيها جواز فتح الهمزة ، كما حكى القاموس جواز تشديد  
الياء .

قال المحقق : ( المغرب / ٢٩ ) . ونص الخبر فيه كالنص الذي أثبتناه ، وهو في الأصل .  
ولا أرى من صلة بين الكلام على ( إرمينية ) و ( حنيقة ) في مسألة النسب اليهما ، وبين  
قول ابن الجواليقي . . . وأجريت مجراها في ( رومي وروم ) و ( سندي وسند ) . . .

أقول : اني للمحقق ان يتبين معنى ما قاله الجواليقي وهو لم يحاول ان يضبط  
النص الوارد في الأصل ، ويعارض ما بينه وبين ما جاء في ( المغرب / ٢٩ ) . فقد زعم  
ان النص في المغرب كالذي أثبتته في الأصل ، وليس الأمر كذلك . فقد سقط من الأصل  
بعد قوله ( وأجريت . . ) عبارة لو أثبتت لاستبان من المعنى ما لم يتبين . اذ جاء في  
المغرب ( وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تاء الثانية في حنيقة كما أجريت مجراها  
في رومي وروم وسندي وسند . . ) وهذا ما جاء في حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) وفي  
معجم البلدان لياقوت وفي التاج . ولا فارق فيما جاء بين هذه المظان ، من ذلك ، فمرآن  
نص المغرب ( كما أجريناها مجراها ) بدل ( كما أجريت مجراها ) في نص المخطوط ،  
وبدل ( كما أجرينا مجراها ) في معجم البلدان والتاج . وغريب على هذا ، ان  
يمضي المحقق في التعقيب على النص فيقول : ( ولا أدري صلة بين الكلام على إرمينية  
وحنيقة في مسألة النسب ) قبل ان يقف على معناه . وسياقي تفسير قول أبي منصور  
وتعقيب ابن بري على ذلك مفضلاً فيما بعد .

٣ - قال المحقق : البيت في معجم البلدان غير منسوب ، والرواية فيه : ولو شهدت  
. . . طماننا .

أقول : لم يأت ( طماننا ) في معجم البلدان كما ذكر المحقق ، ولعله رأى في مرجع آخر ،  
وهو غريب على كل حال . وجاء صدر البيت في الأصل ومعجم البلدان ومعجم ما استمعهم واللسان  
( ولو شهدت أم القديد طماننا ) ، وقد نسب البيت في هذين الى سيار بن قصير الطائي .  
وجاء عجز البيت فيما عدا الأصل ( بمرعش خيل الأرمني أرثت ) ، وجاء في الأصل  
( لرثت ) .

وتفسير البيت ان أم القديد لو شهدت طماننا لغيل الأرمني بمرعش لأرثت ، أي  
صاحت .

وفي اللسان : رنت ترن رنيناً ورنت ترن ترينياً ، وأرثت : صاحت .

٤ - أقول فعوى كلام أبي منصور ان الأصل في النسبة الى ( إرمينية ) كما قال  
أبو علي ، ان تثبت الياء الأولى ، لكنهم حذفوا هذه الياء فقالوا ( أرمني ) والعقوا بذلك  
فتح الهمزة والميم . وعلل ذلك بان ( إرمينية ) قد شبه ب ( حنيقة ) . فوافق ما بعد الراء  
في الأولى ما بعد العاء في الثانية ، فحذفت الياء الأولى من ( إرمينية ) كما حذفت ياء  
( حنيقة ) .

**يقول أبو منصور :** ( وأجريت ياء النسب في إرمينية مجرى تام التانيث في حنيفة كما أجريت مجراها في رومي وروم ) . والمقصود بهذا أن ياء النسب أنزلت منزلة تام التانيث . وقد مثل لذلك بموضمين : الأول حين حذف ياء النسب في ( إرمينية ) وهي الياء الثانية المخففة ، كما حذفت تام التانيث في حنيفة ، عند النسب اليهما . وذلك كما لو نسبت إلى ( شافسي ) و(طلحة) فانك تحذف ياء النسب المشددة في الأول ، كما تحذف التام في طلحة . أما الموضع الثاني فإن ياء النسب في ( أرمني ) قد أنزلت أيضاً منزلة تام التانيث حين دلت على الواحد ، وكان ( أرمن ) يدل على الجماعة . وكذلك رومي وروم وسندي وسند . وقد جاء ذلك في كثير من المظان .

**قال الجوهري في الصحاح** ( يقال رومي وروم مثل زنجي وزنج ، فليس بين الواحد والجمع إلا الياء المشددة ، كما قالوا ثمرة وثمر ، ولم يكن بين الواحد والجمع إلا الهاء ) . وجاء ابن سيده في المخصص ( ١٠١/١٦ ) بكلمة وكهم . وأشار إلى أن الأول يدل على الواحد ، والثاني على الجمع ، وقال : ( وجرى مجرى تام التانيث في هذا ياء النسب فقالوا : زنجي للواحد ، وزنج للجماعة . وعلى هذا قالوا رومي وروم وسندي وسند ) .

**وقال أبو منصور :** ( أو يكون ما عيثر في النسب ) وتام النص في معجم البلدان والتاج ( أو يكون ذلك مثل بدوي ونحوه ما غير في النسب ) . والقصد أن قولك ( أرمني ) في النسب إلى ( إرمينية ) أما أن يكون على حنفي وحنيفة ، أو يكون ما عيثر في النسب كبدوي في النسبة إلى البادية ) .

والنسب إلى ( إرمينية ) : أرمني يفتح الهمزة والميم مع شكون الراء ، كما جاء في الصحاح واللسان والتاج ، وجاء في أدب الكاتب بكسر الهمزة والميم ، وهو في معجم البلدان يفتح الهمزة وكسر الميم .

٥ - أقول الصواب : بمنزلة الياء من ( حنيفة ) لا مع حنيفة .

٦ - قال المحقق : هذا هو الصحيح أي ( والألف ) وفي الأصل ( والياء ) . وذلك أن الألف في ( يمان ) عوض عن ياء النسب . أنظر اللسان ( يمن ) .

- أقول: الذي أتى به المحقق أي ( والألف ) غير صحيح ، والصحيح ما جاء في الأصل وهو ( والياء ) . وبيان ذلك أن الياء المخففة في آخر - يمان - وهي تحذف بالتنوين كياء قاض - هي للنسب ، وإن لم يكن فيها معنى النسب . أما ما جاء في اللسان من أن ألف - يمان - عوض عن ياء النسب ، فذلك أن النسب في الأصل ياء مشددة ، وقد أثبت أحدهما في - يمان - طرفاً ، وجاءت الألف عوضاً عن الثانية . قال ابن جني في الخصائص ( ٥٠٤/١ ) : ( ويزيد عندك في وضوح ذلك أنهم قالوا في الإضافة إلى اليمن والشام وتهامة : يمان وشام وتهام ، فجمعوا الألف قبل الطرف عوضاً عن إحدى الياءين اللاحقتين بهما ) .



وجاء في الكتاب ( ص / ٣٦ و ٣٧ ) :

قال أبو منصور : و ( الأبييل ) الراهب ، فارسي معرب ، قال الشاعر : (١) [ من الطويل ]

وما سبَّح الرهبان في كل بيعة      أبييلَ الأبييلين المسيحَ بن مريمَا

قال ابن بري : و ( الأبييلين ) (٢) مثل ( الأشعرين ) في حذف ياء النسب . وقيل هذا البيت من الشعر في القصيدة : (٣)

أما ودماء هادراتِ (٣) نغالها      على قلعة العزى وبالنسر عتدما

وجواب القسم في البيت الثالث ، هو :

لقد ذاق منا عامرَ يوم لعلع      حساما إذا ما هنز بالكف صعثما (٤)

قال المحقق : في الأصل زيادة مي ( وهو جاهلي ) ، وفي اللسان ( قال ابن عبد الجن ) وفي شرح القاموس ( عمرو بن عبد الحق ) ولعل الذي في شرح القاموس مصحف والصواب ما جاء في اللسان . والذي يقوي هذا أن الشاعر جاهلي ، ولم يعرف في الجاهلية ( عبد الحق ) من أعلامهم .

- أقول كل ما حكاه المحقق هنا في تحقيق اسم الشاعر وأنه ( عمرو بن عبد الجن ) ، هو بعض ما جاء به الأستاذ أحمد محمد شاكر في تحقيقه على المغرب ( ٣٠ ) . أما قول السامرائي ( في الأصل زيادة هي : وهو جاهلي ) فليس بشيء . ذلك أنه ثبت في المغرب المطبوع ، وفي مخطوطه ( ٩٠١٢ ) فضلا عن الأصل ، فليس هو إذا زيادة على النص ، وابن عبد الجن ، هو شاعر جاهلي حقا . فالزيادة ليست قلقة في موضعها ، وقد حلت بمرکزها . وجاء في معجم المرزباني ( ١٨ ) :

وقال ابن عبد الجن :

أما ودماء مائراتِ نغالها      على قلعة العزى أو النسر عتدما

وما قدس الرهبان في كل هيكل      أبييلَ الأبييلين عيسى ابن مريمَا

ورواية النهاية ( وما سبَّح الرهبان في كل بلدة ) ورواية اللسان ( وما قدس الرهبان في كل هيكل ) وعجز البيت فيهما وفي المغرب وفي تاريخ الطبري ( أبييل الأبييلين المسيح ابن مريمَا ) .

٢ - قال المحقق : في الأصل وأبييل الأبييلين .

أقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري ( الأبييلين مثل الأشعرين ٠٠ ) ، وإن يبحث أصل لفظ الأبييل . فقول ابن بري ( الأبييلين مثل الأشعرين ) يعني أنك إذا جمعت ( الأشعري ) بياء مشددة قلت الأشعرون والأشعرين بحذف ياء النسب المشددة ، وقد ذكر ذلك سيبويه في الكتاب ( ١٠٣/٢ ) ، وكذلك الأبيلون والأبييلين جمع الأبيلي .

أما لفظ ( الأبييل ) فقد ذهب الجواليقي إلى أنه فارسي معرب ، لكنه لم يذكر أصله الفارسي أو يستدل على عجمته بدليل وحكاية عنه الغفاجي في الشفاء ولم يزد على ما قاله الجواليقي .

والذي يستبين بالبحث أنه عربي ، ذلك أن ابن دريد ذكره في الجمهرة فقال ( والأبييل الذي يضرب بالناقوس ) ولم يشر إلى أنه دخيل ( ١ / ٣٢٥ ) . وكذلك فعل صاحب المقاييس فقال ( قال الخليل الأبييل من رؤوس النصارى ) . وجاء به الجوهري فقال : ( والأبييل راهب النصارى . . كانوا يسمون المسيح عليه السلام أبييل الأبييلين . . ) كذلك فعل صاحب الأساس لكنه ذكر أصله فقال ( وقد أبل أبالة فهو أبييل ، كما تقول فقه فقامة فهو فقيه . وتقول فلانة لو أبصرها الأبييل لضاق به السبيل ) .

هذا وقد ذكر الميداني النيسابوري ( المتوفى ٥١٣ هـ ) الأبييل في كتابه ( السامي / ٤٤ ) على أنه عربي وأتى بما هو في معناه بالفارسية ، فليس هو ، على هذا ، فارسيًا .

وجاء في النهاية لابن الأثير ( كان عيسى عليه السلام يسمى أبييل الأبييلين . الأبييل بوزن الأمير الراهب . سمي به لتأبله عن النساء وترك هشيائهن ، والفعل منه أبل . تأبل أبالة إذا تنسك وترهب . قال الشاعر : وما سبيح الرهبان . . ) .

وذكر الأستاذ عبد الوهاب عزام ، رحمه الله ، في مقدمة كتاب المعرب المطبوع أن ( الأبييل ) ليست فارسية بل سريانية ، ومعناها في الأصل العزيم . وتقال للراهب . قلت قد رأيت أن الأبييل عربي ، وقد اتضح اشتقاقه . وليس كل لفظ عربي عرف في السريانية ، دخيلاً على العربية ، كما ذكرنا قبل ، وأشار إليه الأستاذ عزام نفسه ، فيكون ( الأبييل ) إذا من الألفاظ السامية المشتركة ، فهو عربي وسرياني .

على أن ثمة ( الأبييل ) على فيمل بفتح فسكون فضم ، وهو بمعناه ، ويبدو أنه أعجمي ، إذ ليس في كلام العرب ( فيمل ) بهذا الضبط كما قال سيبويه في الكتاب ( ٢ / ٣٢٥ ) . وسيأتي الكلام عليه ، في باب الطاء .

### ٣ - قال المحقق : في اللسان : مائرات .

أقول : ( مائرات ) هو الصواب ، وفات المحقق أن يشبه بدلاً من اللفظ المصحف وهو ( هادرات ) . والذي جاء في المظان ( أما ودما مائرات تغالها ) لا ( نغالها ) كما بيناه قبل . وما يور الشيء إذا تردد في عرض ، وفار الدم يور على وجه الأرض إذا انصب فتردد عرضاً . والقشة من الجبل أعلاه كالقشة والجمع القن والقنل . ونسر : صنم ، وقد تدخله الألف واللام ، والمندم صبغ أحمر .

٤ - أقول : ثمة خلاف في نسبة الأبيات الثلاثة ، وقد جعلها ابن بري في قصيدة واحدة ، وفات المحقق أن يشير إلى ذلك . قال ابن بري ( وقبل هذا البيت من الشعر في القصيدة - أي وما سبيح . . - أما ودما . . وجواب القسم في البيت الثالث : لقد ذاق . ) . والغريب أن المحقق قد أثبت ( وقيل هذا ) بالياء ، بدلاً من ( وقبل هذا ) بالباء .

فالبیت الاول (وما سیئح الرهبان ٠٠) والثاني (إما ودماء مائرات ٠٠) منسوبان الى عمرو بن عبد الجبن الشاعر الجاهلي ، كما جاء في المظان لا سيما معجم المرزباني .  
 أما البیت الثالث ( لقد ذاق منا عامر يوم لعل ٠٠ ) فقد تبين أنه بیت من قصيدة طويلة تجاوزت مئة بیت منسوبة الى حميد بن ثور الهلالي ، جاءت في ديوانه المطبوع بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني ، ولم يذكر فيها البيتان الآخران . وقد نسب هذا البيت ( لقد ذاق ٠٠ ) الى حميد في شرح الحماسة للمرزوقي ( ١١٢٥ ) واللسان ( لعل ) . وحميد هذا شاعر اسلامي مجيد شهد الأصمعي أنه أحد عظماء شعراء العرب الأربعة في الاسلام ، وهم : (رامي الابل النعمري ، وتميم بن مقبل العجلاني ، وعمرو بن أحمر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي ) ٠٠

ولعل اسم جبل ، وقد ذكر في الحديث وكانت به وقعة مشهورة .

وجاء في الكتاب ( ص/ ٣٧ و ٣٨ ) :

قال أبو منصور : ومن ذلك قولهم لبیت المقدس (أوري شليم) (١) قال الأعمشى [من المتقارب] :

وقد طفت للمال آفاقه عثمان فمحص فاوري شليم (٢)

قال ابن بري : ( شليم ) اسم بیت المقدس ، بالتشديد عند سيبويه ، فينبغي أن يكون عند التغنيث ( شلم ) بفتح اللام في بیت الأعمشى ، وقد روي بكسر اللام ، وينبغي أن يكون بالتغنيث ( شلم ) بالفتح (٣) .

قال أبو منصور : ( ايلياء ) بيت المقدس أيضاً ، وهو مغرب (٤) .

قال ابن بري : ( ايلياء ) فيلياء مثل كبرياء وجرياء . وفي كتاب سيبويه ( جليطام ) غير مجبه (٥) .

وحكى ابن دريد عن أبي حاتم ( جليطام ) بالغام (٦) .

قال أبو منصور : وهي الأرض الحزن .

١ - قال المحقق : قال ياقوت انه يروى بفتح اللام أيضاً ، وقال : هو بيت المقدس بالمرانية وفي اللسان : المشهور (أوري شلم) بالتشديد . أقول (أورشليم) كما ينطق بها في مصرنا هو مغرب (أورشالايم) وسماها مدينة السلام .

أقول : الذي نص عليه أبو منصور في المغرب أن لام ( شليم ) بالكسر والتغنيث ، واستشهد على ذلك ببيت الأعمشى . واعترض ابن بري فقال : جاء به سيبويه بالفتح والتشديد ، فإذا خفف كان بالفتح لا بالكسر خلافاً لروايته في بيت الأعمشى ، ورواه أبو عبيدة بالكسر أيضاً ، كما حكاه المغرب . وذهب ياقوت ، كما ذكر المحقق ، أن الرواية قد أتت بالكسر والفتح جميعاً .

ومن جاء به مشددا ابن خالويه في كتابه ( ليس ) اذ قال : ( لم يصرف الاسم اذا جاء على فمثل لانه يشبه الفعل ... وقد جاء منه عشر وبذر موضعان ، وخضم قبيله ، وبثم مصبغ ، وثلثم : اسم بيت المقدس / ١٤٣ ) ، وقد قصد بالاسم اسم العلم .

اما عن أصل اللفظ فقد ذهب أبو عبيدة الى أنه عبراني معرب ، وكذلك قال ياقوت . وقيل معناه ( بيت السلام ) على أن نسبة الاسم الى العبرية لا تمنع أن يكون في الأصل اسماً كنعانياً . والكنعانية لغة سامية ، قوية الشبه بالبابلية والعبرية . وقد انتهسى المؤرخون حديثاً الى أن ( اورشليم ) أو ( اورشالم ) هو اسم القدس الكنعاني ، وأن المدينة قامت في العصر الحجري النحاسي . ودلت حفائر ( ابله ) بسورية على أنها احدى المدن الكنعانية المعروفة منذ نحو ( ٢٥٠٠ ق م . واسمها مشتق من اسم الاله الكنعاني ( شالم ) أو ( شليم ) . وقد أسى الكنعانيون كثيراً من مدنها باسماء آلهتهم .

٢ - أقول : هذه رواية البيت في ديوان الأعشى ( ٤١ ) ، أما في معجم البلدان ( ٢٧٩ / ١ ) فهو طوّفت للمال ( .. ) .

٣ - أقول : قد فأت المحقق أن في كلام ابن بري ما هو محذوف لا بد من ذكره ، وما هو مزيد لا بد من حذفه . أما المحذوف فهو ( بالفتح لا غير ) بعد كلمة ( شلم ) وسياق الكلام يقتضي ذلك ، وأما المزيد فقوله في آخر الكلام ( وينبغي أن يكون بالتخفيف شلم بالفتح ) وهو قول مكرر فصحة العبارة ( فينبغي أن يكون عند التخفيف شلم بالفتح لا غير ، وقد روي بكسر اللام ) كذا جاء في حواشي المغرب ( ٩٠١٢ ) . ولعل الناسخ قد سها فأعاد كتابة ( ينبغي أن يكون .. ) آخر الكلام .

٤ - قال المحقق : ( المغرب / ٣١٦ )

أقول : ( ايليام ) اسم لبيت المقدس ، وهو معرب من أصل رومي . تصوروا أنه ثلاثي الأصل فقالوا أنه ( فعليام ) ككبريامن الكبير وجريام لريح الشمال من جرب . وتصوروا أنه فوق الثلاثي فقالوا أنه ( فعللام ) بكسرتين بينهما سكون ملحق بجلعطاء للارض لا شجر فيها ، بالطاء ، كما ذهب اليه سيبويه في كتابه ، هذا ما حكاه ابن بري . وذكر ابن سيده ( ٧١ / ١٦ ) في مخصصه وجهاً ثالثاً فقال أنه ( فيعلام ) نحو سيمياء للعلامة ، وقد يذكر ( سيمياء ) على أنه فعليام أيضاً .

وقد جاء ( ايليام ) بالمد والتخفيف ، وقد تحذف الهمزة الأولى فيقال ( الياء ) وقد يقصر فيقال ( ايليا ) وقد تشدد الياء الثانية فيقال ( ايليثا ) ( اللسان ومعجم البلدان ) .

وجاء في المظان التاريخية أن المعامل الروماني هادريان أو أدریان ( ١١٧ - ١٣٨ م ) قد أسى بيت المقدس باسمه ( اليا ) لأن اسمه في الأصل ( اليوس ) : ( تاريخ سورية ليويسف ديس ٣٢٢ / ١ ) .

٥ - فأت المحقق هذا أن يرم الأصل برده ما سقط منه . فقد أثبت قول ابن بري ( وفي كتاب سيبويه جلعطاء غير معجمة ) ولا معنى له ، والأصل الصحيح ( وفي كتاب

سيبويه ، فعلماء جلعطاء بطاء غير معجمة) قال سيبويه في الكتاب ( ٢ / ٣٢٨ ) : ( ويكون على مثال فعلماء بالكسر ، وهو قليل ، قالوا طرساء و جلعطام ، وهما صفتان ) . فقد جعل ابن بري ( فعلياء ) وزناً لآلياء إذا كان الأصل ثلاثياً ، و ( فعلماء ) كجلعطام ، إذا كان الأصل فوق الثلاثي . وأرض جلعطام إذا خلطت ووعثرت ، وهذا ما قصد إليه أبو منصور حين قال : ( وهي الأرض الحزن ) .

٦ - أقول حكاية سيبويه ( جلعطام ) بجام وطاء ، وحكاية الجمهرة ( جلعطام ) بجام وظام ( ٣ / ٤١٢ ) ، وهي في اللسان ، وفي التاج أنها حكاية ابن أخي الأصمعي . وجام ابن دريد في الجمهرة بـ ( جلعطام ) بجام وظام أيضاً ، وقيل أنها حكاية ابن أخي الأصمعي . وثمة حكاية رابعة هي ( جلعطام ) بجام وظام ، شك فيها ابن دريد خلافاً لما أثبت في النص ( ٣ / ٣٢١ ) ، وعزاها ابن أخي الأصمعي إلى عمه ، وجام بها اللسان وعزاها التاج إلى الصاهاني .

### وجاء في الكتاب ( ص / ٣٨ ) :

قال أبو منصور : قال أبو علي : وساجاء على لفظه من الفاظ العرب ( أيل ) وهو فيعل ويكسر على ( أيايل ) (١) .

قال ابن بري : ذهب ابن حبيب إلى أن ( الأيل ) من الحيوان هو الواحد بوزن (سيث) والجمع عنده ( أيل ) بكسر الهمزة ، والذي ذكره أبو علي ( أيل ) في الواحد بكسر الهمزة . وكذلك يروي ابن حبيب (٢) قول النابغة (٣) [ من الطويل ] :

وقد شربت من آخر الليل أَيْلًا

على وزن سيث .

قال أبو منصور : قال أبو حاتم : قالوا في النسب إليه (٤) ( إسطنخزي ) كما قالوا في ( مرو ) : ( مروزي ) .

قال ابن بري : وإنما قالوا في ( مرو ) ( مروزي ) لأن المجمع إذا نسب إليه قالوا ( مروجي ) (٥) بين الجيم والزاي ، فأحالتها العرب زايًا (٦) .

١ - قال المعقق : ( العرب / ٣٣ ) . والأيل بكسر الهمزة وتشديد الياء المفتوحة هو الذكر من الأوعال ، ويجوز فيه ضم الهمزة مع فتح الياء المشددة ، ويجوز فيه فتح الهمزة مع كسر الياء المشددة ، وأيايل هو الجمع ، بالياء ولا تقلب همزة .

— أقول : هذا كلام الأستاذ أحمد معمدشاكر معقق المغرب ، وقد جاء به السامرائي على سبيل النسخ ( المغرب / ٣٣ ) وفاته أن يقول شيئاً فيما ذكره ابن بري خلافاً لأبي منصور . فمن جعل المفرد كقنب بكسر ففتح مع التشديد فقد جعل الجمع ( أيائل ) بالياء وحسب ، وهو ما ذكره الجواليقي وحكاه عن أبي علي الفارسي . وأما من جعل المفرد كسيّد بفتح فكسر مع التشديد فقد اعتدجعه كقنب بكسر ففتح مع التشديد أو كقنب بضم ففتح مع التشديد أو أيائل بالياء ، وهو ما حكى عن الخليل وتابعه فيه ابن حبيب ، وذكره ابن بري حين جعل جمع ( أيئل ) كسيّد على ( أيئل ) كقنب . وإذا أخذ بالروايتين صح قولك في المفرد ( أيئل وإيئل ) كسيّد وقنب . أما ( أيئل ) بالضم كقنب ، فقد قال الطوسي أنه مفرد ، وقال الخليل وابن جنّي أنه جمع . ولا ننس أن لفظ ( الأيئل ) مرهبي ، وفارسيته ( كوزن ) بكاف فارسية وفتح ما بعدها أو ( كوز ) بالتخفيف ( اللسان والمعجم الذهبي ) .

٢ — قال المعقق : هو محمد بن حبيب البغدادي ، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب واللغة والشعر ، نسب إلى أمه ( انظر تاريخ بغداد - ٧٧/٢ ) و ( معجم الأديباء - ٦/٤٧٣ ) .

— أقول : هو أبو جعفر محمد بن حبيب اللغوي النحوي صاحب ثعلب ، توفي ( ٥٢٤هـ ) ومن كتبه : المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم ، ونقائض جرير ( إنباء الرواة - ٣/١٢٩ ) ، والبلغة للفيروزآبادي ( ٢١٥ ) .

٣ — قال المعقق : هو النابتة الجمدي يهجو ليلى الأخيلية ، وصدر البيت :

وبرذونة بلّ البراذين ثغرها

— أقول : روي البيت في اللسان ( وقد شربت من آخر الصيف ٠٠ ) وضمت الهزة في ( أيئلا ) ، ورد ابن حبيب الضم وروى ( وقد شربت من آخر الليل أيئلا ) بوزن سيد ورأى ابن بري صواب رواية الصدر ( برذينة ) بالرفع والتصغير ، مستنداً إلى ما جاء قبله . وقد فسر ( الأيئل ) في شعر الجمدي باللبن الخائر ، وذهب ابن حبيب إلى أنه الوعل في الأصل ، وقد حذف المضاف ، والمعنى المراد ( لبن أيئل ) [ اللسان والتاج ] .

٤ — قال المعقق : الضمير في ( إليه ) يعود إلى ( اسطرخر ) السابق في كلام ابن الجواليقي في المغرب .

— أقول فات المعقق هنا أن يثبت ما سقط من كلام أبي منصور ، وهو ( قال أبو منصور : واسطرخر اسم البلد أعجمي أيضاً ، وقد ورد في أشعارهم ٠٠ قال أبو حاتم : قالوا في النسب إليه : اسطرخزي ، كما قالوا في مرو : مروزي ) . وقد اعتاد ابن بري أن يبدأ قوله برواية كلام صاحبه الجواليقي ثم يعضي في التعميق عليه . ويحسن الإشارة هنا إلى أنه جاء ( اسطرخري ) على القياس في النسبة إلى ( اسطرخر ) كما حكاه الصنفاني في شوارده ، عن أبي حاتم السجستاني .

وجاء في النسبة إلى ( مرو ) : ( مروزي ) أيضاً بفتححتين وبفتح وسكون ( اللسان )  
وممن نسب إلى ( اصطرخ ) أبو سعيد الحسن الاصطرخي القاضي أحد أئمة الشافعية ( ت  
٣٢٨ / ) وأبو سعيد عبد الكريم بن ثابت الاصطرخي الجزري وسواهما ، واصطرخ من  
كور فارس .

٥ - قال المحقق : ( المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي ) .

- أقول الغريب أن يثبت المحقق الأصل على هذا الوجه ( لأن المعجمي إذا نسب  
إليه قالوا : مروجي ) ويعتذر من ذلك بقوله ( المراد بالمعجمي : اللسان المعجمي ) . فصح  
المبارة : ( لأن المعجم إذا نسبوا إليه قالوا : مروجي ) ، ويصح قولك ( لأن المعجمي إذا  
نسب إليه قال : مروجي )

٦ - فأت المحقق أن يوضح كلام ابن بري في تعليل كون النسبة إلى ( مرو ) بالعربية  
( مروذي ) .

قال ابن بري ( لأن المعجم إذا نسبوا إليه قالوا : مروجي ، بين الجيم والزاي ) .  
وقد جاء ( مروجي ) في الأصل ، كما أثبت هنا ، بالجيم ، وليس في الفارسية جيم بين  
الجيم والزاي ، وإنما ثمة ( زاي ) فارسية بين الجيم والزاي ، والنسبة إلى ( مرو )  
بالفارسية ( مروزي ) بزاي فارسية أضيفت بالتمريب إلى ( زاي ) خالصة . وهكذا القول  
في النسبة إلى ( الري ) بالفارسية فإنها ( رازي ) بزاي فارسية آلت بالتمريب إلى  
( زاي ) خالصة . ويبدو أن ( الزاي الفارسية ) في ( مروزي ) قد أصبحت تلفظ فيها زايها  
خالصة أيضاً ، فقد جاء في المعجم الذهبى وهو معجم فارسي ( مروزي ) بزاي خالصة ، ولو  
كانت زايها فارسية لكتبت بثلاث نقاط .

وجاء في الكتاب ( ٣٩ و ٤٠ ) :

قال أبو منصور : وروي عن أم الدرداء أنها قالت : زارنا سلمان من ( المدائن ) إلى  
الشام ماشياً وعليه كساء و ( أندرا ورد ) يعني سراويل مشمسة ، وهي كلمة أمهية  
ليست بالعربية (١) .

قال ابن بري : المشهور عند أهل اللغة والنحو في ( الشام ) للناحية المعروفة بغير  
الف بعد الهمزة ، وربما جاءوا بالألف ، كما يجيء في النسب (٢) ، قال الفزدقي [ من  
الكاظم ] :

أبلغ معاوية الذي يمشته      امر العراق وأمر كل شام (٣)

وقال النابغة [ من الوافر ] :

على أثر الأذلة والبغايا      وخفق الناجيات من الشام (٤)

وقال النحam التغلبي (٦) [ من الوافر ]:

تركت مخيرجات (٦) وراء ظهري وسرت من العراق الى الشام

وقال أبو الأخرم (٧) [ من الرجز ]:

من دير صيفين الى الشام

١ - قال المحقق ( المرب / ٣٧ ) .

١ - اقول : هكذا جاء لفظ ( أندرا ورد ) في الأصل ، وفي مخطوط المرب ( ٩٠١٢ ) وفي المرب المطبوع ( ١٨٦٧ م ) والمطبوع ( ١٩٤٢ ) . وذكر محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكراً أنه جاء بالألف ( أندرا ) ودون ألف ( أندر ) كما في اللسان . وأنه بالألف في الأصول المعتمدة للمرب ، ودون ألف في طبقات ابن سمن ، وبالزاي ( أندروزد ) في النهاية . قال ابن الأثير ( في حديث علي - رض - أنه أقبل وعليه أندروزدية ، قيل هي نوع من السراويل . . . ومنه حديث سلمان - رض - أنه جاء من المدائن الى الشام وعليه كساء أندروزد ، كان الأول منسوب اليه ) .

علي أن أدعي شير أورده ( أندر ود ) بدال تلي الواو ، اذ قال ( الأندروود والأندر ودية ، اسم لنوع من السراويل مركب من - أندر - أي داخل ومن - ور - أي ذو ) ويؤيد المعجم الذهبى معنى ( أندر ) ومعنى ( ور ) كما جاء به أدبي شير ، فاذا صح هذا كانت ( الدال ) آخر اللفظ مزيدة بالتعريب .

٢ - اقول ما جاء في الشام بلا همز : ( الشام ) بفتح أوله وسكون الهمزة ، و ( الشام ) بفتحين و ( الشام ) بالمد . ويقال في النسبة الى ( الشام ) : ( شامي ) بالهمزة وياء مشددة و ( شام ) بالمد وياء مخففة تحذف بالتثنية و ( شامي ) بالمد وياء مشددة ، حكاه سيبويه . وتقول في التأنيث : امرأة شامية بالهمزة وتشديد الياء وشامية بالمد وتخفيف الياء .

٣ - قال المحقق : في الديوان ( ط . صادر ) ( ص / ١٨٣ ) : أبلغ معاوية الذي

بيمينه :

- اقول : صحة الرواية للبيت ( أبلغ معاوية الذي بيمينه أمر العراق .. ) برفع ( أمر ) . كما أثبت في الديوان وفي الأصل وفي حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) . ولست أدري كيف تراعى للمحقق أنه في الأصل ( .. الذي يسمته أمر العراق .. ) بنصب ( أمر ) ، ولا مكان له في سياق الكلام .

٤ - قال المحقق : كذا في الأصل ، وأما في الديوان ( السام ) .

- اقول : أثبت المحقق رواية البيت ( على اثر الأذلة .. ) بالذال المعجمة ، كما جاء في الأصل ، وفاته أن الصحيح ( على اثر الأذلة .. ) بالذال غير المعجمة ، كما في الديوان . وهو جمع دليل ، والبغايا اللاتع تتقدم الجيش ، والغلق الاضطراب ، وهو في



الأصل الضرب بشيء عريض والتاجية السريمة . والذي في الديوان ( السام ) لا ( الشام ) ، وهو الملأ . وقد أخذ على النابغة قوله ( السام ) بالمد ، وقيل إن صوابه ( السام ) بلا مد . وقد نص على ( السام ) في غير معجم معتمد .

٥ - قال المحقق : لم أعتد إلى ( النعمام التغلبي ) ولعله ( النعام ) واسمه نعيم بن عبدالله بن أسيد ، قتل يوم مؤتة شهيداً ( انظر الاشتقاق لابن دريد / ١٣٦ ) .

- أقول : ( النعام ) الذي ذكره صاحب الاشتقاق ( ١٣٦ ) هو من بني عدي بن كعب ، وبني عدي ليسوا من بني تغلب ، وقد ذكر ابن دريد شعراء تغلب ( ٣٣٥ ) ولم يذكر منهم ( النعام ) . وقد جاء اسم الشاعر في حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) : ( أبو النجم ) وأحسب أنه ( أبو النجم المجلي ) وهو القائل :

المرء كالعالم في المنام يقول أنسي مدرك أماسي  
في قابل ما فاتني في المنام والمرء يدينه من النعام

كما جاء في معجم الشعراء للمرزباني ( ١٨٠ ) وجاءت ترجمته في طبقات فحول الشعراء للحمصي ( ٧٤٧/٧٥١ ) .

قال المحقق : لا أدري أ ( مبرجات ) هي أم ( مخرجرات ) بالخاء المعجمة ، أم شيء آخر ؟ فلم أستطع معرفتها ولا وقفت على شيء منها في كتب المواضع والبلدان .

- أقول : الذي جاء في حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) : ( تركت أرجان ) بفتح الهمزة وتشديد الراء المفتوحة ، وهو بلد بفارس ، وقد يكون ( جويخان ) بضم فكسر ، وهو بلد بفارس أيضاً ، وهو أشبه ما يكون بالأصل ، أو ( خلوجان ) بضم ففتح وجيم مشددة ، من قرى مرو .

٧ - قال المحقق : لا أدري أ ( أخزم ) أم ( أخرم ) أم ( أحرم ) لم أعتد إلى ذلك في المصادر ، ولكنني أميل إلى ( الأخزم ) لأنه من الأسماء التي سُموا بها . انظر الاشتقاق ، ولم أعتد إلى الرجز و ( صفين ) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات . انظر ( معجم البلدان ) .

- أقول : قد نسب الرجز في حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) إلى راجز هو ( أبو الأحمر ) بالخاء والزاي ، وصحته ( أبو الأحمر ) بالخاء والزاي . وجاء في المؤلف والمختلف للأدي ( ٩٦ ) : ومنهم أبو الأحمر العماني بكسر الخاء وتشديد الميم ، الراجز . وهو القائل :

أنا أبو الأحمر ذو استكناح لا حصري يغشى ولا هرامي  
قد كنت أهوى البيض في الكمام والرجع من أصواتها الرمام  
فقد تاهبت عن التهيام بهن الا مثليج الكلام

وقد يكون البيت الذي جاء به ابن بري من هذه الأجزاء وذكر صاحب اللسان أن اسمه ( قتيبة ) ولقبه ( أبو الأخرز ) . وقد اعتدى إلى هذا الدكتور الضامن في تعقيبه على تحقيق الدكتور السامرائي وجاء البيت الثالث ( فقد تاهبت عن التهام ) وذكر محقق المؤلف أن الصواب ( فقد تناهيت ٠٠ ) ويتجه لي أنه ( تاهبت ) بمعنى تنزهت .

### وجاء في الكتاب ( ص / ٤٠ ) :

قال أبو منصور : قال العربي (١) : قال أبو عمرو (٢) : الأساس (٣) قوم من الفرس كانوا مسلحة المشقر ، منهم المنذر بن ساوى (٤) من بني عبدالله بن دارم ، ومنهم عيسى الخطبي وسعد بن دعلج (٥) .

قال ابن بري : المشقر حصن قديم بالبحرين . قال لبيد [ من الطويل ] :

وانزلن بالدومي من رأس حصنه وانزلن بالاسباب رب المشقر (٦)

والدومي هو النذب (٧) ( صاحب دومة الجندل ) .

١ - قال المحقق : هو أبو اسحاق ابراهيم العربي ، كان قتيماً بالأدب جماعاً للغة حافظاً للحديث ، توفي ٢٨٥ هـ . ( نزهة الألباء / ١٤٥ ، إنباء الرواة / ١ - ١٥٥ ) .

٢ - قال المحقق : لا أستطيع أن أقطع في ( أبي عمرو ) هذا ، أبو عمرو بن العلاء أم أبو عمرو الشيباني .

٣ - القول : أبو عمرو الشيباني هو اسحاق بن مرار ( ت ٩٦ هـ ) وأبو عمرو بن العلاء هو زهران بن العلاء بن صرار أحد القرام السبعة ( ت ١٥٦ هـ ) وثمة أبو عمرو حفص بن سليمان الأسدي ( ت ١٨٠ هـ ) . وليس لي ترجمة أبي اسحاق ابراهيم العربي ما يشير إلى أنه كان يروي عن أحد هؤلاء خاصة . على أن الراجح أن الذي قصده العربي وحكى عنه هنا هو أبو عمرو الشيباني ، لا سواء ، إذ جاء في معجم البلدان لياقوت ( ١٧١ / ١ ) أنه قد حكي عنه تفسير لفظ ( أسبذ ) وصلته بأصحاب حصن المشقر .

٣ - القول : فات المحقق أن يقول شيئاً في ( أسبذ ) ، وهو بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الباء ، وقد اختلف فيه ، إذ جاء في المغرب ( ٢٨ ) أنه اسم قائد من قواد كسرى . وجاء في كتاب الفتوح للبلاذري ( ١٠٦ / ١١٠ ) أنه اسم قرية بهجر ، وجاء في الألفاظ الفارسية لأدي شير أن ( أسب ) بمعنى حصان و ( باد ) بمعنى حارس .

أما ( أسبذي ) بياء النسبة فهي المغرب ( أن الأسبذيين ضرب من المجوس من عبدة البراذين كانوا حماة لحصن المشقر . وفي الفتوح أن ( الأسبذي ) نسب إلى قرية بهجر يقال لها ( الأسبذ ) وأن الأسبذيين قوم يعبدون الخيل بالبحرين ، فلما كان سنة ( ٨ ) وجه الرسول ﷺ العلاء بن عبدالله الحضرمي إلى البحرين يدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم منهم العرب ، ورضي المجوس واليهود بالجزية . وكان ممن أسلم المنذر بن ساوى

والي البحرين . وجاء في معجم البلدان عن هشام بن محمد بن السائب ( وقيل لهم  
الأسبيدون لأنهم كانوا يعبدون فرساً ، قلت ، أن الفرس بالفارسية - أسب - زادوا منه  
ذالا تمريهاً ) .

٤ - قال المحقق : المنذر بن ساوى كان والياً على البحرين . انظر الإصابة - ٦ /  
١٣٩ ، وطبقات ابن سعد ١٩/٢/١ .

- أقول : هذا بعض ما جاء في تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر للمعرب بنسخه  
المحقق بالعرف . وفي السيرة النبوية لابن مشام ( ٢٢٢/٤ ) : ( وقد كان رسول الله  
ﷺ يبعث الملاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العديدي فأسلم فحسن إسلامه  
ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة البحرين والعملاء عنده أسيراً لرسول الله ﷺ على  
البحرين ) . وجاء في معجم البلدان ( وكان بالبحرين من قبل الفرس المنذر بن ساوى بن  
عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة . . . . . وعبدالله بن زيد هذا هو  
الأسبيدي نسبة إلى قرية بهجر ) .

٥ - أقول : في المعرب المطبوع ( ١٨٦٧ ) : ( عيسى الخطي ) بدلاً من ( الخطي ) و  
( سعيد بن دعلج ) بدلاً من ( سعد بن دعلج ) .

٦ - قال المحقق : الديوان ( ص / ٥٦ ) وروايته فيه ( وأحسن بالدومي . . ) .

- أقول : في الصحاح ( دوم ) : ( وأصغف . . ) أي ذهبن به وأملكن . . . وفي  
الديوان ( وأئزلن . . ) بمعنى أنقلبن به ، وفي الصحاح ( شقر ) : ( وأئزلن بالدومي )  
وهو معروف لأن الكلام على ( الدومي ) بالدال نسبة إلى ( دومة الجندل ) . والمشقر بضم  
الميم وفتح الشين وتشديد القاف حصن بالبحرين ، ورب المشقر هو ( أكيدر ) بضم  
الهمزة وفتح الكاف على صيغة التصغير ، صاحب دومة الجندل ، وهو أكيدر بن عبد  
الملك ، كما في الاشتقاق .

٧ - أقول : فات المحقق أن يوضح معنى قول ابن بري ( والدومي هو النذب صاحب  
دومة الجندل ) فما معنى ( النذب ) هنا . وقد تبين بالبحث أن اللفظ قد شوه وصحته  
( أكيدر ) كما حكيناه في العاشية السابقة عن الصحاح ، وهو أكيدر بن عبد الملك كما حكاها  
الاشتقاق . . . . . وقد جاء كذلك في حاشية المخطوط ( ٩٠١٢ ) .

وجاء في معجم البلدان ( ٤٨٨/٢ ) : ( دومة الجندل بضم أوله وفتح . . . . . وسميت  
دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل . . . . . وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك بن عبد  
الحي . . . . . وكان النبي ﷺ وجه إليه خالد بن الوليد من تبوك . . . . . وجاء فيه ( وأحسن  
ما ورد من ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في كتاب الفتوح . . . . . قال يبعث رسول الله ﷺ خالداً  
سرخس - السنة التاسعة إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل فاحذره أسيراً وقتل أخاه وقدم  
بأكيدر على النبي ﷺ فأسلم وصالح النبي ﷺ على أرضه . . . . . فلما مات الرسول ﷺ منع  
أكيدر الصدقة . . . . . وقيل أن خالداً لما أنصرف من العراق إلى الشام مر بدومة الجندل التي  
غزاها أولاً بعينها ففتحها وقتل أكيدر ) .

## وجاء في الكتاب ( ص / ٤١ ) :

قال أبو منصور : قال أبو سعيد<sup>(١)</sup> : سمعت العرب تقول للاربعة ( استار ) لأنه في الفارسية ( جهاز ) فأعربوه فقالوا ( استار ) قال جرير : [ من الكامل ] :

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا الفرزدق شر ما استار<sup>(٢)</sup>

قال ابن بري : ويجمع ( أساتير ) ويقال لكل أربعة ( استار ) .

١ - قال المحقق : لعله أبو سعيد الضريير أحمد بن خالد . انظر ( نكت الهميان - ص/ ٩٦ ) ، واستبعد أن يكون ( الأصمعي ) لشهرة ( الأصمعي ) وليس ( أبا سعيد ) .

- أقول لا شك أنه إذا قيل ( أبو سعيد ) لم يذهبوا به إلى الأصمعي . ولم يذكر أبو منصور الأصمعي في المعرب مرة إلا بقلبه أي ( الأصمعي ) . لكنه إذا قال ( أبو سعيد ) عني به ( أبا سعيد السكري ) وهو الحسن بن الحسين المتوفى ( ٢٧٥ هـ ) وكان ذا ثقة ، راوية للبصريين . ويتحقق ذلك بمراجعة غير موضع من المعرب ( ١٩٥ و ٣٣٣ ) . والمعروف أنهم إذا عتوا الضريير قالوا أبو سعيد الضريير ولم يكتفوا بكنيته .

٢ - قال المحقق : ورواية البيت في الديوان ( ص/ ٣١٧ ) :

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما استار

- أقول : قيل ( استار ) بكسر أوله والجمع أساتير وهو معرب ( جهاز ) بالجمع الفارسية ، ومعناه ( أربعة ) . وقيل استار رابع أربعة ، كما قيل استار لكل أربعة من جنس واحد ( المعرب وشفاء الغليل ) . ومن ثم قال جرير :

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا الفرزدق شر ما استار

والبعيث اسم شاعر من بني تميم . وجاءت رواية المجز في الديوان والنقائض واللسان ( وأنا البعيث لشر ما استار ) . وفي الصحاح بيت آخر هو ( قرن الفرزدق والبعيث وأمه . وأبو الفرزدق قبش الاستار ) وجاء كذلك في النقائض ، وشفاء الغليل . أما من أصل ( استار ) فلا شك أنه معرب اللفظ الفارسي ( جهاز ) بجمع فارسية مفتوحة ومعناه ( أربعة ) ، كما جاء في المعرب وأيده فيه ابن بري . وقد جاء ( استار ) في شعر الأخطل والكميت . لكن لفظ ( استار ) هذا قد جاء في المعجم الذهبي على أنه لفظ فارسي معناه ( أربعة ) أو ( وزن يعادل أربعة مثاقيل ) فما تحليل ذلك ؟ أقول أكبر الظن أن الفارسية قد اقتبسته وأدخلته في ألفاظها كما فعلت في كثير من المعربات ، وهو لم يرد في بعض معاجم الفارسية .

وجاء في الكتاب ( ص / ٤١ و ٤٢ ) :

قال أبو منصور : الألوة المود الذي يتخير به ، ذكر أبو عبيدة : أنه مرّب (١) .  
قال ابن بري : قال المفضل بن سلمة : يقال ألوة والّوة بالفتح في الهمزة وضما .  
وفي الحديث في صفة الجنة ( ومجارهم الألوة ) ( ٢ ) .  
وحكى اللحياني : ألوة والّوة والّوة وليّة ( ٣ ) وحكى ابن الأعرابي ( ليّة ) وأنشد  
[ من الرجز ] :

لا يصطلي ليلة ريج صرصر      الا بعود ليّة او مجمر  
وقد جاء ( الأويّة ) في بيت ، أنشده ابن الجراح ( ٤ ) [ من الطويل ] :  
بساقين ساقي ذي قيصين تعشها      باعواد ونذر او الأوية شقرا ( ٥ )  
١ - قال المعقق ( المغرب - ص / ٤٤ ) .

- أقول فات المعقق أن يقول شيئا حول لفظ ( الألوة ) وأصله . فقد تبين بالبحث أن ( ألوة ) بضم الهمزة واللام وتشديد الواو المفتوحة ، للمود يتخير به . وما دامت همزته أصلية فهو قبل الإدغام ( لعلّة ) كسبلة . وهو يجمع في الأصل على ( الأوي ) وقد دخلته الهاء كما جاء في اللسان للأشعار بجملة فأصبح ( الأوية ) ، وفي النهاية أنها همزة أصلية وقيل زائدة . وقد جاءت فيه لغات ( ألوة ) بفتح الهمزة كما قال المفضل ، و ( لّوة ) بحدف الهمزة ، كما حكى اللحياني ، و ( ليّة ) بكسر اللام وتشديد الياء ، كما ذكره ابن الأعرابي .

أما أصله فقيل أنه فارسي ونفى أبو منصور ذلك وقال أنه هندي ، كما في اللسان وجاء في الألفاظ الفارسية لأدي بشر أنه فارسي أصله ( ألوا ) وأن معناه نبات ( الصبر ) بفتح فكسر ، وأنه يوناني أيضاً وهو منقول من ( الأرامية ) لأن ( الصبر ) موطنه الشرق . وفي اللغات اللاتينية كالفرنسية والإيطالية ، وفي اللغتين الجرمانية والانكليزية مثل هذا اللفظ اسماً لنبات الصبر المشهور بمصارتة المرة . أما في المعاجم الفارسية فإن ( ألوا ) و ( ألر ) لشعلة النار . فإذا صح أن الأصل واحد ، كان اللفظ للمود من هذا النبات .

٢ - قال المعقق : وتعام الحديث في اللسان : ومجارهم الألوة غير مطراة .

- أقول جاء في النهاية ( وفي صفة أهل الجنة ومجارهم الألوة هو المود الذي يتخير به . . ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يستجير بالألوة غير مطراة ) واجتمع واستجير بالجمرة . تبخر بها ، وطراة جملة طريا .

٣ - أقول : زاد المعقق هنا ( ليّة ) نقلا عن اللسان كما ذكر . إذ اقتصر الأصل ومخطوط المغرب ( ٩٠١٢ ) في حكاية اللحياني على اللغات الثلاث . وأما الراهبة أي ( ليّة )

فقد جعلها حكاية ابن الأعرابي وحده ، وقد استشهد بقول الرازي ( إلا بمرد ليثة أو مجمر ) ، ويؤيد هذا سياق الكلام .

٤ - فات المحقق أن يعرف بـ ( ابن الجراح ) على ما جاء في الأصل . والذي جاء في حواشي مخطوط المعرب ( ٩٠١٢ ) : ( أبو الجراح ) بجيمين ، وكلاهما مجرّف . ويتجه لي أنه أبو الجراح بتشديد الراء وحام في آخره ، وقد جاء ذكره في المظان . ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ٢١٠ ) أنه الأسود بن يعفر ، وهو جاهلي من بني حارثة . ويكنى أبا الجراح ، كان أمي .

و ( يعفر ) بفتح الياء وزان ( يقتل ) فهو غير مصروف ، وقيل بضم الياء والفاء فهو مصروف لزوال شبهه بالفعل وقد تحدث أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني عنه في كتابه ( فرحة الأديب ) وذكر شيثامن شعره ( ١٩٩ ) . وفي المؤلف والمختلف للأندي ( ١٦ ) أن الأسود بن يعفر التميمي هذا هو أعشى نهشل ، وقد جاء الصبح المنير بشعره ( ٢٩٨ ) وما أظنه استوفاه . ويؤكد هذا ما جاء في طبقات الجمحي ( ١٤٨/١٤٧ ) .

٥ - قال المحقق : في الأصل : بساقين ساقى ذي قعين تحنها .

- أقول فات المحقق أن يقول شيئا في بيت أبي الجراح . ذ ( ذو قضين ) بكسر القاف اسم موضع ، و ( قضون ) في الأصل جمع ( قضة ) بكسر أوله الأرض المغضة ، تراها رمل ، كما جاء في كتاب العين ، ومعجم البلدان ( ٣٦٨/٤ ) وساقاها جبلاها ، وتحنها بمعنى تلمعها . وفي الأساس ( حش السارأشبتها وأطمعها العطب ) . وهو ينصب مفعولا ثانيا أو يتعدى إليه بالحرف ، كما جاء في التاج . وقد جاء في عجز البيت ( الأوبة ) بالنصب وهو معطوف على مجرور كذا جاءت روايته في التهذيب واللسان ( الو ) ، وفي موضع آخر من اللسان ( قضى ) . ونسب البيت فيه إلى أبي ( العجاج ) وأحسبه مجرّفا . وأغلب الظن أن الشاعر استجاز عطف المنصوب على المجرور للضرورة جريا على قول من قال ( مرتت يزيد وعمرا ) . قال ابن جنس في الخصائص ( ١١٢/١ ) : ( ألا ترى أنك تحكم لموضع الجار والمجرور بالنصب فتعطف عليه فينصب لذلك ، فتقول : مرتت يزيد وعمرا ) . وأشار إلى ذلك صاحب المغني .

وجاء في الكتاب ( ص ٤٣ و ٤٤ )

قال أبو منصور : و ( البرزيق ) الفارس بالفارسية ، والجماعة من الفرسان : ( البرازيق ) قال جهمسة بن جندب ( ١ ) : [ من الكامل ] .

تفضل جباهه متمطرات برازيقا تصبّح أو تغير ( ٢ )

قال ابن بري : قوله ( البرزيق : الفارس ) وهم ، وإنما البرزيق الجماعة من الناس فرسانا ورجالة ، والبرازيق الجماعات .

وفي الحديث : ولا تقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق ( ٣ ) ، وقال أبو عبيد : أي جماعات ( ٤ ) .

وقال الليث : البرزق جماعة خيل دون الموكب . وقال زياد (٥) : ما هذه البرازيق التي ترد؟ وقد يجمع برزق على برازق بعطف الياء . قال عمار بن طارق ( من الرجز ) .

### ارض بها الثران كالبرازق (١)

وقول أبي منصور ، ابن الجواليقي : ( والبرازيق هي الجماعات من الفرسان ) لأن البرزق هو الجماعة ، والبرازيق هي الجماعات (٧) .

١ - أقول : لم يذكر الممرّب اسم الشاعر (٥٥) وإنما جاء به محقق الممرّب الأستاذ أحمد محمد شاكر وذهب الى أنه ( جهينة بن جندب بن العنبر بن تميم ) نقلاً عن الجمهرة واللسان وأثبتته الدكتور السامرائي ( جهمة بن جندب ) بفتح الجيم في ( جهمة ) ، وعندني أنه ( جهمة ) بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ( كما جاء في الصحاح وحكاية عنه صاحب الناج . والجيم في جهمة مضمومة . وقد جاء في الأصل ( جهمة بن جندب ) وكذلك في حواشي الممرّب ( ٩٠١٢ ) . ويثبت صحة حكاية الصحاح أن ( جهمة ) بالضم وجندباً والعنبر كلهم من بني تميم على ما جاء في الاشتقاق لابن دريد . وفيه أن من بطون جندب بنو جهمة بالضم ( ٢١١ ) .

وقد ذهب الدكتور حاتم صالح الضامن فيما تمعّب به الدكتور السامرائي الى أنه ( جهينة ) اذ قال ( والصواب جهينة بن جندب كما في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام - ١٠٠/٤ وجمهرة اللفظة - ٣٠٥/٣ واللسان - برزق ) أقول أن ما جاء به أبو عبيد وصاحب الجمهرة واللسان لا يدحض حكاية الصحاح ، لما بيناه .

٢ - قال المحقق : في الممرّب ( ٥٦/٥٥ ) والرواية ( برازق تصبح أو تغير ) والبيت ثانٍ بيتين وردا في اللسان ، والرواية برازقاً بالنصب .

٢ - أقول : هذا بعض ما ذكره محقق الممرّب الأستاذ أحمد محمد شاكر . وقال أن رواية الجمهرة قد جاءت بالرفع في ( ٥٠١/٣ ) لكنها جاءت بالنصب في ( ٣٠٥/٣ ) وحكاية عنه اللسان ، ورواية اللسان :

رددنا جمع سابور وأنتم بمهواة متالفها كثير

تظلل جياننا متمطرات برازقاً تصبح أو تغير

وقد أغفلت رواية الصحاح وهي كرواية اللسان ، ولكن جاء في صدر البيت الثاني ( تظلل جيانه . . ) والمتطرات الممرعات من ( تمطر ) بتشديد الطاء . وقد جاء في الأساس ( ورسّ الفرس يطر مطراً ويتمطر: يمدو بشدة كصوت المطر ) . والبرازيق جماعات الخيل .

٣ - أقول : في النهاية لابن الأثير ( لا تقوم الساعة حتى يكون الناس برازيق ، ويروى برازق أي جماعات واحدة برازق وبرزق ) قلت قد يكون البرازق أو البرزق

كما جاء في النهاية ، أو البرزق كما جاء في المغرب وحواشي ابن بري وشفاء الغليل ،  
مجموعاً على برازق أو برازق . فالكوفيون قد أجازوا في كل جمع على ( مفاعل ) أو  
ميثته ، أن تزداد فيه الياء ، وأجازوا حذفها فيما جاء على ( مفاعيل ) وميثته أيضاً ، كما  
نص عليه الهمع ( ١٨٢/٢ ) . وقد أخذ بهذا جماعة وعبروا عن زيادة الياء في نحو  
( مفاعل ) أو ميثته ، بأشباع الكسرة ، وأسماها ابن جنسي في الخصائص ( ١٥١/٣ ) ولي  
المحتسب ( ٣٥٧/١ ) أشباعاً للحركة أو مطلقاً . ورد ابن الأنباري في الانصاف و  
( ٣١/١ ) وقصره على الشعر .

وأصل ( برزق وبرزق ) فارسي . قال آدمي شير في الفاظه ( فلم أر سوى بروز ،  
وهو اصطفاك الغيالة والرجالة من السكر على شكل حلقة ) . وفي المعجم الذهبى  
( بروز ) بياء فارسية حلقة الجند ، وحاشية الثوب ، وتلفظ بفتح الياء والواو . وهكذا  
عُرب ( بروز ) الفارسي ومعناه الاطار أو الحاشية أو الحلقة من الجند الى ( برزق أو  
برزق ) ، ومعنى البرازيق الجماعات من الغيل أو الفرسان ، وجاء في التاج عن  
الصاغاني أن البرازيق : الطرق المصطفة حول الطريق الأعظم .

٤ - قال المحقق : وقول أبي عبيد في اللسان ، وهو من غير شك من ( الغريبين ) .

ومعلق الدكتور الضامن فقال : إن أبا عبيد المذكور هو القاسم بن سلام ( المتوفى  
٢٢٤ هـ ) وقوله في كتابه غريب الحديث ( ١٠٠/٤ ) . ووم الأستاذ المحقق فظنه  
أبا عبيد الهروي أحمد بن محمد ( المتوفى ٤٠١ هـ ) صاحب كتاب الغريبين .

- أقول : أكد المحقق الدكتور السامرائي أن الذي أراد ابن بري هو أبو عبيد  
صاحب كتاب الغريبين : غريب القرآن وغريب الحديث ، دون أبي عبيد القاسم بن سلام  
الأزدى صاحب غريب الحديث ، ولم يمثل لذلك ، والعق أن ابن بري هو أحد الأئمة  
الذين حكوا عن الغريبين خاصة ، وذلك في حواشيه على الصحاح ، وعلى درة الفواص  
للحريري . لكن الذي جاء في الغريبين من مادة ( برزق - ١٥٧/١ ) هو : ( وفي حديث  
آخر : والناس برازق ، يعني جماعات . وفي حديث زياد : إذا لم يكن منكم نهاية تمنع  
الناس من كذا وكذا وهذه البرازيق ) ، على حين أورد أبو عبيد القاسم بن سلام ما  
حكاه عنه ابن بري نفسه فقد جاء بالحديث ( لا تقوم الساعة حتى يكون الناس برازق )  
وأردف ( يعني جماعات ) ، ويؤكد هذا أن ابن بري قد عنى أبا عبيد القاسم بن سلام .

٥ - قال المحقق : لم أتبين ( زيادا ) هذا .

ومعلق الدكتور الضامن على هذا فقال : هو زياد بن أبي سفيان ، وقوله في اللسان  
( برزق ) .

- أقول : الذي في اللسان أنه ( حديث زياد ) . وقد جاء به ابن قتيبة عبيد الله بن  
مسلم في غريب الحديث ( ٥٧٢/٢ ) فذكر أنه ( حديث زياد بن أبي سفيان ) ، وكان  
زياد هذا والي البصرة في عهد معاوية . ونص الحديث كما جاء في اللسان ( وفي حديث



زياد : ألم تكن منكم نهاية يمتعون الناس عن كذا وكذا ، وهذه البرازيق ٠٠ ) كما في النهاية ٠ وأردف : ( وقال زياد : وهذه البرازيق التي تتردد ) وفي غريب الحديث ( ألم تكن منكم نهاية تمنع الفواة عن دلج الليل وغارة النهار وهذه البرازيق ) ٠ أما في البيان والتبيين ( ٦٢/٢ ) فقد جاء فيه ما جاء في غريب الحديث ولم تذكر فيه ( البرازيق ) وكذلك المقد الفريد ( ١١٠/٤ - ١١١ ) ٠

٦ - قال المحقق : وتام الرجز في اللسان : كأنما يمشين في اليلامق ٠

- القول : اليلامق جمع يلحق بفتح فسكون ، وهو القباء بفتح القاف أي الثوب الذي يلبس فوق الثياب ، وأصله الفارسي ( يلمه ) كما في المغرب ( ٣٥٥ ) ٠

٧ - قال المحقق : والمبارة : وقول أبي منصور ، ابن الجواليقي : ( والبرازيق ٠٠ ) هو من كلام ابن بري في توضيح وتفسير كلام صاحب المغرب ، المتقدم ٠

- أقول هذا صحيح ، لكن صحة كلام ابن بري ( وقول أبي منصور الجواليقي : البرازيق الجماعة من الفرسان ، صوابه أن يقول الجماعة من الفرسان ) وكذلك جاء في حواشي مخطوط المغرب ( ٩٠١٢ ) ٠ أما ما أثبتته المحقق مسن قول أبي منصور ( والبرازيق هي الجماعة من الفرسان ) فليس صحيحاً والصحيح هو ( والبرازيق الجماعة من الفرسان ) وهذا ما دعى ابن بري إلى أن يثبته بقوله ( وصوابه أن يقول : البرازيق الجماعة من الفرسان ) ٠ والمعروف أن أبا منصور الجواليقي صاحب المغرب هو الجواليقي أو ابن الجواليقي ، لأن ( الجواليقي ) لقب لجده من أجداده ، نسبة إلى الجوالق جمع جوالق بكسر الجيم ٠ وهو في ( انباء الرواة - ٣/٣٣٥ ) : ( موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليقي ، أبو منصور بن أبي طاهر ) وهو في ( بغية الوعاة / ٤٠١ ) : ( موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الغضر ، أبو منصور الجواليقي ) ٠

وجاء في الكتاب ( ص / ٤٤ و ٤٥ ) :

قال أبو منصور : و ( بسطام ) ليس من كلام العرب ، وإنما سمي قيس بن مسعود ابنه ( بسطاماً ) باسم ملك من ملوك فارس ٠

قال ابن بري : إذا ثبت أن ( بسطاماً ) اسم أعجمي علم ليس بجنس فلا وجه لصرفه ٠ وقال ابن بري : بعد ذلك إذا ثبت هذا فإن ( بسطاماً ) مصروف لأنه منقول مسن جنس ( ١ ) ٠

قال أبو منصور : قال رؤبة : ( ٢ ) [ من الرجز ]

كمرجل الصباغ جاش بقتمه

قال ابن بري : صوابه العجاج وقبله :

يجيش من بين تراقيه دمه كمرجل الصبأغ جاش بقمته (٣)

١ - أقول : إذا عدنا إلى المرب ( ٥٦ و ٥٧ ) الفينا أن أبا منصور ذكر في (بسطام) وجهين : الأول وقد نسب إلى ابن دريد : أنه في الأصل ( علم في الفارسية ) لأنه اسم ملك من ملوك الفرس فعقب ابن بري على ذلك بما منناه : إذا ثبت أن بسطاماً نقل إلى العربية وهو في الأصل علم أعجمي فهو ممنوع ولا وجه لصفه .

الثاني : ولم ينسب إلى أحد ، أنه في الأصل ( اسم جنس في الفارسية ) فعقب ابن بري على هذا بما منناه : إذا ثبت أن بسطاماً قد نقل إلى العربية علماً ، وهو في الأصل اسم جنس أعجمي ، فإنه معروف وقد كان ينبغي أن يثبت هذا قبل تعقيب ابن بري ، وأن يشير المحقق إليه . وجاء في المرب في تفصيل هذا الوجه ( قال أبو منصور : وقال غيره ، أي غير ابن دريد ، وسمي بسطاماً لأن أياه كان محبوباً عند كسرى فنظر إلى غلام يوقد تحت شيء ، يحركه بحديدة فبشّر به ، وقيل ولد لك غلام . فقال أي شيء تسمون هذا ؟ قالوا فسموه بسطاماً ) . والذي تبين بهذا أن السوال كان عن اسم الحديدية التي كان الغلام يحرك بها النار ، واسمها في الفارسية ( أستام ) . قال صاحب المعجم الذهبي ( أستام شيخ حديدي يستعمل لتحريك نار الأتون والتنور ) . وأنكر محقق المرب الأستاذ أحمد محمد شاكر أن يكون الجواب عن اسم الحديدية في النص ( أستام ) وأكاد أنه ( بسطام ) وأثباته أياه كذلك في المرب خطأ والصحيح ما ذكرناه ، وهو ( أستام ) . وجاء في مخطوط المرب ( ٩٠١٢ ) : ( أستام ) ، وفي المرب المطبوع عام ( ١٨٦٧ ) : ( إسطام ) ولكن كيف آل ( أستام ) هذا إلى ( بسطام ) بالتعريب ، وفي العربية ( الاسطام ) كما يمنية اللفظ الفارسي ؟ قال الزمخشري في الأساس ( حرك النار بالاسطام ) ، أفليس الأعدل أن يكون ( الاسطام ) هذا معرباً من ( أستام ) الفارسي ؟ وأن يكون ( بسطام ) منقولاً إلى العربية من ( بسطام ) اسم العلم الفارسي . ومن ثم أكد ابن خالويه أنه ( لا ينبغي أن يصرف ) وجاء في الصحاح أنه منقول من اسم علم أعجمي ، كما ذكره ابن دريد في الجوهرة ، وكذلك جاء في شفاء الغليل .

وبسطام بن قيس بن مسعود هو أحد فرسان العرب الثلاثة عامر بن الطفيل وعتيبة ابن الحارث وبسطام هذا . أما قيس بن مسعود فقد كان والياً على الأبله لكسرى ، كما جاء في الاشتقاق لابن دريد .

وبسطام بكسر الباء لكنه جاء بفتح الباء أيضاً ، ذكره العنبري الحلبي في بحر الموام .

٢ - قال المحقق : الصواب هو العجاج ، كما أثبت ذلك أيضاً ابن بري في تصحيحه . والرجز من الجوهرة لابن دريد ( ٣٢٢/١ ) .

- **أقول :** نسب الجوالقي الرجز الى رؤية وهو لأبيه المعاج ، وأخطأ بالنقل وفات المحقق أن ابن دريد الذي حكى الجوالقي عنه لم يخطئ فقد نسب في الجمهرة الى المعاج. كما هو واضح في ( ٣٢٢/١ ) . وقد أشار الى هذا محقق العرب نفسه ( ٥٩ ) .

٣ - **قال المحقق :** العرب ( م/٥٩ ) والرجز شاهد في ( بقم ) وهو صبغ أحمر .

- **أقول :** جاء في الصحاح : ( البقم ، بفتح الباء والقاف المشددة ، صبغ معروف وهو العندم .

**قال المعاج :**

بطمئة نجلاء فيها ألمه يعيش ما بين تراقيه دمته

كمرجل الصبّاغ جاش بقمته

وقلت لأبي علي الفسوي ، أحرمي هو فقال : مرّب . وقال ابن خالويه في ( ليس ) : ( لم يصرف الاسم إذا جاء على فتل بفتح الفاء والعين المشددة ، لأنه يشبه الفعل ) يعني إذا سمي به . وأكثر ما جاء منه علم . وجاء في اللغة ( مَبْقَم ) للمصبوغ بمشبب البقم كما في ( الساسي / ١٣١ ) للميدانسي الفيسابوري . أما أصل ( بقم ) فقال أدبي شير أنه ( بكم ) بفتح الباء والكاف ، ولم أجده في المعجمات الفارسية . وقال صاحب التقريب انه جاء على زنة أصله الفارسي .

**وجاء في الكتاب ( ص / ٤٥ و ٤٦ )**

**قال أبو منصور :** و ( الببر ) ببامين ، جنس من السباع ، وأحسبه دخيلاً وليس في كلام العرب . والفرس يسمونه ( بفر ) (١) .

**قال ابن بري :** ( الببر ) (٢) هو الفرائق يندر (٣) الأسد ، ويقال له ( الهَدْبَس ) (١) ويقال ( الهَدْبَس ) الذكر .

**قال أبو منصور :** و ( البهار ) (٥) اسم واقع على شيء يوزن به نحو الوَسَق وما أشبهه ، بضم الباء ، وهو مرّب ، وقد تكلمت به العرب . قال الشاعر ، وهو البُرَيْق الهَنْدَلِي (٦) يصف سحاباً : [ من الوافر ] :

بمُرْتَجَزٍ كان على ذِواءِ رِكابِ الشامِ يحملن البهّاراً (٧)

**قال ابن بري :** قال ابن جني : البهّار عربي مأخوذ من بهرني الشيء ، لأن الحمل الثقيل يبهّر حامله .

**وقال الأزهري :** البهّار هو ما حمل على البعير بلغة أهل الشام ، وهو عربي صحيح ، وأنشد بيت البُرَيْق .

١ - قال المحقق : لا بد أن يكون الفاء في ( بفر ) ليس فاء كالفاء العربية بل هي أقرب الى الواو الشفوية . كالحرف اللاتيني ( v ) وهو قريب من الباء ، ويتم بينهما الابدال ، وذلك لأن الابدال بين الباء والفاء على أنهما شفويتان ، قليل .

- أقول : لم يمتد المحقق أن يبحث الابدال في التعمريب فيما تقدم ، وهو لم يوفق في حكمه هنا . ذلك أن الفاء التي أشار إليها، وهي الفاء الفارسية التي تلفظ بين الفاء والباء ، قد هجر النطق بها ، كما ذكرنا في موضع آخر . وقد انتهت الى باء خالصة في بعض الألفاظ الفارسية نحو ( استفره ) بفاء فارسية آلت الى ( استبره ) ، أو الى فاء خالصة نحو ( فزوني ) بفاء فارسية ومنه الكثرة والوفرة آلت الى ( فزوني ) بفاء خالصة . وعلى هذا جاء الحديث في كتب التعمريب ، ومنها كتاب المغرب ، والمعجمات الفارسية ، عن الابدال في أربعة أحرف فارسية ليست في العربية ، وهي الباء الفارسية التي بين الباء والفاء ، والجيم الفارسية التي بين الجيم والشين ، والزاي الفارسية التي بين الزاي والجيم ، والكاف الفارسية التي بين الكاف والجيم . وقد طروا ذكر الفاء الفارسية ، إذ هجر النطق بها . قال صاحب التقريب ( ١٩ ) ، ( والفاء الفارسية هي حرف بين الفاء والباء . . . وقد ذكره ابن سينا ، وكان موجوداً في عصره في بعض الكلمات الفارسية ، ثم هجر النطق به ، حتى صار نسبياً منسياً ) . وسكوت صاحب المغرب عن ذكر هذه الفاء دليل على هجر النطق بها في عهده ( توفي ٥٤٠ هـ ) خلافاً لمحمد ابن سينا ( توفي ٤٢٨ هـ ) فالذي أراده أبو منصور بلفظ ( بفر ) الذي اعتمد أصلاً للفظ ( بفر ) هو ( بفر ) بفاء خالصة ، خلافاً لما ذهب إليه المحقق .

٢ - أقول : ( البتر ) بفتح فسكون هو الفرائق بضم الفاء وكسر النون كما في اللسان ، وهو ضرب من السباع ، معرب ، والجمع ( بيور ) كما في ( السامي / ٢٨ ) للميداني النيسابوري .

أما أصله فقد ذهب الجواليقي الى أنه ( بفر ) بباء ففاء ، وقال آدي شير انه ( بير ) بباءين مكسورة فسكنة ، وهو في الفارسية جنس من السباع أو ( بير ) بفتح فسكون وهو في الفارسية حيوان كالقط . وقد أنكر محقق المغرب الأستاذ أحمد محمد شاکر أن يكون الأصل بباء ففاء أي ( بفر ) وأكد أنه بباءين ، كما ذهب اليه الجواليقي . ولست أدري ما حجته والذي في المعاجم الفارسية ( بير ) بباءين مفتوحة فسكنة . وكذلك جاء في المغرب المطبوع ( ١٨٦٧ م ) ولكن بباءين مفتوحتين ( ص / ٢٧ ) .

٣ - قال المحقق : في الأصل الكلمة مهملة ( غير معجمة ) واثرت أن أثبتها كما وردت ، ويقوي هذا أنها في اللسان : الفرائق يعادي الأسد .

- أقول : فات المحقق أن يتبين المعنى بالعودة الى المظان . فقد تراءى له أن العبارة ( ينذر الأسد ) والصواب أنها ( ينذر بالأسد ) ولو عاد الى المغرب ، وهو أقرب المراجع اليه لتبين صحة ما قلناه . فقد جاء فيه ( والفرائق قال ابن دريد هو فارسي معرب ، وهو سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينذر الناس به / ٢٣٨ ) . وهذا ما حكاه آدي شير عن البرهان

القاطع ( هو الحيوان الذي ... يصبح بين يدي الأسد كأنه يندثر الحيوانات به ، فإذا سمعت صوته عرفت أن الأسد مقبل فاستغثت/ ١١٩ ) . وهو كذلك في حواشي مخطوط المغرب ( ٩٠١٢ ) ، فتمام .

٤ - أقول : جاء في التاج ( الهندس يفتحين وباء مشددة كملتس أهمله الجوهري قال ابن الأعرابي : هو الببر الذكر أولده ) .

٥ - أقول : البهار بضم الباء لما يوزن به الشيء نحو الوسق يفتح فسكون . وهو يزن ثلاثمائة رطل . أو هو الحمل عامة كما فسر به الأصمعي بيت الهذلي ، وعليه ابن قتيبة على ما جاء في المغرب واللسان ، ونعومن ذلك ما قاله الأزهري .

وذكر الجواليقي أنه مغرب ، ولم يأت بأصل الكلمة ، وحكى عن أبي عبيد قوله أراها قبطية . قلت ليس أصل البهار فارسيًا على كل حال ، فقد ذكر الميداني النيسابوري البهار في ( السامي/ ٣٠٣ ) وجعل فارسيته ( سيصد رطل ) أي ثلاثمائة رطل . وأشار أدي شير إلى معنى ( بهار ) بضم الباء في الفارسية فقال هو الصنم، وجعل المعجم اللذمي ( الصنم ) أحد معاني ( بهار ) يفتح الباء . فإذا كان أصل الحرف قبطيًا فالقبطية شقيقة المصرية القديمة ، وهي في أغلب الظن لفظة سامية أو هي قريبة منها ، خلافا للبربرية العامية ، كما جاء في فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وآل . وذهب مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى أن القبطية حامية سامية . فإذا صح هذا قرب أن يكون للبهار أصل عربي كما قال الأزهري وابن جني وحكاه ابن بري .

٦ - قال المحقق : كذا في ( شرح أشعار الهذليين - ٧٤٢/٢ ) وهو البريق الغنامي . - أقول : جاء في الفرج أنه البريق بن عياض بضم ففتح ، وهو يرثي أخاه .

٧ - قال المحقق : البيت في اللسان ورواية الشطر الثاني في ( الجمهرة - ٢٧٩/١ ) : كسر الشام ...

- أقول : المرتجز الرعد الذي يرتجز أي يتردد أو يتتابع صوته تردد الرجز وتتابعه .

وجاء في الكتاب ( ص / ٤٦ ) :

قال أبو منصور : ( البرند ) جوهر السيف وماؤه ، لغة في ( الفرند ) قيل أنه أعجمي مغرب ، ويمكن أن يكون عربيًا ، ويكون من ( البرد ) والنون زائدة لأن السيوف توصف بذلك ، والأول أجود .

وقال ابن بري : و ( برند ) اسم أعجمي عربته المغرب ، وكذلك قال سيبويه ، وهو عندهم خارج عن كلام العرب ، وعليه إجماع النعاة وأهل اللغة (١) .

قال أبو منصور : و ( البرطلة ) كلمة نبطية ، وليست من كلام العرب (٢) .

قال ابن بري : يقال ( برطّل ) بغير هاء (٣) قال أبو زيد : يقال ( البرطلة ) :  
العارس (٤) : ( الشرقة ) (٥) و ( الشرعامة ) (٦) مظلة الناظر ، وأشد [ من  
الرجز ] :

### افلح من كانت له ثر عامية يدخل فيها كل يوم هامة

١ - أقول : ذهب الجواليقي الى امكان أن يكون ( البرند ) بكسرتين عربياً اشتق من  
البرد ، والتون زائدة . واحتج لذلك بأن العرب تصف السيوف بذلك ، وهو بعيد .  
فاذا كان قد عني قول الشاعر ( بالمرهفات البوارد ) أي القوئل ، من برد الانسان اذا  
مات ، وبرده : قتله فلا صلة لهذا بـ ( البرند ) من حيث المعنى . قال صاحب المفردات ( ومنه  
السيوف البوارد ) . ولذا أثر أبو منصور أن يكون أعجمي الأصل ، وهو الراجح وما أظن  
الذي حكى من قولهم ( المبرندة من النساء التي يكثر لعنها ) كما جاء في اللسان ، ما أظن  
ذلك دليلاً على نفي كون ( البرند ) بما ذكره الجواليقي من معناه ، أعجمياً . وأبى ابن  
بري كونه عربياً لاجتماع النعاة وأهل اللغة على عجمته . وذهب سيبويه في الكتاب  
( ٢٤٢/٢ ) الى أن العرب لم يغيروا بـ ( برند ) حين عربوه ، وإنما أبدلوا من بانه  
الفارسية هذه فاء فقالوا ( فرند ) بكسرتين . قال سيبويه ( وربما غيروا العرف الذي ليس  
من حروفهم ولم يغيروه عن بانه في الفارسية نحو : فرند ) والمعروف أن الأصل الفارسي  
هو ( برند ) بفتح الباء الفارسية والراء بعدها ، وأن مرهيه هو ( فرند ) أو ( برند )  
بكسر الأول والثاني فيهما ، ويؤيد هذا ما جاء في الألفاظ الفارسية لأدي شير ، والمعجم  
الذهبي . وحكى القاموس فتح الرام ( في البرند ) وأورد الجواليقي أصله الفارسي  
( ص/٢ ) على هذا .

قال المحقق : قولهم ( البرطلة ) نبطية أرادوا بها سريانية ، وهي مركبة من ( بر )  
بمعنى ( ابن ) و ( طلا ) بمعنى الظل ، فكان المعنى كله ( ابن الظل ) . وقد أشار الى هذا  
اللغويون العرب أيضاً . وما زالت في شمال العراق بليدة تعرف ( برطلة ) يسكنها  
النصارى .

٢ - أقول : جاء في المعرب ( ٦٨ و ٢٣٥ ) : ( البرطلة ) بفتح الباء وسكون الراء وضم  
الطاء وتشديد اللام المفتوحة ، وكذلك جاء في الجهمرة ( ٣٧٥/٢ و ٣٠٧/٣ ) . على  
أنها أثبتت بضم الباء في اللسان والقاموس والمعار ، وخففت اللام في اللسان وشددت في  
المعار ، وجاء بها القاموس بالتشديد والتخفيف ، وأورد ابن بري اللفظ بضم  
الباء وتشديد اللام ( باب العين - المعرطة والبرطلة ) .

وقد ذهب ابن دريد الى أن ( البرطلة ) كلمة نبطية ، وحكى عن أبي حاتم عن  
الأصمعي أن ( بر ) بمعنى ( ابن ) وأن النبط يجعلون الغطاء طام كأنهم أرادوا بالكلمة ( ابن  
الظل ) ، وقال ( ألا تراهم يقولون الناظور وإنما هو الناظر ) . وحكى ذلك عنه صاحب  
المعرب ( ٦٨ و ٣٣٥ ) : ( البرطلة : المظلة الصيفية ، والناظر : الأمين .

وقد فات المحقق أن النبطية غير السريانية . فالنبطية كما يقول ( نولدكه ) في كتاب ( اللغات السامية ) هي الآرامية الغربية القديمة ، وجاء نحو من ذلك في كتاب اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون ، وفي كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد والي . وكان النبط عرباً كما يقول نولدكه ، وهم عند بعض الباحثين أقرب إلى قرش وإلى القبائل العجازية التي أدركت الإسلام من العرب الجنوبيين أنفسهم . قلت هذا ما جبل بعض الأئمة على أن يقولوا بعربية البرطلة والناطور .

أما السريانية فهي من اللهجات الآرامية الشرقية ، لا الغربية . قال ولفنسون : ( وأما المنطقة الثالثة للهجات الكتلة الآرامية الشرقية فتعرف باللهجة السريانية ، وكان مركزها مدينة أودسا ٠٠ واسمها بالسريانية أورهي ٠٠٠ وعرفت عند العرب باسم الرهص ثم حرمف اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفا ، وهو اسمها إلى يومنا ١٤٥ ) . ونحو من ذلك ما جاء في فقه اللغة للدكتور وافي ( ٤٦ ) ، وفي الآداب السامية لمحمد عطية الأبراشي ( ٤٦ ) ، خلافاً لما زعمه المحقق .

٣ - أقول : فات المحقق أن يتبين الأصل الصحيح لكلام ابن بري . فقد جاء ابن بري بـ ( البرطلة ) بضم الباء وتشديد اللام وزان ( المرطبة ) كما في باب العين من الكتاب . وجاء هنا ليقول أن التام قد تحذف منها فاذا حذف جاز التخفيف في اللام . فصواب كلامه ( برطل و برطل ) بضم الباء فيهما ، وتخفيف اللام في الأول وتشديدها في الثاني . قال الجوهري في الصحاح ( والبرطل بالضم قلنسوة ، وربما شدد ) وكذلك هو في حواشي مخطوط المغرب ( ٩٠١٢ ) .

٤ - أقول : فات المحقق أن يصحح خطأ وقع في النص . فقد جاء فيه ( قال أبو زيد : يقال البرطلة الحارس : السرقانة ) والصواب ( ٠٠ يقال برطلة الحارس : السرقانة ) ، وهو واضح .

٥ - أقول : ثمة خلاف حول ( السرقانة ) بقاف ففاء . فقد أشار ابن بري إلى أنها ( مظلة الحارس ) . وصحح الدكتور الضامن فقال أنها ( سرقانة ) بقاف فعين كما جاءت في كتاب المشتريات لأبي عمر الزاهد ( ٨٦ ) . وفصل فجعل ( سر ) بمعنى رأس بالفارسية و ( ففانه ) بمعنى الخيمة . وقد تبين لي بالبحث أنه ليس في معجمائنا العربية ( سرقانة ) بقاف ففاء ، وكل ما جاء ( سرقان ) بقاف ففاء ، وهو اسم لقرية بسرخس ، كما في معجم البلدان ، وهو غير ما عناه ابن بري على كل حال . ولم أشر على ( السرقانة ) بقاف ففاء في المعجمات الفارسية ، بل لم أشر على ( سرقانة ) التي حكاهما الضامن في معجم عربي أو فارسي أيضاً . وليس في الفارسية ( ففانه ) اسماً للخيمة ، بل قيل ( فافه ) كما في المعجم الذهبي اسم للخيمة . فاذا صح هذا كان رأس الخيمة ( سرقانه ) . أما ( المظلة ) فقد جاء في ( السامي / ٤١٦ و ٤١٩ ) أنها بالفارسية ( سايبان ) وجاء في المعجم الذهبي : ( سايبان مظلة كبيرة تقي العظماء من أشعة الشمس وأنه عرب إلى

( سيبانة ) • فإذا صح هذا كان رأس المظلة ( سرببانة ) ، فهل قصد ابن بري هذا اللفظ أو لفظاً معرباً شبيهاً به فغداً بالتحريف الى ( سرقفانه ) أو ( سرقبانه ) كما جاء في الأصل •

٦ - قال المحقق : وقال ابن الأعرابي : الشرعامة ، وهو يشير الى الرجز ، أنها المرأة ، وهذا نظير الرجز المنسوب الى علي - رضي الله عنه - وهو :

أفلح من كانت له قوصرة  
ياكل منها كل يوم مرة

انظر اللسان ( قصر ) •

- أقول : فات المحقق أن يوضح ما الذي يريد بقوله ( وهذا نظير الرجز المنسوب الى علي رضي الله عنه ) • وبيان ذلك أن ابن بري قد ذكر ( الشرعامة ) بكسر فسكون وقال انها مظلة الناطور واستشهد بقول الرازي • ( أفلح من كانت له ثر عامة • ) وذكر ابن الأعرابي ( الشرعامة ) وقال انها المرأة واستشهد بالرجز نفسه ، كما في اللسان • وتاويل ذلك أن الشرعامة هي المظلة ويكنى بها عن المرأة أو الزوجة لأنها مظلة الرجل ، وكذلك ( القوصرة ) بتشديد الراء وقد تخفف ، فهي وعاء من القصب يحفظ فيه التمر ويكنى بها عن المرأة أيضاً • قال ابن الأعرابي ( العرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوصرة ) وقال ابن بري ( وهذا الرجز ينسب الى علي عليه السلام ، وقالوا أراد بالقوصرة المرأة ، وبالأكل النكاح ) ، وكلامي هذا على القوصرة حكاه محقق العرب ( ٢٧٧ ) عن الجوهري واللسان •

وجاء في الكتاب ( ص / ٤٧ و ٤٨ ) :

قال أبو منصور : و ( بَبَّان ) كلمة ليست بحرية محضة • وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : ان عشت الى ما قابل لألحقن\* آخر الناس بأولهم حتى يكونوا ببَّاناً واحداً (١) •

قال ابن بري : قال أبو سعيد الضرير : ليس في كلام العرب ( ببَّان ) وانما هو ( ببَّان ) بالتاء المجمة باثنتين أعلاها ، من قولهم ( ببَّان ببَّان ) الذي ( لا ) يُعرف (٢) والمعنى : لأسوفين\* بينهم في العطاء حتى يكونوا شيئاً واحداً ، لا فضل لأحد على غيره • وقال الأزهري : وليس هذا كما ظنن\* ، فان هذا حديث مشهور رواه أهل الاتفاق ، وكان لغة يمانية (٣) •

وقال أبو منصور : (٤) ( ببَّان ) على وزن ( فَعْلان ) ويقال على وزن ( فَعْسال ) والنون أصلية (٥) ولا يصرّف منه فعل ، وهو ( البَّاج ) في المعنى : واحد (٦) •

قال ابن بري : وببَّان عند أبي علي ( فَعْلان ) لا غير (٧) ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أولى من تركيبها من حرف واحد • إذ ذاك نادر عزيز • وان باب ( دَدَن ) و ( لولب ) (٨) أيسر من باب ( ببَّ ) •



١ - قال المحقق : جاء في اللسان (بين) : قال أبو عبيد : قال ابن مهدي : يعني شيئاً واحداً ، ولا أحسب الكلمة عربية ، ولم أسمعها إلا في هذا الحديث .

- أقول : ما نود بيانه أن الأزهرى قداك في تهذيبه ( ب ) لفظ ( بيان ) في حديث عمر لثبوته وشهرته . وقد جاء الحديث في مطان كثيرة ، كما جاء في التهذيب والصحاح وكتاب ( ليس ) لابن خالويه ، والنهاية ، والمزهر ، واللسان ، وسواها . وفيه ( بيان ) بباء مفتوحة بعدها باء مشددة ، ولو اختلف نص الحديث . قال الجوهرى في الصحاح ( ويقال هم بيان واحد ، كما يقال : باج واحد ) . وأردف ( قال عمر ، رضي الله عنه ، أن شئت سأجعل الناس بياناً واحداً . وهذا الحرف هكذا سمع عنهم ) ثم قال : ( وأنا س يجعلونه من هين بن بيان ، وما أراه محفوظاً عن العرب ) .

وحكى الأزهرى عن أبي عبيد قوله ( لا أحسب هذه الكلمة - أي بيان - عربية ) وقال : ( وكأنها لغة يمانية ولم تنفش في كلامهم ، وهو والباج ، بمعنى واحد ) . وهكذا يكاد يجمع الأئمة على أن ( بياناً ) في الحديث صحيح ، مسنوع عن العرب .

وخالف أبو سعيد الضرير ، على ما جاء في النهاية واللسان وسواهما ، فقال ( ليس في كلام العرب - بيان - والصحيح عندنا بياناً واحداً ) بياء مشددة . وفي شفاء الغليل . ( وأما هو بيان بياء مشاة تحتية من قولهم بيان بن بيان ) حكاية عن الضرير . ولكن ما أصل ( بيان ) هذه . حكى الأزهرى عن أبي عبيد : ( لا أحسب هذه الكلمة عربية وكأنها لغة يمانية ) . والذي يتجه لى أن جمود اللفظ وعدم تصرفه قرينة من قرائن عجمته . أما نسبة اللفظ إلى اليمانية واليمانية لهجات عربية جنوبية كلهمجة المينيين والسبئين والحميريين ، وقد اندثر بعضها قبل الإسلام . وبقيت منها بقية بعده ، أقول أن نسبة اللفظ إلى اليمانية لا يستلزم بالضرورة أن يكون يمانياً ، فقد غزت العجازية الفاظ قبل أنها يمانية فثبت أنها حبشية الأصل ، كما جاء به الأستاذ عبد المجيد هابدين في كتابه ( بين الحبشة والعرب ) ، لاختلاط اليمانيين بالأحباش . وقد تكون حيناً فارسية لأن اليمانيين غالطوا الفرس فتأثبت لفظهم . ومن ثم استبعد الأئمة في ( تقييد ) اللفظة الفصحى ( اليمانية ) عامة ، كما تجنبوا ( أزد شنودة وأزد عمان ) خاصة ، فهل تكون ( بيان ) فارسية الأصل ؟

أقول : لم أر من ذكر ذلك ، لكنني بحثت اللفظ في المعجم الذهبى فالفيت ( بابا ) بباءين فارسييتين مفتوحتين بينهما باء خالصة مكسورة ، ومعناه ( قدم بقدم ، ومساو ، ومطابق النمل للنمل ) ، فذكرت ما يقول العرب في الماثلة بين شيئين وهو ( حدث النمل بالنمل ) أي جعلتها مماثلة لها . فلا يوحى هذا بأن ( بياناً ) من ( بابا ) الفارسي .

٢ - قال المحقق : كذا ورد قول الضرير في الأصل ، وأما في اللسان ( بين ) فقد جاء وقال أبو سعيد الضرير ليس في كلام العرب بيان - قال والصحيح عندنا - بياناً واحداً . قال والعرب إذا ذكرت من لا يعرف قالوا : هذا هين بن بيان ، ومعنى الحديث ..

— أقول لولا ما جاء في الأصل من ضبط ( تيان ) في قوله بالتاء المعجمة باثنتين أعلاها ( لأثرت ما ورد في اللسان • وقد سقط ( لا ) من الأصل فأثبتها محصورة بين قوسين •

— أقول : فات المحقق أن يصحح الأصل المشوه • فقد جاء فيه ( وانما هو تيان بالتاء المعجمة باثنتين أعلاها من قولهم هيان بن تيان الذي لا يعرف ) وصوابه • ( وانما هو بيان بياء تحتية من قولهم هيان بن بيان للذي لا يُعرف ) • إذ لا سند البتة لقوله ( تيان ) بالتاء ، أو قوله ( هيان بن تيان ) • والذي جاء في حواشي المخطوط ( ٩٠١٢ ) : ( وانما هو بيان بالياء من قولهم هيان بن بيان لمن لا يعرف ) • وناسخ الأصل لم يعرف هذا وحسب فقد جاء في الأصل ( الذي يُعرف ) وصوابه ( للذي لا يُعرف ) •

فانظر الى ما جاء في شفاء الغليل ( ٠٠٠ ) وانما هو بيان بمشاة تحتية من قولهم هيان بن بيان للذي لا يعرف ) • وقد حرف الناسخ ما جاء بعد ذلك كما سنراه •

وقد جاء ( هيان بن بيان ) بياء مشددة فيهما و ( هي بن بي ) بياء مشددة فيهما ، في الصراح ، وفي موضعين من الجهرة ( ٣٨/١ و ١٢٤/١ ) ، وفي ( السامي/ ١١٤ ) للميداني التيسابوري ، وسواها من المظان ، ولم أر من أورد ( هيان بن تيان ) قط •

## ٢ - قال المحقق : ذكر الأزهرى ذلك في التهذيب ( بين ) •

— قال الدكتور الضامن : لم يرجع الأستاذ المحقق الى التهذيب • إذ رأى لفظة ( بيان ) قد جاءت مع حديث عمر ، رضي الله عنه ، في اللسان ( بين ) ، فتوهم أنها في تهذيب اللغة للأزهري في مادة ( بين ) أيضاً • والصواب أنها جاءت في مادة ( بب ) في أول باب اللغيف من حرف الباء ( ٥٨٢/١٥ - ٥٩٣ ) ، وهي في مادة ( بب ) في كتاب العين أيضاً ( ٤١٥/٨ ) ، والأزهري سار على طريقة الخليل •

والقول ما قال : ويؤكد ما جاء في التهذيب أن الصحيح فيما حكاه ابن بري من كلام أبي سعيد الضرير هو ( ليس في كلام العرب بيان وانما هو بيان ) بالياء ، لا ( تيان ) بالتاء ، وأن ( هيان بن بيان ) هو الصواب ، لا ( هيان بن تيان ) •

## ٤ - أقول : فات المحقق أن في نسختي العرب المطبوعتين :

( وقال الليث : ببيان ) ، وكذلك في مخطوط العرب ( ٩٠١٢ ) وقد سقط من الأصل ( وقال الليث : ) ولا بد من اثباته •

٥ - أقول : اختلف الأئمة في بناء ( بيان ) فذهب الليث الى جواز أن يكون على ( فعلا ) أو ( فعال ) • فإذا كان الأول كان من ( بب ) بباءين ثانيهما مشددة والنون زائدة • أو كان الثاني كان من ( بين ) والنون أصلية ، وأوجب أبو علي أن يكون ( فعلا ) • و ( فعلا ) ألحق بأصله الفارسي إذا اعتد هذا الأصل وصح ما ذكرناه في الحاشية الأولى من أنه ( بابيا ) •

٦ - أقول : تابع المحقق العرب المطبوع ( ١٩٤٢ ) فاثبت ما جاء فيه وهو ( وهو الباج في المعنى واحد ) والصواب ما جاء في الأصل ( وهو والباج في المعنى واحد ) • فحذف

(الواو) بين (هو) و (الباج) ، ولا بد من اثباتها . والذي في المغرب المطبوع (١٨٦٧) مطابق للأصل الصحيح ، وهو كذلك في مخطوط المغرب (٩٠١٢) .

أما ما جاء حول (الباج) فقد قال المغرب (والباج أيضا أعجمي . تقول : أجعله باجا واحدا ، أي شيئا واحدا ، وأول من تكلم بهذه الكلمة عثمان بن عفان) .

— أقول : جاء (الباج) مرهبا بمعنىين : الأول الاتاوة أو المكس ، كما جاء في شفاء الغليل ، وفي الألفاظ الفارسية لأدي شير ، وأصله الفارسي (باز) بزاي فارسية ، وهو في المعجم الفارسي (باج) بجم .

والمعنى الثاني هو الضرب الواحد . قال الجوهري (قولهم أجعل الياجات باجا واحدا أي ضربا واحدا ولونا واحدا ، يهزم ولا يهزم ، مغرب . وأصله بالفارسية — باها — أي ألوان الأطعمة ، وأصله عند أدي شير — باها — أيضا .

وقد جاء في التاج (الباج . . . التبان بالتاء) وهو محرف . فالباج هو الببان لا التبان . فالتبان من السراويلات ما يستر العورة المغطاة ، وهو بضم التاء وتشديد الباء .

وجاء في التاج بعد ما ذكر (وحكى المطرزي عن الفراء أن العرب تقول : أجعل الأمر باجا واحداً وأجعله ببانا واحداً) . وقد عدت إلى نسخة التاج الجديدة المطبوعة في إمارة الكويت فالتفت فيها (الباج : الببان) ، وقال محقق التاج (ذكرت في اللسان محرفة : التبان بالتاء ، والصواب كالمثبت في الأصل) والقول ما قال .

٧ — أقول : فات المحقق أن يتدارك خطأ واضعاً وقع في الأصل . إذ جاء فيه (وبيان عند أبي علي فعلان لا غير ، لأن تركيب الكلمة من حرفين أول من تركيبها من حرف واحد) والصواب (وبيان عند أبي علي فعال) لا (فعلان) . ذلك أنه إذا اشتقت (ببان) من حرفين ، وهو الوجه المختار عند أبي علي ، كانت من (بين) والنون أصلية والوزن (فعال) . والوجه غير المختار أن يشتق من حرف واحد أي من (بب) فتكون النون في (ببان) زائدة والوزن (فعلان) . وقد اعتل لذلك فقال : أن (بب) نادر عزيز وأن باب (بين) ك (ددن) و (لولب) أيسر منه .

٨ — قال المحقق : لعله (كوكب) فكثيراً ما أهمل الناسخ رسم عصا الكاف .

— أقول : الذي جاء في حواشي مخطوط المغرب (٩٠١٢) هو (ددن وكوكب) وقد اعتاد الأئمة أن يمثلوا بهما على معنى الفاء والميم في الكلمة حرفاً واحداً . ففي المزمع (ط ١٣٢٥ هـ ٤٥/٢) : (لا يجوز أن يكون فاء الفعل وعينه حرفاً واحداً في شيء من كلام العرب إلا أن يفصل بينهما فاصل مثل : كوكب وقيب . فأما بية فلقب كأنها حكاية . وزعم الغليل أن — ددا — حكاية لصوت اللعب واللهو ، ذكر ذلك ابن درستويه في شرح القصص . وقال المروزقي : لم يمي من ذلك بلا فاصل إلا قولهم : دد ، وددن) .

— للبحث صلة —

من شعر

# الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي

١٢٨٨ - ١٣٣٤ هـ = ١٨٧١ - ١٩١٦ م

جمعها وقدم لها :

عبد الإله نبهان

**ان** أشار الشيخ السيد عبد الحميد الزهراوي تعد من تراثنا القومي الأصيل ، لا لبعدها الزمني ، ولكن لمكانة صاحبها في تاريخنا القومي . وهذه الآثار على قرب الزمن بها ضاع معظمها ، وما لم يضع فهو في حكم النادر ، اذ نشر آنذاك في مجلات وكتب من الصعب الوصول اليها الآن أو الاهتداء الى ما فيها . وحيداً لو سئحت لنا الأيام لننشر ما لم ينشر من تراث الشيخ في كتاب يكمل ويتمم ما نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بعنوان « الارث الفكري للمصلح الاجتماعي عبد الحميد الزهراوي » (١) وما ننشره اليوم في مجلة التراث هو اسهام متواضع في هذا السبيل .

كنا نشرنا في العدد المزدوج ١٥ - ١٦ من مجلة التراث العربي ما عثرنا عليه من شعر الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي ، وأشرنا في تقديمنا لتلك القصائد الى أننا وجدنا حواراً شعرياً بين الشهيد وبين شيخه مصطفى الترك - رحمهما الله - وقلنا آنذاك : « وأرجو أن أدفعه الى النشر عندما أتمكن من قراءته » وفعلنا فقد تمكنت من قراءته ، ودفع اليّ أخي الفاضل الأستاذ خالد الزهراوي (٢) صورة عن نسخة أخرى لهذا الحوار وجدما في أوراق المرحوم الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراوي (٣) . وبمقارنة النسختين حصلنا على نص للمعاورة هو أقرب الى التمام ، ووجدت على ظهر المعاورة أبياتاً للشيخ الزهراوي قرط بها كتاباً لشيخه الترك وأبياتاً أخرى أجابه بها الترك . كما أنني تذكرت قصيدة للشيخ قالها في رثاء الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . فجمعت هذا الشعر بعضه الى بعض ليكون امتداداً واتماماً لما نشرناه سابقاً . وقبل أن أقدم للمعاورة لا بد من التريث قليلاً للتعريف بالشيخ مصطفى الترك لأن كتب التراجم المطبوعة لم تذكر عنه شيئاً فيما أعلم .

## □ الشيخ مصطفى الترك :

لم أجد له ترجمة وافية ، كما أنني لم أعثر على تاريخ ولادته ولا وفاته ، وقد ترجم له المرحوم عبدالهادي الوفائي (٤) في كتابه الموسوم بـ « التاريخ الحمصي » (٥) وخلاصة ما ذكره أن الشيخ هو مصطفى بن أحمد الترك ، وأصلهم من أزميد الغشب بجوار الأستانة ، وكان والده قد حضر محارباً لإبراهيم باشا (٦) مع عسكر السلطان عبدالحميد (٧) ، وبعد خروج إبراهيم باشا توطن أحمد الترك حمص وخلف بها .

ويذكر الوفائي أن الشيخ كان نظاراً مجادلاً ، تبحر في علم الأديان وأخذ يجادل أصحاب الأديان الأخرى ، وكان شاعراً وشمره على طريقة أهل الحقيقة ، وقد أخذ الطريقة على الشيخ علي البشمر (٨) . ويبدو أنه قضى حياته في التعليم إذ يفهم من مقدمة الحوار وما كتبه الوفائي وما كتب في ترجمة السيد الزهراوي (٩) أن الرجل كان شيخاً مكتب يعلم الأولاد مبادئ القراءة والحساب والخط واللغة التركية في ( جامع المبلط ) .

وكنتم منذ سنوات رأيت كناشة (١٠) قديمة عند الشيخ محمد خراسان (١١) ، طلبتها منه فأعارنيها ، فوجدت فيها مجموعة لا بأس بها من شعر الشيخ مصطفى الترك فنسختها ، وما عثرنا عليه من شعره يشير إلى أن الشيخ كان من أصحاب الحقيقة والطريقة ، وأنه كان يسير على نمط شعراء الصوفية في صياغة شعرهم ويستمد أفكاره من كتب الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي (١٢) ومن مؤلفات الشيخ عبدالغني النابلسي (١٣) ، وتراء يشطر أبياتاً لرابعة العدوية (١٤) أو للحلاج (١٥) ويغمس أبياتاً لآخرين . وتتجلى فكرتنا وحدة الوجود (١٦) والحقيقة المحمدية (١٧) واضحتين في شعره على نحو سافر ومن ذلك قوله :

ان الوجود وان تعدد ظاهراً	صور تلوح وبعد ذلك تصلم
نادى به المعنى الذي هو واحد	وحياتكم ما فيه الا انتم
انتم حقيقة كل موجود بدا	في نكتة المرأة سر معلوم
قد اهربت ما ثم غير وجودكم	ووجود ههذي الكائنات توهم

وقوله مشطراً أبيات أحدهم :

وما مصدر الأشياء الا محمد	فكل مليح من سناء سطور
تطاول بالأعجاز مدح جنابه	وناهيك ، طول المدح فيه قصور
بدائرة التكوين نور جماله	لاهياننا فيض الوجود يمر
وفي حضرة الامكان جمع مقامه	عليه جميع الكائنات تدوير

يتمحصل لدينا أن الشيخ مصطفى كان شيعياً متصوفاً يحصل مشيخته من تعليم الناشئة ، ويدل شعره الذي عثرنا على بعضه على أنه باعاً في النظم على طريقة أهل التصوف ، وفي هذا ما يلتقي ضوءاً على المحاورة التي سرد ذكرها .

## القصيدة رقم ( ١ )

### □ المعاورة :

جرت المعاورة الشعرية ( كتابة ) بين الشيخ الزهراوي وعمره آنذاك حوالي عشرين عاماً (١٨) وبين شيخه الترك ، وتدور أفكارها حول قضايا فلسفية وتعالج من وجهة نظر صوفية : الوجود ، الحقيقة المطلقة ، الحقائق الكهفية ، المعارضة بين الوجود الزائل والخلود الدائم ، عالم الظواهر وعالم البواطن ... وعلى الرغم من روعة هذه الموضوعات فإن أسلوب الشيخين في طرقها كان مقيداً بقيود العصر مصاباً بعقله ، ولا أحب أن أستفيض في حديث نقدي عن الركائكة وأسبابها وعللها إذ لكل مقام مقال ، وبكفي هنا أن أقدم المعاورة وقد ذيلت بشرح بعض الفاظها الاصطلاحية بقلم ناظمها .

### □ نسختا المعاورة :

١ - النسخة الأولى : وهي نسخة كتبت بالقلم الرصاص واهترأت مواضع منها ، وقد عثرت عليها بين أوراق الشيخ أحمد نبهان (١٩) ، وذكر ناسخها في آخرها أنها نقلت عن نسخة بقلم ناظمها كما أثبتنا ذلك في آخرها وقد كتب على ظهرها أبيات أخرى للشيخ الزهراوي قرط . بها كتاباً للشيخ الترك مع جواب الترك على تقرير ناظمه .

### ب - النسخة الثانية :

كتبت في ٢٣ تموز سنة ١٩٢٨ ، كتبها عبد الرحمن ؟ ولم تشتمل على شرح الاصطلاحات التي اشتملت عليها النسخة الأولى ، وخطها واضح مقروء اعتراها نقص في بعض جوانبها .

وقد تمت النسختان أحدهما الأخرى وإن كانت الأولى أجود وأكمل .

### القصيدة رقم (٢) :

وهي مقطوعة شعرية قرط بها الشيخ الزهراوي كتاباً لشيخه الترك ، وأسلوب التقرير كان متمارفاً عليه تلك الأيام وشائناً في مجلات ذلك العصر وصحفه وكتبه . وقد أعجب الشيخ الترك بتقرير السيد الزهراوي لكتابه فأجابته مادحاً إياه على وزن أبياته وروياً .

### القصيدة رقم (٣)

وهي القصيدة التي أرسلها إلى صديقه العلامة محمد رشيد رضا (٢٠) للتعزية بالأستاذ الإمام محمد عبيد (٢١) ، وقدم لها برسالة غير فيها عن بالغ حزنه ، وقد فصل السيد محمد رشيد رضا بين الرسالة والقصيدة في الجزء الثالث من تاريخ الأستاذ الإمام (٢٢) ، فنشر القصيدة في باب الشعر ، وجعل الرسالة المشفوعة بها القصيدة في باب النشر ، فجعلنا شملها لأن السيد الزهراوي كان كتبهما معاً . وتتجلى قيمة هذه القصيدة في كونها تفصح

عن توجهات السيد الزهراوي الإصلاحية ، وتظهر روابطه السياسية بمدرسة الإصلاح بمصر ، كما تميز عن تدمره وشعوره بالمرارة من الاستبداد الضارب أطنايه آنذاك ، حتى أن كثيراً من الرسائل والقصائد التي أرسلها أصحابها من سورية للتعزية بالأستاذ الامام نشرت بتوقيع رمزي بالأحرف الأولى خوفاً من بطش العثمانيين ، وهذا هو السبب الذي جعل السيد الزهراوي في تقديمه للقصيد يذكركضية التوقيع ويحد أن تنشر بتوقيمه الصريح .

واليك النصوص كما وجدناها بمقدماتها التي كتبها ناسخوها :

### القصيد رقم ( ١ ) :

هذه محاورة شعرية جرت بين العالمين الفاضلين الشيخ مصطفى الترك والسيد عبد الحميد أفندي الزهراوي رحمهما الله وطيب ثراهما .

ان أسباب هذه المحاورة الشعرية وهوان أخا الى السيد عبد الحميد أفندي اسمه « رضا » كان في المكتب عند الأستاذ الشيخ مصطفى الترك يدرس القراءة والكتابة وذلك سنة ١٣٠٩ هجرية وقد رأى في بعض الأيام ورقة بيده مكتوب فيها ثلاثة أبيات فقرأها وقال له : من أين لك هذه الأبيات ؟ اجاب : ان أخي عبد الحميد نظمها وكتبها لي وهذه هي :

- ١ - بالطيب دولة هذا الروض قائمة ما دام عسكريها للأرض منبسطة
- ٢ - للزهر ديباجة خضراء طرزها كف السما بلآء القطر مثل فطا
- ٣ - فامرح بمرج سباط الدوح في طرب واسمع غناء هزار الروض منبسطة

فأجابه الأستاذ الشيخ مصطفى محاوراً :

- ٤ - ذا نزهة النفس فيما الطين أنبتة وما له الطير للاسماع قد بسطا ؟
- ٥ - ونزهة الروح قرب الحب يكشفه نور الوجود الذي في العقل ما انضبطا

فأجابه السيد عبد الحميد محاوراً :

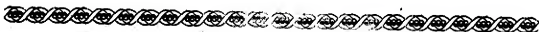
- ٦ - أما العقول فثم الصنع ملمعها جل الذي صبغ الأزهار رب عطا
- ٧ - حقق ترى غاية الوجود معرفة للذات بالذات في مثل التي ارتبطا
- ٨ - هل ثم غير السنأ بانت مظاهره ما ثم الا الثنا للعق اذ شرطا

فأجابه الأستاذ الشيخ مصطفى محاوراً :

- ٩ - العقل شتى فمنه جوهر رفعت منه الستور وعنه زال كشف فطا
- ١٠ - فهو الذي فيه شمس العق طالمة من برج مظهره فارتاح وانبسطة

- ١١ - وما أردنا شؤوننا بالوجود ولا  
 ١٢ - ولا علينا بهذا الكشف دك جعا  
 ١٣ - ومنه عمل بقيد النفس قد علق  
 ١٤ - حتى راه دليلا للوجود فان  
 ١٥ - « حقق ترى غاية الموجود معرفة  
 ١٦ - قد صح عندي ولكن قد اتى خبر  
 ١٧ - لا بد من غيبه في العب آخذة  
 ١٨ - ورجعة بعدها للصنع يعرفها  
 ١٩ - جمع وفرق غذا في عين مشهده  
 ٢٠ - ذاك الذي قلبه عن سر باطنه  
 ٢١ - « هل ثم غير السنا بانت مظاهره  
 ٢٢ - اعني بذل ليس الا الامر تلمحه  
 فاجابه السيد عبد الحميد :
- ٢٣ - نعم نمجده باسم البطون وهل  
 ٢٤ - هذا الوجود شؤون في الوري بطنت  
 ٢٥ - اما المعيون فالاحوال واحده  
 ٢٦ - وبالمقام غدت شتى مواقفهم  
 ٢٧ - واننا لعلسى معراج تلييه  
 ٢٨ - وتلكم درجات طالما صعدت  
 ٢٩ - بالقرب والقوم شتى في مشاربهم  
 ٣٠ - « لا بد من غيبه في العب آخذة  
 ٣١ - ورجعة بعدها للصنع يعرفها  
 فاجابه الشيخ مصطنى :
- ٣٢ - يا حسن بهجة ما قد صفت من درر  
 ٣٣ - حمدته لبطون صح ذاك وهل
- تلك الوجود يعق من يقل خطا  
 والكشف ليس يدرك فاحذر الغلطا  
 قواه حيث عدا بانكون مرتبعا  
 طاح الدليل ترى التدلول قد سقنا  
 للذات بالذات في مثل التي ارتبعا  
 حتى اتون له سمعا كذاك خطا  
 منه الوجود الذي للعقل قد ضبطا  
 من سار عن عقله بالحب مرتبطا  
 والامر حق وخلق كيفما اختلطا  
 قد قال قولاً سديداً لم يكن شططا  
 ما ثم الا الثنا للعق اذ شرطاً  
 كمثل برق وعنه الكل قد هبطا
- نعني السوى غيره ، تا لله ذاك حقا  
 ومن رها كيفما اشترطا  
 اما المقام فكل في البها اغتبطا (٢٣)  
 وقت اجتلاء تجلى الحق فيض عطا  
 اياك نقصد والاسرار ذات مطا  
 وقد رقى من بنى من فوقها خططا  
 لكن احسنهم من قال اذ شرطاً  
 منه الوجود الذي للعقل قد ضبطا  
 من سار عن عقله بالحب مرتبطا
- تزري بغود تعلت للبهها قرطا  
 الا لكون خفاء الحق مفتبطا





- ٣٤- اضحى لسانا لروح في الورى نفعت  
 ٣٥- ان السوى كله دعوى الوجود له  
 ٣٦- وصار يرتع في المحسوس واحتجبت  
 ٣٧- فان زكى يرجوع نحو موطنه  
 ٣٨- اضحى لنور جمال الحق مظهره  
 ٣٩- هذا لنا كان فتحا عن اثمتنا  
 ٤٠- لوحث بالحق ابقاك الاله فتى  
 ٤١- ويت تشرب اقداح الصفا جرعا  
 فاجابه السيد عبدالحميد :

- ٤٢- بشرى ولا نفدت اوراد هديكم  
 ٤٣- حسب العقير كنوز من رضا سند  
 ٤٤- واذا علا نوره مرآة خاطره  
 ٤٥- او ان زاوية الافضال قد فرجت  
 ٤٦- وتلك زاوية في بحر معدنه  
 ٤٧- قطر همى من سما تلك المعارف قل  
 ٤٨- واصله قبضة من سحب معرفة  
 ٤٩- عبارة الكنه قد جلت مداركها  
 ٥٠- وجملة الفهم للعنسى مفلذكة  
 ٥١- اولئك الشهدا عقبى مجاهدة  
 ٥٢- اجلهم عمدة الاشياخ عارفهم  
 ٥٣- المعارف الغارف العرفان من منن
- وواردات مفاض الرشد اذ بسطا  
 قد خط في صف للصنح سطر غطا  
 فمثله قد تراهى وصف من هبطا  
 ومثلها يسع التقصير ما ضبطا  
 الم تر الدر من اعماقه التقطا  
 قد جمدته نسيم الروح فالتقطا  
 منه اليه به ذاك المفيض عطفا  
 مسافر العقل في ادراكها خبطا  
 ومن راي ترجمان العين قد لقطا  
 نعم البقا بحضور واذاكر البسطا  
 المصطفى لمجال تفرش البسطا  
 من كان في علم حق امة وسطا

انتهت هذه المعامرة الشعرية أبيات ( ٥٣ ) نقلا عن نسخة بقلم ناظميها رحمها الله وطيب ثراها .

بشرى = دعاؤكم . يسع التقصير = حال كونه . قطر = هو الدر . خبطا = ولم يصل . للعنسى = الأسماء . مفلذكة : بدون اكتناء بدو شؤونها . ترجمان العين = اليقين

لقطا نقطة الصواب . البسطا = جمع بسيط أي السماح متهمل الوجه . البسطا = جمع  
بساط المعروف والمراد مجالي التجليات وهي ارادة ذلك .

انتهى هذا الشرح نقلا عن قلم الناظم السيد عبد الحميد رحمه الله . واليك أيضا  
ما كتبه نقلا عن قلمه الى الأستاذ مصطفى الترك يطلب منه بعض أبيات من هذه المحاورة  
الشعرية لينسخها عنده :

سيدي ، أحسنوا الي بارسال الأبيات التي قدمتهم أول أس حيث لانظرها منسوخ  
عندي لأنني كتبتهما ابتداء ، وصرت ممنونا بالتقاط درركم ، فانا جدير بأن أنظماها في  
عقد الجمع وبوجه التبعية والمناسبة أثبت ما كتبته أيضا حرصا على اكتناز لآلي  
حقانياتكم وأطال الله بقاءكم .

### القصيدة رقم ( ٢ )

ان الأستاذ الشيخ مصطفى الترك قد ألّف رسالة وسماها « سيف الانتصار على  
مدمي الجبر بالأقدار » ولما اطلع عليها السيد الفاضل عبد الحميد أفندي الزهراوي قرظها  
له بخمسة أبيات وذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ . وهذه هي الأبيات :

١ - اذا جاء نصر الله والفتح بالسيف	وتبت يدا سمج رمى السمح بالعيف
فسبح بحمد الله ربك واسبحن	بمدح ذكي المجد ذي السبق والنيف
ابو الرشد والارشاد في العصر مصطفى	مبين صحيح النقش من علة الزيف
فدونك درّا في الانظام وجوهرا	يؤلفه في ردّ أوهام ذي الطيف
لايلافي دين الحق الفه واذا	يفرق شمل الجبر سماء بالسيف

ب - فاجابه الشيخ مصطفى رحمه الله :

خبايا زوايا من قريحة ماجد	اتتنا لتقريظ هي الورد بالقطف
ارتنسا معيا الاقتباس مقتنعا	بتودية الآيات من شدة اللطف
معاليك يا عبد الحميد تطاولت	ومن شاوها مسبقا تقاصرها كفتي
قصارى ثنائي ان تعرضت مادحا	مزايكم والفضل بين الوري كفتي (١)
فسبحان من أواك كهفا من التقى	وما زلت بالرحمن ترقى مع الصف

انتهى نقلا عن قلم الناظم الشيخ مصطفى الترك طيب الله ثراه ( كفي ) هكذا وجدتها  
بخط الناظم رحمه الله ( ٣٤ ) .

## القصيد رقم ( ٣ )

### ١ - الرسالة -

وكتب العالم الضليع والكاتب البليغ السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي من حمص  
الى جامع الكتاب (٢٥) .

عن حمص في ٣ جمادى الثانية ١٣٢٣

الى الولي العميم الرشيد الحكيم

انا والحزن يساورنا لفي دائرة ضيقة، اذا لمسنا الروح فيها لم نكد نعسه ، فكأن لي  
حاذراً اذا رأيته قطعت هذه الرسالة المرقومة لأن سبيلها من القلب والفكر والقلم ، وحالة  
البريد مقطوع ، وطم هذا السيل اذ فاجأتنا تلك المفاجئة العظمى .

جامعة لا أجد فيها قولا ، ولا أجد فيها من الهلع حولا ، فمن كلفني البيان فيها  
كلفني ما لا أطيق ، ولن يجد لدي لطافته سبيلا . كنا والامام يفيض على الدنيا سواطم  
أنواره في فسحة من الأمل بانتشار الإصلاح الذي نمشقه ، وفي عزاء عن ضيق دائرتنا  
بسعة سلطانه ، فما حال رجائنا وقد طارت تلك الروح القدسية الى عالمها الأسنى ؟

نعم ان في قيام الولي الرشيد في هذا الأمر لعزاء لمن كان نظره شاخصاً الى الأرواح  
دون الأضباح . ولكن ذلك لا يدفع عن الولي - أطال الله بقاءه - ولا من سائر الاخوان  
الم هذا الفقيه العظيم ، وحسرة هذا الفراق الأليم ، وما حال من كان يرجو أن يرى  
طلعة ذلك الحبيب الكريم عما قريب فعال بينهما برزخ الموت ؟ قد والله ملئ العشا  
حزناً وان كنت من الصابرين . واني لألتفت يميناً وشمالاً فلا أجد الا من هو الجدير أن  
نعميه بهذه الغلبة . ولكن كيف يعزي المصاب مصاباً . سامعني - حفظك الله - بابطائي  
عن تمرينك فعندي مثل ما عندك في هذا الأمر ، وأنا أخوك في السراء والضراء ،  
وأخوان آخران هما لكم وازنان معنا هذا الأسف ، ومعالفان على آثار هذا السلف ،  
عنيت بهما الرفيق الكريم والصديق العميم (٢٦) ، ولقد تشابه علي الأمر ، فان أدري  
أبدأ بتعزيتهما أم بمباركة هذا الاخاء ، وتحييد هذا اللقاء ، أم بتعزية نفسي لأخذي  
سهمين اليمين : العام بفقد الامام ، والخاص بيمدي عنكم أيها الأولياء وتعمق هذا الرجاء ،  
أم بتعزية العموم أصابهم من ذلك السهم العام . لأترك هذا كله الآن فالبيان لا يواتيني  
اليوم ، وأبدأ بأمر واحد غير مدين ، ذلك استمرار الشوق ، ولكن العوائق تتري ونحن  
اليوم في حال حرج كما أسلفت بياته ، ولكننا لم نزل في موقفنا من الصبر والأناة والثبات  
حتى يفل جيش هذان جيش ضلالهم ، واللهم الصابرين .

هذا وقد رأيت من الواجبات أن أعلن الأسف لفقد الامام ، لما لثل ذلك من الفوائد  
العائدة للأحياء ، ولما أن ذلك بعض ما يجب في مكافاة الاحسان فعمدت الى موحيات القلم

وأخذت نصيبي من لدها كلمات تدل على ما أحس به ، فان لم ترزق رونق الصبغة الشعرية كثيرها فقد أغناها الله بسلامة الضمير الذي أملاها وأعادها من كلف تلك الزينة التي لا محل لها في هذا المقام . فان رأى الولي رأيي في اضافتها لغيرها ( من المقبولات التي سينشرها في دفتر خاص ) فذاك والاغرايه الأولى والأعلى ، ولك التفويض بما ترى الأصلح في أمر التوقيع رمزاً أو تصريحاً ، ولا رأي لي معك في هذا ، ولكن لي أن أقول ان التصريح أقرب نفعاً في اباء الضيم الذي يسومنا آياه أناس لم يرفعوا فينا معنى الانسانية ، ولا أخشى في اباء الضيم من مناقشات الحساب ، ولا أرجو في معادة الأثرة الا دار السلام . اللهم ارزقنا السلام وسلم وبارك على الاخوان الكرام ( ٢٧ ) .

#### ب - القصيدة :

وقال العالم الفاضل والكاتب الاجتماعي السيد الشيخ عبد الحميد الزهراوي من علماء حمص ( سوريا ) ( ٢٨ ) .

- |                                       |                                 |
|---------------------------------------|---------------------------------|
| ١ - نعى البرق شمس العصر فاستحوذت ظلما | وارعدت الالباب اذ امطرت غمما    |
| ٢ - توارى بعجب الغيب عنا محمد         | امام الهدي السامي بحكمته العظمى |
| ٣ - وآب يوالي الحق في القدس (عبد)     | وغادر هذي الأرض مستغلفا رسما    |
| ٤ - وكان بهذي الأرض مفردا الذي        | بانواره الحسنى سما قدرها النجما |
| ٥ - فياليت شعري كيف يهدأ روعها        | وقد ارقق الاقطار هذا النبا صمما |
| ٦ - لقد زاد منه الروح عن فتن هنا      | شهودا جمال القدس في حضرة ثمنا   |
| ٧ - فما هو الا في معارج بهجة          | وما الأرض الا تاكل فردها الشهما |
| ٨ - وما نحن واجدون لفقده              | وان كان حيا عندنا هديه الانمي   |
| ٩ - فنذكره فرحى لرقة شأنه             | وحسرى لهذا الكلم ، اصعب به كلما |
| ١٠ - ونذكره كي نستضيء بعلمه           | واعظم بما أبقى الامام لنا علما  |

\* \* \*

- |                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| ١١ - محمد لا ناسى لفقد سناك بل | سناؤك باق بيننا يكشف الظلما       |
| ١٢ - ولكنها الآمال بت عرى لها  | نواك ، وكنا نرتجي الزيد والانما   |
| ١٣ - ودولة جمع بعد فرق اقمتهما | نظمت بها الاقوام في ذا الهدي نظما |
| ١٤ - فكان بمصر والشام وفارس    | وفي الهند والأتراك راج لك الدوما  |
| ١٥ - ولكن لانواع الظهور مراتب  | لها أجل يثني الظهور اذا حثا       |

- ١٦- محمد لا نقلي وان قومنا قلعوا  
 ١٧- لغلفت نور الشرق خير عصابة  
 ١٨- فليبك لا تأسف وهديك بيننا  
 ١٩- ورحماك اشرف من علاك عساك أن  
 ٢٠- وتنهنا اذ يبدو لك الفرس مثمرا
- لنا بلقي الانكار واستسهلوا الالما  
 ترى نشر هذا النور مفروضها العتما  
 لأنك لم تجل العنادس للدهما  
 ترى اثر النصح الذي ينهض العزما  
 وتورك ما يطقا ونهجعك ما يعمى

★ ★ ★

- ٢١- محمد روح انت من امر ربنا  
 ٢٢- ليبر من أعمته اوام من خلوا  
 ٢٣- آتيت فاديت الامانة رافعا  
 ٢٤- ورحت الى القدس الذي قد نزلت من  
 ٢٥- هنالك زد مجددا ، تبارك مسرة
- لتبريء باسم الفاطر العمي والصمنا  
 ويسمع مرء من تخبطهم صمنا  
 منار الهدى والعق في دامن عما  
 حماه لهذي الدار تستنزل النعمي  
 تعانلم بهاء ، طب مجالي ، طب بسما

★ ★ ★

- ٢٦- امام الهدى هذا وداع مفجع  
 ٢٧- تذكر فيه النفس يوم مصابها  
 ٢٨- وترفع فيه عهدا بمجبة  
 ٢٩- وقد تاتسي ذي النفس والصعب كلهم  
 ٣٠- فبارك والحق الصبر رب محمد
- له مهجة في جبكم تنكر اللوما  
 واعظم به رزء واكبر به خطما  
 لعصرة قدس عندها قدرك الاسمي  
 بلذي الشمس اما صادفت في الضمي فيما  
 علينا وهبنا كلنا رحمي

★ / ★ ★

#### □ التعليقات :

- ١ - نشر في دمشق عام ١٢٨٣ هـ - ١٩٦٣ م بجمع وتحقيق الدكتور جوده الركابي والدكتور جميل سلطان .
- ٢ - انظر مجلة التراث ، العدد ١٥ - ١٦ ص ١٨٤ - التعليق رقم ٣ .
- ٣ - الدكتور مختار بن اسماعيل الزهراني ، طبيب لطاسي ولد وتوفي في حصص ١٢٢٧ - ١٢٨٣ .
- ٤ - عبدالهادي بن عمر الوفاي ١٨١٣ - ١٩٠٩ له مسرحيات « روايات تمثيلية » لقلها بعد ان تلمذ على المرحوم ابي خليل القزاني . له كتاب سماء ( التاريخ العصي ) لا يزال مطبوعا ، ونودي اخراجه بالتعاون مع الاستاذ دياش البديري - انظر اعلام الادب والفن للمرحوم ادم الجندي ١ : ٤٢ .
- ٥ - ارج فيه لمصاريه بأسلوب هامي واتسع في ترجمة ابرو رجال التصوف في عهده وذكر اهم المنجزات الصرانية التي قام بها عبدالحميد الدويبي .
- ٦ - ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ١٧٩٠ - ١٨٤٨ فادعته على سورية سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣٣ م فاستول على عكة ودمشق وحمص وحلب ، وهزم جيشا عثمانيا في الاسكندرونه . وفي سنة ١٢٥٤ هـ - ١٨٦٩ م تولى السلطان عبدالجيد فالتقى مع الانكليز على اخراج ابراهيم من سورية . فانهى الامر بخروجه وعودته الى مصر ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م . انظر الاعلام للزركلي ١ : ٦٦ ط ٣ .

- ٧ - عبد المجيد الأول بن محمود ولد عام ١٢٣٧ هـ - ١٨٢١ م ونزل السلطنة ولما يبلغ الثامنة عشرة عام ١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ - ١٨٦١ م انظر تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك الحامي : ٢٣٧-٢٤٧
- ٨ - علي نور الدين البشري ، الحسني نسباً واصلاً ، الشاذلي طريقة ومشرباً ، ولد عام ١٢٠٨ هـ - ١٧٩٣ م في مدينة بازلت في تونس وتوفي في عكا ١٢٦٦ هـ - ١٨٥٨ م ودفن في زاويته هناك . انظر كتاب « رحلة الى الحق » تأليف فاطمة البشريفة الحسينية - مطبعة دار الكتب - بيروت . بلا تاريخ . ولي هذا الكتاب ذكر اسم الشيخ مصطفى التوكلي ص ٣٥١ بوصفه حسن اتباع الشيخ علي .
- ٩ - في ترجمته التي نشرها الشيخ أحمد نيهان في القناديل جلد ٢٦ ذكر ان الزهراوي د لما اتم السادسة من عمره وضعه والده في المكتب ليعلم القراءة والكتابة والحساب واللغة التركية على يد شيخه الشيخ مصطفى التوكلي ص ٢٦ .
- ١٠ - الكتاش : قال الزبيدي في التاج « كمش » ١ : « ومنه الكتاشه لأوراق تجعل كالمغتر يقيد فيها الذوائد والشوارد للفيض ، هكذا يستعمله المغاربة » .
- ١١ - محمد خراسان : مثقف على مذهب أبي حنيفة وقساري . لا يزال حياً .
- ١٢ - يحيى الدين بن عربي ، محمد بن علي بن محمد ، أبو بكر الحامي الغالي الأندلسي ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ - ١٢٤٠ م . انظر الأعلام ٧ : ١٧ ط ٣ .
- ١٣ - عبدالغني بن اسماعيل النابلسي ١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ = ١٦٤١ - ١٧٣٦ م . انظر الأعلام ٤ : ١٥٨ ط ٣ .
- ١٤ - رابعة الطوبة تـ ١٢٥ هـ - ٧٥٢ م انظر الأعلام ٣ : ٣٦ ط ٣ .
- ١٥ - الحسين بن منصور الطلاج قتل سنة ٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م . انظر الأعلام ٣ : ٢٨٥ ط ٣ .
- ١٦ - انظر في وحدة الوجود ما كتبه الدكتور أبو الغلايفي في مقدمته لكتاب فصوص الحكم لابن عربي ط مصر ١٩٤٦ وما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١ : ١٥٨ وما بعدها ط مصر ١٩٥٤ وما كتبه الشيخ عبدالغني النابلسي في ايضاح المقصود من وحدة الوجود - مطبعة العلم - دمشق ١٣٨٩ - ١٩٦٩ عرض وتعليق عزة حسرية .
- ١٧ - انظر بشأن الحقيقة المعقدة ما كتبه الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف الاسلامي ١ : ٢٦٦ وما بعدها وانظر شرح فصوص الحكم لمحمد الرزاق القاشاني ص ٣٢٦ عنوان . فصوص حكمة فردية في كلمة معقدة . ط مصر ١٩٦٦ .
- ١٨ - لان ولادته كانت عام ١٢٨٨ هـ والفاخرة جرت عام ١٣٠٩ هـ .
- ١٩ - انظر العدد الموجع من مجلة التراث ١٥ - ١٦ ص ١٨٤ .
- ٢٠ - محمد رشيد رضا بن علي . تلميذ الاستاذ الاسام ومؤسس اتحاد انظر معجم المؤلفين ٩ : ٣١٠ والأعلام ٦ : ٣٦١ ط ٣ ولد السيد محمد رشيد رضا في النفلون ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م وتوفي في مصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م .
- ٢١ - محمد عبده بن حسن طبع الله ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م انظر الأعلام ٧ : ١٣٦ ط ٣ ، ١٨٤٩ هـ ١٩٠٥ م . وانظر الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام تأليف محمد رشيد رضا .
- ٢٢ - صنف السيد محمد رشيد رضا كتابه تاريخ الاستاذ الامام في ثلاثة مجلدات ، الاول يشتمل على سيرة الاستاذ الامام تامة ويبلغ ١١٠٠ صفحة طبع في مطابع المادريصر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م والثاني يشتمل على مقالات الاستاذ الامام وبعض رسائله وطبع عام ١٣٢٤ هـ - والثالث يشتمل على ما قيل في الاستاذ الامام من الراي وطبع عام ١٣٢٤ هـ .
- ٢٣ - في نسخة المرحوم مختار الزهراوي : اوتبط
- ٢٤ - يبدو ان التاسع ( عبدالرحمن ) لم تنتج له قراءة البيت ، وتوجه القراءة على النحو التالي : فساري ثنائي كافي على البندا والطبر .
- ٢٥ - المقصود به الشيخ السيد محمد رشيد رضا جامع الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام وهو المقصود ايضاً بقوله : الولي العظيم الرشيد الحكيم .
- ٢٦ - اظن انه يريد بهما صديقيه الشيخ احمد نيهان وعالده الحكيم .
- ٢٧ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٢٨٨ .
- ٢٨ - تاريخ الاستاذ الامام ٣ : ٣٦١ .

# أحمد أبو خليل القباني الموسيقي

جبرائيل سعادة

يستعمل الباحثون الأجانب عادة ، في عناوين مؤلفاتهم ، عبارة « المدخل إلى دراسة » أو « مواد لدراسة » موضوع معين عندما يعتبرون أن مؤلفهم لا يشكل بحثاً نهائياً . ومقالنا هذا ليس إلا مجرد تقديم مواد للدراسة الشاملة التي يجب أن تتناول يوماً أحمد أبو خليل القباني من الناحية الموسيقية .

كتب ونشر الكثير من حياته وانتاجه الأدبي والمسرحي (١) وكلها أبحاث لا تقدم إلا عرضاً ، بمض المعلومات عن انتاجه الموسيقي . فما هي المصادر التي يمكن أن نعتمد عليها عندما نحاول معرفة هذا الانتاج ؟ هناك كتاب يتضمن أكثر من ألف عنوان لمؤلفات ومقالات عن موسيقانا وضع بمناسبة المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد في بغداد عام ١٩٦٤ (٢) ، فإذا عدنا إليه نجد يذكر أبحاثاً من كبار الملحنين والمطربين أمثال محمد عثمان وعبد الحمولي وسلامة حجازي وسيد درويش وداود حسني ولا نرى عنواناً واحداً يحمل اسم أحمد أبي خليل القباني . نستطيع أن نقول أنه لا يوجد حتى الآن مؤلف أو بحث خاص بالقباني كموسيقي . فعلينا إذا أن نستقي معلوماتنا من مؤلفات عامة تتناول في أحد فصولها . أن الموسيقى المصرية محمد كامل الغلمي هو أول من أشار إلى القباني كملحن وذلك في كتاب (٣) نجد فيه تحليلاً لشخصيته الفنية وكلمات عدد من موشعاته (٤) . أما دهم الجندي الذي يعطينا معلومات وافية ودقيقة عن حياته ونشاطه المسرحي فيقدم معلومات سريعة عن مؤلفاته الموسيقية (٥) كما يشير إلى نشاطه الموسيقي كل من عدنان بن ذريل (٦) وأحمد الجندي (٧) . ومن بين المصادر التي لجأنا إليها نذكر تلك المجموعات التي تتضمن تنويطاً أي تنويطاً موسيقياً لعدد من الموشعات العائدة لشرائنا العربي (٨) .

نستهل بحثنا بلمحة موجزة جداً عن حياة القباني لأنها رويت مفصلاً أكثر من مرة كما أن التناقضات الموجودة حولها في المراجع المختلفة لا تهم مباشرة الموضوع الذي نعالجه في هذا المقال .

□ نبذة عن حياته :

ولد أحمد أبو خليل القباني في دمشق، في حي باب سريجة سنة ١٨٣٣ (٩) وهو ينحدر من أسرة كانت في الأصل تسكن مدينة قونية في وسط تركيا وهاجرت منذ أكثر من قرنين ونصف إلى دمشق واستوطنت فيها . تعلم القراءة في أحد الكتاتيب ومنه انتقل إلى مدرسة ابتدائية ثم صار يحضر حلقات الدروس في المساجد والبيوت . ولما شب احترق مهنة القباني مثل والده وأهله وهذه المهنة هي سبب الكنية التي اشتهرت بها الأسرة .

ظهر ميله للموسيقى منذ صغره وفيما بعد انصرف إلى تلحين الموشحات والمعروف أنه تعلم فنها وأصول رقص السماح على يد الموسيقي العلبي أحمد عقيل (١٠) كما أحب ونظم الشعر وبنوع خاص الأزجال للأغاني الشعبية التي أخذ يقوم بتلحينها ، ثم أولع بالتمثيل . فالتق مع بعض أصدقائه فرقة تمثيلية وكان يدرّبهم في منزل جده ويقدم فيه الروايات أو في بيوت أخرى . وفي عام ١٨٧٨ أصبح يديّن باشا والياً على دمشق فلما سمع بما يقوم به القباني في مجال التمثيل استدعاه ونتج عن هذا اللقاء أنه أوعز للبلدية لأعطائه مبلغ تسمية ليرة عثمانية كي يتسنى له إنشاء مسرح .

عندما أصبح لدى القباني ما يكفي من المال استأجر مكاناً فسيحاً في حي باب توما وأقام مسرحه في وسطه . فأصبحت الجماهير تقبل إليه لمشاهدة الروايات . وصار القباني يكتب المسرحيات ثم أخذ يدخل فيها العائش تشديد أثمان التمثيل وهي محاولة لم يسبق لأحد قبله في البلاد العربية أن قام بها فهو حقاً مؤسس المسرح الغنائي العربي . وبعد النجاح الذي ناله تحركت بعض العناصر المحافظة في دمشق لمحاربة « بدعة التمثيل » وسافر إلى الاستانة أحد زعماء هذه الحملة وتمكن من اقناع السلطان عبدالحميد أن الفسق والفجور قد تنفّسوا في دمشق بسبب روايات القباني فأمر السلطان بمنع التمثيل في سورية وأطلق مسرح أبي خليل . واهتمت خصومه هذه الفرصة لاثارة الشارع فهجم بعض المتحمسين على مسرحه وكسروا أخشابه ونهبوا كل ما فيه . وأرادوا أيضاً النيل منه فلتموا أولاد الأزقة الأفغانيات العدائية ليشتموه بها كلنا صادفوه ومنها هذه الأغنية :

أبو خليل النشواتي	يا مزيّف البنات
ارجع لكارك احسن لك	ارجع لكارك نشواتي
أبو خليل مين قال لك	على الكوميديا مين ذلك
ارجع لكارك احسن لك	ارجع لكارك قباني

قرر القباني ، على أثر هذه الحملة ، أن يفادر سورية وأن يتابع نشاطه في مصر



فسافر إليها في سنة ١٨٨٤ واصطحب معه بعض أفراد فرقته ومجموعة من العازفين والمثّلين . عمل أولاً ولفترة قصيرة في الاسكندرية ثم استقر في القاهرة كما كان يتجول أحياناً مع فرقته في بعض المدن كالمقصورة وطنطا والمنيا والفيوم وبني سويف . وكان يقدم الروايات الواحدة تلو الأخرى وقد أمكن احصاء مائة وخمسين حفلة مسرحية قدّمها القباني في القطر المصري (١١) . ونالت رواياته شهرة واسعة حتى انه يقال ان عبده الحامولي ومحمد عثمان قدما شيئاً من العائنهما بين الفصول . وأثناء اقامته في مصر زار دمشق أكثر من مرة كما قام مع بعض أفراد فرقته برحلة الى أمريكا الشمالية سنة ١٨٩٢ ليشترك في معرض شيكاغو حيث قدم عدداً من المسرحيات القصيرة . وفي أواخر مدة وجوده في القاهرة أقدم جماعة من الرعاغ بتحريض من منافسيه على حرق مسرحه وبعد ذلك قرر الانقطاع عن العمل المسرحي وعاد الى دمشق سنة ١٩٠٠ .

يقال انه بعد عودته الى مسقط رأسه اعتزل الناس وانه اضطر الى بيع منزله ليعيش من ثمنه . ولما ضاقت به سبل العيش قام جماعة من محبيه بجمع مبلغ كافى من المال وأعادوه الى وضعه وسعوا لدى الدولة حتى خصصت له راتباً منى الحياة يتقاضاه شهرياً (١٢) وربما تم ذلك على أثر الرحلة التي قام بها القباني في آخر أيامه الى الاستانة وقدم خلالها للسلطان عبد الحميد شيئاً من فنه الفئاني والتمثيلي .

توفي أحمد أبو خليل القباني في دمشق عام ١٩٠٣ (١٣) على أثر اصابته بعدوى الطامون ودفن بمقبرة عائشته ، في باب الصغير في الميدان .

ان الموسيقار محمد كامل الخلمي ، الذي كان تلميذ القباني وتربط به صلة وثيقة ، وصفه بالعبارات التالية : « كان رحمه الله أنيساً ودعماً ذا خلق وسيم وطباع أزق من النسيم ، أديباً ذرب اللسان ، لبيباً لم يختلف في فصاحة الفاظه اثنان ٠٠٠ انه كان خصيصاً بطريق من طرق الفناء وتفرد بها تفرد القمر في السماء . فكان بعد انتهاء كل رواية يلقي من القطع الموسيقية شذوراً تنزوا لها الأكباد ويتحرك لحسن وقعها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من اقامته فيها فنوناً جريئة وفضائل جليلة ٠٠٠ ترك خلفه فنوناً تبيكه وتلامذة تراثيه ومسرحاً كان بوجوده مجمع الأنس ونادى الهنا والسرور فاذا ما صعد عليه صفق الناس طرباً وانشرحت الصدور » (١٤) .

#### □ مؤلفاته الموسيقية :

ان احصاء الألحان التي وضعها أحمد أبو خليل القباني ليس أمراً سهلاً وهو يتطلب جهداً ودقة . أما دراستنا هذه فليست سوى محاولة للوصول الى معلومات ان لم تكن كلها ثابتة فهي على الأقل واضحة ، قد سمينا على قدر المستطاع الى أن تبذل شيئاً من الغفوض الذي يسيطر على الموضوع بسبب التناقض الذي يوجد أحياناً بين المصادر المختلفة والذي يوجد بين المصادر والتقليد الشفوي . كان علينا أن نشرح عند الرجوع الى معطيات التقليد الشفوي فقد مر على وفاة القباني أكثر من ثلاثة أرباع قرن ولم يبق أحد من

معاصريه الذين استسموا الى انغامه مباشرة ، الأمر الذي يجعل التقليد الشفوي مصدراً لم يكن دائماً موثقاً به فهو ينسب اليه الكثير من الألحان منها ما ليس له علاقة به .

يتألف التراث الموسيقي الذي تركه القباني من موشحات ومن أغان شعبية ومن العان مسرحية وستناولها هنا على التوالي مبتدئين بالموشحات التي هي أهم ما خلفه والمعروف أن الموشح يشكل مثل « الدور » قالباً أساسياً في تراثنا الغنائي .

لقد وضعنا بعد التدقيق والبحث الطويل جدولاً بأربعة وخمسين موشعاً وهو منشور مع مقالنا هذا (١٥) وصنفنا هذه الموشحات فقسمنها الى ثلاثة أقسام . نعدد في القسم الأول الموشحات التي ثبت تلحينها من قبل القباني . وترد في القسم الثاني بعض الموشحات المنسوبة اليه والتي يرجح أنها من انتاجه . ونذكر في القسم الثالث الموشحات التي يخيم بعض الشكوك على نسبها اليه كما نذكر موشحات لم تنسب اليه حتى الآن انما يستحسن التساؤل حول امكانية اعتبارها من وضعه . وقد اتبعنا في وضع الجدول وتصنيفه طريقة تركز على النقاط التالية:

لقد انطلقنا من كتاب محمد كامل الغلي الذي يشكل بنظرنا المصدر الرئيسي في الموضوع فمؤلفه هو كما ذكرنا أحد تلاميذ القباني وكان يلزمه طيلة اقامته في مصر فهو بالتالي أكثر من عرف ألحانه . زد على ذلك أن الكتاب طبع بعد وفاة القباني بسنتين أو ثلاث أي عندما كان تراثه لا يزال معروفاً في الأوساط المهتمة بالفن والموسيقى . في هذا الكتاب عدد من الموشحات يقول الغلي صراحة انها للقباني أو من تلحينه كما نراه بعد موشحات أخرى يقول انه تلقاها أو استمع اليها من القباني وهذا التعبير غير الواضح لا يسمح لنا بأن نجزم بشيء بالنسبة لتلحينها ، فهو يقصد انها موشحات عرفها أما عن طريق القباني وهي ليست من وضعه أو يقصد ضمنا أنه لا يعرف من قام بتلحينها . لذلك لم نأخذ بها الا عندما وجدنا براهين أخرى تدل على أنها فعلاً من وضع القباني .

هناك مصدر آخر كان لا بد من أخذه بعين الاعتبار وهو كتاب سفينة الملك لشهاب الدين (١٦) . انه يتضمن تدويناً لكلمات مائة وثلاثة وستين موشعاً من موشحات تراثنا الموسيقي مع الاشارة الى مقام وإيقاع كل موشح ونعتقد انها أقدم محاولة من هذا النوع . ورغم أن الكتاب طبع سنة ١٣١١ هـ (أي ١٨٩٣/١٨٩٤ م) ، يخبرنا المؤلف انسه انتهى من كتابته سنة ١٨٤٣ أي عندما كان القباني طفلاً وهذا يعني أن الموشحات المدونة فيه قد سبقت انتاج القباني . لذلك يمكن القول أن كل موشح منسوب الى القباني يرد ذكره في مجموعة شهاب الدين بنفس المقام ونفس الإيقاع هو ليس من تلحينه ، أما اذا كان له مقام وإيقاع آخران فيجوز لنا أن نتصور أن القباني وضع لحناً جديداً لأبيات موشح قديم لعنه غيره قبله . مع العلم أن لدينا أمثلة عديدة وحتى في يومنا العاصر لأبيات قصيدة أو موشح أو أي نوع آخر من الغناء تم تلحينها أكثر من مرة .

ويجب أن نتساءل ما إذا كانت مسرحيات القباني نفسها تشكل هي أيضاً مصدراً يمكن الرجوع إليه في الموضوع الذي نحن بصدده . اثنا نجد فعلاً في نص هذه المسرحيات عدداً من الموشعات ، مع إشارة إلى مقامها وإيقاعها ، كانت تنشأ أثناء التمثيل . لا شك أن وجودها ضمن روايات كتبها القباني يجعلنا نميل إلى اعتبارها من تلحينه غير أن من بينها ما هو معروف أنه من تلحين غيره وليس من الغريب أن يكون القباني قد أدخل في رواياته الحائناً كانت شائعة في زمنه ، لذلك عندما نستشهد هنا بهذا المصدر نشير إلى البراهين الماكسة التي تخفف من قيمته .

أما المجموعات التي ذكرناها والتي تتضمن تنويطاً موسيقياً لعدد من موشعات التراث ، فإلى أي حد تتمتع بقيمة وثائقية بالنسبة لموضوعنا ؟ لا شك أن الذين وضعوها هم أناس يعرفون أمور موسيقنا خير معرفة . لذلك كان علينا أن نأخذ بمنزلة الاعتبار ما جاء في مجموعاتهم من ملحنين القطع المدونة غير أننا نراه في كثير من الأحيان يفتلون اسم الملحن . ولا نعتبر هذا الإغفال برهاناً قاطعاً على أن اسم الملحن غير معروف فربما نتج عن عدم القيام بالتدقيق الكافي لاسيما بالنسبة لأبي خليل القباني الذي يحيط بمؤلفاته ، كما نرى ، جو من الغموض والتناقضات . وقد اتخذنا الموقف ذاته تجاه فرقة الموسيقى العربية التي يقودها عبد الحليم نويرة والتي تذكر تارة وتغفل أخرى اسم الملحن في برامج حفلاتها أو في تسجيلاتها .

وهذه الطريقة التي سلكناها في البحث أوصلتنا إلى النتائج التي نعرضها فيما يلي : نبدأ بالموشعات التي لا يوجد في نظرنا أي شك بأنها من تلحين القباني وعددها اثنا وعشرون ( انظر الجدول المرفق : من الرقم ١ حتى الرقم ٢٢ ) وهي الموشعات التي يقول عنها الغلبي صراحة أنها من تلحين القباني . زيادة في الإيضاح نشير إلى أن هذا القول تثبته مجموعة سليم العلوي بالنسبة للرقم ٣٠٢ ومجدي العقيلي بالنسبة للرقمين ٧ و ٨ . أن وجود كلمات الموشعين بالنسبة للرقمين ٢٠ و ٢١ في مجموعة شهاب الدين لا يشكل برهاناً مأكساً فهما يظهران فيها بغير المقام رقم ٢٠ و ٢١ في مجموعة شهاب الدين . أما الموشع رقم ٢٢ فيجب الإشارة إلى بعض وغير الإيقاع الذي يذكرهما الغلبي . أما الموشع رقم ٢٢ فيجب الإشارة إلى بعض الملابس المتعلقة به . لقد أحصينا مع موشعات القسم الأول لأن الغلبي ينسب للقباني صراحة . اثنا نراه بنفس المقام ونفس الإيقاع في مجموعة شهاب الدين . إلا أن الغلبي صراحة أن للموشع « لحناً آخر مصرياً » غير الذي وضعه القباني وهو الموشع الذي تنشده فرقة نويرة والتي نراها تغفل اسم الملحن . وأخيراً نذكر أن الموشع رقم ٩ يرد في نص رواية « الأمير محمود نجل شاه المعجم » والموشع رقم ١٠ في رواية « عفيف » .

يتمثل القسم الثاني بعض الموشعات المنسوبة إلى القباني والتي يرجح بنظرنا أنها له وعددها اثنا عشر ( انظر الجدول : من الرقم ٢٣ حتى الرقم ٣٤ ) . لم نتردد بادراج الموشعين رقم ٢٣ و ٢٤ في هذه الفئة بالرغم من أنه لا يوجد لهما أثر في كتاب الغلبي ومن أن اسم ملحن أولهما غير مذكور في مجموعة زيدان ومجموعة سليم العلوي ومن أن اسم ملحن ثانيهما لم يرد في مجموعة رجائي ومجموعة سليم العلوي . وما ذلك إلا لأن معظم

الأوساط المهتمة بالغناء والموسيقى (١٧) وكذلك فرقة عبد الحليم نويرة تنسبهما لأبي خليل وهما من أكثر الموشحات انتشاراً في القطر السوري . ومن جهة أخرى يرد الموشح رقم ٢٤ في رواية هارون الرشيد مع الأسير غانم بن أيوب . أما الموشحان رقم ٢٦ و ٢٥ فتنسبهما فرقة نويرة إلى القباني وهما غير مذكورين في كتاب الغلبي ونستغرب كيف أن مجموعة رجائي تنسب الرقم ٢٦ إلى سيد درويش فموشحات سيد درويش تم تصنيفها بدقة وأصبحت اليوم مدروسة جيداً . أما الموشح رقم ٢٧ فتعتبر مجموعة تراثنا أنه من وضع القباني بينما يفضل الغلبي أسمه لحنه وهو يرد في مجموعة شهاب الدين بمقام وإيقاع آخرين . لم يذكر الموشح رقم ٢٨ إلا في مجموعة سليم العلوي التي تنسبه صراحة إلى القباني . وهناك ثلاثة موشحات ( رقم ٢٩ و ٣٠ و ٣١ ) ينسبها أدهم الجندي (١٨) إلى القباني ويثبت ذلك أحمد الجندي (١٩) ، وموشحان ( رقم ٣٢ و ٣٣ ) ينسبهما إليه عدنان بن ذريل (٢٠) ويثبت ذلك بالنسبة للأخير مجدي العقيلي . أما الموشح رقم ٣٤ فينسبها للقباني مجدي العقيلي ويصرح أحمد الجندي (٢١) أنه من أشهر ألقانه مع العلم أن الغلبي لا يقول أنه للقباني بل أنه تلقاه منه .

### أحمد أبو خليل القباني : الموشحات

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
موشحات ثابت أنها من تلحينه					
١	بزغت شمس الكمال	حجاز	الغلبي ١١٦	العلو ١١٢	فرقة علي الدرويش
٢	وجنات الفيد	حجاز	الغلبي ١١٦		فرقة نويرة
٣	أه من جور الفوالي	عجم عشيران	الغلبي ١٣٠		فرقة نويرة
٤	بدر حسن لاح	بسته نكار	الغلبي ١٣٤	العلو ١٤٨	سلامة حجازي
٥	صاح هات الراح	سيكاه	الغلبي ١٢٢	العلو ١٦١	
				تراثنا ٢ ١٦٨	
٦	يا من رمى القلب وسار	عجم	الغلبي ١٣٠	تراثنا ٢ ١٩٤	
٧	قم ولازم يا منى	عجم عشيران	الغلبي ١٣٠	المقيلي ٨٢	
٨	راق انسي بالندامي	محير	الغلبي ١١١	المقيلي ٨٤	
٩	تثنى كفن من رشيق القوام	سيكاه	الغلبي ١٢٢		
١٠	هات يا باهي السننا	حجاز	الغلبي ١١٦		
١١	أفرغ الروض علينا	أوج	الغلبي ١٣٢		
١٢	اليوم يا بدري نزيل الهموم	مبا	الغلبي ١٠٨		
١٣	اشطع وهم يا ابن عمي	نهادند	الغلبي ١٠١		
١٤	أي ظبي لو أغني بعدا	نهادند	الغلبي ١٠١		

الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
١٥	بالنهاوند الكبير	نهاوند	الخلعي ١٠١		
١٦	يا باهي الشيم	عجم بوسك	الخلعي ١٣١		
١٧	كيف لا أصبو لمراها الجميل	شوق افزا	الخلعي ١٣٠		
١٨	بروق مربع النجد	سيكاه	الخلعي ١٢٢		
١٩	سباني مذ بدا باهي المعيا	سيكاه	الخلعي ١٢٣		
٢٠	قم لنحو الحان	أوج	الخلعي ١٣٥		
٢١	شادن صاد قلوب الامم	عجم عشيران	شهاب الدين ٢٦٧ الخلعي ١٣٠		
٢٢	شجني يفوق على الشجون	أوج	شهاب الدين ٧٣ الخلعي ١٣٤	تراثنا ٢ ١٩٦ تراثنا ٢ ٢٠٢	فرقة نويرة
			شهاب الدين ١٧٨ زيدان ١٥٢		

### موشحات يرجع انها مسن تلحينه

٢٣	يا فحسن نفا مكلل بالذهب	سيكاه	زيدان ٤٠٦	الخلو ١٧٦	فرقة نويرة مختلف
٢٤	ما احتياي يارفاقي	حجاز		رجائي ١٨٧ الخلو ١٠٨	فرقة نويرة مختلف
٢٥	رصع اللعين	راست		رجائي ١٩٣	فرقة نويرة
٢٦	تم دمي عن عيوني	حجاز		الخلو ١٢٨	فرقة نويرة
٢٧	ادر راحتني	أوج	الخلعي ١٣٣	تراثنا ٢ ١٩٦	
٢٨	طال ليالي	عراق	شهاب الدين ١٧٩	الخلو ١٣	
٢٩	لاح الثغر فسبى المفتونا	عجم	ادم الجدي ٢٤٩		
٣٠	شمس كأس الراح تجلي	حسيني			
٣١	رقص البان وفتي	بسته نكار		المقيلي ٨٥	
٣٢	صفت أوقاتني	راست	الخلعي ٩٧	المقيلي ٨٢	
٣٣	يا من جفا وما رحم				
٣٤	عيد المواسم				



الرقم	الموشح	المقام	تدوين الكلمات	التنويط الموسيقي	التسجيل
٥٣	ياغزالا قد أعار الظبي تكحيل	حجاز	الخلعي ١١٤ شهاب الدين ٢٢٨ زيدان ٤٠٠	الحلو ١١٧	
٥٤	بدري أدر كأس الطلي	حجاز	الخلعي ١١٣ شهاب الدين ٢١٨ زيدان ٥٩	الحلو ١١٥	

يتألف القسم الثالث من تصنيفنا من الموشحات التي يحتمل أن تكون من وضع القباني وعددها عشرون ( انظر الجدول : من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٥٤ ) ونعتقد أنه لا يمكن البت بأسرها بشكل قاطع ونهائي الا اذا ظهرت وثائق وبراهين جديدة في الموضوع واذ نذكرها هنا فلتسهيل مهمة الذين سيحاولون من بعدنا متابعة دراسة الموشحات المنسوبة الى القباني لمعرفة التي لحنها فعلا . هناك أولا ستة موشحات ( من الرقم ٣٥ حتى الرقم ٤٠ ) لا نعرف شيئا عنها سوى أن الخلعي « سمها » أو « تلقاها » من القباني وكذلك الموشح رقم ٤١ غير أن هذا الأخير يرد في رواية « عفيفة » . أما الموشح رقم ٤٢ الذي تلقاه الخلعي من أبي خليل فهو بمقام يختلف عن الذي دونه سليم الحلواني وتنسده فرقة نويرة ويقول الخلعي بخصوص الموشح رقم ٤٣ أنه سمعه من القباني ويضيف أن له تلحيناً مصرياً آخر ويستنتج من ذلك أن الموشح المذكور سوري المنشأ وهو يختلف من حيث المقام والایقاع عن الذي نراه في مجموعة شهاب الدين ويبدو أنه الموشح المصري المشار اليه . كذلك ان الموشح رقم ٤٤ الذي سمعه الخلعي من القباني هو غير الذي يرد بمقام مختلف في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٥ الذي سمعه الخلعي من القباني موجود في رواية « عفيفة » ومدون دون ذكر اسم الملحن في مجموعة تراثنا . الموشح رقم ٤٦ الذي نراه هو أيضاً في رواية « عفيفة » يرد دون ذكر اسم الملحن في الخلعي والمصادر الأخرى وله مقام آخر في مجموعة شهاب الدين . والموشح رقم ٤٧ موجود في الرواية نفسها واسم ملحنه غير مذكور في كتاب الخلعي . أما الموشح رقم ٤٨ فهو يظهر في رواية الأمير محمود نجل شاه الميم « ولا تذكر كل المصادر اسم ملحنه » يرد الموشح رقم ٤٩ في رواية « عفيفة » وليس له أثر في كل المراجع . ان الموشحات رقم ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ترد في رواية « عفيفة » ويرد الموشح رقم ٥٤ في رواية هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب « ولا تذكر كل المصادر بما فيه كتاب الخلعي » اسم ملحنها بينما نراه بنفس المقام ونفس الايقاع في مجموعة شهاب الدين ، لذلك يصبح الاحتمال بأن تكون هذه الموشحات الخمسة للقباني ضعيفاً جداً .

وإذا انتقلنا من الموشحات إلى الأغاني الشعبية نرى أنها تحتاج هي أيضاً إلى بحث دقيق . من المعروف أن القباني قد اهتم بهذا النوع من الغناء غير أنه ليس لدينا معلومات واضحة إلا عن أغنيتين فقط . الأولى هي أغنية « يا مسعدك صبيحة » من مقام الصبا وهي كثيرة الديوع في مدينة حلب ويذكر حبيب زيدان في مجموعته ٢٢ أنها من ألحان القباني . أما الأغنية الثانية فهي « يا طيرة طيري » المشهورة في سائر المدن السورية وطابعها الدمشقي واضح . وفؤاد محفوظ الذي دونها موسيقياً (١٢) يقول أنها للقباني . ونعتقد أنه لا يوجد أي أثبات بالنسبة لأغنيات شعبية أخرى تنسب عادة إليه مثل : « يا مال الشام » و « بلبل عاشج غنى » .

أما بالنسبة إلى موضوع ألحان القباني المسرحية . فلا شك أن اهتمامه بالموسيقى والغناء كان لا يقل عن اهتمامه بالمرح وعلى ذلك أكثر من برهان : فرواياته مليئة بالقطع الغنائية وقد رأينا أنه لما هاجر إلى مصر اصطحب معه . علاوة على الممثلين مجموعة من المازفين الماهرين (٢٤) وأن الموسيقى كامل الخلعي انضم إليها والمعروف أيضاً أن عبده الحامولي غنى في بعض مسرحياته (١٥) . الأمر الذي يبين الأهمية التي كان القباني يعلقها على الغناء عند عرض رواياته .

وإذا ألقينا نظرة على القطع المدة للغناء في مسرحيات القباني علاوة على الموشحات ، نلاحظ أولاً وجود عدد من القصائد ، منها قصائد معروفة من الأدب العربي (بنوع خاص لبهاء الدين زهير) ومنها قصائد تتعلق مباشرة بموضوع الرواية ويبدو أنها من نظم القباني كما نرى أناشيد ومتناحش شعريية يطلق المؤلف عليها اسم « لحن » ويشير إلى أن على المجموعة « أي على « الكورس » أنشادها ، كما أن بعض حوارات الرواية كانت هي أيضاً ملحنة (٢٦) . كل هذا يضمن على مسرحيات القباني طابع « الأبريت » أي الرواية الغنائية .

ما هي أنغام هذه المقطوعات المهيئة للغناء في مسرحياته ؟ من الطبيعي أننا لا نستطيع معرفتها وهي لم تسجل على الاسطوانات ولم تدون موسيقياً ولم يبق أحد ممن الذين استمعوا إليها . أن محمد كامل الخلعي ، الذي يقول أنها وضعت بمناسبة مناظر ومواقع في التمثيل ، يعلق عليها بالمعارات التالية : « شهد من قبل أكابر الموسيقيين وغطاحل الملحنين بما له من بديع الثلاثين الرقيقة لأناشيد الطرب الأنيقة ما يزري برنة الدمنار ويذهب بصوت الناي والأوتار ويطوح بالهموم والأتراح ويغني بلذته عن الراح . فكلم له من قطعة رافعة للقدرد ومدحة شارحة للصدور ثمينة مبيكة للبيون ومقطعات مختلفة الفنون » (٢٧) . هذه شهادة من كان يعتبر نفسه تلميذاً للقباني وحضر معظم مسرحياته .

مهما يكن من أمر فأحمد أبو خليل القباني هو الذي أوجد المسرحية الغنائية في الوطن العربي وله يعود الفضل في تدعيمها ونشرها وقد فتح الطريق التي سار عليها من بعده سلامة حجازي وسيد درويش وفي يومنا الحاضر الأخوان رحباني .



## □ احياء تراثه :

الى أي حد لا يزال تراث أحمد أبي خليل القباني حياً ؟ ٠٠ هل مؤلفاته الموسيقية ، باستثناء عدد ضئيل منها ينشد من حين إلى آخر ، أصبحت عبارة عن وثائق تحفظ في « أرشيف » تاريخ موسيقانا كالتطلع الأثرية في المتاحف ٠٠ ؟

هنا يطرح سؤال أساسي : إلى أي حد باستطاعتنا معرفة هذا التراث ٠٠ لا شك أن احصاء المؤلفات التي يتألف منها اسرروري لكن الأهم هو أن نعرف فعلا ألحان هذه المؤلفات وهذا لا يتم الا اذا كانت القطعة اما مدونة موسيقياً أو مسجلة ٠ لذلك لا بد من القاء نظرة عامة على مؤلفاته لنسرى وضعها من هذه الناحية ٠

اذا تأملنا تلك الموشحات التي اعتبرنا أن تلحينها من قبل القباني ثابت ، نلاحظ أن ثمانية منها فقط ( الموشحات رقم ١ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٢١ و ٢٢ ) تم تنويعها موسيقياً ٠ أما بالنسبة للتسجيل فنمرف أن فرقة علي الدرويش سجلت الموشح رقم ١ ( والتسجيل محفوظ في اذاعة دمشق ) وفرقة عبد الحليم نويرة الموشحات رقم ٢ و ٣ و ٢٢ كما سجل الموشح رقم ٤ على اسطوانة بصوت سلامة حجازي ٠ فمن أصل اثنين وعشرين موشحاً يبقى اثنا عشر بدون تدوين أو تسجيل ٠ أما الموشحات التي يرجع انها له فيوجد تنويع موسيقي لستة منها ( الموشحات رقم ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٣ و ٣٤ ) وقد سجل الموشح رقم ٢٣ كل من فرقة نويرة وفرقة سليم سحاب وعدد كبير من المطربين وسجل الموشح رقم ٢٤ مطربون كبار أمثال أبو العلاء محمد ونادرة وماري جبران وكذلك فرقة نويرة وعدد كبير جداً من المطربين المعاصرين ويوجد تسجيل للموشحات رقم ٢٥ و ٢٦ من قبل فرقة نويرة ٠ يبقى من هذه الفئة أربعة موشحات ( من رقم ٢٩ حتى ٣٢ ) من أصل اثني عشر بدون تنويع أو تسجيل ٠ أما الموشحات المشكوك بأمر تلحينها فمن أصل عشرين موشحاً يبقى اثنا عشر بدون تنويع أو تسجيل ٠ وبهذه المناسبة نذكر أن عدنان بن ذريل يروي أن في حوزة نديم الدرويش نوطات « لما يقارب أربعة عشر موشحاً لأبي خليل القباني دونها موسيقياً والده الموسيقار الكبير علي الدرويش وهي غير معروفة وغير متداولة (٢٨) ولا شك أن نشرها ضروري جداً عماها تلقي بعض النور على الأمور التي لا تزال غامضة بالنسبة لتراث القباني (٢٩) ٠

أما من ناحية الأغاني الشعبية فإن أغنية « يا سمعدك صبيحة » سجلت على الاسطوانات بصوت عدد من المطربين القدماء أمثال عبد الحليم وداود حسني وأحمد اندريس وعلي عبد الباري ٠ كما لأغنية « يا طيرة طيري » عدد كبير من التسجيلات الحديثة وهي كما ذكرنا مدونة موسيقياً ٠ أما الألحان المسرحية فنعتقد أن ستار النسيان قد أسدل عليها والأمل ضعيف في أن يتم يومه أي اكتشاف بخصوصها (٣٠) ٠

إن أحمد أبى خليل القباني هو عميد الموسيقى في سورية وهو كما ذكرنا مؤسس المسرح الغنائي في الوطن العربي (٣١) فهو علم من أعلام الحضارة العربية الحديثة غير أن تراثه يحتاج الى عناية كبيرة ، ويتطلب إقامة مؤسسة خاصة لهذا الموضوع كالمؤسسات

التي تحدث في أوروبا لكبار الفنانين والأدباء والعلماء أو على غرار « جمعية أصدقاء سيد درويش » الموجودة في مصر . ونلخص فيمايلي مهمة هذه المؤسسة .

يجب تجميع كل ما يمكن تجميعه من مخطوطات ووثائق ومعلومات مختلفة تتعلق بانتاج القباني الأدبي والموسيقي واقامة مكتبة تضم المؤلفات والمقالات المتعلقة به لتصبح مرجعا لكل من يريد دراسته . كما يجب السعي لاحصاء مؤلفاته الموسيقية بطريقة علمية ثم القيام بتنويط أي بتدوين ألحانه موسيقيا ونشرها والقيام بطبع مسرحياته التي لا تزال مخطوطة . ومن الضروري خلق جو من الاهتمام بالقباني بشتى الوسائل اما بالتأليف الأدبي (٣٢) أو بالسعي مع الاذاعات العربية والنادي والمجاهد الموسيقية الى نشر ألحانه وتنظيم الاحتفالات والمهرجانات التذكارية المختلفة (٣٣) .

لقد ذكرنا أن بعض العناصر الدمشقية تمكنت في عام ١٨٨٤ من اقناع السلطان عبدالحميد باغلاق مسرح القباني ومنعه من التمثيل وعلى اثر الحملة التي تعرض اليها في مسقط رأسه غادر سورية . فهل تطرد القباني مرة ثانية باهمالنا لثرائه العظيم ؟ نحن اذن مدعوون لمحو الغلطة الكبيرة التي ارتكبتها عام ١٨٨٤ عندما جعلنا فنانا كبيرا من قطرنا يغادرنا ليبرز مواهبه بعيدا عنا ، وبذلك نبرهن أن سورية العربية تعرف اليوم كيف تكرم عباقرتها .

### جبرائيل سعادة



### الهوامش :

- ١ - راجع شاكِر مصطفى : « القصة في سورية » ١٩٥٨ ص ١٨٩ - ٢٠٢ ، ابراهيم نزي ، مجلة « المجلة » العدد ٦٣ نيسان ١٩٦٢ ، محمد يوسف نجم : « الشيخ احمد ابو خليل القباني » بيروت ١٩٦٣ ، عدنان بن ذريل : « المسرح السوري منذ ابي خليل القباني الى اليوم » دمشق ١٩٧١ ص ١٩ - ٣٧ .
- ٢ - عبد الحميد العلوجي : « رائد الموسيقى العربية » بغداد ١٩٦٤ .
- ٣ - محمد كامل الخلمي : « كتاب الموسيقى الشرقي » القاهرة ١٩٠٤ - ١٩٠٥ .
- ٤ - نرى ايضا كلمات بعض موشحات والحساني القباني في حبيب زبدان : « مجموعة الاغاني الشرفية القديمة والحديثة نيويورك » .
- ٥ - ادهم الجنيني : « اعلام الادب والفن » الجزء الاول دمشق ١٩٥٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٦ .
- ٦ - عدنان بن ذريل : « الموسيقى في سورية » دمشق ١٩٦٩ .
- ٧ - احمد الجنتي : « رواد النغم العربي » دمشق ١٩٨٤ ص ١٩ - ٣٥ .
- ٨ - فؤاد رجائي وتديم الدرويش : « من كنوزنا في الموشحات الاندلسية » حلب ، سليم الحلو : « الموشحات الاندلسية » بيروت ١٩٦٥ ، اللجنة الموسيقية العليا : « تراننا الموسيقي : من الاودار والموشحات » ( ٤ اجزاء ) القاهرة . يوجد ايضا لتدوين موسيقي لهذه الموشحات في مجدي القبطي : « السماع عند العرب » الجزء الثاني ص ٦١ - ٩٤ .
- ٩ - ادهم الجنيني ص ٢٤٩ ، شاكِر مصطفى ص ١٨٩ ، عدنان بن ذريل ١٩٧١ ص ١٩ ويقول محمد كامل الخلمي ص ١٣٧ انه ولد عام ١٨٤٢ .
- ١٠ - محمد كرد علي : « خطط الشام » مكتبة الزوري دمشق ١٩٨٣ الجزء الثالث ص ١٠٠ ، راجع ايضا ادهم الجنيني ص ٣١٩ ، منوح الجاسري : « الموسيقي في حلب » . مجلة العمران العدد ٢٠/٢١/٢٢ ص ٧٨٥ .
- ١١ - نعيد قائمة بهذه الحفلات مع تاريخ ومكان كل منها في كتاب محمد يوسف نجم ص ٤٠٣ - ٤١٠ .

١٢ - أحمد الجندى ص ٣١ .  
١٣ - هناك بعض التناقض بالنسبة للتاريخ وفاته ناتج عن التقييد بين المؤرخين المكتوبين على شاهدة قبره . وقد كتب على أسفل الشاهدة أنه توفي في غرة شهر شوال سنة ١٣٣١ هـ أي في ٢١ كانون الأول ١٩٠٣ ( راجع أحمد الجندى ص ٣٤٠ ) بينما يقول محمد كامل الطلي ص ( ١٤٠ ) أنه مات ليلة ٢٧ رمضان ١٣٣٠ هـ أي في ٢٨ كانون الأول ١٩٠٢ . ونقرأ في مقال دكتور حداد : « أبو خليل القباني في الذكرى الـ ١٥٠ ميلاده » ( مجلة هنا دمشق العدد ١٧٧ ، ٨٣/١٢/١ ص ٢٩ ) أنه توفي في كانون الثاني ١٩٠٢ .

١٤ - محمد كامل الطلي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .  
١٥ - ان المراجع ترد في هذا الجدول بشكل مختصر ويمكن معرفتها بشكلها الكامل بالرجوع الى الهوامش التي تراصق المقال ( فعلى سبيل المثال نقول أن كلمة « الطلي » نشأ في كتاب محمد كامل الطلي المذكور أعلاه وكذلك تدل عبارات « تراثنا ٢ » على الجزء الثاني من مجموعة « تراثنا الموسيقي من الأناوار والموشحات » التي أبتأ أيضاً على ذكرها ) أما عبارة « فرقة نويرة » فالتقصود بها فرقة الموسيقي العربية التي يشرف عليها عبدالحليم نويرة . وكلمة « مشعل » تعني أن الموشح سجل من قبل عدد من المطربين ومن جهة أخرى قد رقنا الموشحات لتسهيل عرض البحث واختصاره .

١٦ - محمد بن اسماعيل شهاب الدين : « سفينة الملك ونفيسة الملك » ١٨٩٣ - ٩٤ .

١٧ - راجع مثلاً بالنسبة الى الموشح رقم ٢٣ ، أدهم الجندى ص ٣٥٥ .

١٨ - أدهم الجندى ص ٢٥٠ و ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

١٩ - أحمد الجندى ص ٣٣ .

٢٠ - عدنان بن ذريل ١٩٦٩ ص ١٣٩ .

٢١ - أحمد الجندى ص ٣٤ - ٣٥ .

٢٢ - حبيب زيدان ص ٣٩٨ .

٢٣ - فؤاد مخلوف : « الألفاظ الشعبية العربية عبر التاريخ » ص ٢٤ .

٢٤ - نرى اسماءهم في أدهم الجندى ص ٢٥٣ - ٢٥٤ وعدنان بن ذريل ١٩٧١ ص ٣٣ .

٢٥ - محمد يوسف نجم ص ٤٠٥ و ٤٠٧ .

٢٦ - صميم الشريف : « الألفاظ العربية » دمشق ١٩٨١ ص ١٧٣ .

٢٧ - محمد كامل الطلي ص ١٣٨ .

٢٨ - عدنان بن ذريل ١٩٦٩ ص ١٣٩ .

٢٩ - لا نستبعد أن تكون هناك بعض الموشحات غير المدونة أو المسجلة معروفة من مطربين لا سيما القدماء منهم .  
فيبدو مثلاً أن الموشح رقم ٢٩ معروف من قبل المطرب نجيب السراج ( راجع أدهم الجندى ص ٢٥٥ ) .

٣٠ - ولكن ليس هذا الأمل مقلوداً نهائياً . نذكر بهذه المناسبة أن متحف التنايلد الشعبية ( قصر العظم ) في دمشق قد حصل على مجموعة من الاسطوانات التي من النوع القديم ( المصنوعة من المعدن وذات شكل اسطواني ) كانت ملك هاني بن لودي الكيلاني من حماه وسجل عليها عدد من الألفانيات بصوت مطربين دعاء لم يوجد لها أي تسجيل على اسطوانات عادية ومن بينهم الموسيقار الكبير محمد عثمان . فصل يأتي يوم تظهر فيه تسجيلات من هذا النوع لأن كان غير معروفة للقباني .

٣١ - في كتابه « رواد المسرح المصري » يذكره محمد كمال الدين بين الرواد الذين طورو المسرح في وادي النيل .  
٣٢ - لا شك أن مسرحية سعدات ونوس : « سفرة مع أبي خليل القباني » ، دمشق ١٩٧٣ قد أسهمت في إحياء ذكره .

٣٣ - من الغريب أن يكون غاب عن ذهن سورية أن تعزل في العام الماضي ، بالذكرى المائة والخمسين ليلاد القباني ( راجع بهذا الخصوص دكتور حداد ، ص ٢٨ - ٢٩ ) .

# الأسطول الفاطمي

التواني بوبكر

تمتع البحر المتوسط منذ أقدم العصور إلى الوقت العاضر بموقع جغرافي فريد من نوعه ، جعله مطمع كل قوة تبني لنفسها الازدهار والسلطان في هذا المجال البحري ، وعلى الرغم من هذا لم تستطع أية قوة أجنبية أن تنال الغلود الذي تمتع به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر .

فكم من حضارة قامت على جواب هذا الحوض المائي الهام ، وازدهرت ، وبلغت ذروتها .. ثم أتى عليها الزمن ، فاندثرت واندثرت ، وأصبحت أثراً بعد عين ! وكانت الحضارة العربية نقماً فريداً خالداً بين أترابها، وما زالت أقدام بني يعرب راسخة متسدة الجذور إلى يومنا هذا في رقعة شاسعة تضم شواطئ الشام ومصر وأفريقية ، بما يعادل نصف شواطئ المتوسط<sup>(١)</sup> . ويعزى سر هذا الغلود إلى أن العرب اتخذوا أهبتهم لامتناء ثبح أمواجه وفق خطوات منظمة مدروسة بعيدة عن الارتجال والقوضى ، وذلك منذ أن لامست أقدامهم مياهه في القرن السابع الميلادي حاملين راية الاسلام<sup>(٢)</sup> .

وسرعان ما اشتد عود الأسطول العربي الفتى ، فهزم بحرية الروم ، وانتزع منها سيادة البحر المتوسط الذي زالت عنه صفة (بحر الروم) ، وغدا بحيرة عربية اسلامية بالنسبة لهذا البحر مثل سلطان الفاطميين في شمال افريقية ، ثم في مصر والشام فيما بعد ، قمة المجد العربي البحري ، حيث بدأ عصر سيادة الأساطيل العربية في المتوسط بلا منازع ، واستطاعت الدولة الفاطمية الناشئة أن تبسوا تلك المنزلة السامية في تاريخ البحرية العربية

بسبب نشأتها وترعرعها في بيئة بحرية خالصة ، شاهدت منذ أقدم العصور أقوى الأساطيل وأشهر أمراء البحار الذين عرفهم التاريخ<sup>(٢)</sup> .

ومن المعلوم أن الفاطميين قضوا على الأغابة ، وورثوا ملكهم في (رقادة)<sup>(٣)</sup> وصراعهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط . كان هذا الصراع قد ازداد حدة وغنفاً بعد فتح المسلمين لصقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، فأُست من ذلك الحين إحدى القواعد الهامة لانطلاق الجيوش الإسلامية<sup>(٤)</sup> . ولما جاء الفاطميون ضاعفوا من ذلك النشاط ، ولم يكتفوا بموقف الدفاع وصد الهجمات ، بل وقفوا موقف الهجوم ، وحاولوا كسب مراكز جديدة لأنفسهم كانوا يهدفون إلى تكوين إمبراطورية قوية ذات قواعد عسكرية برية وبحرية ، كي يتمكنوا من أخذ زمام المبادرة وحماية دولتهم من أي خطر منها كان مصدره ، ومن الطبيعي أن تجعلهم هذه السياسة مهتمين بالأسطول البحري وإنشاء الموانئ الهامة كالمهدية<sup>(٥)</sup> وغيرها ، وإقامة دور صناعة السفن على اختلاف أحجامها ، والبحث عن المواد الأولية كالخشب . وبرزت عنايتهم بالجيش البحري من حيث التدريب والعدد والعدة ، وأغلقوا الأموال والهبات على رجاله ، ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم وبث روح الحماسة في نفوسهم ، وبذلك يكونون طموحاً لإرادة الخليفة ، ومتفانين في مهامهم العسكرية.

وفي الوقت نفسه اهتم عبدالله المهدي بجزيرة (صقلية) ، ودعم سلطانه فيها ، ورأى في الاحتفاظ بها سبيلاً لتحقيق أهدافه في إنشاء إمبراطورية عظيمة في المتوسط ، ففيها كنوز طبيعية مثل الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، وهي منطقة زراعية خصبة معطاء ، تنتج التفاح والبندق والجوز والقسطل . ويتصدر ذلك كله صلاحيتها قاعدة لأسطول كبير . وكل أولئك يدعو إلى الاستقرار والاستفادة مما تتمتع به هذه الجزيرة حيث وجد الفاطميون في حيازتهم شمال افريقية وصقلية موارد ساعدتهم على بناء أسطول قوي يحقق لهم تنفيذ مشاريعهم البحرية<sup>(٦)</sup> .

واستغل الأسطول الفاطمي الوليد نشاطه المبكر في حوض البحر المتوسط الغربي بتدعيم ملك الفاطميين بشمال افريقية وبسط سيطرتهم على ما جاورهم من الجهات الساحلية التي دأب أهلها على الشغب والثورات . وقد واجه الأسطول الفاطمي أثناء تحقيق هذه المهمة أسطول الأندلس ومحاولاته المتكررة للاغارة على ممتلكات الفاطميين<sup>(٧)</sup> ، فامارة الأمويين بالأندلس أزعجها قيام سلطان الفاطميين على مقربة من ديارهم ، وارتابت من أهداف

الفاطمين التوسعية . وبلغت شدة خوف الأمويين مبلغاً جعلهم يتحالفون مع الروم والفرجة ضد الأسطول الفاطمي . فهناك من ذكر أن عبدالرحمن الناصر حسن علاقته مع صاحب بروفانس الذي كان حاداً على الفاطميين بسبب غزوهم لموانيه كجنوة ، كما تحالف مع امبراطور يزنطة قسطنطين الثامن (٣٤٩-٤١٩ هـ / ٩٦١-١٠٣٨ م) الذي كان يأمل في استرجاع صقلية وغيرها من المراكز البحرية التي كانت في أيدي خصومه الفاطميين<sup>(١١)</sup> . ولمعاً في محاربة الفاطميين عمل الناصر على تحسين علاقاته بالإخشيديين في مصر ، حتى أنه أرسل بعض مراكبه الى الاسكندرية بقصد محاربة أسطول الفاطميين . ولما أيقن الاخفاق في ذلك أمر بلعن الخليفة الفاطمي على منابر الأندلس ، وكتب بهذا الى جميع العمال بقصد الحظ من قيمة الفاطميين<sup>(١٢)</sup> .

أما مع الروم فقد جرد الفاطميون حملاتهم العسكرية ضد أولئك الأعداء<sup>(١٣)</sup> في كل فرصة ساعدة طيلة عهدهم في المرحلة المغربية ، فهذا عبدالله المهدي يتابع هجماته عليهم سنين عديدة من المهديّة أو صقلية ، حيث توجهت حملة بحرية من الميناء الأول بقيادة صابر القتي ، وذلك في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٩ م ، وعدتها أربعة وأربعون مركباً ، مخرت عباب اليم حتى وصلت صقلية<sup>(١٤)</sup> ، ومنها شنت غاراتها على سواحل الروم ومدنهم ، فقتلت الكثير ، وغنمت ، وعادت الى قواعدها سالمة<sup>(١٥)</sup> ، ثم أعاد صابر الكرة في السنة التالية من صقلية أيضاً ، فافتتح عدة مواطن رومية ، واستولى على ما فيها ، وأجبر أصقاعاً أخرى على مصالحته بأموال وديباج ونياب ، وعاد بجيشه الى صقلية مركز انطلاقه<sup>(١٦)</sup> ، ثم أعاد الكرة سنة ٣١٧ هـ / ٩٣١ م ، فالتقى في البحر بسبعة مراكب للروم ، وهو في أربعة ، فهزم خصومه ، وفتح وسبى سبباً كثيراً ، ورجع الى المهديّة<sup>(١٧)</sup> . وبذلك سن المهدي لمن جاء بعده سنة توجيه الحملات البحرية من المهديّة<sup>(١٨)</sup> وصقلية ضد الموانئ الرومية . وكان ولاية صقلية يساهمون مساهمة فعالة في هذا المجال نظراً لمركز ولايتهم الاستراتيجي وامكافات أسطولها البحري . وخير مثال على ذلك الحملة التي قادها يعقوب بن اسحق في آخر حياة عبدالله المهدي ، فتفتحت جنوة وسردانية<sup>(١٩)</sup> . وقد قال آدم متر عن اتصال الأسطول الفاطمي بالحوض الغربي للبحر المتوسط منذ عهد عبدالله المهدي وسيطرته على مياهه ما نصه<sup>(٢٠)</sup> : « ولم يكن لأوروبة سلطان على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر الميلادي ، فقد كان بحراً عربياً . وكان لا بد لمن يريد أن يقضي لنفسه أمراً أن يخطب ودالعرب كما فعلت نابولي وغيتة وأمالقي » .

ويظهر أن الملاحاة الأوربية نفسها كانت - في ذلك العصر - على حال يرثى لها من الضعف ، ففي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م استطاعت مراكب عبده المهدى الفاطمي أن تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوة وأن تنهبهما ، وأن تفعل مثل هذا بمدينة ييزا في عامي ٣٥١-٣٥٤ هـ فهذا النصر يبين لنا مدى ثقل وطأة الأسطول الفاطمي على أساطيل أوروبا وتحكمه في لبحر المتوسط ، وأن سلطة الفاطميين في المغرب تمثل قمة المجد البحري الاسلامي في البحر المتوسط وعصر سيادة الأساطيل الاسلامية لهذا البحر<sup>(١٨)</sup> .

وظل الاهتمام بالأسطول متواصلاً وكبيراً في عهد أبي القاسم محمد القائم ، بل بلغت قوته شأواً بعيداً ، وتفاقم خطره على الأساطيل البيزنطية ، حيث ضاعف من غاراته عليها من موانئ المغرب وثغوره ، ومن صقلية أيضاً . ولعل قلة الثورات الداخلية في بداية عهده تركت له مجالاً للاهتمام بحرب الروم والعناية بالأسطول أكثر من أبيه . ويقول ابن خلدون بهذا الصدد<sup>(١٩)</sup> : « وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون بأساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتقلب بالظفر والغنية كما وقع في أيام بني الحن ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيدين ، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجباب الشمالي الشرقي ، وأساطيل المسلمين قد ضرت ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الكثير من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلقت في طرقه سلباً وحرباً ، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح . حتى اذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفضل والوهن مد النصراني أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وقبرطس ومالطة ، فملكوها ، ثم ألحوا على سواحل الشام » . فهذا النص يبين لنا مدى الدور الخطير الذي شغله الفاطميون في الدفاع عن المغرب الاسلامي والمتمثل في رد غزوات الروم .

أما في عهد المعز لدين الله فقد كان للبحرية الفاطمية شأن يذكر في بلاد المغرب ومصر ، حيث اتخذ هذا الخليفة من المهدية مرفأً رئيساً ومن سوسة وغيرها من الموانئ أماكن تأوي إليها سفنه ، ولا نفلو اذا قلنا : ان المعز لدين الله ، بفضل أسطوله القوي ، جعل غربي البحر المتوسط بحيرة فاطمية<sup>(٢٠)</sup> ، وذلك نظراً لقلة الاضطرابات الداخلية في عهده ، وبفعل سياسة اللين والفتح التي اتبعها - أحياناً - مع الثائرين . ولذا وجد المجال متسعاً للاهتمام بالأسطول حيث اتخذ من المراسي المختلفة ماوى لقطع هذا الأسطول . وعمل المعز جاهداً على تحصين مواقفه ، حتى انه قال :<sup>(٢١)</sup> « لئن امتد المقام هنا - أي في المنصورة - لنجرين

البحر بحول الله وقوته النشا في خليج حتى تكون مراكبنا تحط وتقلع بحضرتنا » . ولا شك أن هذا يدل على مدى عنايته أكثر من أسلافه بالجيش البحري حيث أراد أن يجعل من المنصورة ميناءً ثالثاً من حيث الأهمية بعد المهدية وسوسة (٢٣) . وقد كثرت في عهده المحارس والثغور مثل سبتة ومليلة ووهران وجزائر بني مرغة وبجاية وجيجل وسكيكدة وبونة ومرسى الخزر وبنزرت وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس وبنغازي، حتى بلغ عددها على ما روي أكثر من عشرة آلاف حصن مبنية بالحجارة والكلس وأبواب الحديد (٢٤) .

ولا عجب أن وجدنا هذا الأسطول يمثل العامل الأكبر في انتصارات الفاطميين البحرية، ويعود إليه الفضل في تزويد جوهر بالامدادات أثناء فتحه مصر (٢٥) . ونلاحظ تقدماً ملموساً في قوة الأسطول الفاطمي في عهد المعز بما في ذلك القطع البحرية العاملة بالمغرب الأوسط (٢٦) . ويمكننا أن نوجز أهم العوامل التي ساعدت على نمو الأسطول وقوته فيما يلي :

١ - صلاحية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب وكثرة موانئه ، ووجود أحواض لبناء السفن مثل المهدية وسوسة وبونة (عقابة) ومرسى الخزر ، والقالة وبجاية وغيرها ، وتوفر المواد اللازمة لبناء السفن كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن ، والحديد الذي يوجد في صقلية وبونة وبجاية والإربس . بالإضافة إلى القطن والجلال (٢٧) .

٢ - وراثة الفاطميين لأسطول قوي عن الأغالبة ، يعود تاريخ نشأته إلى عهد حسان بن النعمان (٧٥-٧٨ هـ / ٩٦٥-٩٦٨ م) ، حيث عملوا على تنميته وتطويره ، ولم يبدؤوا من الصفر في هذا المجال (٢٨) .

٣ - وجد الفاطميون بين أهل المغرب إمارات ذات كفاية عالية، عارفة بالملاحة والأمور البحرية ، ولها خبرة ودراية في هذا المجال منذ عهد الفينيقيين ، فكان هذا أحد العوامل في قوة بحريتهم ونجاحهما (٢٩) .

٤ - يعتبر مركز صقلية البحري الهام من العوامل التي ساعدت على قوة الأسطول وتحكمه في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وقد أصبحت محطة بحرية هامة للمسلمين منذ أن فتحت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م على يد أسد بن الفرات (٣٠) .

٥ - هذا ويمكن أن نعتبره تأسل فكرة الجهاد عند الفاطميين وتطويعهم إلى التوسع شرقاً وغرباً ، وخوفهم من الخطر الخارجي المتمثل في الروم بصفة خاصة من أهم الحوافز



التي جعلتهم يعنون أشد العناية بأمور الأسطول حتى تكون لهم قوة بحرية قادرة على تحقيق آمالهم في توسيع رقعة دولتهم ورد الخطر الخارجي المسيحي كما ذكرنا .

٦ - عني المزم بالأسطول أكثر من أسلافه لأنه كان يهدف الى تكوين قوة بحرية كبيرة يسيطر بها على حوضي البحر المتوسط الغربي والشرقي على السواء ، ويقارع بها كلام من الأمويين والروم في الحوض الأول ، والعباسيين في الحوض الثاني . كما كان ينوي أن يتخذ من سواحل مصر والشام جسراً يعبر منه الى بغداد<sup>(٣١)</sup> .

٧ - وما زاد من قوة الأسطول في عهد المزم وراثته لأسطول الإخشيديين . فبعد فتحه مصر وجد بين المصريين جنداً أكفأ في ميدان الملاحة النورية والبحرية معاً . وبعد فتح مصر والشام حقق ما كان يطمح اليه في هذا المجال حيث امتد نفوذه البحري من سبت غرباً الى أنطاكية شرقاً ، بالإضافة الى الموانئ المطلة على المحيط الأطلسي . وبذلك بلغ الأسطول في عهده ذروة مجده<sup>(٣٢)</sup> .

والى هذا الأسطول الفاطمي يرجع فتح مصر في أسرع وقت ، فقد كان همزة الوصل بين جيوش جوهر الغازية وبين المزم في المغرب . وفي حراسة هذا الأسطول كانت الامدادات تصل الى جوهر في سهولة ويسر . وقد اتخذ المزم في بعض المدن المصرية دوراً لصناعة السفن ، فأنشأ في المقص دار صناعة ضخمة ، وصفها المسيحي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٤٢٠ هـ بقوله<sup>(٣٣)</sup> : « انه لم يثر مثلاً فيما تقدم كبيراً أو وثاقاً وحسناً » . وقال ابن أبي طي<sup>(٣٤)</sup> : « لم يثر مثلاً في البحر على ميناء » . ويظهر أن المزم لم يهمل دار صناعة القسطنطين التي كانت تسمى « دار صناعة مصر » ، كما عني بأقامة دور صناعة السفن في مواني مصر الهامة كالاسكندرية ودمياط<sup>(٣٥)</sup> .

ولم يكن بناء السفن في مصر راجعاً الى خوف المزم من غارات الروم والقرامطة على مصر والشام فحسب ، بل كان ذلك راجعاً الى رغبته في بسط نفوذه على البلاد التي قد يتخذها الأعداء طريقاً يغفرون منه على مصر . بالإضافة الى ما كان يهدف اليه المزم لدين الله من اتخاذ مصر والشام قطرة يعبر منها الى بغداد حاضرة العباسيين في ذلك الحين<sup>(٣٦)</sup> . أضف الى ذلك أنه حرص على أن تكون لأسطوله السيادة والتفوق على سائر أساطيل البحر المتوسط . ولا غرو فقد دخلت في حوزة المزم لدين الله - بعد أن تم له فتح مصر والشام -

البلاد الواقعة على البحر المتوسط من أنطاكية الى سبته ، ووقعت في يده موانئ المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي (٢٧) .

ومن ثم ملا المعز كثيراً من موانئ الشام الهامة ، مثل صور وعكا وعسقلان ، بالسفن الكثيرة المختلفة الأنواع وأهمها الشنديات (٢٨) والشنواني (٢٩) الحربية والمسطحات (٣٠) والطرادات (٣١) والعشاريات (٣٢) والحراقات (٣٣) . وقد رأينا موقف أسطول المعز من صور وسواها في حروبه مع الروم ، كما رأينا كيف اتخذ جوهر من عكا وعسقلان مستودعات للامدادات التي كانت تتدفق على جيوش الفاطميين في بلاد الشام ، حتى ان قواد المعز اتخذوا منها أماكن يفرون إليها مع جندهم من وجه أعدائهم ، ولا سيما القرامطة (٣٤) .

ولأهمية السواحل الشامية في نظر المعز كان يعين عليها قواداً وولاءة ، ليكون الاتصال محكماً بين مصر وبلاد الشام ، وقد قدرت سفن الأسطول الفاطمي التي بنيت في دور الصناعة المصرية بأكثر من ستمائة قطعة مختلفة الأشكال والأحجام ، على حين بلغ عدد السفن في أواخر عهد الدولة الفاطمية مائة قطعة فقط (٣٥) .

وهكذا استغل المعز لدين الله موقع مصر والشام الاستراتيجي ، فكون أسطوله الشرقي الضخم ، ولو قدر له البقاء طويلاً لكان هذا الأسطول أكثر ضخامة وأبعد أثراً . وقد وصف المقرئ غياة المعز بالأسطول بهذه العبارة (٣٦) : « لما سار الروم الى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثمائة اشتد أمرهم بأخذهم البلاد ، وقوت العناية بالأسطول في مصر منذ قدم المعز لدين الله ، وأنشأ المراكب الحربية ، واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بأمور الجهاد ، واعتناء بالأسطول ، وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر واسكندرية ودمياط ، من الشواني الحربية والشنديات والمسطحات وتسيرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان ، وكانت في أيام المعز تزيد على ستمائة قطعة » .

وكان للأسطول أمير يدعى « قائد القواد » ، وقد سمي بذلك لأنه يرأس عشرة قواد ، كما كان يطلق عليه « أمير الجيش » و « المستوفي » (٣٧) . وقد بلغ من غياة المعز ومن جاءه بعده من الخلفاء بالأسطول أن الخليفة كان ينفق عليه في غزواته بنفسه ، ويساعده وزيره أو يقوم مقامه . ولم يكن بحارة الأسطول في مرتبة واحدة ، فهناك جماعة كانت تتقاضى راتباً قدره ديناران ، وأخرى تتقاضى ثمانية ، وثالثة عشرة دنانير ، ورابعة خمسة عشر ديناراً ، وخامسة عشرين ديناراً ، وسادسة خمسة وعشرين ديناراً . أما أمير الأسطول أو

«مقدمته» فكان من كبار الأمراء والأعيان، وهو أمر لا بد منه على حد قول المقرئ، أن يقوم على الأسطول كبير من الأعيان من أمراء الدولة وأقوامهم<sup>(٤٨)</sup>. كما كان الخليفة يقطع رجال الأسطول اقطاعات عرفت باسم «أبواب الغزاة» . وكان قائد الأسطول يشرف عليه، ويتناوب القواد العشرة الاشراف العملي، فيأتمر الجميع بأمر القائد الذي تقول الرياسة اليه<sup>(٤٩)</sup>.

ولكي يشجع الخليفة رجال الأسطول أو الغزاة - كما كانوا يسمونهم - كان يترك لهم من الضائم المال والثياب والمتاع، ولا يستبقى سوى الأسرى والسلاح . وكانت القساطر من أهم مراكز الأسطول، وكان الخليفة يشاهد بنفسه حفلة النفقة على الأسطول عند خروجه، ويبارك رجاله، ويدعو لهم بالتوفيق، كما كان يحضر حفلة استقباله عند عودته . وقد بلغ اهتمام الخلفاء الفاطميين بالأسطول أنهم اتخذوا لهم «منظرة»<sup>(٥٠)</sup> بالنقص، يحتفلون فيها بتوديع الأسطول واستقباله، ويتضح ذلك من هذا الوصف الشيق الذي أورده المقرئ<sup>(٥١)</sup>: «ويتولى الخليفة بنفسه بحضور الوزير . فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة .. فيتقدم الى التقاء باحضار الرجال، وفيهم من كان يعيش بمصر والقاهرة، وفيهم من هو خارج عنهما، فيجتمعون، وكانت لهم المشاهدة والجراريات في مدة أيام سفرهم، وهم معروفون عند عشرين حريفاً يقال لهم النقباء، واحدهم نقيب» . وكان رجال الأسطول يشغلون مكانة سامية بين موظفي ديوان الجيش، ولا غرو، فان صاحب ديوان الجيش، وهو المستوفي، كان أمير الأسطول. وبذلك وضع المعز لدين الله أساس نظام البحرية في مصر<sup>(٥٢)</sup>، ونهج نهجه من جاء بعده من الخلفاء، الا أنهم لم يصلوا بالجيش والأسطول الى ما وصل اليه المعز .

وليس أدل على اهتمام المعز بالأسطول من اعتماده على «ديوان الجهاد» أو «ديوان العماير» كما كانوا يسمونه في تنظيم شؤون الأساطيل، ووقف الأموال الضخمة للانفاق على الأسطول ورجاله . وكثيراً ما كان المعز يد هذا الديوان بالعطايا والهبات من بيت المال .

وكذلك عني المعز بالأسطول التجاري لينقل السلع المصرية الى البلدان الأخرى، ويهود محلاً بالسلع من هذه البلدان<sup>(٥٣)</sup> . وقد أصبح للفاطميين أسطولان تجاريان، أحدهما في البحر المتوسط، والآخر في البحر الأحمر، فكانت الاسكندرية ودمياط في مصر،

وعسقلان وعكا وصور وصيدا في الشام ، من أهم الموانئ الفاطمية<sup>(٥٦)</sup> في البحر المتوسط ، كما كانت عيذاب من أهم مواني البحر الأحمر، وكانت مزودة بأسطول حربي يقوم على حماية الأسطول التجاري والقضاء على اللصوصية في هذا البحر<sup>(٥٧)</sup> .

وقد عني الخليفة المعز «بديوان الانقطاع» الذي كان تابعا « لديوان الجيش » ، وكان عمل صاحبه مقصوراً على النظر في الاقطاعات التي اقتطعها رجال الجيش وخاصة الممتلكات الكثيرة التي كانت تابعة للاخشيديين من قبل<sup>(٥٨)</sup> .

وصفوة القول : إن المعز لدين الله نهض بالجيش والبحرية نهضة مباركة مشهودة ، كان لها أثر بعيد المدى فيما قام به الفاطميون من فتوح وما قالوه من انتصار وظفر . وما كان هذا ليتم الا باستخدام المقاتلين الطرق العلمية في المجال البحري ، وبما تهيأ لهم من عدة وأسلحة ، في مقدمتها النفط الخاص بأحراق مراكب العدو . كما استخدموا الكلاب الحديدية التي ترمى على سفن العدو بقصد اغرقها أو العبور اليها بواسطة الألواح الخشبية والبلاط ، كما استخدموا السيوف ومختلف الأسلحة الخفيفة<sup>(٥٩)</sup> ، وقد بلغت قطع الأسطول الفاطمي بالمغرب ما يزيد على ثلاثمائة ، كما بلغت في عهد المعز بمصر أكثر من ستمائة قطعة<sup>(٦٠)</sup> . لكن شأن الأسطول أخذ بالضعف والتدهور في آخر عهدهم حيث وصل الى مائة وعشرين سفينة فقط .

ومما تقدم يتجلى لنا أن الفاطميين عتوا عناية كبرى بالأسطول ورجاله في المغرب وبعد رحيلهم الى مصر ، واحتل رجاله مكانة بارزة في ديوان الجيش وبذلك سطر الفاطميون صفحة زاهية مشرقة في التاريخ العربي ، وبنوا لنا مجداً تليداً انبعث منه عقب البطولة وأريج الجهاد .

★ ★ ★

□ هوامش :

١ - ماجد عبد المنعم : الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي ص ٢ Atlas geologique d'Algerie, P. 35 .

٢ - البكري : المغرب ص ٣٧ حسن حسني عبد الوهاب . بساط العقيق ص ٤٩ .

٣ - ماجد عبد المنعم : ص ٢ - ٣ Gautier : le passé de l'Afrique, p. 82 .

٤ - القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ص ٢٢٢ ، ٢٢١ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٠ - ٤٧ . القرطبي : المعاني ١ ص ٨٦ - ٨٨ .

٥ - الادريسي : المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨ - ٣١ . ابن الأثير : ج ٧ ص ٥ - ٧ . موريينو : المسلمون في صقلية ص ١١ - ١٢ . Gorges M. : l'Architecture musulmane, p. 324 .

- ٦ - أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ص ٧٢ - ٧٣ .
- ٧ - البكري : الغرب ص ٢٩ الحموي المطاوع ص ١٧٢ . ياقوت الحموي : المجم ج ٥ ص ٢٣ .  
Encyclopédie de l'Islam, p. 329.
- ٨ - حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ١٧٨ .
- ٩ - أرشبالد أويس : القوى البحرية في البحر المتوسط ص ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- ١٠ - ابن حوقل : صورة الأرض ص ١١٧ وما بعدها . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠ .
- ١١ - ميخائيل إماري : المكتبة العربية الصقلية ص ٦١ . Histoire de l'Afrique du nord, p. 412 .
- ١٢ - ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٤٢ . Grand l'Arousse, p. 812 .
- ١٣ - نفسه ج ١ ص ١٤٢ . Le passe de l'Afrique du nord, p. 427 .
- ١٤ - نفسه ج ١ ص ١٩٤ .
- ١٥ - ياقوت الحموي : معجم ج ٣ ص ٢٠٩ . حسن إبراهيم حسن : عبادته المهدي ص ٢٠٢ .
- ١٦ - أمم متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٤٢٦ أرشبالد لويس المرجع نفسه ص ٢٣٥ .
- ١٧ - صابر معد دياب : سياسة الدول الإسلامية في حوض المتوسط ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ .
- ١٨ - نفسه .
- ١٩ - المقدمة ص ١٥٠ - ١٥٢ .
- ٢٠ - ابن خلدون : المقدمة ص ١٥٠ - ١٥١ . Golvin : Le Magreb centrale à l'époque, p. 249 .
- ٢١ - مختار المبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٧٧ .
- ٢٢ - النعمان : الجالس ص ٥٩٢ . المبادي : ص ٢٢٠ . L'Architecture musulmane, p. 412 .
- ٢٣ - حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٥ . Histoire de l'Afrique, p. 329 .
- ٢٤ - البكري : الغرب ص ٣٧ - ٥٥ - ٦٤ - ٦٥ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ . حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيل ص ٥٢ .
- ٢٥ - حسن إبراهيم حسن وآخر ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٢٦ - البحرية الجزائرية : نشر المكتبة الوطنية الجزائرية ص ٢٧ .
- ٢٧ - مختار المبادي وآخر : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٧١ - ٧٢ إلى ٧٦ .  
Le passe de l'Afrique du nord, p. 412.
- ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٠٢ . حسن حسني عبد الوهاب : بساط العقيل ص ٤٩ - ٥٠ .
- عبادته عثمان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- ٢٨ - المبادي : البحور الإسلامية ص ٧٧ - ٧٨ .
- ٢٩ - ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ . المالكي : رياض النفوس .
- ٣٠ - مختار المبادي : البحرية الإسلامية ص ٦٨ - ٧٠ . Grand L'arousse, p. 821 .
- ٣١ - ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٨٠ . عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٦١٤ - ٦١٥ .
- أرشبالد لويس : ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
- سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٢١ .
- معد صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية ص ١١٧ .

- ٣٢- ابن الأثير الكامل ج ٧ : ٣١ • ابن عماد : تاريخ بني عبيد ص ٤٠ • البداية والنهاية ج ١ ص ٢٦٦ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر ديساب ص ١٠٢ •
- ٣٣- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٣ - ٨٤ • صابر دياب : النظم الإسلامية ص ٥٢١ •
- ٣٤- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٥ •
- ٣٥- ابن كثير ج ١ ص ٢٦٦ • المقرئزي خطط ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ •
- ٣٦- الطبري ج ٦ ص ٢٥٧ • النعمان : الفتاح الدعوة ص ٣٢ - ٥٤ • ٧١ • ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٧ - ١٦١ • ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٧١ - ١٨١ • *Encyclopédie de l'Islam, pp. 13-18* •
- ٣٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ٧٦ - ٧٧ •
- ٣٨- مفردا شلندي ، من المراكب المسطحة ، وتغصن بعمل العتاد والرجال • مختار العبادي وآخر : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ص ٣٥ - ٣٦ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٢ • إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٦ •
- ٣٩- مفردا شلندي ، وهي سفن كبيرة بها أبراج كبيرة ، تشبه البوارج الحربية في يومنا هذا ، وبها آلات الهجوم والدفاع • ماجد المرجع نفسه • مختار العبادي وآخر المرجع نفسه ص ١٣٦ • محمد صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية ص ١٠٧ • Dozy T.J. 717 •
- ٤٠- نوع من السفن •
- ٤١- واحدها طراد ، وهي من السفن الصغرى القوية السريعة ، تجعل الواحدة منها نحو مئة فارس • العبادي وآخر ص ١٣٥ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٦ •
- ٤٢- من التوارب النهرية التي استخدمها الفاطميون في فزواتهم البحرية واحدها عشرين •
- ٤٣- تلي الشواني في الضغامة ، وتعمل المنجنيقات وغيرها من معدات الهجوم • مختار العبادي : المرجع نفسه ص ١٣٤ • حسن إبراهيم حسن وآخر المرجع نفسه ص ١٨٧ • محمد صابر دياب : نفسه ص ١٠٨ - ١٠٩ •
- ٤٤- المقرئزي : خطط ج ١ ص ١٩٣ • سهيل زكار : القرامطة ص ٣٩٣ وما بعدها •
- ٤٥- خطط المقرئزي ج ٢ ص ٩١٣ • حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٨٩ - ١٨٧ •
- ٤٦- خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٤٧- المقرئزي خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٤٨- نفسه •
- ٤٩- نفسه •
- ٥٠- حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ١٨٨ • ماجد : العصابة الإسلامية في العصور الوسطى ص ٧٩ •
- ٥١- حسن : نظم الفاطميين ص ٢٧١ •
- ٥٢- خطط ج ٢ ص ١٩٣ •
- ٥٣- تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٨٤ • رايح بونار : المغرب العربي ص ١٨٧ •
- ٥٤- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد المرجع نفسه ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٥- صابر محمد دياب : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط ص ١٠٧ - ١٠٨ •
- ٥٦- انظر م - ١ - م مقال الاخشيد ص ٥١٢ • *Gobrin : Le Magreb, p. 570* •
- Gautier. Le passé, p. 412. Dozy supplement aux dictionnaires Arabes, p. 67, leir l'espague, p. 332
- ٥٧- مختار العبادي وآخر : المرجع نفسه ص ١٤١ • ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٢٢٧ •
- ٥٨- المقرئزي : خطط ج ٢ ص ١٩٣ • حسن إبراهيم حسن وآخر : المعز لدين الله ص ٨٦ - ٨٧ •

## □ تثبيت المصادر والمراجع :

- ١ - ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ( جزآن ) ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، طبع لجنة التايف والترجمة ط ٣ القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- ٢ - الادريسي : الشريف الانديسي المتولي ( ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م ) وصف الفريقية الشمالية والصحراوية تصحيح ، هنري بروس ، الجزائر ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٣ - ارشبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( ٥٠٠ - ١١٠٠ م ) ترجمة احمد عيسى ، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٤ - ابن الاثير : ابو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ( ت ٦٣٠ هـ ) .
- ٥ - الكامل في التاريخ ( ٨ اجزاء ) نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م / .
- ٦ - ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل النيصبي ( ت ٣٦٧ هـ ) كتاب صورة الارض ، بيروت مكتبة انعياء .
- ٧ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ( ت ٨٠٨ هـ ) المقدمة والكتاب ، نشر دار الكتب اللبنانية - بيروت ١٩٦٧ م .
- ٨ - ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين بن محمد بن ابي بكر ( ٦٨١ هـ / ١١٨١ م ) وفيات الاميان ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، دار الثقافة - بيروت .
- ٩ - ابن سعد : هريب بن سعد القرطبي المتوفي سنة ٣٨٠ هـ - صلة التاريخ الطبري القاهرة ، دار الاستقامة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م / .
- ١٠ - ابن سعد المغربي : ابو الحسن علي بن موسى المتولي ( ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ط ١ ، نشر المكتب التجاري المنسوب في حلي المغرب ( جزآن ) تحقيق شوقي ضيف ( ط ٢ ) ، نشر دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٦ .
- ١١ - ابو الفداء : العارف بن كنج ( ت ٧٧٤ هـ ) .
- ١٢ - البكري : ابو عبيد الله بن العزيز بن محمد مصعب العارف ( ت ٤٨٧ هـ ) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق دوسلان - بغداد نشر مكتبة المثنى - جغرافية الاندلس واوروبية ، تحقيق محمد الرحمن العجي - بيروت - طبعة سنة ١٣٨ هـ / ١٩٦٨ م / .
- ١٣ - بونار : رايح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٦٨ م .
- ١٤ - ثابت بن سنان وابن العديم : تاريخ اخبار الفرامضة وترجمة الحسن الاعصم ، تحقيق سهيل زكار - دار الامانة ، بيروت سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م / .
- ١٥ - الجوفدي : ابو حلي منصور المزني - اواخر القرن ٤٨٥ هـ - سيرة الأستاذ جولد تحقيق محمد كامل حسن ، ومحمد عبد الهادي شعيع ، طبعة الاعتماد ، مصر ١٩٤٥ م .
- ١٦ - جوليان : شارل أندريه : تاريخ الفريقية الشمالية ، تعريب محمد مزالي ، البشنج بو سلامة طبع السداد ١٩٦٩ م .
- ١٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ط ٢ مكتبة تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ( ٣ اجزاء ) ط ٦ مكتبة ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٨ - المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ( بالاشتراك مع الدكتور طه احمد شرق ) مكتبة النهضة القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- ١٩ - حسن علي ابراهيم : تاريخ جوهري الصقلي ، قائد المزلدين ابي الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ، القاهرة عام ١٩٦٣ م .

- ١٩- العموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله العموي الروي البغدادي المتوفى ( ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ) معجم البلدان ( ٥ أجزاء ) بيروت ١٩٥٥ م .
- ٢٠- الديباغ : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ( ؟ ت ) كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيوان ( ٤ أجزاء ) الطبعة العربية بتونس ١٣٢١ .
- ٢١- دياب : صابر محمد : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط في أوائل القرن الثاني الهجري ، حتى نهضة العصر الفاطمي ، نشر عالم الكتب ط ١ القاهرة ١٩٧٣ م .
- ٢٢- سرور : محمد جمال الدين : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٢٣- سالم : السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ( العصر الإسلامي ) طبع الدار القومية القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢٤- ماجد : عبد المنعم : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .
- ٢٥- ماجد : عبد المنعم : هلي البنا : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى - القاهرة ط ٢ - دار الفكر عام ١٩٦٧ م .

★ ★ ★

Dozy, R.

- 1 — Supplement aux dictionnaires Arabes Paris 1967.
- 2 — Gaulhier E. F.  
Le passé de l'Afrique du nord petite Bibliothèque, Paris 1952.
- 3 — Golvin L.  
Le Maghreb central à l'époque des Zirides Mitiers graphiques, Paris 1957.
- 4 — Julien ch. André  
Histoire de l'Afrique du nord. payot, Paris 1931.
- 5 — Marçais Gorges  
L'architecture Musulmane d'occident : Tunis - Algerie Maroc Espagne et sicile, Paris 1954.
- 6 — Provençal levi.  
L'Espagne musulmane aux X<sup>ème</sup> sicile institution et vie social larousse, Paris 1932.
- 7 — Atlas géologique de l'algerie Redigé Par Stephon - Gazelle Adolph jourdon  
Imprimeur librairie Educateur Alger 1911.
- 8 — Grand larousse Paris 1960 - 1961 - 1962 - 1963.
- 9 — Encyclopédie de l'Islam, Paris 1913 - 1934 - 1954.



# السوط والحب !!

## نذير الحسامي

أيها السوط يا أخي في يد الجلاد بل يا أخي مهلاً ٠٠ رويدا  
سامني الغسف فانتفضت فمررت فكانت لظاك ناراً وقيدا  
لست في كف وترمقني شرراً وتبدو علي أكثر حقدا  
ذقت عدوانه وذقتك لكن كنت منه على رفيك أهدى  
إذا نلت منه ألفاً غلاطاً نلت من قبضتك ألفين عدداً ؟  
وإذا ضامني به الغسف واشتد على جانحي كنت أشدا ؟  
أنتما سيدان ؟ أم سيد شاءك عبداً لتمسخ الحر عبدا ؟  
أصغر للكبرياء تتلو الأناشيد على كل لسعة منك جليدا  
أنت مني ٠٠ من دمع جلدي أساقك وتسمي لي العدو الألد ؟  
في جراحي سرحت ماذا بها لعت أنكرت بي على الموت جليدا ؟  
أتشبعت غير رائحة الود من غائني على القرب وددا ؟  
السلور الحمر التي منك في ظهري سلاماً كانت عليك وبردا ؟

والندوب التي اكتويتُ بها منك أبانت على حناياك تندي ؟  
 صدىء الحب في فؤادك هل كان بغير الخنوع والذل يصدا ؟  
 إذا لم أبلُ حدك من دمعي رماك الطاغوت جمرأ وحدا ؟  
 يا أخي الصغير نشجك من لعمي فمن ذا يكون بمدي بُردا ؟  
 كفّ لؤم الزمان في غمرة الليل اثتلاقي فغاب نجمي وأكدى  
 وعلاني عبد الندالة بالسوط جريحاً فثار جرحي وقدا ؟  
 يا رداء الباغي وراء الدياجي سوف يردى الباغي وما يتردى  
 كيف عاديتني وصافيت من لم تك سيفاً له ولم تك غمدا ؟  
 أصغير مع الصغير الذي عربد كفرأ وزاد بالسوط جُندا ؟  
 لا تمرّ بحمّة المار جفنيك ولا تنقلب مع الوغد وغبدا  
 عُدْ بلعمي وعد إليّ بما مزقت منه إن كنت تملك عودا  
 ردّ لي ما أخذت من دمي الحر امتهاناً إن كنت تستطيع ردا  
 ادن مني إنني وهبتك غفراني عملاء إليك لن يُستردا  
 كن بجنبي أخاً وذق طعم عهدي وتطهر يداً وروحاً وكبدا  
 كن زنادي في الليل يُقدح للساوي واشتد فيك جنحاً وزندا  
 كن ضمادي إذا تفجّر عرق من شفاه الصباح يطلب وعدا  
 ستراني غدا أزعرج ليلاً كان بي يوم كنت بي مستبدا !

نذير الحسامي

بريده في ١٤/٨/١٩٨٣

# مآني الموسوس

## من أشعر الناس .. ولكن !

### عادل العامل

تصادف الباحث المتقصي لأشعار الأقدمين صعوبات جمة ناجمة عن النمار الذي أصاب تراثنا الفكري ، لأسباب مختلفة ، وضياح دواوين عدد كبير من الشعراء الذين لم يبق من شعرهم غير أبيات متناثرة في كتب المؤلفين القدماء . هذا إضافة إلى ضياح أغلب هذه الكتب المخطوطة أو تشتتها في أماكن متباعدة من العالم ، في المتاحف والمكتبات العامة والشخصية ، وافتقار العديد من الكتب التراثية المطبوعة إلى الفهرسة الفنية الجيدة التي تسهل على الباحث مهمته الصعبة . وتزداد هذه المهمة صعوبة وتعقداً عندما يتعلق الأمر بواحد من أولئك الشعراء المقلين أو المغمورين لأسباب لا تتعلق بالقدرة الفنية ، في الغالب .

ولم ينل شاعرنا الموسوس هذا ما ناله أولئك من عادات الزمن والظروف المعقدة المحيطة بمهمة استقصاء حياتهم ونتائجهم الشعري فحسب ، بل وكانت لسيرة حياته وحالته النفسية المضطربة آثار سلبية أخرى جعلت شعره يتعرض لالضياع لقط ، بل وللمسح والتعل والتجسر ، أيضاً .

فكل ما نعرفه من شعر مآني الموسوس وأخباره يستمد من الفترة التي عاشها في بغداد بعد قدومه من مصر ، وطنه الأصلي ، وهي فترة قصيرة قد لا تتجاوز عشر سنوات إلا قليلاً . وقد قضى هذه الفترة مضطرب الحال ، وهو يعاني من السوداء وعبت الصبيان به ، ومن الجوع والغربة والاهمال .

ولم يكن يعني الرواة والمحدثين من أمر هذا الشاعر وغيره ممن وصفوا بالموسوسة والجنون والحمق من الشعراء الخارجين على مألوف الناس ، سوى الشعر المقترن بالنادرة

والموقف المضحك ، يتحدثون به أو ينقلونه الى خليفة أو أمير أو وزير ليزدادوا به حظوة لديه وينالوا جائزة أكبر .

وهكذا اختلطت أخبار مثل هؤلاء الشعراء وأشعارهم بعضها ببعض ، وتمددت رواياتها واختلفت بتعدد الراويين واختلاف الأزمنة والأمكنة ، فنسب لبعضهم ما لم يقله أصلاً أو ما قاله غيره ، وحرّفت الأشعار بحيث تتفق والرواية التي أحسن الراوي صياغتها وأعدّها وفقاً للفرض المقصود .

وكان بعض الرواة يجد حرجاً ، كما يبدو ، في ذكر اسم قائل الشعر فيغفله في مؤلفه ، أو أنه يتحدث عنه للآخرين ولكنه يتعاشى ذكره في مؤلفاته . وهذا ما لاحظته لدى أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، الذي تروى عنه أحاديث كثيرة عن ماني الموسوس وأشعاره ، وكان مراعياً له ، في كتب كالأغاني والعقد الفريد ، ولكنه لا ينسب ببنت شفة عنه في مؤلفه الجاسع (الكامل في اللغة والأدب) ، على سبيل المثال !

وهناك الكثير من الأشعار والحكايات المنسوبة لمجانين صادفهم المبرد وغيره ، من غير أن يذكر اسم قائلها أو نسبت السرد آخر ، أو بعضهم ، وما شاكل ذلك ، يجد المرء فيها مزاج ماني وطابعه الشعري ، ولكن لا يمكن الجزم في أمر قائلها للتشابه الكبير بين أمزجة هذه الفئة من الناس والسمات الفنية لأشعارهم .

#### □ اسمه وشهرته :

هو محمد بن القاسم ، وكنيته أبو الحسن ، المصري (١) . وهذا ما أجمعت عليه الروايات في المصادر المتوفرة ، التي تتفق جميعاً عند اسم أبيه ، لا تتجاوزوه الى ما يلتقي ضموماً على نسبة وأسرته والمدينة التي قدم منها في مصر .

أما (ماني) فلقب غلب عليه ، كما يقول صاحب الأغاني (٢) ، وبعضهم يقيد به بتشديد النون ، على حد قول ابن حجر المسقلائي (٣) ، ويرد في بعض الروايات (مان) ، من غير ياء ، (الماني) أحياناً ، كما في (معاشرات الأديباء) (٤) للراغب الأصفهاني .

ولكننا لم نشر على ما يفسر سبب تلقيبه بهذا اللقب . ومن المرجح أنه أطلق عليه في بغداد ، حيث استقر بقية عمره . اذ أن أحداً لم يكن مطلعاً على الفترة الماضية من حياته قبل قدومه بغداد ، والمنتقل الى بلد آخر لا يشيع عن نفسه ، في المادة ،لقاباً ليس فيها ما يميز مكانته الاجتماعية ، مهما كانت طبيعة هذا الشخص .

و (ماني) ، في اللغة ، اسم فاعل من (منى) أي قدّم (٥) . وجاء في (التهذيب) : و حتى تبين ما يعني لك الماني . أي ما يقدر لك القادر (٦) . فالماني هو القادر (٧) . و (ماني) ، في السيّر ، هو ماني بن فاتك الحكيم ، الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة (٨) . ولا ننري ، على كل حال ، أن كانت لها علاقة بهذا المذهب فأطلق عليه اسم صاحبه

من قبيل التشبه . ولكنني أعتقد أن الأمر لا يتمدى كونه قد بدأ بمزحة أريد فيها مداهبة الشاعر أو التقليل من شأنه استهزاء به ، ثم التصق به اللقب بقية عمره .

كما يكتنف الغموض الظروف التي أدت إلى إصابته بالوسوسة ، التي هي مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط به الذهن (٩) . وهي دأني حالة وأهونها من الجنون (١٠) . وعلى كل حال ، فإنها حالة تنسم بشدة حساسية المرم لأخطائه الخاصة وصرامته الأخلاقية ، كما يصفها علماء النفس ، ويشترك في ذلك جميع المصابين بالوساوس (١١) . وهذا ما كان عليه ماني الموسوس ، كما يبدو من موقفه الدوقلي والأخلاقي إزاء موجودات الحياة وعلاقاتها الاجتماعية والعاطفية .

وترد هذه اللفظة ، الموسوس ، بكسر الواو الثانية ، كما في (الأهاني) وأغلب المصادر ، وتعني الذي تتمر به الوسواس ، أو الذي أصيب في عقله وتكلم بغير نظام واختلط كلامه ودهش (١٢) . ويوردها بعضهم بفتح الواو الثانية ، كما في (الأعلام) للزركلي .

ويبدو أن هذه الحالة النفسية المضطربة كانت تعاود الشاعر بين حين وآخر ، وهذا ذلك فهو إنسان اعتيادي وظريف ، بل من أطرف الناس والطفهم ، كما يؤكد الرواة . وقد ورد في شعره ذكر لهذه الحالة ، إذ يقول مخاطباً محبوبته :

فإن لم يقولوا مات ، أو هو ميت - فليدي إذا قلبي جنونا ووسواسا (١٣)

وهو إقرار واضح بمعاناته هذه ، فكيف ما يطلبه من محبوبته هو أن لا تزده معاناة ، إلا إذا لم يقولوا عنه أنه قد مات ، أو هو ميت ، أصلاً !

□ حياته :

قدم الشاعر بغداد أيام المتوكل العباسي ، كما تجمع على ذلك المصادر القليلة التي تترجم له ، والتي لا تضيف شيئاً سوى أنه كان من أهل مصر ، وتوفي عام ٢٤٥ هـ .

وإذا ما اعتبرنا أن المقصود بقدمه أيام المتوكل لا يعني أنه جاء في بداية عهد هذا الخليفة الذي كانت فترة خلافته (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) ، فإن الشاعر ، كما نرى ، عاش في بغداد عشر سنوات أو أكثر أو أقل بقليل قبل أن يتوفى فيها ، على الأكثر . إذ ليست هناك إشارة صريحة إلى مكان وفاته ، باستثناء ما جاء في هامش من كتاب (الفاضل في صفة الأدب الكامل) ، حيث ذكر محققه يوسف يعقوب مسكوني أنه توفي في بغداد ، ولا أدري من أين استقى معلومته هذه . ولكن هكذا يفهم من سياق الأخبار التي تتحدث عنه . كما أنه ليس هناك ما يشير إلى تلك الفترة من حياته في مصر وسبب خروجه منها إلى مدينة السلام ، ولكن ربما كان قد غادر مصر في الجيوش الذاتية للغزو والجهاد ثم استقر في بغداد لسبب ما ، كما هو مفهوم من تذكير أحدهم للشاعر بالغزو والجهاد . فقد

ذكر حبيب بن أوس (١٤) أنه كان في غرفة له على شاطئ دجلة عندما شاهد غلاماً يلقي نفسه في دجلة يسبح فيها « وإذا ما نال الموسوس يرمقه بصره ، فلما خرج من الماء ، قال :

**خفش الماء جلده الرطب حتى خلت له لابساً غلالة خمر**

قلت له : لعنك الله يا ماني ! أبعد الجهاد والغزو تخمش غلاماً قد بات مؤجراً في العمامات ؟ !

ونحن نجهل أيضاً الوضع العائلي للشاعر ، والمورد الذي اعتمد عليه في معيشته قبل أن يمين له محمد عبدالله بن طاهر ، بمدتوليه شرطة بغداد سنة ٢٣٧ هـ ، معاشاً مدى حياته . فالمعروف أنه لم يتكسب بشعره ولا عُرِفَ له صنعة يعيش منها أو كان لديه مال حمله معه من مصر . ولكنه كان ، كما يبدو من أخباره ، يكتفي بالقليل من مقومات الحياة ، فلا يكلفه ذلك شيئاً . وكانت الهبات التي يحصل عليها أحياناً كافية لسد متطلبات معيشته المتواضعة المقترنة بقتاعة وإيام فيه « فقد » وقف يوماً على أبي دلف ، القائد العباسي المعروف ، فأنشده :

**كررات عينك في العدا تفنيك عن سلّ السيوف**

فقال أبو دلف : والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت ! وأمر له بشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبضها وقال : تقنع من هذا بنصف درهم وهريسة « (١٥) » .

وعدا تلك الحالات التي كان يراء فيها بعضهم عرياناً بيده قصبة ، أو عرضة لعبث الصبيان به ، أبان اشتداد السواد على ، فإنه كان من أطرف الناس والطفهم . وكان الأبرام والأصداف وأصحاب الظرف يجدون متعة في مجالسته لهم فيستدعونه بين حين وآخر ويطلبون منه معاودتهم ، ويستلطفون حضوره في أوقات سمرهم ويمازحونه ويطلبون إليه إذا ما بدر منهم ما يزعجه أثناء المزاح (١٦) !

فكان على رقة في السلوك ورفعة في الخلق ، تتضحان من طريقته في التصرف أثناء مجالسته لداعيه من هؤلاء الأبرام والأصحاب وعدم اطالته المكوث ، لأنه كان على يقين من أن :

**منمنن التفتيف موصول ومطيل اللبث مملول**

كما كان على رفعة في الذوق تبلغ أحياناً درجة المنف والتطرف . فعندما سمع ذات مرة مؤذناً يؤذن بصوت أو بطريقة لم ترق له ، ذهب إليه في صومعته وسفحه بشدة لأنه كان « يملط » ، أي يتراثنى في الكلام ، ولا يملط ، أي لا يتابع الأصوات ، كما كان ماني يود أن يكون عليه الأذان (١٧) !

هذا إضافة إلى الفطنة والذكاء اللذين اتسم بهما ، وهما من السمات التي كان يتميز بها الظرفاء آنذاك ، واستحق بهما الوصف بأنه من أطرف الناس .

## □. علاقته الصاعقية :

عاش ماني الموسوس في فترة من العهد العباسي بلغت فيها العلاقات الاجتماعية درجة من الانفتاح كان لكل طالب لذة معها فرصته في ارضاء رغباته بالقدر الذي يستطيع والطريقة التي يشاء - فقد كان عهد الظرف والمجون ما يزال يسحب زقه عند أبواب الخمارات والديارات ومجالس اللهو في بغداد الزاهرة والمدن الكبيرة الأخرى ، بل وفي القرى القريبة منها . فلم يعدم شاعرنا من حاجنة تراسله وتبشه الحب ، ومن غلام يتعشقه ، ولكن من غير اسفاف وتبذل واستهتار في سلوكه وفي شعره . الا اننا لا نعرف له معشوقة معينة يجاهر باسمها ، ولا غلاما معيناً يشتهر به ويهبط التشويق اليه ، كما كانت الحال مع الكثير من شعراء ذلك العصر . ويبدو ذلك طبيعياً بالنسبة لمن كان في ذلك الوضع النفسي المضطرب والحالة المعيشية والاجتماعية المتدنية التي كان عليها ماني ، وبالرغم من هذا ، فان من السهل على قارئ شعره أن يجد صدقاً في عاطفته لا يمكن الا أن يكون برهاناً على نفس رقيقة متفانية في أية علاقة عاطفية تنسج فيها ، أو على حب راسخ تمكن منه طويلاً وأضناه حتى أسقمه وتركه كما يقول (١٨) :

مصنوب القلب بالفراق      قد بلغت نفسه التراقي  
وذاب شوقاً الى غزال      أوضع للبين بانطلاق  
لم يبق منه السقام الا      جليداً على اعظم رقاق  
لنزل تسليته بالتبكي      اذنت النفس بالفراق

وهو وصف نجله يتكرر في شعره باشكال متفاوتة تجملنا ننظر اليه أحياناً فنرى رجلاً نعيلاً شاحب الوجه لا نكاد نبصر لجسده الناحل ظلاً (١٩) .

## □ شعره :

وصف ماني الموسوس بأنه « من أشعر الناس » ، في فترة عاصر خلالها شعراء كباراً مثل البحري ، الحسين بن الضعك ، دجيل الغزالي ، ديك الجن العمصي وغيرهم . والمقصود بهذا الوصف ، بالطبع ، الجانب النوعي من شعره وليس جانبه الكمي . فقد كان شاعراً مطبوخاً ، يقول ما يخطر على ذهنه ، من غير تدبر ولا تكلف ، وهذا أمران يقتضيان قصداً محدداً وطولاً أثناء وميلاً الى استنفاد المعنى واستخدام المحسنات المتوارثة والمستجدة في فن الشعر . وتلكه خصائص أكثر ما تكون في الشاعر المعترف . ولم يكن لدى شاعرنا من الاستعداد للنفسى والطموح أو الرهبة ما يدفعه لأن يكون شيئاً من ذلك ، رغم أنه كان يدرك تماماً القيمة الفنية العالية التي يتميز بها شعره (٢٠) . وقد انعكست طاقته النفسية تلك على شعره شكلاً ومضموناً . فلم يشتهر أو يقبل شيئاً ، كما يذكر الأصفهاني (٢١) مثلاً ، الا في الغزل . وكان شعره ، في الغالب ، بشكل مقطعات مستلمة قد لا تجلونها فيها ، أحياناً البيت أو البيعتين ، من الغزل الملائم الرقيق ، أو الثناء المقفود

المأبر ، على نعمة سلفت أو مجالسة سبحت على غير قصد أو تدبير • وقد بلغ شعره من رقة التصوير درجة تبدو معها مراثيات الشاعر وكأنها تكاد تذوب وتتلأشى في خيال القارئ ، مثل قوله :

ها أنا ذا يسقطني للبلى      عن فرشتي أنفاس عوادي  
لو يعسد السلك على دقة      حيا لأمسى بعض حسادي

بل وأكثر من ذلك :

غابوا فاضحي بدني بعدهم      لا تبصر العين له فينا

وشعره يزخر بمثل هذه الاشارات ، التي يقول منها ابن رشيق انها « من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغته عجيبه » ، تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها الا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر ••• (٢٢) •

من ذلك ما جاء كناية عن الشجاعة ، كتوله :

كروا عينك في العيدا      تفتيك عن سل السيوف  
وقوله ، كناية عن رقة أنامل الحبيب :

لو صافح الماء القراح بكف      لجرت أنامله كجري الماء

ومن تلك التشبيهات ، الرمز ، كتوله :

ترى ما أخفتا شفتاه نعوي      كان لثاته عثت بدبق

فرمز للفم بما أخفت شفتاه •

وكذلك قوله :

خمش الماء جلده الرطب حتى      خلته لابساً غلالة خمر

وهذا بيت عجيب بأشاراته الرائعة الكثيرة ، وتشبيهه من أبداع ما جاء في هذا الباب من محاسن الشعر • ولولا خشية الإطالة لانتقينا من ذلك شيئا كثيرا •

ولم يجر مائتي الموسوس ، على الدوام ، جري غيره من الشعراء في تشبيهاته ، بل كانت له ابتكاراته الخاصة • من ذلك ما أورده أبو هلال العسكري ، في (ديوان المصنعي) (٢٣) ، وهو يقول :

بكت عيني غداة البين دمعاً      وأخرى بالبكاء بغلت علينا  
فعاقبت التي بغلت علينا      بأن همضتها يوم التقينا



وهو ما أخذهُ ابن الرومي ، كما يقول العسكري ، وزاد فيه ، في أبيات أولها :

**ولقد يؤلفنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما**

وليس أدل على مكانة هذا الشاعر الذي جاز عليه الزمن وعبثت بشعره الروايات المتضاربة وغير الآمنة أحيانا ، من تلك الآراء الصريحة التي صدرت بحقه من كبار مثقفي ذلك العصر والمصور التالية •

فقد وصفه الأصفهاني في كتابه (الأهاني) (٢٤) بأنه : « شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئا إلا في الغزل » ، كما وصف شعره بالركة آخرون مثل الأمير الحافظ ابن مأكولا (٢٥) ، المرزبانى (٢٦) ، الذهبي (٢٧) ، وغيرهم •

وجاء في (تاج العروس) (٢٨) لمحّب الدين الحسيني ، أنه « شاعر مصري مرق أي له شعر رقيق رائق » ، وقال عنه الحسن بن محمد بن طالوت (٢٩) : « ما رأيت أحدا أحضر ذهنًا منه ، إذ تقول له الجارية : عطف عليك إلفك ، فينبئها بقوله :

**ليس لي إلفٌ فيعطفني فأرقت نفسي الإباطيل**

وقد أعرب أبو دلف العجلي ، الأسير والشاعر المروى ، عن دمهته عندما مدحه ماني ببَيْتِه (٣٠) :

**كرّات عينك في الصيدا تغنيك عن سُلّ السيوف**

وقال أنه لم يمدح قط بشئ ذلك البيت !

ووصفه أبو شجرة ، في طبقات ابن المعتز (٣١) ، بقوله : « كان ماني المجنون من أشعر الناس وهو الغائل :

**نجل' العميون قواصد التّهل      فتلّنا بميونها التّجل  
كحل' الجمال' جفون' أمينها      تفتّر' من كحل' بلا كحل  
وكأنهن' إذا أودن خطا      يقلّمن' أوجهن' من وحل**

وأخيرا ، من حق من كان « من أشعر الناس » علينا أن نحاول جهدنا استعادة ما أمكننا ذلك من سماته الشخصية والفنية ووضع ما تيسر لنا جمعه من شعره (٣٢) في مكانه اللائق به من تراثنا الأدبي الأصيل ونهضتنا الثقافية المتصاعدة •

## □ الإشارات :

- ١ - الألفاني ١٨١/٢٣ ، معجم الشعراء ٣٨٧ ، المشتبه في الرجال، فوات الوفيات ٥١٨/٢ ، تاريخ بغداد ١٦٩/٣ .
- ٢ - الألفاني ١٨١/٢٣ .
- ٣ - نزعة الألباب في الألقاب ( مخطوط ) ، ٤٠٠ ط ٤ .
- ٤ - معاضرات الأدباء ٩٩/٣ .
- ٥ - لسان العرب ٥٣٨/٣ .
- ٦ - المصدر نفسه .
- ٧ - تاج العروس ٣٤٧/٢ .
- ٨ - الملل والنحل ٤٩/٢ .
- ٩ - المنجد ٣٦٢ .
- ١٠ - فقه اللغة ١٣٩ .
- ١١ - سيكولوجية الشذوة النفسية لدى الجنسين ١٠٢ .
- ١٢ - المنجد ٨٩٩ .
- ١٣ - مصارع العشاق ٩٨/١ .
- ١٤ - العقد الفريد ١٦٩/٦ .
- ١٥ - مصارع العشاق ٩٥/٢ .
- ١٦ - الألفاني ١٨٩/٢٣ .
- ١٧ - الألفاني ١٨٣/٢٣ .
- ١٨ - مصارع العتيقات ٩٩/١ .
- ١٩ - الأزهرة ٣٠٤/١ .
- ٢٠ - الألفاني ١٨٥/٢٣ ، وفيه أن ماني الموسوي قال للأخير محمد بن عبد الله بعد أن غنّته الجارية متوسّعة : « لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان علي سماع ذي لب فيصدران إلا عن استحصان لهما » .
- ٢١ - الألفاني ١٨١/٢٣ .
- ٢٢ - المعصدة ٣٠٤/١ .
- ٢٣ - ديوان المغانمي ٢٨٣/١ .
- ٢٤ - الألفاني ١٨١/٢٣ .
- ٢٥ - الأكمال في رفع الارتباب ١٩٩/٧ .
- ٢٦ - معجم الشعراء ٣٨٧ .
- ٢٧ - المشتبه في الرجال ٥٦٣/٢ .
- ٢٨ - تاج العروس ٣٤٧/٢ .
- ٢٩ - بدائع البداة ١٤٧ .
- ٣٠ - العقد الفريد ١٦١/٧ .
- ٣١ - طبقات الشعراء ٣٨٣ .
- ٣٢ - المقالة . في الأصل : دراسة مرافقة مع أشعار ماني الموسوي وأخباره ، ستظهر جميعاً في كتاب واحد .

# فَهْجُ الْبُرَّةِ

هند هارون

دممي يؤلقه الاشرار في الانهم  
يدمي الشفاف بجرح غير ملتئم  
ما دمت أمّا تعيش العمر بالوصم  
بين الصواب .. وفي اغفاءة اللكم  
وحيث دفع "حنون واجف بدمي  
والنار لفتحها في حرب محتدم  
أو رمت أطفئها بالآء تضطرم  
والسر يقى بصدري وعد ملتزم  
في كل نابضة مشتاقة وفهم  
ايقاعها من حنين الناي والنغم  
رئينها والصدى .. في الأرض .. في الجرم  
وفي الضلوع حصين غير مخترم  
وما بقلبي من نديب الكلوم دمي

وجدي يمر على الأحزان كأنهم  
وفي فتادي جرح ساكب أبداً  
ما دام يطفئه ثكل يمزقني  
أعنى المذاب فراق "زاح يسكنني  
وفي الحنايا .. بذراتي .. بأوردتي  
يدور بين عروقي غازياً كبدي  
ان رحت أخمدتها بالدمع يند لظي  
والصدر في عمقه سر يلزمه  
لبو بعت ضيقت من مكنوبه وسرى  
وزغررت في شفاء الحب أغنية  
بين المثاني .. على الأوتار عازفة  
لكن أمرت ... وأمر الله مؤتمن  
الله يعلم معا عانيت من وصب

★ ★ ★

مغازتي .. وحيما ما جف من أكمي

غفيريك.الراحمة الخضراء معشبة

غفيريك النور في ليالي اذا سلبت  
ومزق الهلع الجتاح اشرعني  
وماف حول كياني واذا غضا  
غفرانك القرح المرتاح في بصري  
وقلة مثل ومض الطرف واصلة  
يرقى الزمان بها لا عدا يحبها  
أنسى بها مولدي .. شأني ومآلي  
وأستقل سفينا راح يرغمها  
أصعد الوجد في ركبي .. يواكبي  
أخشى الشرى .. وطريق الشوق يجذبني  
سبيك الورد يا رحمن في ظني  
وصرت حرى على قيط بحر قسي  
وغفل القمر في جنبى يصلبني  
وأصبح الحق جبرا في يد حشرت  
وبات كل قريب من أباعد لها  
غفرانك الومج الشعاع منتشرا  
في نظرة الطفل .. في ابراق وأرفة  
في زرقة البحر .. في تسيح موجته  
على نصال النكالي .. لونها شفق  
وبين أضلاع عبد شاكر أبدا  
وفي مدى شاعر رؤياك موثله  
والصالحات على إيمانه عمل

هناءتي .. وظنى سهدي على حلمي  
إن أبحر القلب في يَم من الندم  
صوت الضمير وضعني .. والوني حزني  
بين السجود ومضى آي والكلم  
ينني وينك عهداً غير منفصم  
كانها توأم والدهر في القدم  
أنسى الدنا والأنا .. بمبودة النهم  
وقد الحب .. خوفي .. وحدتي .. أُرَمي  
من نعه عبق .. إن استكين بهم  
أخشى أحدث .. صمتي غالب سمني  
إن غيض الماء صيف غائب الدم  
ودمعتي جمدت .. أن تحترق تسم  
وغلف الظلم ما يغشى من الفللم  
وجرد الخير من قربي بلا رحم  
وسلط البغي سيفاً غير منسلم  
في كل لمح على الأقدار مرتسم  
في رقة الهدب .. في لآل مبتسم  
على جناح الفضاء الرحب والأكرم  
على دموع اليتامى .. غصة اليتيم  
وعبر أصرار صبر عاشق .. سقم  
وذكرك الحق إن يقعد وإن يقسم  
حروفه محرمات أن تطف تحم

★ ★ ★

يا رب .. أنت الهدى أن ضل مشرب  
يا رب دلّ مساري في متاهته  
ورحلتني يحتويها الغيب .. يسلكما  
يا رب غفوك .. ذاك الفيض مكرمة

وساورته هموم الأرض والقسم  
من لي سواك بدرب الشوك والقسم  
عمري .. ويغرها فيض من الركم  
هل يغفل القلب معنى المن والكرم

منك الدليل لأهل الأرض .. للأمر  
 ان رحت أسال حيرى .. والسؤال عم  
 تفصل الدين والدنيا لمقتسم  
 تحدد فيه ولا كون .. اليه نسي  
 بالمدحشات طريق واضح الرسم  
 أم الكتاب .. الثاني السبع والرحم  
 ومن يرد كوتر القرآن يفتسم  
 عذبا فرائد بمدر لافح العم  
 هيات يدرك قلبي غاية الفهم  
 في مهجتي .. يحتوشي رافعا دعني  
 ينفو بروحي الى العليا .. للحكم  
 وكل حرف سوى ذكره .. لم يدم  
 طوق النجاة لعان .. في ونى الرغم  
 لأثما برقت في عقد منتظم  
 بكل بض على نجواه مكتسم  
 للماكين يرون المجد في الرسم  
 يسون صلواتهم من أسر الأدم  
 يبايعون على أبواب منهزم  
 في الدين .. شرعتهم أهواء منتقم  
 كيف الخلاص لهم من ضعف منقسم  
 كرمي لمن جاهدوا وعشاء مقتسم  
 عهد السماء .. وما دأوا لمصطدم  
 أو زاغ متكبر في مزلق حطم ...

غشاوة كشفت والنفس وادعة  
 هذا كتابك يا رحمن مغفرة  
 آياتك الفصل ان قولاء وان عملاء  
 قرآنك المعجز التشريع لا زمن  
 نسو اليه .. معانيه الألى ذخرت  
 العمند لله رب العالمين .. وفي  
 موارد من عيون النبع دافقة  
 ويسق القلب من ريتا مناهله  
 يا رب .. أوهى من التعبير لمحتي  
 لكن أحس خشوعا ران في بصري  
 لكن مجودي أتلو حكمه سوراً  
 للخالق الباري القهار قافيتي  
 له الصلاة صلوات .. في جبالها  
 له المدامح في نماء ساطعة  
 له الوجيب بقلب عابدا أرق  
 هذا كتابك هدي للألى ذهبوا  
 فيطرون على دنياهم أشرا  
 يساومون على الدينار أرضهم  
 يقاتلون على الدنيا أخوا لهم  
 وحسدتهم .. وتمادوا في تفرقهم  
 هل يطمح الألم المناب في كبدي  
 وهم عبادك .. ما ضلوا .. وما نكثوا  
 ان ترفع الغل عنا .. ان بت فنة



مواسم من جناها خير مقتسم  
 ظنوه أوج اتصار بالغ الشم  
 تدمير عامرة ... اعمار منهم

هذا كتابك آلاء منمنة  
 وبينات لمن جابوا الفضاء وما  
 ومعجزات لمن بالذرة اعتقدوا

وذاك ملح أجاج .. ماء منجم -  
اليوم تكشفه أنظار مختصم -  
لو أدركوها لما انساوا إلى الوضم -  
عبر السنين .. ومن يشوي إلى الهرم -  
والروح عندك لم يبرح .. ولم يهجم -  
أفياه الشمس بين اليد والأجسم -  
والنيرات عيون من سنا النجم

أنت الذي مرج البحرين ذا نهل  
وبسرخ حاجر للمزج بينهما  
مشمال ذرة خير لست تهلهما  
نجيت فرعون جسماً عبرة لهم  
المومياء على الأبدان باقية  
الظل مدك يا رحمن راسمة  
وفي السماء بروج شدتها نزالا

★ ★ ★

من نعمياتك للأرضين .. للنسم  
فلتشرق الشمس من غرب لذي قنسم  
يباطل حافل بالبغي .. ملتطم  
عن مسك في مدار الكون منتظم  
وليضع الطفل من طين ومن سجم ..  
أنت القدير .. ونحن - الخلق - في غم  
أرسلت رسلك - منذ البدء .. للعصم  
كانهم عن سماع الحق في صم  
جعلتهم كالهباء الزائل الغسم  
أحقادهم لجناد منه منهضم  
والمفرقون أضاعوا موقع الإرم  
ثمود تهلك .. والغدلان للطفم  
حملته العبء .. لم يقط وإن يسم  
في بطن حوت مع الأسماك والبنم  
لم يشه وصب في حلقة الجهم  
وواكبته حملها في خوف منهم  
لكنهما برئت من شائن الأثم  
إن رحمت أكتب .. جل الآي عن كلمي  
تراك موئلها في الشكل القسم

يا رب .. عفوك .. لا عهد لنا فلة  
كم يدعون غروراً علم خارقة  
وليضع الموت من دنيا مغلفة  
ولتوقف الأرض والأجرام في فلك  
ولتضع الريح والأنواء ثورتها  
معاذك الله أن نجتاز قدرتنا  
ندين بالحب والإيمان سابعة  
الفرح حاق بهم من قومهم صلوا  
بغوا .. وعاثوا .. وزادوا ضلة وهوى  
النار برد .. سلام اذ توججها  
سفين نوح على الأمواج مبخرة  
حصون عاد يدك الله صخرتها  
يا رب .. كم مرسل للأرض معتمد  
ذو النون سبح في ليل بلا قمر  
أيوب بلبواء شكران لخالفه  
ومريم اتبذت من أهلها حباً  
تمنت الموت نسياً .. وهي طاهرة  
إنسي الصغيرة يا رحمن مغفرة  
لكنني في حماك العفلة اعتمت



سماؤك الرب لم يفلق لذي سجم  
للأبياء .. ويقتى سر مختص  
تهفو اليه عيون الكون .. لم تنم  
وهو الأمين على تنزيل محكم  
وينظم الدر من مكتوبة النظم  
أهلاً .. ولكن هيامي موقد همي  
وفي حروفي .. وجدي .. غفوتي .. رني  
من لي بلعنتها في صدر ملتحم  
يلفسي بشمع يجتلي فلتفسي  
أو شعرة فوق ركن الطهر والشم  
مبارك الطيب منها .. طيب الرشم  
أو النعنة من حرور فوق ملتحم  
عند الصلاة بفنار للنبي .. حشم

طرقت بابك ان تاذن لغاشمة  
بغت فينا رسولا كان جامعة  
محمد رحمة للعالمين وما  
هو المحبة ان ضاقت بنا سبل  
شمري يشوب الى محرابه جبلا  
أتوق للبردة الزهراء لست لها  
ومجتي تكب الترياق في كبدي  
طيف يهوم في ليلى يمدحني  
أو حمل سدى يرق الأغوار في بعري  
أو حمل خيوط على الأضياء عالق  
أو قطرة من نمر كان يفرها  
أو نغمة من نسيم قبالت نسجا  
أو ذرة من تراب لامت تقى



لا .. لست الا غماما غابر الديم  
من والي تأكل .. أو مدف هرم  
رجاؤها المصطفى في الحل والعزم  
مهيضة الجانحين الشكل والعزم  
أنت الشفيخ لضمفي إن طفت حميمي  
وحى السماء .. وتنزيل لمحتشم  
مدثر بردة الايمان والقيم  
بلئخ .. قيس .. هاد لمحتشم  
فيه النجوم على سدق من الدجيم  
فيها القتاد حمادا غير منهشم  
يضي المهابة .. يدي روعة السيم  
وتعبر النفس أضواء من التسم  
في الخلق كرسى للناس .. للقيم

ما لي أعارض أقطابا بعارضة  
قد يستظل به قلب وجارحة  
يكفي قصيدي أني صوت شاعرة  
أم .. يا رسول الله حائرة  
بعثت بصدري آهات مقطعة  
أنت النجمي لرحمن شائرة  
مزمل .. وجل من خوف هيت  
أنت الضني على الأكوان .. أمدها  
منك السراج يليل مدلج حبت  
منك الفيث الأرض أجديت وغدا  
الحسن ووجهك في أسى منازل  
أغض طرفي إن تلمح بغاطرتي  
خلامة الأبياء الفس مائسة

ألا يراك .. وأنت الفرد في اليتيم  
أيقظت غفلتها من قسمة الزلم  
ليحطوا الصنم المبود في العثم  
تمد ساقيتي من فائض عرم  
أطامن النفس .. أخشى زلّة القدم

الدرء بين عيون الصخر يتغمه  
والجاهلية في أقسى تمردها  
والمسلمون لأمر الله قدتهم  
غفو النبوة .. أرجو أن تؤازرنني  
كما أحدث عن أنوارها وأنا

★ ★ ★

عزت به الأرض .. أزهدت شائك السلم  
يتماز لونهما من صفوة الألم  
مباركاً .. يحمل السقا لمزدهم  
والجاهلية بين الفل والعثم  
تسلسل الخير غيث العارض الرحم  
فريش فيك النقي والرشد في الحرم  
أرنبو إليك .. رسول اللوح والقلم  
كلامها غيباً في مهجتي وفمي  
وللدعاء رنين الصمت في رنسي  
في كل عين وصدر الإله ظمي

أراك طفلاً على البيداء ملعبه  
والوالدان رحاب الله لهدمها  
ويكبر الألم المجروح متصراً  
أراك .. والقوم في عشواء غاشية  
مؤمناً في ضمير الحق مؤمناً  
وترفع الحجر القدسي إذ لمست  
أحس أني على الرضياء شاحمة  
يذوب الدمع وجدي .. يستبي خلدي  
الروح نشوتها ذكر " يهددها  
وللنبوة أنوار طوالمها

★ ★ ★

كم عذوبك .. وكم عانيت من إزم  
يقارعونك بالهتان والسهم  
ردت حجارتهن مدحورة الرجم  
اذ مانعوك .. فبء النخل بالعقم  
وركنك الفار مهد بالييام حمي  
ونسجها السد في إدلاج مقتحم  
فوق الصغارى على الأقدام كالوشم  
هين الإمام وشوك المشركين رمني  
عز الفداء علي .. غير معتزم

يا رافعاً راية التوحيد سامقة  
جهرت بالدعوة العليا وقد شمروا  
وفي ثقيف تهادوا في ضلالتهم  
في بسرة التمر حزن قائم أبداً  
وكابدوك على الايمان واتمروا  
ارادة الله في أوهى خلائقه  
وللصحابي .. للمصديق لاهبة  
على فراشك .. في ليل النوى .. نبهت  
يفديك بالنفس والأسياف مشرعة





« الله أكبر » والإسلام في قدس  
ونور المسجد الأقصى على اللهم  
بين السماء وسر فيها منكم  
باللمح يبلغ اكواناً على أمم  
وتبهج الناقة القصواء بالقدس ..  
كيف الوصول الى نعماك في سدسي  
رفعت عنهم غناء الجمل والولم  
في جبرك الشكل .. ما أقام من قسم  
والحزن يخضع في أحداق منجم  
ودمتي لم تمد نارا على غرسي  
ولنبوة ربي الوابل الجسم  
مثل الشريد يوم الأمن إن يضم  
يعلم العدل والرفعى لكل كمي  
في راحتك .. خلاف المثلج من عجم  
صنو الإخاء .. نفيث المرء من شك

وللمدينة أبواب مهللة  
أسرت .. ضاءت سماء واستوى رسل  
شهدت ما جل من إعجاز مقتدر  
يا للبساق ركوباً عزاً فارسها  
يعود للأرض من إسرائيل قدماً  
ورحلتني يا رسول الله شاككة  
سنتت للناس ما يصدي بصيرتهم  
أراك تحت ظلال النخل متكئاً  
المين تدمع والأضلاع جازعة  
أنت العزاء لصدي اذ نأى ولدي  
إنانك الراحة الكبرى لموجدتي  
أطيف شعري على أعتابك اعترت  
أراك في الفتح سيفاً صارماً وأباً  
وللاسير قرار بات ينشده  
وللجوار حقنوق صنتها وغدت



جرح "سيل" وينزى بالجراح دمي  
كره الغداة بصدي .. في لها نسي  
شيدها غدر أقوام بلا ذم  
وا خجلتاه من التاريخ والأسم  
بسل بذرة نبت في دوحة العظم  
عند الحبيب .. اذا ذكر النبي شي  
أضفانهم تقيما خفض من النعم  
وكلهم للفناء الرخص والمدمر

أيا محمد آل البيت في كبدي  
وللعسين لزيف ليس يوققه  
وكربلاء على حزن الشمس أمت  
دم النبوة فيها مصدر نزقاً  
يا ليت كنت ضريحاً ضمه ولها  
وبنت فاطم تبى .. كيف موقعهم  
يفرحون أحاسا . ثم توهمهم  
مقام زينب يقسى في جوارحنا



للمسلمين تمادى في ذرى عكس  
إيمانهم .. لم ييموا النفس بالمسلم  
والفرس والروم لم يزهوا على الدلتهم  
دالت ممالكهم .. صارت الى رهم 11

يا صاحب البردة الزهراء كم علم  
أوفى الأوائل .. خاضوا اليم يصحبهم  
القلاسة اتصرت .. لا تاج يهزمها  
أفياهم جرعت .. أقيالهم سقطت

★ ★ ★

الوخز في النحر .. والأشلاء للخصم  
كل اللغات لإسلام ومسلم  
من حكمة الله .. ما يغني عن الحكم  
وللصلاة بها حمدا على النعم  
دين التطور قناد الكون للقيم  
أحكامه اليوم تشريع لمعتكم  
عروبة الدين ما يقضي على الفهم

واليسوم فمركتبا ألفا تمزقنا  
لنكن غزائي قرآن تكرسه  
«عليار» يمتشق الإسلام متخذاً  
مساجد الشكر في المعمورة اتشرت  
يجسد الآي أفكاراً لمتبسر  
يخاطب العقل .. يجلو كل غامضة  
أم اللغات بهما التزيل هل حفظت

★ ★ ★

هل للفريق نجاة .. والعباب طمي  
وجلأ أناديك .. مهما شدة الجرم  
وغربتي .. أمتها يا رب .. في ندسي  
هدي الطريق .. وحفظ اللوح والقلم

يا غافر الذنب .. يا رحمن .. يا مددا  
يا قابل التوب .. نهنا في ضاللتنا  
وجدي سلاحي في حل ومرتحل  
يبارب .. أنت ملاذ لاللى عرفوا

★ ★ ★

# تراثنا مطبوعاً

١٩٨٠ - ٠٠٠٠

مروان عطية

أخلفت العناية بنشر التراث العربي ، تتزايد سنة بعد أخرى . فقد اقبل علماء الأمة العربية وأدباؤها في مختلف أقطارهم ، على تحقيق المصنفات القديمة وإخراجها للناس في كتب ورسائل . وما ينبغي التنويه به ، هو أن بعض الباحثين العرب ، قد استوت أمامهم سبيل التحقيق العلمي القويم واستقامت لديهم وسائله . فأوفى ما نشروه على الغاية من حيث التعري من مختلف مخطوطات الكتاب ، واختيار ما يصح الاعتماد عليه منها ، وضبط النص وتحصيله بالرجوع إلى أمثالات المراجع ، والتعريف بالكتاب ذاته ، وبمؤلفه ، ووضع الفهارس الهجائية المتقنة التي تفصح عما يكنه الكتاب .

القداسي . حتى أصبح الباحث لا يندري ما تخرجه دور الطباعة في البلاد العربية كلها على الدقة والاستقصاء . ولولا الجهود الذاتية التي يبذلها الباحثون لعرفان هذا النتاج ، والمحاولات الضعيفة التي تقوم بها بعض الحكومات لتسجيله ، أو القوائم الناقصة التي تقدمها المجلات العلمية الرصينة ، للتنويه به ، لكان عسراً علينا معرفة ما يطبع من تراثنا الماضي وآثارنا المعاصرة . ولقد أصدر مجلس جامعة الدول العربية قراراً بإنشاء مركز لتسجيل المطبوعات في البلاد العربية منذ سنين طويلة ، فلم يقف هذا المركز حتى يومنا

والى جانب هؤلاء ، نجد طائفة من « الفاشرين » ، قد سلكوا سبيلاً آخر في نشر كتب التراث ، وذلك بإخراجها بطريقة « الأوفست » وفقاً لطبعاتها الأصلية القديمة التي نغدت وأضحت نادرة الوجود . وهناك ، إلى هذا وذاك ، كثير من كتب التراث ، يصدر في طبعات « تجارية » تكاد تكون خلواً من التحقيق . وأغلبها مما تصدره بعض دور النشر التي لا هم لها إلا الربح . ومن المؤسف ما نلاحظه في البلاد العربية من إهمال تسجيل النتاج الفكري المطبوع ، سواء كان من ألفه المعاصرون أم خلّثه

على قديمه ، ولا سجل كتاباً ، ولا تولى أمره  
عالم يوثق به .

ولسنا نود الكلام هنا على المحاولات  
التي تجري لتسجيل المطبوع من انتاجنا  
الفكري المعاصر ، بل يهمنا ما جرى لتسجيل  
المطبوع من انتاج القدامى .

فبعد العمل الجليل الذي قام به سركيس  
- وأعاناه عليه أحمد تيمور باشا - باخراج  
معجم المطبوعات ، لم يتابع أحد تلك الجهود  
التي بذلت قبل ربع قرن ، ولم يخرج أحد  
الذيل بعد الذيل على ذلك المعجم ، بشكل  
علمي منظم .

ان تراثنا المخطوط القديم يبلغ على  
أقل تقدير ثلاثة ملايين ، ولقد أبدت مؤسسات  
مختلفة في المشرق والمغرب العناية في اظهار  
فهارس هذه المخطوطات ، لمعرفة ما تشتمل  
عليه تلك الخزائن ، ولا بد أن تبدل العناية  
أيضاً في الوقت نفسه لمعرفة ما يطبع ويحقق  
من تلك المخطوطات ، فالمعلان ينبغي أن  
يسيرا مما لخدمة تراثنا ، وتيسيراً للعلماء  
والباحثين في الرجوع الى ما بقي منه مخطوطاً  
أو ما ظهر مطبوعاً ، لأن الرجوع الى هذا  
التراث هو السبيل الوحيد لمعرفة أنفسنا  
وماضيها ، وهو السبيل الأوحيد لانتاج  
دراسات أصيلة فيها جدة وعمق . ولقد أن  
لنا أن نبعد في دراستنا ، حول ماضيها  
وتاريخنا ، عن السطحية والنقل وأن نتمدد  
على المصادر الأولى . ويتبني أن نقرر قبل  
كل شيء أن هناك اهتماماً بنشر التراث  
واقبالاً عليه . على أننا نلاحظ أن الفوضى  
تسود النشر ، فمن مظاهر الفوضى ، فقدان  
برنامج مجمع عليه يتبع في ذلك ، يقدم فيه  
ما يحتاج اليه كل بلد عربي على ما لا فائدة  
عامة فيه .

فالتراث العربي الذي نستطيع ، بنشره ، أن نسهم  
في تنفيذه نهضتنا ، ويشتمل على حقائق وأفكار  
حضارية إنسانية نفخر بها ، لا بد من نشره  
واظهاره . لكن اظهار هذا التراث لا يمكن  
أن يتم خلال سنة ولا سنتين ، بل قد يحتاج  
اظهاره الى قرن أو قرنين . فهذا العدد الضخم  
من التراث يضطرنا الى الاختيار حسب برنامج  
يضمه أهل الخبرة في هذا الشأن ، يقدم فيه  
الأسيل على العادي ، والأكثر شأناً على ما  
ليس له شأن ، وما نحتاج اليه لأنه يمدنا بما  
نجلو به حضارتنا وماضيها ، وما يمدنا  
بطاقات من التفكير والعمل على ما هو ميت لا يفيد .  
فلا بد إذن من وضع برنامج لهذا الأمر .  
ومنها اشتغال عالين أو مؤسستين علميتين في  
نشر كتاب سواء أهراف كل منهما بجهود الأخر  
أم لم يعرف . فلماذا التنازع والتراث  
العربي وأمر واسع ؟ ولقد ظهرت كتب كثيرة  
حققت مرتين في أن معاً ، فلا بد من أن تسود  
الروح العلمية بين العلماء وأن يتعاونوا ولا  
يتنازحوا . ومنها اقبال بعض النashرين على  
نشر كل مخطوط يقع تحت أيديهم لا يراهم  
في ذلك طاقته ولا اختصاصهم فمنهم من يكون  
في المشرق ، مثلاً فينشر كتاباً عن المغرب ، فيقع  
في أخطاء ويمجز عن تقديم النص صحيحاً  
فلا بد إذن من أن يختص علماء كل بلد بما  
يتعلق ببلدهم من تراث الماضي لأنهم أدري به .

ومن الفوضى اقدام المبتدئين ومن  
لا يحسنون النشر على اخراج المخطوطات  
وهذا من البلاء الذي يصاب به تراثنا . وقد  
رأينا من نتاج هؤلاء عجائب . وهم يحسبون  
أن تحقيق المخطوطات عمل سهل لا جهد فيه  
ولا مشقة ، ولا يتطلب السمة والعلم أو  
الاحاطة بالمصادر . ولا سبيل الى درء هذا

بينها في جودة التحقيق . وكذلك أخذت جامعة بيروت اللبنانية بنشر نصوص مفيدة تتعلق بتاريخ لبنان . في حين ضمفت جهود الجامعة الأميركية في هذا الباب .

وظهر نور جديد في السنوات الأخيرة ، في الكويت . إذ أخذت دائرة المطبوعات والنشر تقدم سلسلة من المخطوطات باسم « التراث العربي » ، فكانت بادرة خير يظهرها الكويتيون نحو التراث العربي والعناية به . فإذا انتقلنا من المشرق العربي إلى المغرب العربي ، لم نجد نشاطاً ملموساً أو انتاجاً فحماً في هذا المضمار . ولولا ما نشرته وزارة التربية القومية والشباب والمعهد القومي للآثار بتونس ، وكلية الآداب وكلية الصيدلة في جامعة الجزائر ، ومعهد الدراسات العليا بالرباط ، ومعهد مولاي الحسن بتطوان - وكله قليل - لما ذكرنا شيئاً . فالمغرب مقصر عن البلاد العربية الأخرى في نشر التراث العربي ، حتى ما يتعلق به وحده .

ولي الآونة الأخيرة نشطت حركة نشر التراث العربي في السعودية ، وبشكل خاص في جامعاتها ، وفي المؤسسات التي أنشأتها لأحياء التراث العربي ، وظهرت كتب كثيرة كانت طي النسيان كما ساهم المجمع الأزدي في أحياء كتب تراثية . ونشرها نشرة علمية ، سواء بما طبع منها أم فيما نشر في مجلته الزاهرة .

ونذكر بالفضل كذلك معهد التراث العلمي في حلب الذي نشط منذ تأسيسه لأحياء التراث العربي العلمي ، وقد نشر كثيراً من النصوص التراثية . وساهم في ذلك أيضاً مساهمة ، كذلك كان للمجمع العلمي الهندي شأن يذكر في مجال أحياء التراث العربي كفاً

البلاء إلا بأحجام دور النشر عن إخراج المخطوطات التي يحققها هؤلاء إلا إذا كانت جيدة ، أو بإيجاد مجلات نقدية تقوم وتسدد .

ونلاحظ أن القاهرة ودمشق هما أكثر البلاد العربية نشرًا للمخطوطات في هذه الفترة التي نسجل ما ظهر فيها من تراث .

ففي القاهرة يعني بهذا الأمر - إلى جانب دور النشر الكثيرة العدد - وزارة التربية ثم وزارة الثقافة ، والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ودار الكتب المصرية ، وهي أول من بدأ بذلك من المؤسسات ، والجمعية التاريخية المصرية ، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، والمعهد الألماني للآثار ، على تفاوت فيما ينشرون .

أما في دمشق فأول من عني بهذا الأمر هو المجمع العلمي العربي .

وكان للاستاذ الجليل محمد كرد علي ، سيد النهضة العلمية بالشام ، الفضل الأولى في ذلك . وقد نشر المجمع آثاراً جيدة مفيدة ، تمت مصادر ذات شأن . ثم جاءت وزارة الثقافة السورية أخيراً تساهم في النشر . وهي في أول الطريق ، وقد أسهم المعهد الفرنسي بدمشق في نشر النصوص ، فأخرج نصوصاً تفيد في تاريخ الشام ودمشق .

وبلي القاهرة ودمشق بغداد ، فقد بدأ المجمع العلمي فيها بنشر النصوص وساعد على نشرها . وما نشره جيد لكنه قليل بالنسبة لما يؤمل منه . وقد أخذت جامعة الحسكة في السنوات الأخيرة بإخراج بعض النصوص أيضاً . وفي بيروت نذكر من المراكز التي تخرج المخطوطات بنهج علمي المطبوعة الكاثوليكية . فقد أخرجت في السنوات الأخيرة طائفة من الكتب المتقنة الطبع ، على تفاوت

وقد يكون ثمة مجلات أخرى نشرت بعض النصوص لم نطلع عليها .

ولنتنقل الآن الى قيمة هذا النتاج من حيث المادة والنهج العلمي في النشر .

أما من حيث المادة فلا شك أن الكثير من النصوص التي طبعت يحتاج اليها العالم العربي ، وتقيد في استجلاء وجوه الحضارة الاسلامية العربية ، على أن في ما نشر أيضاً ما لا فائدة منه قط ، أو أن فائدته ضئيلة ، وكان من الممكن تقديم غيره عليه .

ونلاحظ فيما نشر وفرة النصوص الأدبية واللغوية ، يلي ذلك النصوص التاريخية والتراجم . وقد زادت العناية بالنصوص الفلسفية في هذه الفترة . وقد ظهرت طبقات كثيرة لنصوص في الحديث والفقه والعلمي منها قليل . على أن أقل النصوص ظهوراً هي العلمية البحت المتعلقة بالرياضيات والطبيبات والفلك وما إلى ذلك . ولعل ذلك راجع الى صعوبتها وقلة ذوي الاختصاص بها ، وأنه لا رغبة فيها . وازدادت العناية بأخرة في نشر الكتب التراثية العلمية نشرأ علمياً صحيحاً يتفق مع روح العصر وكان لمعهد التراث العلمي في حلب اليد الطولى في هذا المضمار حيث ساهم منذ انشائه في نشر كثير من النصوص التراثية العلمية وفي كافة الاختصاصات . وبذلك أغنى المكتبة العربية التراثية بهذا الجانب العلمي النادر .

أما من حيث اتباع المنهج العلمي في النشر فيجب أن نقرر أن الميل الى ذلك أخذ في الازدياد لكنه لم يبلغ المأمول . والمهم أنه وضعت قواعد للنشر .

كان لرئيسه المؤثر « عبدالمعين خان » فضل يذكر في هذا الأمر .

أما المجلات العلمية التي عنت خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها ، بنشر النصوص أو الرسائل المخطوطة بين دفتيها ، فهي :

في دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، ومجلة التراث العربي ، وصحيفة المعهد الفرنسي .

وفي القاهرة : مجلة مجمع اللغة العربية ، ومجلة الآباء الدومينيكان .

وفي بغداد : مجلة المجمع العراقي ، ومجلة المورد الزاهرة ، وثمة مجلات أخر تصدر في الجامعة كمجلة كلية الآداب وكلية الشريعة وغيرها .

وفي بيروت : مجلة المشرق

وفي عمان والاردن : مجلة المجمع الأردني ، ومجلة أبحاث اليرموك « والتي تصدر عن جامعة اليرموك » .

وفي السعودية : مجلة العرب الغراء ، ومجلة عالم الكتب ، وثمة مجلات أخر تصدر عن جامعاتها .

وفي المغرب : مجلة تطوان .

أما المجلات التي تصدر في بلاد ليست عربية فنذكر منها : مجلة المعهد المصري بمديريد ، ومجلة الأندلس بمديريد وغرناطة ، ومجلة أرابيكا بباريس ، ومجلة أوريانس ، وشرقيات مجموعة سي التركية ، ومجلة معهد الدراسات الشرقية بليبنفرايد ، وذي اسلاميك كوراتلي ، ومجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن .

يقام له وزن . ونعتقد أن النقد البناء  
— لا الهدام — هو الذي يقوم الانتاج ويساعد  
الناشرين ، ويزجر دور النشر .

وقد عقدت النية على نشر ثبت يعرف  
بالمخطوطات المطبوعة وذلك في مجلة التراث  
العربي فصنعت هذا الثبت الذي نوهت فيه  
بطائفة حسنة من الكتب والرسائل التراثية  
المطبوعة التي نشرت من سنة ١٩٨٠ م وحتى  
الآن وذكرت فيه ما اتبع المنهج العلمي أو ما  
نشر أول مرة ، عن مخطوطات قديمة وإن لم  
تستوف شروط التحقيق أو ما أعيد نشره  
واعتمد على مخطوطات جديدة .

واتبعت النهج التالي :

١ — ذكرت اسم الكتاب ، وناشره ،  
واتخذت هذا اللفظ بدلا من « محقق » لأن  
كل ناشر ليس بمحقق .

٢ — ذكرت اسم المؤلف ، وسنة وفاته  
بالسنة الهجرية والميلادية .

٣ — ذكرت عدد صفحات الكتاب في مقدمته  
ونصه وفهارسه مما سجلناه بأنفسنا أو نقلناه  
عن مصادرنا . وأهملنا ذكر ذلك بالتفصيل  
أحيانا عندما يصر علينا رؤية الكتاب أو  
معرفة عدد صفحاته حيث لا يحيا لنا الوقوف  
على الكتاب بالذات .

٤ — ذكرت سنة طبع الكتاب ومكان طبعه  
ورقم المجلد إن كان يتألف من مجلدين فأكثر  
واسم الدار التي نشرت الكتاب .

٥ — حاولت قدر الامكان أن أتحدث عن  
محتوى الكتاب وأهميته وقيمه .

٦ — اتخذت في هذا الثبت الرموز التالية  
مراعاة للاختصار :

يلى أنه الى جانب هذا الميل الى اتباع  
المنهج العلمي وتجديده نجد خروجاً عن المنهج  
بعض الأحياء . وخاصة عند المبتدئين بالنشر ،  
الذين وجدوا في نشر التراث العربي مجالا  
للكسب السريع .

حتى لقد رأيت منهم من فتح لنفسه باب  
الاجتهاد وهو في أول الطريق . ولا يجرؤ على  
هذه الدوى الا من قضى عمره بين المخطوطات ،  
وألفى بصره في تقليبها وقراءتها ودراستها .  
وقدم للناس عشرات منها محققة منشورة .

ودعت شهرة النشر عند بعضهم الى نشر  
ما سبق نشره ، لكن بأسوأ ما يكون حالا .  
وأصيب التراث العربي أيضا بتسلط بعض  
التجار والناشرين عليه . فقد أخذوا يبيدون  
نشر الكتب دون التقيد بمنهج علمي أو  
الاهتمام على مخطوطات جديدة ، بل قنموا  
بسرقة الطبعات الماضية وتحليتها بالأخطاء  
التي لا تعد ولا تحصى ، وأغاروا على أعمال  
المستشرقين فأعادوا نشرها جرفيا . ففلسين  
أسماءهم ، مضفين اليها التعريف والخطأ .  
وإذا تكروموا بذكر الأسماء لأولئك المستشرقين  
نسبوا اليهم الجهل والى معلمه النقص . وقد  
ظهر من هذه الطبعات ، على نوعيها ، كثير في  
بيروت أولا ثم القاهرة . وما ظهر في بيروت  
في سبيل لبقاز المال ، سيكون وصمة في تاريخ  
الجهود التي بذلها لبنان للتراث العربي .  
ولو كان ثمة أقلام كثيرة تنقد هذا المطبوع  
وتبين الخطأ فيه لما أقدم الناشر على الارتجال ،  
ولا تجار الكتب على السرقة . ولكن النقد  
الذي نراه ، على الأهل ، مدح أو تقيظ .  
ونقد المخطوطات لا يستقيم الا اذا عارض  
للقائد المخطوط ، بالمخطوط . ورأى بنفسه مدى  
جودة عمل الناشر . أما النقد على الظن وعلى  
الترجيح ، دون الرجوع الى النصوص ، فلا

« بيلوغرافيا » لموضوع من الموضوعات ولا سيما اذا كان من قبيل ما نحن فيه .

والله اسأل ان يجعل في هذا العمل عوناً لكل باحث ، ويعرف بترائنا العربي الحبيب ويلقي الضوء على كثير من جوانبه ، ويمدنا بالقوة لمتابعة العمل في تسجيل وتعميق ما يصدر وما سيصدر من مخطوطات تراثية مطبوعة ، ان شاء الله .

« والله من وراء القصد »

مروان العطية

دير الزور - سوريا

ت = توفي ، المتوفى .

ج = الجزء ، المجلد .

د = الدكتور ، الدكتوراة .

ص = صفحة .

مط ، المط = مطبعة ، المطبعة .

م = سنة ميلادية .

ه = سنة هجرية .

ولست أدعي أنني قد أحطت بذكر كل ما صدر ، فذلك أمر بعيد المنال يدرك صوابه كل من حاول أن يصنع ثباتاً

\*\*\*

وفرسانها لابن الاعرابي مع كتاب نسب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها لابن الكلبي في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ بعنوان =

٢ - نسب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي ، فحسام بن محمد بن السائب ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ .

الأعلام ٨٧/٨ .

وهو برواية أبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠ هـ .

نشره : الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن .

ص ١١٠ منها ص ٢٠ المقدمة + من ٢١-٧٣ النص المحقق + ص ٣٦ الفهارس مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦ = ١٩٨٥ م .

- وقد قام المستشرق جرجس لوي دلاويدا بنشر هذا الكتاب مع كتاب ابن الاعرابي في مجلد واحد في ليدن سنة ١٩٢٨ م

١ - أسماء خيل العرب وفرسانها

لأبي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي ت ٢٣١ هـ = ٨٤٥ م

الأعلام ١٣١/٦ .

نشره : الدكتور محمد عبدالقادر أحمد

٧٧ ص المقدمة + من ص ٧٧-١٧٤ النص + ص ١٧٥ - ٢٥٤ ص فهارس .

ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .  
\* ووصلنا الكتاب برواية أبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠ هـ .

- وطبع الكتاب أيضاً في بغداد بتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور حاتم صالح الضامن مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م ص ١٣٠ .

- وللعلم فقد قام المستشرق جرجس لوي دلاويدا بنشر كتاب أسماء خيل العرب



ص ٢٦ المقدمة + ٧ لوحات من  
المخطوطة + ص ٢٧٢ النص المحقق + من  
ص ٢٧٣ - ٣٢٧ الفهارس مطبعة المدني  
( المؤسسة السودية بمصر ) ١٤٠٣ هـ =  
١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

\* أضاف الناشر ملحقا فيه : مواضع من  
معاني أبيات الحماسة ، منقولة من كتاب :

« اصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله النمرى  
لأبي محمد الأعرابي الفندجاني » .

وذلك من ص ٢٥٥ - ٢٧٢ .

٥ - اصلاح ما غلط فيه أبو عبدالله  
النمرى في معاني أبيات الحماسة .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود  
الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .

نشره : الدكتور محمد علي سلطاني .

ص ١٧ المقدمة والدراسة + ص ٢١٥  
النص المحقق مع الفهارس .

منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت  
١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م

٦ - عيار الشعر :

لأبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا  
الملوي ت ٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م

الأعلام ٣٠٨/٥

نشره : الدكتور عبدالعزيز بن ناصر  
المانع .

ص ٣٤ المقدمة والدراسة + ص ٤  
نماذج من المخطوط + ص ٢٢٠ النص  
المحقق + من ٢٢١-٢٦٨ الفهارس .

دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض  
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

وقام المرحوم أحمد زكي بنشر هذا  
الكتاب وطبعه في دار الكتب المصرية سنة  
١٩٤٦ م .

وقامت الدار القومية للطباعة والنشر  
بالقاهرة بتصوير هذه الطبعة سنة ١٣٨٤ هـ  
= ١٩٦٥ م

٣ - أسماء خيل العرب وأنسائها وذكر  
فرسانها .

لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود  
الفندجاني ت نحو ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م

الأعلام ١٨٠ / ٢

نشره الدكتور محمد علي سلطاني .

ص ٢٥ المقدمة + من ٢٧ - ٢٧٣ ص  
النص المحقق مع المستدركات + من ٢٧٥ -  
٢٦٣ ص الفهارس .

طبع في مؤسسة الرسالة في بيروت  
١٤٠٢ هـ = ١٩٨١ م .

\* أضاف الدكتور سلطانسي الى النص  
المحقق ما أسمفته المصادر باستدراكه على أبي  
محمد الأعرابي وقد بلغ المستدركات اثنتين وستين  
ومئتي فرس ( ٢٦٢ ) وبلغ مجموع ما ضمه  
هذا الكتاب من الخيل العربية المنسوبة  
سبعة وثلاثين وثمانمائة فرس ( ٨٣٧ ) .

وهذه سمة حسنة وظاهرة هامة مفيدة في  
نشر تراثنا الحبيب .

٤ - معاني أبيات الحماسة .

لأبي عبدالله الحسين بن علي النمرى ت  
٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م .

الأعلام ٢٤٥ / ٢

نشره : الدكتور عبدالله عبد الرحيم  
هسيلان .

المحقق + ٤٦ ص الفهارس .

مطبعة المدني ( المؤسسة السعودية  
بمصر ) ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة  
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م - الطبعة الأولى .

★ وطبع الكتاب في ( التحفة البهية والطرفة  
الشبية ) القسطنطينية ، مطبعة الجوانب  
١٣٠٢ هـ ، ثم نشره محمد اللبابيدي في  
بيروت ، المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٩ هـ .

٩ - الايناس في علم الأنساب :

للحسين بن علي بن الحسين الوزير  
المغربى ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م  
الأعلام ٢/ ٢٤٥ .

٥٢ ص المقدمة والدراسة + من ص  
٥٣ - ٢٨٠ ص النص المحقق .  
ونشر منه أيضاً كتاب آخر هو =  
١٠ - مختلف القبائل ومؤلفها :

لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي  
ت ٢٤٥ هـ = ٨٦٠ م .  
الأعلام ٦/ ٧٨ .

من ص ٢٨١ - ص ٢٩٠ المقدمة + من  
ص ٣٧٢ النص المحقق + ٢٨ ص الفهارس  
للكتابين وأعد الكتابين للنشر الشيخ العلامة  
حمد الجاسر .

منشورات النادي الأدبي في الرياض ،  
بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر  
الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ  
= ١٩٨٠ م .

★ وأشار الشيخ العلامة حمد الجاسر في  
مقدمة الايناس ص ٤٩ :

- وقد صدرت النشرة الأولى للكتاب  
عام ١٩٥٦ م في القاهرة بتحقيق الأستاذ  
الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول  
سلام في ١٥٦ ص ( المكتبة التجارية الكبرى  
بالقاهرة ) .

- ثم نشرها الدكتور محمد زغلول  
سلام في عام ١٩٨٠ م ( منشأة المعارف  
بالاسكندرية ) في ١٨٠ ص - منفرداً دون  
شريكة في العمل عند ظهور النشرة الأولى عام  
١٩٥٦ م وهو الدكتور طه الحاجري ؟ .

٧ - المنتخب من كتاب الشمرام

لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني  
ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م .  
الأعلام ١/ ١٥٧ .

نشره الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع  
١٨ ص الدراسة والمقدمة + من ١٩ - ٣٥  
ص النص المحقق + من ٣٧ - ٨٣ ص الفهارس  
دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ١٤٠٢ هـ  
= ١٩٨٢ م .

- وطبع الكتاب سنة ١٩٤١ م في مجلة  
المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٦ ،  
الصفحات ٣٥٩ - ٣٦٣ باقتضام الدكتور  
يوسف العش .

٨ - من غاب عنه المطرب

لأبي منصور عبدالمسك بن محمد بن  
اسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ = ١٣٠٨ م  
الأعلام ٤/ ١٦٣ .

نشره : الدكتور النبوي عبدالواحد  
شعلان .

٥٧ ص المقدمة والدراسة + ٦ ص  
نماذج من الخطبات + ٢١٠ ص النص

الأعلام ١٧٩/٢ .  
٦٨ ص المقدمة والدراسة + ١٠٥ ص  
النص المحقق + ٢٧ الفهارس .  
الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢  
( مطبعة الجامعة - بغداد ) .

نشره = الدكتور علي جابر المنصوري .  
\* وطبع الكتاب أيضاً في الأردن ( منشورات  
الجامعة الأردنية ) سنة ١٩٨١ م .  
ونشره اسماعيل أحمد عميرة وراجمه  
الدكتور نهاد الموسى .  
١٣ - حروف المعاني :

لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق  
الزجاجي ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م  
الأعلام ٢٩٩/٣ .  
نشره = الدكتور علي توفيق الحمد .

٦٢ ص المقدمة والدراسة + ٨٧ ص  
النص المحقق + ٤٤ ص الفهارس .  
طبع مؤسسة الرسالة في بيروت ودار  
الأميل في الأردن ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م  
الطبعة الأولى .  
١٤ - نشر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن  
الحسين الأبي ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م  
نشره : محمد علي قرنه وراجمه علي محمد  
البيجاوي ، في ثلاثة أجزاء :  
الجزء الأول = ٢٢ ص المقدمة +  
٤٣٧ ص النص المحقق + ٦٣ ص الفهارس  
الجزء الثاني = ٦ ص المقدمة +  
٢٦٠ ص النص المحقق + ٤٥ ص الفهارس .

و الى أن أحد الناشرين عمد الى نشر  
هذا الكتاب في إحدى المجلات المصرية على  
نسختي المتحف ودار الكتب ٤٠٠ .  
ولم يذكر الناشر ولا المجلة المصرية ولا  
سنة الطبع ١٩ .

وذكر في مقدمة أدب الخواص ص ٣٣  
بأنه نشر في مجلة « الكتاب العربي » بمصر  
ج ١٧ في سنة ١٩٦٥ بدون تحقيق .  
\* وأما كتاب ( مختلف القبائل ومؤتلفها  
لابن حبيب ) فقد كان الفضل الأول في إبرازه  
للمستشرق الألماني فردوناندو ستنفلد ونشره  
في سنة ١٨٥٠ في غوتنجن في ألمانيا .

١١ - أدب الخواص ( في المختار من  
بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها  
وأيامها ) .  
للحسين بن علي بن الحسين الوزير  
المغربى ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م .  
الأعلام ٢٤٥/٢ .

٥٨ ص المقدمة والدراسة + ٩٤ ص  
النص المحقق + ٥٣ ص الفهارس  
منشورات النادي الأدبي في الرياض ،  
بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر  
الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ  
= ١٩٨٠ م

وهو الجزء الأول من الكتاب .  
\* وقد نشر الكتاب في مجلة « العرب »  
اعتباراً من السنة الثامنة ص ١٦١ وما  
بعدها في رمضان ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .  
١٢ - المسائل العسكرية :

لأبي علي الفارسي ، الحسن بن أحمد  
بن عبدالغفار ت ٣٧٧٠ هـ = ٩٨٧ م .

الجزء الثاني = نشره = علي النجدي  
ناصف وعبدالفتاح شلبي .

٤١١ ص النص المحقق + ٤٠ ص  
الفهارس .

منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب  
بالقاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

\* وصدر الكتاب في دمشق منشوراً باعتماد  
بدراالدين قهوجي وبشير جويجاتي ، وذلك  
ضمن مطبوعات دار المأمون للتراث بدمشق  
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، الجزء الأول  
والثاني منه .

١٧ - مطبع الأنفس ومسرح التانس في  
ملح أهل الأندلس .

أبي نصر الفتح بن محمد عبيد الله بن  
خاقان الاشبيلي ت ٥٢٩ هـ = ١١٣٥ م  
الأعلام ١٣٤/٥ .

نشره = محمد علي شوابكة

١٤٣ ص المقدمة والدراسة + ٢٦٤  
النص المحقق + ٥٦ الفهارس .

مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت  
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

\* وأول طبعة ظهرت من هذا الكتاب هي  
الطبعة التي نشرتها مطبعة الجوانب سنة  
١٣٠٢ هـ باستنبول، وتقع هذه النسخة في إحدى  
ومئة صفحة ( ١٠١ ) منها صفحتان فهرست  
لأسماء التراجم .

ثم طبع في القاهرة ، نشرته مطبعة  
السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وهي لا تختلف عن  
سابقها . وعدد صفحاتها ( ١١٢ ) صفحة .  
١٨ - زاد المسافر وغرة معيها الأدب  
السافر .

أبي بحر صفوان بن ادريس التجيبي  
المرسي ت ٥٩٨ هـ = ١٢٠٢ م

الجزء الثالث = ٦ ص مقدمة المحقق  
+ ٣١٠ النص المحقق + ٥٠ ص الفهارس  
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة  
وطبعت الأجزاء الثلاثة ما بين سنة ١٩٨٠  
- ١٩٨٤ م .

\* وينتظر أن يتم الكتاب في سبعة أجزاء  
من القطع الكبير ( تراثية ) .

١٥ - تاريخ الملك الظاهر :

لابن شداد ، عزالدين محمد بن علي  
ابن ابراهيم الأنصاري الحلبي ت ٦٨٤ هـ  
= ١٢٨٥ م .  
الأعلام ٢٨٣/٦ .

٢٩ ص المقدمة والدراسة + ٣٣٢  
ص النص المحقق + ٨٤ ص الفهارس .  
نشره = أحمد حطيط .

منشورات دار النشر فرانز شتاينسر  
بفيسبادن ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م بإشراف  
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت .

١٦ - العجة في علل القراءات السبع :

أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي  
ت ٣٧٧ هـ = ٩٨٧ م .  
الأعلام ١٧٩ / ٢ .

الجزء الأول =

نشره = علي النجدي ناصف وعبد  
الحليم النجار وعبدالفتاح شلبي .

٤٠ ص المقدمة والدراسة + ٣١٨  
النص المحقق + ١٣ ص الفهارس .

منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب  
بالقاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة  
الثانية مصورة عن الطبعة الأولى التي ظهرت  
سنة ١٩٦٥ .

\* وقد طبع هذا الكتاب أول مرة في الجزائر سنة ١٩٢٦ م ، وأعيد طبعه مرة ثانية في باريس سنة ١٩٥٧ م باعتناء الشيخ ابن أبي شنب في الطبعتين .

٢١ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار .

للإمام الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ = ١٣٤٨ م .

الأعلام ٢٢٦/٥ .

نشره = بشار عواد معروف + شبيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس .

الجزء الأول = ٢٠ ص المقدمة مع الدراسة + ٥٠٩ النص .

الجزء الثاني = ٢٤٠ ص نشئة النص + ١٥٧ الفهارس .

مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

\* وسبق أن طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م وتولى نشره محمد سيد جواد الحق في جزأين ، ٦٩٨ ص ( دار الكتب الحديثة ) .

٢٢ - تاريخ الثقات :

لأبي الحسن المعجلي ، أحمد بن عبدالله ابن صالح ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م .

الأعلام ١٥٦/١ .

وبترتيب = الحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ وتضمينات = الحافظ ابن حجر المسقلاني ت ٨٥٢ هـ .

نشره = الدكتور عبدالمعطي قلمجي .

٤٢ ص المقدمة والدراسة + ٤٨٤ النص + ٢٦ ص الفهارس .

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤ م - ط ١ .

الأعلام ٢٠٥/٣

نشره = عبدالقادر محداد .

٤١ ص المقدمة والدراسة + ١١٧ النص المحقق + ٢٩ الفهارس

دار الراشد العربي في بيروت ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

\* وظهر الكتاب مطبوعاً لأول مرة في بيروت سنة ١٩٣٩ باعتناء عبدالقادر محداد .

١٩ - سيرة ابن اسحاق ( المسماة = بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ) .

لمحمد بن اسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ = ٧٦٨ م .

الأعلام ٢٨/٦ .

نشره = محمد حميد الله .

٥٠ ص المقدمة والدراسة + ٣١٦ ص النص المحقق + ٧٩ الفهارس .

طبع ادارة النشر والتوزيع قونية - تركيا ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

\* وظهر الكتاب مطبوعاً في دمشق ضمن مطبوعات دار الفكر ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م باعتناء الدكتور سهيل زكار في ٣٨٤ ص .

٢٠ - الجمل في النعم

لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ت ٣٤٠ هـ = ٩٥٢ م .

الأعلام ٢٩٩/٣ .

نشره = الدكتور علي توفيق الحمد .  
٤٧ ص المقدمة والدراسة + ٧ ص نماذج الخطبات + ٤١٩ النص + ٤٦ ص الفهارس مطبوعات مؤسسة الرسالة في بيروت ودار الأمل في الاردن ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .



- ٢٣ - المنق في أخبار قريش :  
لمحمد بن حبيب البغدادي ت ٢٤٥ هـ =  
٨٦٠ م .  
الأعلام ٧٨/٦ .
- ٢٦ - شرح هاشميات الكميت بن زيد  
الأسدي .  
بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم  
القبسي ت ٣٣٩ هـ = ٩٥١ م .  
الأعلام ٨٥/١ .  
نشره = الدكتور داود سلوم والدكتور  
نوري حمودي القيسي .
- ١٠ - المقدمة والدراسة + ١٩٥ ص  
النص + ١١٨ ص المستدركات .
- \* و طبع الكتاب لأول مرة باعتناء جوزيف  
هورفنز في ليدن ( بريل ) سنة ١٩٠٤ م ( مع  
ترجمة النص الى الألمانية ) .
- ٢٧ - شرح أبيات سيبويه .  
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل  
النحاس ت ٣٣٨ هـ = ٩٥٠ م .  
الأعلام ٢٠٨/١ .  
نشره = الدكتور وهبة متولي عمر  
سالة .
- ٣٨ - المقدمة والدراسة + ٣٢٢ ص  
النص + ٥٦ ص الفهارس .  
الناشر : مكتبة الشباب ، بالقاهرة  
١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .
- \* ونشر الكتاب أيضاً = أحمد خطاب  
الطبعة الأولى ، ٤٣٢ ص  
مطابع المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٤ م  
- ونشره أيضاً = زهير غازي زاهد .  
في ٣٠٤ ص  
النفذ ، مطبعة الغرني الحديثة .  
١٩٧٤ م
- ٢٥ - فترحة الأديب ( في الرد على ابن  
السراي في شرح أبيات سيبويه ) لأبي محمد  
الأعرابي الملقب بالأسود الفندجاني ت نحو  
٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م  
الأعلام ١٨٠/٢  
نشره = الدكتور محمد علي سلطاني

٢٨ - تدبير الحباي والأطفال والصبيان  
 وحفظ صحتهم  
 لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي ت نحو  
 ٣٦٨ هـ = ٩٧١ م  
 معجم المؤلفين ٨٦/٢  
 نشره = الدكتور محمود الحاج قاسم  
 مجيد

٥٨ من المقدمة والدراسة + ٢٧١ من  
 النص + ٦ من فهرس المراجع والمصادر  
 دار الحرية للطباعة في بغداد ١٤٠٠ هـ =  
 ١٩٨٠ م منشورات وزارة الثقافة والاعلام  
 (سلسلة كتب التراث رقم ٩٦)

٢٩ - الفرق بين الحروف الخمسة :

(الطاء والضاد والذال والسين والصاد)  
 لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد  
 البطيوني ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م  
 الأعلام ١٢٣/٤

نشره = عبدالله الناصر

١٣٠ من المقدمة والدراسة + ٤٧٥ من  
 النص + ١٣٨ من الفهارس  
 الناشر دار الماسيون للتراث - دمشق  
 \* ونشر الكتاب أيضاً في القاهرة - مكتبة  
 المتنبسي ١٩٨٢ م باعتمام الدكتور حمزة  
 عبدالله النشري في ٤٤٨ هـ =  
 ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

٣٠ - معاني القرآن

لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأفش  
 الأوسط ٢١٥ هـ = ٨٣٠ م  
 الأعلام ١٠١/٣  
 نشره = الدكتور فائز فارس ، في  
 جزأين

١٣٨ من المقدمة والدراسة + ٥٥٦  
 من النص + ١١١ من الفهارس

المطبعة المصرية ، الكويت ١٤٠١ هـ  
 ١٩٨١ م الطبعة الثانية وأما الطبعة الأولى  
 فقد نشرت في الكويت ١٤٠٠ هـ = ١٩٧٩ م

٣١ - الفهرست

لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت  
 ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م الأعلام ٨٤/٦

٢٥ من المقدمة والفهارس + ٢٠٥ من  
 النص + ٢٣ من الفهارس

نشر مؤسسة الوفاء في بيروت ١٤٠٣ هـ  
 = ١٩٨٣ م

٣٢ - المبدع في التصريف

لأبي حيان النحوي الأندلسي ، محمد بن  
 يوسف بن علي ت ٧٤٥ هـ = ١٣٤٤ م  
 الأعلام ١٥٢/٧

نشره = الدكتور عبدالحميد السيد طلب

٤٢ من المقدمة والدراسة + ٢٥٧ من  
 النص + ٢٨ من الفهارس

الناشر مكتبة دار المروية للبشر والتوزيع  
 في الكويت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م  
 الطبعة الأولى

\* وطبع أيضاً في القاهرة ( مكتبة الأزهر )  
 باسم : « المبدع المختص من المتع » وذلك  
 سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م باعتمام الدكتور  
 مصطفى أحمد النحاس في ١٢٤ م

٣٣ - بيان خطأ من أخطأ على الشافعي  
 لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ  
 = ١٠٦٦ م  
 الأعلام ١١٦/١

نشره = الدكتور الشريف نايف الديميسي

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٠ هـ  
= ١٩٨٠ م

\* وقد نشر هذا الكتاب من قبل ثلاث مرات :

- الأولى في مجلة المجمع العلمي العربي  
بدمشق ، العدد ٢٨ ( ١٩٥٣ ) والعدد ٢٩  
( ١٩٥٤ ) بعناية الأستاذ سليمان ظاهر .

- والثانية في مجلة المجمع العلمي العراقي  
المجلد ١٦/بفداد ١٩٦٨ ( بعناية الشيخ  
محمد حسن آل ياسين .

- والثالثة أخرجها الدكتور سليم النعيمي  
في بفداد سنة ١٩٦٨ م كذلك .

٣٦ - المقنع في رسم مصاحف الأمصار  
مع كتاب النقط

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت  
٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م

الأعلام ٢٠٦/٤

نشره = محمد الصادق قضاوي

٩ من المقدمة + ١٣٨ من النص +  
٤ من الفهرس .

الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة  
١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م

\* وقد طبع هذا الكتاب باعتماد أوتوبرنزل،  
استنبول ، سلسلة النشريات الإسلامية ٣/  
الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

- وطبع ثانية باعتماد محمد أحمد دهمان،  
ليبيا ، مكتبة النجاح سنة ١٣٥٩ هـ =  
١٩٤٠ م

- وطبع ثالثة باعتماد محمد أحمد دهمان ،  
دمشق ، دار الفكر سنة

٩٠ من المقدمة والدراسة + ٢٤٥ من  
النص + ٤٠ من الفهارس .

منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت  
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

٣٤ - دلائل الاعجاز

لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن  
محمد الجرجاني ت ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م  
الأعلام ٤٨/٤ .

قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر .

٢٦ من المقدمة والدراسة ونماذج  
المخطوطات + ٦٣٩ من النص + ٥٦ من  
الفهارس

مطبعة المدني ومكتبة الخانجي في القاهرة  
١٤٠٤ = ١٩٨٤ م

\* وأول مطبوعة صدرت من كتابه دلائل  
الاعجاز ، هي طبعة الشيخ محمد رشيد رضا  
في مصر ١٣١٩ هـ - ١٣٢٠ هـ ( مطبعة  
الترقي ) .

ثم طبع ثانية باعتماد الشيخ محمد عبده  
والشيخ محمد الشنقيطي في مصر سنة ١٣٢١ هـ  
( مطبعة المنار ) .

ثم نشره محمد بن تاويف الطنجي في  
تطوان ( المطبعة المهدية ) بعد سنة ١٩٥٠  
٣٥ - اشتقاق الأسماء :

لأبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي  
ت ٢١٦ هـ = ٨٣١ م  
الأعلام ١٦٢/٤ .

نشره = الدكتور رمضان عبدالقواب  
والدكتور صلاح الدين الهادي ٧٠ من المقدمة  
والدراسة + ٥٩ من النص + ٣٠ من  
الفهارس



نشره = الدكتور محمد كمال إبراهيم  
جعفر .

١٨ من المقدمة والدراسة + ١٥٠ من  
النص + ٣٦ من الفهارس .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ( مركز  
تحقيق التراث ) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

٤٠ - مشكل الحديث وبيان

لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك  
الأنصاري الأصبهاني تـ ٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م  
الأعلام ٦ / ٨٣ .

نشره = موسى محمد علي

٣٠ من المقدمة + ٤٧٠ من النص +  
١٦ من الفهارس

الناشر عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ  
= ١٩٨٥ م

٤١ - الافادات والانشادات

لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي  
الأندلسي ت ٧٩٠ هـ = ١٣٨٨ م .  
الأعلام ١ / ٧٥ .

نشره = الدكتور محمد أبو الأجفان .

٧٨ من المقدمة والدراسة + ١١٧ من  
النص المعقق + ٤٣ من الفهارس .

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت  
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م الطبعة الأولى .

٤٢ - سحر البلاهة وسر البراعة

لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي  
ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م .  
الأعلام ٤ / ١٦٣ .

٣٧ - المكتفى في الوقف والابتدا في  
كتاب الله عز وجل

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت  
٤٤٤ هـ = ١٠٥٣ م .  
الأعلام ٤ / ٢٠٦ .

نشره = الدكتور يوسف عبد الرحمن  
المرعشلي .

١٢٦ من المقدمة والدراسة + ٥١٥  
من النص + ٦٢ من الفهارس .  
منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت  
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .

\* وطبع أيضاً في بغداد باعتناء جابر زيدان  
خلف ، لجنة أحياء التراث ، وزارة الأوقاف  
والشؤون الدينية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

٣٨ - المغر والاعتذار

لأبي الحسن محمد بن عمران المبيدي  
المعروف بالرقام البصري ت نحو ٣٧٠ هـ =  
٩٨١ م .

مقدمة الكتاب ١ / ٥٠ .

نشره = الدكتور عبد القدوس أبو صالح  
في جزأين .

الأول = ٢٤ من المقدمة والدراسة مع  
نماذج المخطوطات + ٢٨٩ من النص .

الثاني = ٢٨٨ من النص + ٩٩ من  
الفهارس .

مطابع جامعة الامام محمد بن سعود  
الاسلامية - الرياض ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

٣٩ - اصطلاحات الصوفية

للقاشاني ، عبد الرزاق بن أحمد بن  
محمد ت ٧٣٠ هـ = ١٣٣٠ م

الأعلام ٣ / ٣٥٠ .

نشره = الدكتور ميشيل الخوري

٣٠ من المقدمة والدراسة ونماذج خطية  
٤٨٧ النص + ٦٨ الفهارس

دار الفكر في دمشق ١٤٠٣ هـ =  
١٩٨٣ م ( الطبعة الأولى )

٤٥ - التوفيق للتلفيق

لأبي منصور عبدالمسك بن محمد بن  
اسماعيل الثعالبي ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م  
الأعلام ١٦٣/٤

نشره = ابراهيم صالح

٢٤ من المقدمة والدراسة ونماذج  
خطية + ١٨٧ من النص + ٦٠ الفهارس  
مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ  
= ١٩٨٣ م

٤٦ - المغازي النبوية

لأبي شهاب الزهري ، محمد بن مسلم  
بن عبيدالله ت ١٢٤ هـ = ٧٤٢ م  
الأعلام ٩٧/٧

نشره = الدكتور سهيل زكار

٣٥ من المقدمة والدراسة + ١٤٥ من  
النص + ١٨ من الفهارس

دار الفكر في دمشق ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

٤٧ - مشيخة ابن طهمان

لأبي سميد الخراساني ، ابراهيم بن  
طهمان ت ١٦٨ هـ = ٧٨٤ م  
الأعلام ٤٤/١

نشره = الدكتور محمد طاهر مالك

٥٦ من المقدمة والدراسة + ١٨٨ من  
النص + ١ من المحتوى مطبوعات مجمع  
اللغة العربية في دمشق ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

نشره = عبدالسلام الحولي

٢٠٣ النص + ٩ من فهرس

( الكتاب بلا مقدمة للناسخ وليس له  
فهارس فنية تخديه )

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ  
= ١٩٨٤ م

\* وطبع الكتاب في القسطنطينية (مطبعة  
الجوائب) سنة ١٣٠١ هـ

- وطبع أيضا في دمشق ( المكتبة العربية )  
سنة ١٣٥٠ هـ

٤٣ - الوفيات

لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي  
٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م

الأعلام ١٢٤/٦

نشره = صالح مهدي عباس وبشار  
عواد معروف ، في جزأين

الأول = ١٢١ من المقدمة والدراسة  
+ ٣٨٣ من النص

الثاني = ٣٩٨ من النص + ٢٣٤  
من المصادر والمراجع والفهارس

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت  
١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٤٤ - التيسير في مداواة والتدبير

لأبي مروان عبدالمملك بن زهر الأندلسي  
٥٥٧ هـ = ١١٦٢ م  
الأعلام ١٥٨/٤

الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي  
ت ٧٣٩ هـ = ١٣٣٩ م  
• الأعلام ٢٦٧/٤  
المجلد الأول

نشره = شبيب الأرناؤوط وحسين أسد  
٧٦ ص المقدمة والدراسة + ٣٨٨ ص  
النص + ٢٢ ص الفهارس  
• منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت  
١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

• ونشره الشيخ العلامة أحمد محمد  
شاذلي (المجلد الأول) في القاهرة سنة ١٩٥٣ م  
٥١ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار

• لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد  
الأزرق ت نحو ٢٥٠ هـ = ٨٦٥ م  
• الأعلام ٢٢٢/٦  
• نشره = رشدي بن صالح ملخص  
في جزأين  
الجزء الأول =

٢٩ ص المقدمة والدراسة + ٣٢١  
ص النص + ٤١ ص الملحقات + ٤٤ ص  
الفهارس

الجزء الثاني = ٣٠٢ ص النص +  
٣٧ ص الملحقات + ٥٣ ص الفهارس  
• منشورات دار الاندلس - بيروت  
١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م (الطبعة الثالثة)

• ونشر هذا الكتاب - لأول مرة -  
المستشرق الألماني فرديناند وستنفيلد في  
ليبسك بألمانيا سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م  
• وجاءت الطبعة في ٥١٨ ص منها ١٤  
ص للتصحيحات ، وصدرها الناشر بمقدمة  
تاريخية عن المؤلف بلغ عدد صفحاتها ٢٥ ص

• ونشرت المخطوطة لأول مرة في مجلة معهد  
المخطوطات العربية ( مج ٢٢ ج ٢/١٩٧٦ م ) ،  
مع مقدمة للناشر تترجم بالمخطوطة ومؤلفها  
أبراهيم بن طهمان ( المقدسة ص ٢٤١ -  
٢٥٨ ، نص المخطوطة ص ٢٥٩ - ٣٠٠ )

٤٨ - السنة

• لأبي عبد الرحمن ، عبدالله بن أحمد بن  
حنبل ت ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م  
• الأعلام ٦٥/٤

• نشره = محمد السعيد بن بسيوني  
زغللول

٨ ص المقدمة + ٢٧٧ ص النص +  
٢ ص فهرس المحتويات

• دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ  
١٩٨٥ م

• نشر لأول مرة في القاهرة في المطبعة  
السلفية ومكتبتها سنة ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م  
٤٩ - اختلاف العلماء

• لأبي عبدالله بن نصر المروزي ت ٢٩٤ هـ  
٩٠٦ م =  
• الأعلام ١٢٥/٧

• نشره = السيد صبحي السامرائي  
٢١ ص المقدمة + ٢٦٨ ص النص  
+ ١٨ ص الفهارس العامة  
• عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥ هـ =  
١٩٨٥ م - الطبعة الأولى

٥٠ - صحيح ابن حبان

• لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ت  
٣٥٤ هـ = ٩٦٥ م  
• الأعلام ٧٨/٦  
• ترتيب :

نشره = الدكتور محيي الدين رمضان،  
في مجلدين .

المجلد الأول = ٥٩ ص المقدمة  
والدراسة ونماذج الغطيات + ٥٤٠ ص  
النص .

المجلد الثاني = ٣٩٤ ص النص +  
١١٥ ص الفهارس

منشورات مؤسسة الرسالة - بيروت  
١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م الطبعة الثانية .

\* وطبع الكتاب لأول مرة في دمشق (ضمن  
منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق)

ونشره الدكتور محيي الدين رمضان ( ط ١  
جزءان ) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م

٥٥ - سنن الدار قطنية

لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد  
الدار قطني ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م  
الأعلام ٣١٤/٤ .

- بذيله = التعليق المغني على الدارقطني  
لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم  
آبادي الهندي .

معجم المؤلفين ٧٢/١٠

الجزء الأول =

٦ ص المقدمة + ٤١٤ ص النص + ٥  
ص فهرس الجزء الأول .

الجزء الثاني = ٣٠٢ ص النص +  
٢ ص فهرس الجزء الثاني .

الجزء الثالث = ٣٢٤ ص النص +  
١ ص فهرس الجزء الثالث .

الجزء الرابع = ٣٠٧ ص النص + ١  
ص فهرس الجزء الرابع .

- وطبع ثانية في مكة سنة ١٣٥٢ هـ =  
١٩٣٣ م باعتناء رشدي صالح ملحق ٠٠

٥٢ - أمثال العرب  
لأبي العباس الفضل بن محمد الضبي  
ت ١٦٨ هـ = ٧٨٤ م .  
الأعلام ٢٨٠/٧ .

نشره = الدكتور احسان عباس  
٤٤ ص المقدمة والدراسة + ١٣٥  
ص النص + ٧ ص ملحق + ٣٨ ص  
الفهارس .

منشورات دار الرائد العربي  
بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م

\* ونشر الكتاب لأول مرة في استانبول في  
مطبعة الجوانب سنة ١٣٠٠ هـ . ثم طبع مرة  
أخرى في مصر ( القاهرة ) سنة ١٣٢٧ هـ  
١٩٠٩ م .

٥٣ - تمثال الأمثال  
لأبي الحسن محمد بن علي المبدري  
الشبيبي ت ٨٣٧ هـ = ١٤٣٣ م .  
الأعلام ٢٨٧/٦ .

نشره = الدكتور أسعد ذبيان ، في  
مجلدين

الأول = ٩٨ ص المقدمة والدراسة  
+ ٣٠٥ ص النص

الثاني = ١٩٤ ص النص + ١٩٠ ص  
الفهارس العامة .

منشورات دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ =  
١٩٨٢ م الطبعة الأولى

٥٤ - الكشف عن وجوه القراءات  
السبع وعللها وحججها .

لأبي محمد مكِّي بن أبي طالب  
القيسي الأندلسي ت ٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م  
الأعلام ٢٨٦/٧ .

\* ونشر ثالثاً في بيروت ( مؤسسة الرسالة )  
بمناية شكر الله بن نعمة الله قوجاني الايراني  
١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م

- وهي أجود وأفضل النشرات جميعاً .  
٥٨ - الأحاديث المشككة في الرتبة أو  
( أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب )  
لأبي عبدالله محمد بن درويش الحوت  
البيروتي ت ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م  
الأعلام ٧٤/٧ .

نشره = كمال يوسف الحوت .  
٢١ من المقدمة والدراسة + ٢٧٠ ص  
النص + ٤٧ ص نصوص أخر ملحقة بالكتاب  
+ ١٧ ص المصادر والآيات والفهرس العام  
منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ  
١٩٨٣ م

٥٩ - الانصاف في التنبيه على المعاني  
والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين  
في آرائهم .  
لابن السيد البطليوسي ، محمد بن  
عبدالله بن محمد ت ٥٢١ هـ = ١١٢٧ م  
الأعلام ١٢٣/٤ .  
نشره = الدكتور محمد رضوان الداية

٢٢ من المقدمة والدراسة + ١٧٩ ص  
النص + ٦٠ ص الفهارس .  
منشورات دار الفكر بدمشق ١٤٠٣ هـ  
١٩٨٣ م الطبعة الثانية .

\* ونشر هذا الكتاب لأول مرة في مصر  
( مطبعة الموسوعات ) سنة ١٣١٩ هـ بإشراف  
واعتماد أحمد عمر الحمصاني .  
- ونشر ثانية في دمشق ( دار الفكر )  
سنة ١٩٧٢ م باعتماد الدكتور محمد رضوان  
الداية .

منشورات عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣ هـ  
= ١٩٨٣ م .  
الطبعة الثانية

\* نشر لأول مرة منفرداً في دلهي سنة ١٣٠٦ هـ  
- ونشر أيضاً ( مع شرح تعليق المغني )  
في دلهي سنة ١٣١٠ هـ .  
- ثم أعيد نشره فطبع بالقاهرة باعتماد  
السيد عبدالله بن هاشم المدني .  
٥٦ - الكافي في البيزرة

لمحمد الرحمن بن محمد البلدي ت ٨٧  
نشره = احسان عباس وعبدالعفيف  
منصور .

٤٤ من المقدمة والدراسة + ٣٦٨ ص  
النص + ٢ ص ثمة وشواذ + ٨ ص مصطلحات  
البيزرة + ٣٧ ص الفهارس .  
منشورات المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م  
الطبعة الأولى .  
٥٧ - المراسيل

لأبي محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن  
ادريس السرازي ت ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م  
الأعلام ٣٢٤/٣ .

نشره = أحمد عصام الكاتب .  
٩ من المقدمة + ١٩٠ ص النص +  
٢١ ص الفهارس .

دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ  
= ١٩٨٣ م .  
\* ونشر هذا الكتاب لأول مرة في الهند في  
حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤١ هـ .  
\* وطبع ثانية في بغداد ( وما هي في الحقيقة  
الا إعادة طبع للنشرة السابقة ) وقد قام بها  
السيد صبحي البدري السامرائي سنة ١٩٦٧ م

\* وهذه الطبعة صورة طبق الأصل ( مسروقة مشوهة ) عن الطبعة المصرية التي نشرها عبدالفتاح محمد الحلو ( مكتبة عالم الفكر - القاهرة ١٩٧٩ م ) ط ١ ، ٤٦٨ ص وهذه الدار مشهورة بالسرقة والاهارة على التراث العربي بكل وقاحة وصفاقة ؟ !

٦٢ - تعريف الخلف برجال السلف

لأبي القاسم محمد الحفناوي ابن الشيخ ابن أبي القاسم الديلمي كان حياً ١٣٢٦ هـ معجم المؤلفين ١٣٥/١٦ .

نشره = ؟ : الطبعة الأولى ، في قسمين

القسم الأول = ٢٠٣ ص النص

القسم الثاني = ٦٠٣ ص النص + ٢٠ ص فهرس الأعلام للقسمين .

منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت والمكتبة المتيقة في تونس ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

٦٣ - الانصاف فيما يجب لمعتقاده ولا يجوز الجهل به

لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي الباقلائي ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م الأعلام ١٧٦/٦ .

نشره = محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وأشرف عليه عبدالوهاب عبد اللطيف ١٣٠١ ص المقدمة والدراسة + ١٨١ ص النص + ١٤ ص الفهارس

منشورات مؤسسة الغانجي - القاهرة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

\* طبع هذا الكتاب لأول مرة في القاهرة باعتناء محمد زاهد الكوثري سنة ١٣٦٩ هـ - وطبع ثانية في القاهرة أيضاً باعتناء محمد زاهد الكوثري وأشرف عبدالوهاب عبداللطيف سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م .

- ونشر ثالثة في القاهرة ( دار الاعتصام ) سنة ١٩٧٨ م ، ط ١ ، ٢٤٧ ص باعتناء الدكتور أحمد حسن كحيل والدكتور حمزة عبدالله الشترتي .

٦٠ - القول المسدد في الذنب عن مسند الإمام أحمد .

لابن حجر المسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد الكثاني ت ٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م الأعلام ١٧٨/١ .

نشره = عبدالله محمد الدرويش

٢٨ ص المقدمة والدراسة + ١٧٤ النص + ٤٧ ص فهرست الكتب من روايات الخافظ ابن حجر ( تأليف مجهول ) + ٨ ص الفهارس .

منشورات اليحامة - دمشق ، بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

\* ونشر لأول مرة في الهند ( مطبعة دائرة المعارف النظامية بهيدر آباد الدكن ) سنة ١٣١٩ هـ .

- ثم طبعت في القاهرة ( بناية وتصحيح ونشر مكتبة ابن تيمية ) سنة ١٤٠١ هـ .

٦١ - عقد الدرر في أخبار المنتظر

ليوسف بن يحيى بن علي الشافعي المقدسي السلمي ت ٦٨٥ هـ = ١٢٨٧ م الأعلام ٢٥٧/٨ ومعجم المؤلفين ٣٤٣/١٣ .

نشره = لجنة من العلماء بأشراف الناشر ؟

٥ ص المقدمة + ٣٥٠ ص النص + ١٠٨ ص الفهارس .

منشورات دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .



- ٦٤ - الملل المتناهية في الأحاديث الواهية  
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد  
الجوزي ت ٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م .  
الأعلام ٣/٣١٦ .
- نشره = الشيخ خليل الميس، في جزأين  
الجزء الأول = ١٣ ص المقدمة والدراسة  
+ ٤٥٩ ص النص + ١٤ ص فهرس الجزء  
الأول .
- الجزء الثاني = ٤٥٧ ص النص +  
٢٠ ص فهرس الجزء الثاني .
- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ  
= ١٩٨٣ م .
- \* ونشر هذا الكتاب في الهند باعتماد ارشاد  
الحق الأثري سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٦٥ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى  
لأبي الحسين السموهدي علي بن عبدالله ابن
- أحمد ت ٩١١ هـ = ١٥٠٦ م  
الأعلام ٤/٣٠٧ .
- نشره = محمد محيي الدين عبدالحميد،  
في أربعة أجزاء .
- الجزء الأول = ٧ ص المقدمة وفهرس  
الجزء الأول + ٣٨٤ ص النص .
- الجزء الثاني = ٣٨٤ ص النص +  
٥ ص فهرس الجزء الثاني .
- الجزء الثالث = ٣٢٧ ص النص +  
٦ ص فهرس الجزء الثالث .
- الجزء الرابع = ٣٠٩ ص النص +  
٩ ص ملحق + ٣ ص فهرس الجزء الرابع .
- منشورات دار احياء التراث العربي -  
بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م الطبعة الرابعة  
والطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م  
- للبحث صلة -

مكتبة دار المصطفى

★ ★ ★

# آداب التربية الإسلامية العربية

محمد صالح بربندي

١ - تمهيد :

مجال تقدم الأمم في الحضارة والرفي وبناء صرح المجتمع يعود الى التربية القديمة التي تنتهجها وترسمها الأمة لحياتها و حياة الجيل الذي تقوم بتنشئته وأعداده على أساس تلك التربية التي تضعها له لأن أهداف التربية ومقاصدها وغاياتها في حياة الأمم ، تختلف على ما تعلقه من الغايات المنشودة من وراء نظرتها للتربية ، فعملية التربية والتعليم لها أثر بارز فعال في حياة الأفراد والشعوب ، فكل تقدم يلقاه المرء في حياته ونجاح يظفر به في مجتمعه يكون مرده الى ما ظفر به من التربية الجليلة والتعليم النافع المثمر الذي تزود به منذ صغره . ولهذا كان مجد الأمة وحضارتها يقاسان بالتربية المثلى التي تسود مجتمعاتها ، وبالأهداف المنبثقة من وراء تلك التربية ، وبالقيم المعنوية والروحية التي تنشدها في حياتها ، وبالمبادئ التي تنادي بها ، وتلقنها افراد مجتمعها وتأخذ بها الروح الجماعية المسيطرة على تلك الأمة .

٢ - أثر التربية في حياة الأمة :

إننا نجد الفلسفة والمثل العليا قد طغت على فلاسفة أثينا القدماء ، وكان سقراط ينادي بالمبدأ الآتي : ( الفضيلة هي المعرفة ) واهتقد بشبات القيم والمثل وانها جوهر الأعياء وراسخة في عقول الناس حيث يولدون وتولد معهم وقال ان الملم ( يستخلص النتائج عن طريق الحوار مع التلاميذ ) ويمتقد البعض أن جمهورية تلميذه أفلاطون عن طبيعة العدل الأسى لها صبغة تربوية في الحياة وقد لقب فريق آخر أريستو بالمعلم



الأول، وكانت فلسفته تتلخص في المبدأ الآتي: (الفضيلة هي الوصول إلى السعادة والغير ويقولون ان تلك النظرية لم تكن مجرد تأمل في الحياة بل هي اتجاه وإرادة تشتمل على الغير كله وعمله ، والواقع أن كتاب أرسطو ( السياسة ) كان له أثر بارز في التربية في العصور الوسطى . وأسباطة القديمة غزت بلاد اليونان واستقرت بها ، ولكن الأسباطيين لم يندمجوا مع أهلها ، وهكذا تمثلت نظرهم إلى التربية إلى أن كان هدفها المباشر أعداد طبقة الجند حتى ان المواليد من الأطفال كانوا يجتازون امتحانا خطيرا هو امتحان الحياة أو الموت ، اذ يلقون في ناحية من الجبل فمن قاوم منح حق الحياة ومن مات استراحت أسباطة من ضعفه وهكذا نجد النظرة إلى التربية تختلف بمفهوم الجماعة والروح المسيطرة عليها ، ونلمح ذلك بارزا في التربية الاغريقية أو الرومانية أو غيرها .

### ٣ - نظرة التربية الإسلامية :

ان التربية الإسلامية منبثقة من روح الاسلام المتمثلة في أسس ومقاصد القرآن الكريم التي تتلخص في المبادئ الآتية : الدعوة إلى الحياة - الدعوة إلى الغير - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتكام في كل ذلك إلى العلم والعقل ونجد أيضا أن مفهوم تلك التربية يتجلى في السنة النبوية الشريفة وهي كما يقول الامام الشاطبي في كتابه ( الموافقات ) راجعة إلى الكتاب الكريم وبيان له . ان الاسلام الذي ثار على الظلم والظلمة وارتزق عروش البغي والجور - وأحل العدل والحكم الشورى وجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، جعل نظرته إلى التربية ( الفردية والجماعية ) مستقاة من هذه المبادئ الانسانية العالية ، وروح المجتمع التي بشر بها هي الخير والسعادة للجميع وهدى الناس وارشادهم إلى ما فيه خيرهم وسلاحهم في دينهم ودنياهم ، وإذا كانت هذه المشكل المالية هي أهداف التربية الإسلامية فمن الطبيعي أن تأخذ بذلك المفهوم الخلقي الذي حلم به فلاسفة أثينا قبل ألف السنين وبالتالي فإن المبادئ التي أخذت بها التربية الإسلامية ونادت بها هي مثالية تأثرت بها التربية الحديثة ( بصورة مباشرة ) قرونا طويلة ، وأهمها مبدأ الاخاء والمساواة بين جميع المؤمنين بغض النظر عن اختلافات الجنس واللون والمنصر ، وقد ظهر التجانس والائتلاف والاخاء والمساواة في أوضاع صورة بنظم التربية والحضارة الإسلامية التي تشيد بمعظمتها ونقر بفنونها ومبادئها وأبطالها وأخلاقها .

وبعد الفضل بذلك إلى التربية الإسلامية القائمة عليها ، وإلى الروح العلمية التي نادت بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : ( طلب العلم فريضة على كل مسلم ) وأن ما أوجده المسلمون من منشآت ومعاهد لتفكر العلم ، وما أهدقوا عليها من غيرات وأوقاف لا نجد له نظيرا في تاريخ الأمم القديمة أو المعاصرة للإسلام . وهذا ما يدل على اهتمام المبادئ والتعليم الإسلامية بالتعلم ، وبالتربية التي يستند إليها . والواقع أن جميع مناهج التربية الإسلامية وتوجيهاتها وطرقها وأنظمتها قد توترت تربية الأخلاق المثالية في نفوس النشء وهذا يدل على اهتمامها العظيم وعنايتها الكبيرة بالتربية الخلقية حتى يكاد يقتصر

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است



این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است



این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است



شقيقي على دراسة هذا المرض وحدد أوصافه بدقة وشخص مظاهره ، وأشار الى ضرورة الفحص الدقيق للقلب والنفس والتنفس والبراز ، والى ارتفاع الحرارة المساعد على انتشار الطفح في الجسم بعد انتشاره خلف الأذن والقمع. عالج هذا الداء المسى (العصبية) وألف كتاباً حوله ، فانقذ بذلك حياة الأطفال من السحرة والكاذبين ، وكان أول المتحدثين عن ( الجديري ) في معالجة دقيقة بعيدة عن الأوهام .

ثم تتابع خديجة الحديث . كان شقيقي يكدس وريقات في صندوق خاص ، حكمت عليه بالتفاهة ، لكنني بعد وفاته ، أخرجت ما في الصندوق ، فإذا محتواه يقع في ثلاثين جزءاً ، أطلق عليه الأطباء ( كتاب الحاوي ) لأنه جمع فيه الأمراض ، كما جمع في شخصه اختصاص الأطباء في كل مجال .

### ●● خطة الرازي في تأليف الكتاب :

يقول أبو بكر الرازي في تحديد نهجه في كتابه :

« واني لما أجلت الفكر في أن يكون هذا الكتاب تاماً مستقصي في غرضه المقصود ، رأيت أنه ينبغي أن الحق بذكر الأمور الجزئية التي تخص عدداً في دفع مضاره ذكر قوانين وأمور كلية في تدبير المطعم والمشرب جملة ، ورأيت أنه ينبغي أن أجعله مقالتين ، أذكر في الأولى منهما الأمور الخاصة الجزئية ، وفي الثانية القوانين العامة الكلية . وأنا فاعل ذلك بمشيئة الله عز وجل . وإياه أسال التوفيق لصواب القول والفعل والعون على ما يرضيه ويقرب اليه ويدني منه . »

وهذا حين نبتدى فنقول انه لما كان معول الناس في أغذيتهم على الغبز والماء

وطبع في لايبزيغ سنة ١٩١١ وتدل هذه الآثار التي خلفها لنا الرازي على ما له من قدرة على الصبر والتحمل وحب العمل وعلى أنه لم يجد لذة في دنياه الا في رحاب العلم والعمل والتأليف .

تروي لنا شقيقة الرازي ( خديجة ) عن حياة الرازي فتقول :

كان طلاب العلم يزحفون اليه من جميع البلدان لتلقي المعرفة على يديه ، فكان حجة عصره ، ومرجعاً لكل الحالات المرضية المستعصية . أذكر أن سبباً يافعا جاء يشكو اضطراباً وخوفاً من حالته التي ساءت خلال سفره حتى بدأ ييصق دماً . وقد عجز أطباء بغداد عن كشف مرضه ، فعانيه الرازي بهدوء كبير ، فلم يعثر على السبب ، فطلب من الفتى أن يتريث ويصبر فحالته لا تشير الى خطر ، إذ ليس لديه التهاب رئوي أو سرطان وهنا تعالى صراخ المريض وانهمرت دموعه قائلاً :

إذا كان أمهر الأطباء عاجزاً عن معرفة ما بي فسلام علي واستمر أخى يقلب السبب فسأله : أي ماء شربت في رحلتك ؟ أجاب الفتى : لقد شربت هنا وهناك من ماء الأبار والمستنقعات . قال الرازي : لا شك أنك ابتلعت علقة دموية تثبتت في أمعائك ، ارجع غداً لأجري لك العلاج المناسب .

وفي اليوم التالي حضر الفتى ومعدته فارغة بحسب توصية الطبيب ، الذي طلب منه تناول ( نبتة الطعلب ) حتى ضاق ذرعاً بها . ثم أجرى له عملية القيء . لا عملية جراحية . فأخرج من أمعائه علقة دموية مفزعة . وتتابع خديجة ( أخت الرازي ) الحديث فتقول :

كثرت السمودة في معالجة الأطفال من مرض كان يؤدي بحياة الكثيرين ، فمكف



## ● سفوف قوي :

وصفته أن يؤخذ من بزر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم ، ومن حب القلت (١١) واللوز المر والدوفو (١٢) من كل واحد وزن درهمين ، فيست منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حاراً قد أهلي فيه برشاوشان (١٣) الى أن يفقد ذلك العارض .

## ●● التحقيق :

يقول الأستاذ حسين العموي محقق الكتاب مبيناً دوره وجهده في تقديم الكتاب للقراء العرب بثوبه الجديد الذي صدر في طبعته الأولى بدمشق عام ١٩٨٤ عن دارالكتاب العربي .

وقد حاولنا جهدنا شرح معظم الكلمات التي كنا نشعر بالحاجة الى شرحها لاتمام المعنى وايصاله الى القارئ .

أما الأسلوب ، فهو أسلوب علمي يتم من عبقرية طبيب وفيلسوف وكيميائي فلم نستطع أن نغير أو نبدل في طريقة السبك والتأليف ، واكتفينا بالشرح والتوضيح لأهم التراكييب التي وجدنا أنها بحاجة لشيء من ذلك ، وقد أشرنا في نهاية الكتاب الى أهم المراجع والمصادر التي كانت لنا عوناً فيما ينبغي ونتوخى ، وإن كان ما ينبغي ونتوخى هو الاستفادة في الشروح لا الاختصار بقصد الموازنة بين حجم الكتاب وعدد صفحاته ، وبين الغاية التي نهدف الى تحقيقها في حدود الامكان .

●● وفيما يلي نقدم بعض ما اختاره المحقق للقراء الكرام عن أهمية بعض الأهدية :

## ● السبانخ :

تحدث ابن سينا عن السبانخ فقال :

والشراب واللحم ، وكانوا لهذه أكثر استعمالاً منهم لغيرها ، رايت أن أبدأ بالقول فيها . ●● في منافع العنطة والغبير المتخذ منها ومضارها ، وما يدفع به تلك المضار وصفوف الغبير والأوفق منها في حال دون حال .

## ● الغبير السميذ والحواري :

فأقول ان الغبير مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائماً وجري المادة بالاعتدال منه ، له مضار ينبغي أن تميز وتفصل .

فمن الغبير السميذ (١) والحواري (٢) والخشكار (٣) على مرتبته في ذلك من قلة النخالة وكثرتها ، والفطير والمختصر (٤) والكثير الملح والبورق (٥) ، والمديم لذلك ، وخببز التنور ، وخبز الفرن ، وخبز الملة (٦) وخبز الطابق (٧) .

فمن مضار الخبز السميذ والحواري أنه أسير خروجاً من البطيخ من الخشكار ، وأنه أكثر نضجاً وتوليداً للرياح ، ويولد السدد في الكبد والحصى في الكلى في المستعدين لذلك . ولذلك ينبغي أن يميل منه الى الخشكار من تضره الرياح الغليظة ويسبب البطن والسدد في الكبد والفلظ في الطحال والحصى في المثانة المستعدة لذلك ويسرع اليه الامتلاء وتصبه أوجاع المفاصل ويعتريه التعجر فيها .

وما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من الخمير والبورق ، ويتمهد الأكل له السكتيجين (٨) البزوري ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرفس (٩) مع السكر الطبرزد (١٠) متى أحس بشغل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن . فاما متى أحس بشغل في البطن والقلطن ومسر في خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياماً قبل الطعام بثلاث ساعات .

### ● البصل :

ينقي الدم وينظم دورته ويدبر البول ، وينفع في تضخيم الجروح والدمايل ، وبعض أمراض الكبد والكلى ، وتبين من الأبحاث الحديثة أنه في طليعة النباتات التي تقتل الجراثيم وبخاصة جراثيم التيفوس . أما فائدة البصل الغذائية فهي تفوق فائدة التفاح وفيه عشرون ضعفاً من الكالسيوم الموجود في التفاح وضعف ما فيه من الفوسفور وثلاثة أضعاف ما فيه من فيتامين أ والحديد وفيه الكبريت وفيتامين ج ومواد مدرة للبول والصفراء وملينة ومقوية للأعصاب ، ومقوية للقدرة الجنسية ومؤثرة في القلب ودورة الدم ، وفيه مادة الفلوكونين التي تعدد نسبة السكر في الدم وهي تعادل الأنسولين في مفعوله .

### ● الثوم :

يحتوي على نسبة كبيرة من البروتين والأملاح والكبريت والماء ولدى إجراء التجارب عليه ظهر أنه مطهر معوي ومنبه معدي وموقف للإسهال الميكروبي ، يؤكل بلعاً على الريق أو يستعمل فص أو فصان تحميلة ويؤكل مع اللبن الرائب لتطهير الأمعاء ومعالجة السعال والربو والسعال الديكي وهو يطرد الأرياح ويفيد الأعصاب وينشط القوة الجنسية وهو مدر للبول .

### ● العسل :

غذاء منشط جداً ، فهو يعطي ٣٠٠ حروري في كل مائة غرام وهو ذو قيمة غذائية كبيرة والكيلوغرام الواحد منه يعادل في قيمته الغذائية ( ٥ ) كيلوات من الحليب أو ٢٦ موزة أو ٦٠ برتقالة أو ٥٠ بيضة أو ( ١١٧٥٠ ) كغ من لحم العجل أو ( ١٢ ) كغ من الخضراوات والمواد السكرية الموجودة

أنها تنفع لأمراض الصدر والرئة وتزيل العطش ، ويمكن أكلها نيئة أو مطبوخة ، وعصيرها المخلط بالسكر يفيد في معالجة الرقان ، والحصى البولية وعسرة البول ، وتعتبر غذاء جيداً للمحمومين والنفاكين ، وهي تفيد أيضاً في أوجاع الحلق والظهر والنزلات الدائسة ، وإذا طبخت أوراقها مع الباقلاء ، كانت فائدتها الغذائية أكبر ، ويحسن عدم استعمال هذه الأوراق بعد أن تظهر البذور بينها .

### ● السفرجل :

يحتوي على كثير من الأملاح الكلسية والمواد الهضمية وحامض التفاح وفيه ( ٧١٪ ) من الماء و ( ٥٪ ) من البروتين و ( ١٢٫٨ ) من الألياف و ( ٧٫٥ ) من السكر و ( ٣ ) مواد دهنية و ( ١٤٫٩ ) رماد ، و ( ١٣ ) بوتاس و ( ١٩ ) فوسفور و ( ١٩ ) صودا و ( ٢ ) كلور و ( ١٤ ) كلس ومقدار وفير من فيتامينات أ ، ب ، ج ، ب١ وب١٢ وب١٣ للتسكين والتقوية وفتح الشهية ، وعلاج المعدة والكبد وهو يشفي الإسهال المزمن ، ويقوي القلب ، ويفيد المصابين بسل الأمعاء والصدر والنزيف المعدي والمعوي ، وانهايارت الرئة ، ويقوي الهضم والأمعاء ويمنع القيء ، ويفيد الأطفال والشيوخ ، ويشفي من سيلان اللعاب ، ومن الزكام الشديد ، ومن سيلان المهبل ، وفقد الشهية ، والعجز الكبدى .

ومنقومه يفيد أكثر من تناوله ، وإذا أضيف مقدار ملعقة من مسحوق السفرجل إلى كمية من الأرز المسلوق في ٢٥٠ غراماً من الماء أفاد الأطفال المصابين باضطرابات الهضم والمسلولين والتحييلين .

والكبريت واليوتاسيوم والزنك والنحاس والصوديوم والكلور واليود وهو غذاء كامل لذا فان تناول بيضة أو بيضتين صباحاً يمد الجسم بحاجته الغذائية بما يعادل ٣٥٠ غراماً من الحليب أو ٥٠ غراماً من اللحم .

### ● الحليب واللبن :

غذاء حيواني كامل ، ولا حد للفوائد التي يجنيها الانسان منه ويكاد يكون مستحيلاً علينا أن نجد غذاء يماثل الحليب في خصائصه وصفاته ، فهو أساس حياة الانسان والحيوان وعمادها ، فكل الكائنات اللبونة تعتمد على الحليب في حياتها الأولى .

● ولا بد من الاشارة بدور المحقق الأستاذ حسين الحموي ، الذي بذل جهداً مشكوراً في شرح كثير من معاني الكتاب حتى أن هذه الشروح فاقت على مادة الكتاب مرات ٠٠ فمعد صفحات الكتاب الأصلي كما يذكر محقق الكتاب كانت ٦٨ صفحة ، بينما جاء الكتاب المحقق يضم ٣٦٥ صفحة إضافة الى ملحق من اعداد المحقق الشارح يقع في نحو خمسين صفحة تحدث فيه عن قيمة كثير من المواد الغذائية الهامة ٠٠ كالمسل والقهوة والشاي والبابونج والبيض والحليب ٠٠ الخ إضافة الى قائمة بالمراجع ضمت ٥٦ مرجعاً وجعل له فهرساً منفصلاً لسهولة الرجوع الى المادة المطروحة في الكتاب ٠٠ وهذا العمل جعل أيضاً قيمة مضاعفة لكتاب علامتنا الرازي إذ أنه بشروحه الضافية صار قريب المتناول والفهم من جميع المثقفين المعاصرين للاستفادة منه .

دمشق : حسان الكاتب

فيه هي سكاكر سهلة الهضم وهو يقدم لمعضلات الجسم نشاطاً سريعاً وقوياً .

### ● القهوة :

ان ثلاثة فناجين من القهوة يحسنها الانسان في اليوم الواحد ، تعتبر منبهات قوية ، أما ما زاد من ذلك فهو منبه شديد الضرر ولا فائدة منه على الاطلاق وان الاكثار من القهوة يؤدي الى تسهم بطيء يخفف النوم ويزيد الهواجس ويضعف الشهية .

### ● الشاي :

الشاي مادة مغذية ومنشطة اذا تناولها الانسان باعتدال وهي منبهة وخاضرة اذا أفرط بها لأن مادة الشايين الموجودة فيه تشبه الكافيين الموجودة في القهوة منبهة للأعصاب والقلب ومدر للبول وهو يساعد على الهضم بعد الطعام ، وينقي الشاي في دفع العطش ومساعدة الجسم على مقاومة الحر ، هذا ويؤدي الشاي لبعض الأشخاص ذوي الاستعداد للبدانة وتولد العصيات لأنه يسبب لديهم خلا في احتراق الأغذية وبالتالي يسبب تراكم الرمال وترسبها .

### ● البابونج :

ينشط الهضم ويجلب النوم ويخفف الحرارة والتهاب المجاري البولية وينفع الرمد والبثور والحكة والوجع والجرب ويذهب اليرقان ويدبر البول .

### ● البيض :

مادة غذائية هامة تحتوي على الفسفور والحديد والفيتامينات والكلسيوم والبروتين

## □ الحواشي :

- ١ - السعيد : الدقيق الأبيض ، ويقال له السعيد بالدال وهو المادة الأساسية التي تدخل في صناعة الحلوى .
- ٢ - الحواوي : الخبز الأبيض المصنوع من الدقيق المنخول المطوف بشكل جيد وفي القانون لابن سينا ( الطعين الأبيض ) قريب من النشا لكنه أسمن .
- ٣ - الخشكار : ( الخشكر ) هو ما خشن من الدقيق ، وهو كلمة فارسية . والخشكار ( القصري ) ما بقي في المنخل بعد الانتخال . وهو ما نسميه ( التفالة ) . ينفخ في أودام التني .
- ٤ - القطر والمختمر : الخبز القطر هو كل ما أعجلته قبل أوانه في الاختصار والمختمر عكس ذلك تماماً .
- ٥ - البورق : ويقال له ( النظرون ) وهو أقوى من الملح . ولكن ليس له قبض وهي كلمة فارسية وفيل يونانية .
- ٦ - الملة : هنا نوع من الخبز الرقيق الجيد النسيج وفي اللغة موضع الخبزة . كان الأصمعي يقول : لا يقولون أحدهم أكلت ملة ، بل يقول : أكلت خبزة ، وإنما الملة موضع الخبزة .
- ٧ - الطابق : الناس من الخبز يقول صاحب العين ، الخبز الذي قد ذهب طعمه وبطله من شدة الطبخ ، وهو هنا الخبز المدور المرقق الناضج الذي تسميه العامة ( خبز الصاج ) . وقال ابن دريد معاني كثيرة في أنواع الخبز وكذلك صاحب العين .
- ٨ - السكتيجين : وهي كلمة فارسية معربة بمعنى شراب من الطل والصل .
- ٩ - الكرفس : نبات ثنائي حولي من الفصيلة النجمية Ombellifcres أول ما زرع على أنه نبات طبي ثم تحول بعد ذلك إلى نبات غذائي .
- ١٠ - الطبرزد : ويقال له ( الطبرزة ) وهي كلمة فارسية أصلها تبرزد وهو السكر الصلب ولعله المقصود بـ ( السكر نبات ) الذي تستخدمه العامة لتجديد الصوت وترطيب الحنجرة والعلق .
- ١١ - القلت : ربما كان المقصود به ( القلت أو الجت ) وهو نبات يشبه نبات ( الإقاليا ) الذي يسمى ( الشوكة المصرية ) من فصيلة النضائيات ينمو في البلدان الحارة . وإذا كان المقصود به الجت فمن أسماءه ( الفلصمة ، والفصة ، والبرسيم العجائز ، والرطبة ) إذا كانت غضة أما إذا جفت فيطلق عليها اسم ( القلت ) وهي نبات عشبي معمر جذوره تنفرح قليلاً إلا أنها تنمو كثيراً في التربة والسهل : حب بين الشعير والبراد إذا بقي الجرد من قشره . ويقول ابن دريد السلت : هو حب يشبه الشعير أو هو الشعير بعينه .
- ١٢ - الدوقو : نوع من البلود .
- ١٣ - اقراص رقيقة يوضع فيها مسحوق الأدوية .

# الأبواب ومشرق

نادية الفزي

يصل المسافر الآتي من البحر... من نفور بلاد الشام القديمة الى خانق الربوة  
جبل عن يمينه وجبل عن شماله .. نهر .. نهران .. ثلاثة ، بل سبعة  
أنهر كالتعويذة تستهل السهل الفسيح الذي ينبثق فجأة امام نظر المسافر  
الآتي من الغرب ... عن ودة السهل .. ودة كبيرة تبت أنواع عطورها  
الغريبة ، مغترقة سندس البساتين مغترقة جو الشام العلو المدغدغ العالم ،  
المصبوغ بالدم والعرائق على مدى العصور ..

قد تكون دمشق ، هي ( إرم ) .. كما  
ذكر بعض المؤرخين .. ذات العماد .. ذات  
العشرين ألف عمود في أيام آرام ... بل قيل  
في مبالغات وصف صمدنا انها كانت أربعمئة  
ألف عمود .. والله يا دمشق لتبقىين .. فلقد  
قال رسول الله ﷺ :

ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر  
المدن أهلاً .. ولأهلها معقلاً .. وأكثر أيدالاً  
وأكثرها مساجد .. وأكثرها زهاداً ...  
وأكثرها مالا .. وأكثرها رجالاً ... وأقلها  
كفاراً ..

لتقول دمشق على مدى الأجيال ...  
كلمتها الخالدة الدائمة .. ( أهلاً وسهلاً )  
.. دمشق ترحب بكم .. دوماً دمشق ...  
ترحب بكم ...

أهلاً وسهلاً تقول الدمشقية لضيوفها  
حين تفتح باب بيتها .. بل أهلين وسهلين بل  
مئة أهلاً ومئة سهلاً .. تفتح الأبواب مشرعة ،  
ويستقبل الدمشقيون الضيوف فاذا البلدة  
قناديل وفوانيس وصدور ، وتبقى دمشق  
على مر العصور شامخة لا تضربها غائلة من  
الدهر الا رأيناها تشقت وتضر .. وتلبس  
القشيب من عاداتها وألوانها ..

وفي قيل عن قيل عن كعب الأحبار قال:  
يبقى في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا  
أربعين عاماً .

\* \* \*

فلنصمت أمام مدينتنا المقدسة التي  
أحبها الرومان كثيراً وقالوا عنها : دمشق  
الجميلة المقدسة . . . ولنصمت أمام مدينتنا  
المباركة التي ذكر مسجدها العظيم في القرآن  
الكريم . . . فلقد جاء في مقدمة سورة (التين)  
بسم الله الرحمن الرحيم ( والتين والزيتون  
وطور سينين وهذا البلد الأمين ) .

أما البلد الأمين فهو مكة . أما الطور  
فحيث كلم الله موسى عليه السلام . أما  
الزيتون فهو مسجد القدس . أما التين فهو  
مسجد في دمشق . . . ويقال أنهم أدرکوا فيه  
شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد . فما  
أروع أن تثبت نبتة في مقر عبادة . . . وما  
أخضع العبادة في الساحات التي يظلها شجر  
التين . . . وأي ثمر أشهب هو : أنه أشهب من  
العسل .

أما دمشق الصبية . . . دمشق المعرة  
.. دمشق الخرافة .

قبل أن تكون دمشق . . . كانت هناك  
بحيرة واسعة . . . بدأت تجف تدريجياً مع مرور  
الزمن والأحقاب الجيولوجية . . . ولقد جفت  
البحيرة على خمس مراحل جيولوجية حتى بقي  
منها بحيرة المتببة وبحيرة الهيجانة .

وفي الزمن البعيد . . . كان الإنسان القديم  
يسكن الكهوف المحيطة بدمشق . . . وكان  
إنسان نياندرتال قد تركز في التلال الأربع  
التي تحيط بدمشق . . . وكان لمدينة برزة  
شان عظيم ومنها انطلق الإنسان نزولاً إلى

السهل الجاف ليبنى أول حجر في دمشق . .  
أما اليوم فلقد أصبحت برزة حياً من أحياء  
دمشق . . . أصبحت الأم ضلعاً من أضلاع  
وليدتها . . . إنه منطلق الحياة . . . والتطور . . .  
والأضواء . . . هذه الأضواء التي فرضت  
المدنية والتوسع على دمشق . . . فانطلقت  
عبر التاريخ . . . من أسوارها الثلاثة مشكلة  
هيكلاً النجمي الرائع العالي . . . مشكلة شكلاً  
نجمياً خماسياً سداسياً سباعياً . . . يشع ويمضأ،  
يجذب الناظرين في الليل الهادئ . . . أتري  
دمشق زمان كانت أجمل من دمشق الآن ؟

□ الشام :

كان يقال لها . . . أرض بني كتمان . .  
وقد تكون الشام قد سميت لاتجاهها نحو  
الشام أي الشمال بالنسبة لمكة وكلمة (شام)  
حتى في الوقفيات القديمة تعني - بدون  
شك - الشمال وليس اليسار .

وقد تكون قد سميت باسم ( سام بن  
نوح ) واسمه ( شام ) بالعبرية .  
أما دمشق فقد يكون اسمها مشتقاً من  
(DO-MESKOSS) أي مسك مضاعف  
( فالدر ) للتضييف ومسكوس هو المسك .

وقد تكون منسوبة إلى قائد غزاها  
فبناها وهو (DAMASCUS) .

وقد تكون [ دم . شق ] ترمز لدم شق  
الأرض حين قتل قابيل أخاه هابيل .

فاسم دمشق قديم قديم . . . ورد في  
اللوائح الآرامية .

ومن الأقوال في بنائها أن جيرونها . . .  
فمن ؟ وما هو جيرونها ؟  
جيرونها من أبناء سليمان بن داود . . .  
بنته الشياطين . . . وكان الشيطان الذي بناه

قال ابن تبييغ : تغرب الشام .. وتممر الشام .. حتى تكون في الممران كالرمانة ولا يبقى فيها خربة من جبل أو سهل إلا عمرت .. ويفرس فيها من الشجر ما لم يفرس في زمان نوح .. وتبنى فيها القصور الثلاثة في السماء ..

وقيل العكس في بلاد الشام .

ماذا يمكن أن يروى عن دمشق ... كل ما يروى قليل .. قاله أبو هريرة عن رسول الله ﷺ بأن دمشق واحدة من أربع مدائن الجنة وكثيرون لا يستطيعون تفسير اللغز الرباعي للأمور التي ذكرها أبو هريرة عن الرسول إذ قال :

الملائكة أربعة : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل .

واختار الله من النبيين أربعة : إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .

ومن المهاجرين أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

ومن الموالي أربعة : سلمان الفارسي وبلال الأسود وصهيب الرومي وزيد بن حارثة .

ومن النساء أربعة : خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وآسية .

ومن الأهل أربعة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

ومن الليالي أربعة : ليلة القدر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان .

ومن الأيام أربعة : الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء .

يدعى جيرون وهو سقيفة مستطيلة على عمد .. وسقائف على عمد .. وحوله مدينة تطوف بجيرون ( هذا القول لاسحق بن أيوب القرشي ) .

ويقال إن نوحاً بناها حين هبط من السفينة وأشرف على جبل حشمش أي تل حران .. فكانت أول مدينة خطت بعد الطوفان ثم دمشق ..

ومن الممكن أنها إرم ذات العماد .. وليس موضع أكثر حجارة من دمشق ..

ويقال هما جيرون وبريد اللذان كانا أخوين .. ابني سعد بن لقمان بن عاد .. هما اللذان بنياها ويعرف باب جيرون وباب البريد باسميهما ..

ومن الممكن أن يكون (الماذر) . غلام إبراهيم الخليل .. وكان حبشياً وهب له نمرود بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار .. واسم الغلام دمشق . - هو الذي بنى المدينة أو ( بيوراسب ) الملك اليوناني الذي بنى بابل وصور ؟ .

أو دمشق دمشق (DAMASCUS) . غلام الاسكندر ؟ .

وفي كل الأحوال فإن من بنى دمشق واسوارها .. بناها في مواقع الكواكب السبعة . مرجحاً بالكواكب على أبواب دمشق .. فباب كتيان لرحل .. والباب الشرقي للشمس وباب توما للزهرة ... والباب الصغير للمشتري .. وباب الجابية للمريخ .. وباب الفراديس لمطاردة .. وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر ( ابن عساكر ) .

لله در الشام .. هذه الأرض المباركة .

الساعة هي العاشرة ليلاً وكما ورد في التذكرة المسماة بالدر المكنون والجمال المصون من فرائد العلوم لكمال الدين الغزي المتوفي عام ١٢١٤ هـ . قال في وصف الزلزال . . . ولسوف اقتطع من النص لطوله :

رجفت الأرض رجفة مقلقة برياح وعواصف . . . ورعود قواصف . . . فطاشت لها العقول وحصل غاية في الذهول تخلعت السقوف وتشققت الجدران . . . وهدمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس ما ذن دمشق . . . الشرقية والغربية في جامع بني أمية . . . ومنارة العروس ذهب منها شيء يسير . . . ثم رجفت الأرض في اليوم التالي تسقط من الجامع الأموي جداره الشرقي والشمال . . . وسمع لها صوت هائل . . . وبقيت الرجفات والاهتزازات تتوالى ليلاً نهاراً حتى آخر شهر ربيع الأول . . . مات من مات من الأنفس . . . وهدم ما هدم من البيوت . . .

عندئذ فتحت أبواب دمشق كلها . . . وخرج الناس إلى الغلاء انتقاء للزلزال العظيم حتى هدأ . . .

عاد الزلزال مرة أخرى في ربيع الثاني السادس منه . . . بعد صلاة العشاء في الجامع الشريف بنحو ثلث ساعة . . . رجفت الأرض الرجفة العظمى . . . صارت الجبال تمور والأرض تغور . . . والمياه تغور . . . ودام الحال كل الليل . . . تضرع الناس لملائم الفيوب وحارت العقول . . . وطاشت الرجال الفحول . . . وشمل الزلزال كل القرى والمناطق المحيطة حتى حوران وحمص والقل وغيرها (١) . . .

عندئذ وقع سور دمشق من طرف نهر بانياس . . . وسدت الطرق . . .

ومن الشجر أربعة : السدرة والنخلة والتينة والزيتونة . . .

دمشق هي التينة . . . دمشق التي هي من مدائن الجنة . . .

ثياب أهلها خضر . . . هي مدينة الأشجار ومدينة الأنهار . . . هكذا قال كعب الأحبار . . .

ما أصل هذه المدينة ؟ ومتى وجدت ؟ من سكنها ؟ ومن عمرها ؟ كيف عاش أهلها ؟ كيف آمنوا غارات الأعداء المتلاحقة عبر عصور وعصور . كيف استطاعوا حماية مدينتهم . كيف زرعوا أشجار غوطتهم ؟ التي كان يرعى فيها غنم يعقوب عليه السلام ؟

ما سر هذه المدينة التي أشرف عليها عيسى بن مريم عليه السلام . . . فما أن وصل إلى الفوطة ورأى شجرها حتى داخلته الروعة والسكينة فقال : ( يا فوطة ) . . .

وقيل آدم قد خلق من طين الجابية وهجن بهام الجنة . . .

وأسوار دمشق المزروجة وما تبقى من هذه الأسوار الداخلية والأحجار التي تشاهد في أحياء المدينة العتيقة إلى اليوم . . .

وتعلم عن حضارات موغلة في القدم . . . فلنتصور معاً . . . حادثة زلزال دمشق الكبير . . . الذي تعرضت له المدينة بعد سلسلة من الزلازل ضربت كل بلاد الشام إلى انطاكية . . . لم تتأثر دمشق بالزلازل الأولى بقسي سورها كما هو وبقيت أبوابها مغلقة . . . إلى أن حل نهار السادس من ربيع الأول لسنة ١٧٥٩م . . . كانت دمشق آمنة . . . عامرة . . . زاهرة . . . والناس فيها قد آووا إلى بيوتهم هائنين منهم من نام ومنهم من تهيأ للنوم في تلك البيوت الرائعة الجمال . . . كانت



بمقدار وكان لباب النفس خوفاً كبقية  
الأبواب يطل منها الدمشقي على العالم يحذر  
وذاك ٠٠ لقد علمته الأحداث هذا الحذر ٠  
علمه تيمورلنك وهولاكو والصليبيون  
وغيرهم ٠٠

فاذا وثقوا بعد ذلك ملكوك من نفوسهم  
ما شئت ٠٠ وفتحوا أبوابها وشرعوا ٠٠٠  
وهناك العجب العجيب ٠٠ فأهل دمشق  
كمدينتهم ٠٠ كفراديسهم ٠٠ كاشجارهم ٠  
كوردتهم ٠٠ عطاء ٠ عطور ٠ عطور ٠٠٠

وحذر ٠٠ حذر ٠٠ انه منطلق الأبواب  
٠٠ منطلق نفوس أهل مدينة لا يمكن معرفتها  
ومعرفتهم بسهولة ٠  
رمان هم ٠٠ قشور خارجية متساسة ٠  
وعالم داخلي مرسوم ٠٠ ذكي ٠٠ متموج  
٠٠ خير ٠

فلننزل الى دمشق القديمة ٠٠ ولننزل  
حول سورها المموري الكنماني العجري  
الثقيل للقد كانت هناك بداخله دمشق  
صغيرة فيها معبد وقصر ولها أسواق وأحياء  
منفصلة وسوق كبير تحيط به حدائق  
وبساتين ومساكن للطبقات غير الميسورة ٠

كان نمط البيوت الكنمانيه مشابهاً  
لبيوت دمشق القديمة الموجودة حالياً ٠٠ باحة  
في الوسط ٠٠ حولها غرف ٠٠ مدخل في صدر  
الباحة يكون مبطناً على الأهل ٠٠ وقد  
توجد بئر وقد يوجد في البناء طابق آخر ٠  
وسطح مسور يفرش عليه الزبيب والقمح  
والمزونة ٠

بانياس أو نهر ( أبانا ) أو ( باناس )  
هو الذي كان يحده المدينة شمالاً ٠٠ وعلى  
ضفتيه بني السور ٠٠ وتؤكد منطقة ( السبع  
طوالع ) أن كل الشوارع العرضانية محدودة  
بالسور ، مسدودة في نهايتها ٠٠

بقي أهل دمشق ثلاثة أشهر تحت الغيام  
خارج دمشق ٠٠٠

ورغم كل هذا الغراب عمرت الشام من  
جديد ٠٠ عمر الجامع والبيوت وساعدت  
الدولة العثمانية آنذاك في إعادة بناء الجامع  
المعظم ٠

لكن أبواب دمشق وأسوارها لم تكن  
مؤسمة للوقاية من الزلازل فقط كان لها  
شان آخر ٠

وقبل أن يبدأ بتعداد أبواب دمشق  
وذكرها ٠٠ أريد أن ألفت الانتباه الى الأبحاث  
التي تشير الى الأسوار الثلاثة التي تحيط  
بثلاث دمشقات ٠٠ دمشق الكنمانيه ٠٠ ثم  
دمشق الآرامية ٠٠ ثم دمشق الرومانيه  
اليونانيه التي جذدت أبوابها جميعاً من قبل  
المسلمين ٠٠ بل فتحت في أسوارها أبواب  
جديدة أخرى ٠

ولربما كان هذا هو السر ٠٠ الذي  
يفسر وجود بعض الأبواب الضخمة في داخل  
المدينة عدا أبواب العارات والأحياء وأبواب  
الغانات بالذات التي نشاهد في منتصف كل  
منها باباً صغيراً يدعى ( الخوخة ) يفتح  
للداخليين والخارجين ثلاثاً يلجأ الى فتح  
الأبواب الضخمة في كل حين وعلى مسار  
الساعات والدقائق ٠

دمشق مفرمة بالأبواب ٠٠ تغلق  
المدينة أبواب أسوارها لتعفظ السكان من  
المهاجمين وتغلق الأحياء أبوابها ليظل لكل  
حي رجاله وفرسانه وميليشياته (٢) ٠٠٠  
وتغلق أبواب الغانات ليستتب الأمن في  
الليل ٠٠ وتغلق أبواب البيوت لتبقى كل  
أسرة أسرارها في منزل عن الأخرى ٠٠ وتغلق  
الدمشقيون أبواب نفوسهم ٠٠ يفتحونها

وقد تكون من الجرن والحوض ...  
فلقد وجد في منطقة جيرون حوض كما قال  
ياقوت العموي .

من هو جيرون ؟ انه جيرون بن سعد بن  
عاد .. حل بأرض دمشق .. وهو الذي  
جمع عمد الرخام .. وأحضر المرمر .. ثم  
شيد بناء جيرون .. وسماها ( إرم ..  
ذات العماد ) ..

ان دمشق كما قال المسعودي .. هي  
ارم صاحبة قصة جيرون .. وأبوها النحاسية  
المجبية .. وقد يتعارض هذا القول مع  
النقش الذي وجد على حجر في بيت العبادة  
الذي تحول الى المسجد الجامع وكان في النقش  
الكلام التالي :

« بنى هذا المعبد دامتقيوس على اسم  
الالهة اريس » اريس هو نجم المشتري فهل  
دامتقيوس هو الذي بنى المعبد فعلا ؟ أم  
وسمه عن المعبد القديم .. معبد ( حدد ) ..

وفي قيل عن قيل ان منطقة جيرون ،  
الفاخرة لباب الجامع الأموي الشرقي هي من  
بناء سليمان بنتها الشياطين !! وان الشيطان  
الذي بناها يدعى - جيرون - وهي سقفة  
مستطيلة على عمد .. وحولها مدينة دمشق .

وفعلا .. فان الباب الشرقي في معبد  
جوبيتر كان يدعى باب جيرون .. وهو نفسه  
باب الجامع الأموي الآن .. وكلمة جيرون  
تعني باللغة اليونانية الهيكل أو فناء الدار  
وهذا ممكن .

وقد يكون جيرون شيطانا .. لكنه  
شيطان آدمي .. مهندس معمار نابغة في ذلك  
العين .. سميت المنطقة باسمه .

السقفة قد زالت .. وفوارتها المحدثة  
بعد ذلك قد اندثرت .. ولم يسبق الا الدرج

أما الأبواب القديمة فهي :

باب جيرون - باب البريد - باب  
الفراديس الداخلي - باب الخواصين في سوق  
الحرير . وتؤكد الدراسات الحديثة وجود  
مدينة عمورية بسور وأبواب .. تتوالى مع  
الأبواب التي فتحت في الأسوار المحدثة بعد  
ذلك لتكون ما يشبه السلسلة ..

ولنعلم ان العموريين كانوا عربا هاجروا  
من شبه الجزيرة العربية .. وكانوا في البدء  
وثنيين يلجأون الى عبادة الشمس والنجوم .  
وتؤثر عليهم الجهات الأربع المرتبطة مع  
النجوم ..

عمور أو عمورو هي لفظة التدليل  
التي تطلق على كل بلاد الشام .. ولكن الا  
يمكن أن يكون اسم عمر أو عمرو هو اسم  
عمورا نفسه .

العموريون هم الذين بنوا المعبد الذي  
كان يسمى بمعبد ( حدد ) الاله الذي تحول  
وشوهد منقوشا فيها بعد بهيئة البعل  
الأعظم ( بل ) .

ولا بد لمن يزور دمشق القديمة .. من  
أن يلاحظ أزقتها المقطوعة بشكل فجائي عند  
السور العتيق .. وهذا ما يؤكد وجود دمشق  
الكنعانية المسورة .

□ جيرون :

نطقة دمشق هي جيرون .. فلنبدا من  
جيرون .

قد تكون تصغيراً لكلمة فينيقية تعني  
الغريب أو الدخيل المستجير .. كذلك في  
السريانية وما أقرب كلمة ( الجار ) العربية  
من جيرون ..

لو ينطلق الماء منها بثخن ذراع رجل  
عيل كما كان ينطلق .. لو يهبط الماء من  
حولها فكانه شجرة وارفة ولكن من ماء ..  
يا حبذا .. لو تصير درجات معبد  
جوبيتر الخارجية .. مسرعا .. لو يبعث  
تاريخ هذا الباب الرابع .. المختفي تحت  
الأنقاض .

لو نجعل لمقى النوفرة مذاقا فولكلوريا  
خاصا ...

لو موسيقى .. شيء من الماضي .. لو  
تعود أيام جيرون ..

لو تبنى القبة الرخامية التي بنيت عام  
٣٦٩ هـ .

أترانا نحتفل بافتتاح ميساء نافورة  
جديدة كما بنيت في الماضي .. عام ١٦٦ هـ .

وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من  
ربيع الأول عام ١٧٤١ هـ .

ألا نعيد بناء ما سقط منها في صفة  
عام ١٥٧ هـ من جمال تعاكت به ..

ألا نعيد بناءها بعد حريق اللباديين  
ورواق دار العمارة ودار خديجة عام ٦٢٥ هـ  
ش درك يا جيرون المعروفة عام ٥٥٩ هـ بعد  
رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق .

ش أنت يا جيرون المعروفة بغمورك  
وعطورك وفنادقك وملاهيك .

لو لم تكوني جميلة يا جيرون .. لما  
ذكرك ( ابن جبير ) في القرن السادس في  
وصف خاص بك .

أو ما عرفت الفتنة التي وقعت بين  
أنصار الأمويين وأنصار الضعاك بن قيس  
بيوم جيرون ٩ .

الحجري النازل الى المنطقة خلف الجامع الأموي  
.. والا مقهى يدمى قهوة النوفرة تظلمه  
خميسة وتطليه من جنباته .. ويجلس اليه  
رجال يترقرون النراجيل والى جانبهم ..  
فواره جيرون المشهورة .. التي تحولت الى  
بحيرة عادية . مرسوفة بالبورسلين البلدي  
الأزرق .. معاملة بتفصص حديدي .

وأولاد منها يستقون .. وبالماء يلعبون .  
وبالرغم من كل هذا ..

فالمنظر ساهر يأخذ بالآليات .. وباب  
الجامع الأموي الشرقي الخشبي الكبير الذي  
تعرسه نافذتان مسدودتان بالحجر .. يطل  
بجيرون على فواره جيرون .. وعلى ما تبقى  
من باب جيرون بل من أبواب جيرون الثلاثة  
التي تشاهد الى اليوم الباب النصفى سالك  
وبابان جانبيين مردومان بالآتربة حتى ثلاثة  
أرباعهما .

وبائع فلافل يقلي فلافله المشهورة مع  
إذن الظاهر .. أوان خروج الأولاد من  
المدارس يقول بائع الفلافل : جيرون ملك .  
كان ملكا .. وربما كان شيطاناً أيضاً تاريخ  
بأكمله يطل أمامنا في هذه الفسحة الرائعة .  
عمد وأحجار وأبواب ومياه وفوارات .. أسواق  
أسطورية .. وحارات للغرباء .. وفنادق  
في الخيال .. نساء مجهولات الزي رجال  
مجهولون .. بعبير وأفراس وأضاح ..

بائع فلافل .. يقلي فلافله وقت الظهيرة  
ويواكب أبواب دمشق .

اقترح : يا حبذا لو نأتي بواحد من  
فنانينا القديرين .. ينحت لنا فواره جديدة  
.. يصنع تمثالا خرافيا لجيرون .. يجري  
ماء حقيقيا كما لو كان الماء يجري من  
فواره جيرون قادما من بستان العجاجة (٣) .

عمدك الخرافية يا جيرون معقودة  
بالعرض لا بالطول .. وفي المصور الغابرة  
كانت ساحتك تعج بالمنجمين والمشهودين  
ان باب جيرون .. هو ما يسمى اليوم  
بباب النوفرة .

#### □ باب البريد :

ما هو باب البريد ؟  
باب من أبواب دمشق الداخلية ...  
ووفق بعض الآراء فهو باب المدينة الكنماني  
الغربي .. وكانت فيه دار أبي الدرداء .  
وهو في غرب المدينة .. يتألف من ثلاث  
فتحات : الكبيرة في الوسط .. وفتحتان  
جانبيتان .. وهو ثغر دمشق .. حارسها  
وحاميها الأمين .  
مسيكنة دمشق .. دمشق المشانق ..  
دمشق الهدم .

في قرب باب البريد .. في دار هناك .  
وفي عام ١٢٤٧ بعد قرون وقرون من انشاء  
الباب .. قتل سليم باشا والي دمشق ..  
بعد أن هدم عليه العامة المخدع الذي كان  
فيه .. هدموه على رأسه .. فقتل هو ومن  
معه ...

شهد هذا الباب ملايين الناس .. شهد  
طفولة كنعان وآرام وأشور شهد .. يونان  
ورومان وأشوريين وأمويين وعباسيين ...  
شهد فاطميين وسلاجقة وقرامطة وأتابكة  
ومماليك وأيوبيين وعثمانيين وفرنسيين  
وانكليز .. وشهد طفولتنا ..

الباب ليس صامتاً هذا المساء .. انه  
يذكرنا بحادثة وقعت أثناء مذايح دمشق .

يا جيرون ..

يا جيرون المحترقة في فتنة تيمورلنك في  
القرن التاسع .. أكوماً من التراب ظلت ..  
ثم جاء ( كمش-بغا طولو ) نائب قلعة  
دمشق فجعلك مخزناً للخشب .. وكانت تقع  
فيك منكرات .. ووجد فيك قتيل كذلك .  
أهكذا شأن العظماء يا جيرون ؟

كيف ؟ كيف كان لباب جيرون في القرن  
السابع شأن آخر .. فكان سبباً لمناقشات بين  
الفقهاء .. وألفت فيك الرسائل ..  
ثم سد فرحك الشمالي يا جيرون ..  
وزعم أن فيه مزاراً كريماً .. ثم منع المرور  
منه .. لماذا ؟

كيف حصل كل هذا ؟ حتى جاء الأشرف  
( قايت بي ) سنة ٨٩٢ فأمر بهدم مخزن  
الخشب وأعيد فتح بابك ؟ كيف عادوا فاذلوك  
يا جيرون .. وجعلوك مخزن حطب من جديد  
للقرن القريب ؟

أما تزال عتبة بابك الجنوبي داخل دكان  
الى اليوم ؟ وفرحك المهذوم يبين يطلب  
الانقاذ ؟

ايه يا مدخل الاضاحي الرومانية ..  
من هناك كانت تساق .. تتجمع في الأقبية  
حتى تصل الى الباب الجنوبي للمعبد ...  
أقباء معقودة .. وعمد منصوبة يفرق بينها  
عضد محكمة .

يا مدخل المراسم في المعبد الروماني  
عند جيرون .. يا مدخلا ينزل اليه بدرجات  
تحت الأرض .. أوما اكتشفك الخرافي الكاتب  
المجدد حين نزل ما تحت الساعات ليقوم  
ببعض الممارس فوجد تحت الأرض هذا الرواق  
الخرافي .

هذه هي دمشق الصغيرة التي كان يحرسها نهر بانياس .. أبانا .. وكان النهر الثاني يردى Per - Per وتني هذه الكلمة ( الفراشة ) وكانت العرب تدعوه خرخر أو خرخرار .. وغالباً هو يردى وليس نهر الأعوج البعيد عن دمشق .. وكانت المدينة الوسطى .. الآرامية .

بنيت هذه المدينة .. دمشق الآرامية عام ٨٤٣ ق م . حيث شق نهر قنوات .

أما سور دمشق الآرامي .. وهو السور الثاني .. الحلقة الوسطى من أسوار دمشق المتعاقبة فيعود إلى ما بعد ٢٥٠٠ - ١٥٠٠ ق م

ورد ذكر السور الآرامي في نقوش الآشوريين وفي التوراة .  
وقد وردت عبارة هن بولس الرسول في الانجيل .

ولما تمت أيام كثيرة .. تشاور اليهود ليقتلوه .. فلم شاول بمكيدتهم وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهارة وليلاً ليقتلوه . فأخذ التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السور مدلين إياه في سل .

جرت هذه الحادثة عام ٤١ م .

وان المدة التاريخية التي مرت بين بناء السور الآرامي والروماني تعادل خمسمئة ألفاً إلى ألفي عام .

ما هي الأبواب الآرامية ؟

ندور مع السور : نبدأ من باب السلامة - باب توما - زقاق باب توما - التقاطع - تلة الحجارة - الباب الصغير الآرامي - الشارع المستقيم - بين السورين - باب الفراديس الآرامي .

في عصر اليوم التاسع من تموز عام ١٨٦٠ م .. أمر الوالي العثماني بإخراج الرعايا المسجونين من المسلمين .. ليطوفوا في الشوارع وهم مكبلون .. بالقيود أرباباً للشوارع من المسلمين والدروز .. وكان قد نصب المدافع على أبواب الجامع الأموي بحجة الحماية ..

ولما وصل الرجال المقيدون بموكبهم اليائس إلى باب البريد .. ذقون طويلة ثياب مهلهلة .. نظرات حقد .. كان باب البريد ينتظر .. وهجم بضعة من الناس على الغفر فبطشوا بهم .. وخلصوا رفاقهم .. ونادوا بالجهاد ..

ساد الهرج .. وهجم بعض الأوباش المجنولي الهوية على المسيحيين في بيوتهم ومحلاتهم .. فقتلوا الرجال وسبوا الميال .. وهتكوا الأعراض ..

والمؤسف أن أساس الفتنة كان حدثاً تافهاً ..  
فلقد طلبت بعض العقول المثيرة للفتنة من بعض الصبيان أن يرسموا الصليبان على أرض الشوارع .. فأمر الوالي التركي بكس الصليبان .. فقامت الفتنة .

وباب البريد .. واقف .. ثابت .. يرى أولاده .. أولاد دمشق يقتتلون في الفتنة لا يستطيع فعل شيء .. فلقد دخل الشيطان بينهم في ذلك اليوم الصيفي البعيد .  
ان جيرون .. وسقف باب البريد وأعدته قد هدمت .

□ زلزال دمشق الكبير ؟

يمكن اعتبار باب الخواصين .. باباً ثالثاً للمدينة الممورية .. وهو في سوق الحرير . كذلك باب الفراديس الداخلي .

غيرها .. وفتحت أبواب جديدة .. ووجدت  
أبواب قديمة .

في دمشق الغامضة .. وفي سورها الأشد  
غموضاً .. كانت هناك أبواب صغيرة أخرى  
تفتح عند الحاجة إليها .. لكن هذه الأبواب  
اختفت .. ولربما تحول أكثرها إلى أقواس  
داخل البيوت الشامية الممتدة المتوسعة في  
محيط دمشق .

الفرطة .. الفراديس .. النرب ..  
الجابية ....

يا دمشق الغامضة .. يا ذات الأسواق  
البهجة والباشورات والبضائع والدفوف .

يأتيك الناس من كل صوب .. يبيعون  
تحت أسوارك .. وداخل باشورات أبوابك  
يكسبون .. يكتسبون .. ويكتسب أهل  
دمشق على مر العصور السبق التجاري  
الأول .

حين خلدك الماليك يا دمشق .. خلدوا  
أنفسهم فيك .. وحين نقشوا أسماءهم على  
أبوابك .. ظلت أبوابك .. وبقي منهم  
أسماءهم .

\* \* \*

كنت يا دمشق .. مدينة مقدسة ...  
نظيفة .. كل باب من أبوابك كان يحمل  
على كتفه جاماً ومثدنة ..

بعض المآذن كانت أبراج كنائس ..  
وكان عند أبوابك الكبرى حمامات للغرباء ..  
فأنت تحبين النظافة يا ابنة الأنهار السبعة ..  
والأبواب المجهولة المختفية بين العارات  
والأسوار ..

أما الأبواب المتبقية من الأبواب الآرامية  
فهي :

١ - الفراديس ( الممازة الداخلي )  
١٢ م بين الباب المزدوج .

٢ - باب المناخلية ( الفرع الداخلي )  
٨٧٥ م بين طرقي الباب المزدوج .

إنها أبواب الشام القديمة .. أبواب  
الفيحاء التي يقال عنها ( اللماعة ) واللماعة  
هي التي تدعو الركبان إليها .. وهي الشام  
والشامين والشامات .. معناها المطيب أطلق  
اسمها على دمشق من إطلاق المسام على  
الخاص .

□ أبواب دمشق في السور الروماني :

كان لدمشق قبل أن يسكنها العرب ..  
سبعة أبواب .. على السور الروماني : في  
جانبيها الشمالي ثلاثة أبواب .. لأنه أكثر  
الجوانب تحصيناً .. وحوله النهر ..  
والفراديس . أما الأبواب فهي :

١ - الباب الشرقي ( شرقاً ) .

٢ - الباب الكبير ( باب الجابية ) غرباً .

٣ - باب توما .

٤ - باب الجينيق .

٥ - باب الفراديس ( في الشمال ) .

٦ - الباب الصغير .

٧ - باب كيسان ( في الجنوب ) .

ظلت هذه الأبواب على عهدنا .. حتى  
انتهاء الدولة الأموية .. إذ قدم العباسيون  
وهدموا سور دمشق .. بعد ذلك .. جرت  
الترميمات والتغييرات فأعيد فتح أبواب وسد

ما حكاية هذه الأرض المباركة ...  
أرض اذا قسم الخير فلها منه تسعة أعمار  
وجزء لسائر الأرض ؟

— فلنر الى خالد بن الوليد :

ظلت دمشق حلماً في رأس عمر بن الخطاب ... فتابع تغذية الحملة الاسلامية التي أرسلها ( أبو بكر ) بقيادة عمرو بن العاص لفتح بلاد الشام . أما الصديق رضي الله عنه ... فقد توفي قبل انتصار العرب في اليرموك بمشرة أيام واستخلف الخطاب من بعده .

كانت الجيوش الاسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ... ويزيد بن معاوية وشرحبيل بن حسنة ... وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد .

وصل خالد الى ثنية ( العقاب ) في الفوطنة ... تتقدم جيوشه وجعافله المنتصرة راية رسول الله ﷺ السوداء ... التي تسمى ( العقاب ) .

كانت دمشق الرومان ... مغلقة الأبواب ... مسلحة الأسوار في ذلك العام البعيد عام ١٣ - ١٤ هـ . وكان الشهر شهر رجب .

— سار خالد الى دمشق ... حاصر ... طالت أيام الحصار ... وتوالت الرسل بين أبي عبيدة والروم ... والروم لا يقبلون بالتسليم ... وقيل حوصرت دمشق حولا كاملاً وأياماً ... نزل خالد على الباب الشرقي ويزيد بن معاوية على الباب الصغير والجراح على باب الجابية .

وطال انتظار حكام دمشق ... ولم يأت مدد هرقل ... والمسلمون يزدادون قسوة واصراراً ولا يفارقون الأبواب والأسوار .

يدخلك الغريب ... يفتسل ... يفرغ بضاعته ... يشتري أهل دمشق ... يحبون كل جديد ... كل عطر ... يتسمنون ...

لقد بقيت أسواق كثيرة حتى يومنا هذا، منها ... سوقة باب الجابية التي بناها نور الدين عام ٥٦٠ هـ . ومنها سوقة باب الصغير التي تدمى الباشورة الى الان .

أما هذه الأبواب ... فقد جدت بهندسة عربية اسلامية ... عدا الباب الشرقي الروماني الذي لم يتهدم ...

أقواس مخمسة ... نعل حصان ... باب قديم من حجر يقول ... دمشق ترحب بكم .

□ الباب الشرقي :

— سمي بالباب الشرقي لأنه شرق البلد ... وهو أكبر الأبواب ... ارتفاعه الى أول القوس ٢٩٢ سم وعرضه ٢٨٨ سم .

— كان له شان كبير أيام الرومان ... وكان يتألف من ثلاثة أبواب ، سد الكبير وفرغه الجنوبي ... وبقي الباب الشمالي .

— بني أيام Septeme-Sever , Karakalla مثناً سنة قبل المسيح وقليل من المئة الثالثة .

— باب ثابت هو ... وصل الى القرن العشرين كما بناء الرومان .

— لقد دخل منه خالد بن الوليد عند فتح دمشق عنوة وحيلة .

ودخل منه عبدالله بن علي العباسي عند سقوط الدولة الأموية .

— ما هي حكاية ابن الوليد ؟ ما حكاية ( جلق ) الفحاء العليقة الرأس عند قاسيون ؟

الباب الكبير .. ورموا بالحبال .. وعلى  
ظهورهم القرب التي عبروا بها خندقهم ..  
ولا يسمعون الا الليل .

حفيف أذرة بشرية تتحرك في العتمة .  
صوت نقيق ضفادع .. أفراح داخل دمشق  
الرومانية .

ثبتت الحبال جيداً .. وصعد القمعاق  
ومذعور .. ثم لم يدها أحبولة الا وثبتها  
والمكان أحسن مكان في دمشق .

وهل يخترق خالد بن الوليد .. الا  
أصب الحصون .. وأعلى الأسوار ؟

— تسلقوا جميعاً ثم انحدروا .. بعضهم  
يحمي بعضاً .. جند على السور .. وجند  
في الخنادق .. وجند أصبحوا داخل دمشق .

قال ابن الوليد : الله أكبر ..

هللوا .. كبروا : الله أكبر ..

كبر الذين على رأس السور .. فنهذ  
الدمشقيون اليهم .

ونزل خالد .. فقتل البوابين .. وثار  
أهل المدينة .. وفزع الناس .

وحطم ابن الوليد .. بنفسه .. ومن  
معه .. أخلاق الباب الشرقي الروماني  
الكبير .. وفتحوا الباب للفتح العربي  
الاسلامي .

— قيل ان الأبواب الأخرى قد فتحت  
بعد ذلك صلحاً أو خوفاً .

— ربما .. لكن المهم أن الجيوش  
الاسلامية التقت عند ( المقلط ) بأحسة  
القصر هي .. انها اليوم مكان مجهول في  
منتصف سوق مدحت باشا .. الشارع

وكان أبو عبيدة أحب الى سكان دمشق  
والروم من خالد .. لحكمته ولينه وقدرته  
على المفاوضة .. لكن المفاوضة دامت ..  
والمسايسة ازدادت .. وأبواب دمشق بعيدة  
المنال ..

— أما يزيد فشدّ والجراح يفاوض  
وسايس منبأ لسفك الدماء .. وخالد ازداد  
شدة وبقي أكبر الأبواب صامداً في وجه  
خالد بن الوليد .. والكل متفقون .

— الذي حدث في ليلة فتح دمشق ؟

ان ولد للبطريق (١) مولود ...  
فصنّع له (٥) ..

أكل القوم وشربوا .. وغفلوا عن  
مواقعهم .

وخالد يعلم بكل ما يدور داخل الأسوار  
.. خالد لا ينام .. خالد لا ينام .. لا يهيمه  
برد أو مطر .. أو حر .

ولا يخفى عليه .. من أمرهم ..  
شيء .

أعد خالد الحبال وشدّ السلالم ...  
وانتظر اللحظة الحاسمة .

كان القوم يلهون ويشربون .. حين  
تقدم ابن الوليد .. والقمعاق بن عمرو .  
ومذعور بن عدي ...

وكان القائد هو الذي يتقدم .. كان  
خالد في أول الصف .. في رشقة الرمح بعيداً  
عن الخوف .

قال : اذا سمعتم تكبيرنا أيها الجند  
فارقوا البناء .. وانهدوا على الباب .

تسلقوا الباب الأصفر .. ثم ارتقوا



اليونان جعلوا هذه الحبات طلسماً حتى لا يسوس في دمشق القمح ولا الشعير .

أترى ؟ لو ظلت الساعة المائية المقامة عند باب الساعات ( الصاغة ) والتي كان يعرف بها الوقت في كل ساعة من النهار والليل بهندسة مائية عجيبه .. وعلى الساعة حية وخراب وعصافير .. كلما تمت ساعة من الوقت خرجت الحية .. وزقزقت العصافير وسقطت حصاة من قم الغراب في الطست ..

ترى ؟ لو بقيت هذه الساعة .. أكننا عنيينا بساعات الأزهار والنوافيس والعصافير أما ( المسكية ) فقد أطلق عليها اسمها لرائحة المسك التي كانت تملح حين تضاه قناديل وشموع الجامع الأموي ..

وهل من المعقول أن الطلسم التي كانت تصيد العشرات .. كانت فعلاً تردّها عن الجامع ؟

فلما احترق .. احترقت الطلسم .. وعادت العشرات ..

أحقاً يا دمشق السحر .. ؟

وهل يمكننا التخييل .. والمأمون قد وصل من بغداد الى دمشق رقيقاً .. فسمن فيها ..

وهل يمكننا تخيل القبة التي بناها المأمون في ( دير مرّان ) وهو مكان يشرف على الربوة . فإذا الضوء يبلغ ثنية المقاب ( الثنايا ) وجبل الثلج ( الشيخ ) .

□ هلا اتجهنا الآن حول السور الى الباب الصغير ..

وهو أصغر أبواب دمشق .. ارتفاعه ٣٧٣ر٠٠ وعرضه ٢٠٥ر٠٠ وهو الذي

المستقيم .. الشارع الارامي .. شارع السور الكتفاني .. الذي اقترح بأن يسمى شارع الفتح .. فمدحت باشا (٦) لا علاقة له الا بفتح طريق بين الدكاكين التي جثت على خاصرتيه .

- أبو عبيدة في دمشق عام ١٤ هـ .. وكان لدمشق الأمان .. الأمان ..

- ثم وصلت الكارثة مع طاعون دمشق ! - في عام ١٨ هـ اشتملت دمشق به .. ومات الكثيرون .. وصل عمر بن الخطاب الى ( الجابية ) ولم يدخل دمشق .. فالعرف في الأوبئة العظيمة أن يبقى أهل المدينة الموبوءة داخل مدينتهم .. فلا يخرجون .. وأن يبقى من هم خارج المدينة .. فلا يدخلون .

\* \* \*

يا دمشق المسك .. كان مكحول ... اذا أطفئت قناديل الجامع الأموي يمتري من رائحة المسك .. ( المسكية ) (٧)

يا دمشق القناديل ..

يا دمشق الأساطير ..

في أيام الوليد بن عبد الملك .. وحين أمر ببناء المسجد الجامع في موقع الكنيسة .. احتضر البنّاؤون موضعاً .. فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً .. فلم يفتحوه حتى جاء الوليد فأمر بفتحه ففتح الباب بين يديه .. فإذا مغارة فيها تمثال انسان من حجر على فرس من حجارة . في يد التمثال الواحدة : الدرة التي كانت في المحراب تشع كالسراج . ويده الأخرى مقبوضة .. فأمر بها فكسرت فإذا حبة قمح وحبة شعير .. قيل ان حكّام

والغلا وسور المغول • وكواسر الجشا •  
واقاعي خجند • وثعابين ايدكان • وهوام  
خوارزم • وجوارح جرجان • وعقبان  
صفانيان • وضواري حصار شادمان •  
وفوارس فارس • واسود خراسان • الخ •

غلطة ارتكبتها نائب دمشق المغرور  
بالسلطان •• قضت على أعظم مدينة في  
الأرض •••

في أول وقعة قتل من عسكر تيمورلنك  
الفان •• فارسل تيمورلنك يطلب من  
أعيان دمشق رجلا من عقلائهم •• للمصلح •  
فلما وصلت الرسالة اشتور أهل دمشق  
واختاروا ( القاضي تقي الدين بن مصلح  
الحنبلي ) فلقد كان انسانا طلق اللسان  
يمرّف بالتركية وبالأهجمية •

أرخوه من أعلى السور بسرياق ضخمة  
ومعه خمسة أنفس •• فلما رجعوا بمدساعة  
أخبروا الجماعة بتلطف تيمورلنك •  
وبمروفة عن القتال ( قتال دمشق ) لأنها بدت  
الأنبياء وشرح الحنبلي معاسن تيمورلنك •  
فانقسم أهل البلد الى قسمين ، قسم راغب  
بالقتال وقسم راغب عنه •• وكان أكثر أهل  
البلد يرون مخالفة الحنبلي •• لكن رأيه  
غلب في النهاية فأراد أن يفتح باب النصر  
فضمنه من ذلك نائب قلعة دمشق وقال :

تحرّق البلدة اذا فتحنا الباب ••

زاد تيمورلنك من خبثه ودهائه ••  
وطلب ( الطقزات ) وهي عبارة عن تسعة  
أصناف يطلبها اذا أراد الدخول صلحا الى  
مدينة ما •• من مأكول ومشروب وملبس •  
أقنع ابن مفلح الناس فأرسلوا اليه ما  
طلب •

نزل عليه يزيد بن أبي سفيان في حصار  
دمشق •

وفي مقبرته دفن بلال مؤذن الرسول ﷺ  
الذي سكن في داريا •• وعاش وتزوج فيها •  
ومات فيها ••

فوق الباب قوس عربية •• وفوق  
القوس قوس عليها كتابات •• وكان هذا  
الباب مركزا لتجمع الميليشيات الشعبية ••  
ومنتطة تجمع أحداث دمشق •

ومنه دخل تيمورلنك الى دمشق عام  
٨٠٣ هـ •

وصل تيمورلنك •

بجيوشه الصفراء والويشة الحمراء  
وضفائره اللاتعة السوداء •• وعيونه المائلة  
الغامقة شرس هو تيمورلنك •• قاس  
كالهملأ •• وجبار كآسيا •• وظالم كبير  
الظلمات ••

تيمورلنك كان يريد كل شيء ••

لما وصل الى دمشق •• نزل عند سفح  
جبل الثلج •• ( جبل الشيخ ) في قطنا ••

أرسل الى نائب دمشق رسولا للمفاوضة  
الصلحية •• فقتل النائب هذا الرسول قبل  
أن يسمع كلامه •

حدث ذلك في دمشق كما حدث في حلب  
تماما ••

لم يقدر نائباً المدينتين قوة هذا القادم  
الأسفر •• فاعتصم أهل الشام وجيش  
الشام في المدينة •• وأغلقت أبوابها تجاه  
المسكر الأسفر المؤلف من : رجال آسيا  
رجال توران • وأبطال ايران • ونمور  
ترکستان • وفهود الخشان • وصقور الدشت

ثلاثة أيام ٠٠ ودمشق تحترق ٠٠٠  
وتيمورلنك يتفرج ٠٠  
رحل تيمورلنك ٠٠ وعمرت دمشق ٠٠  
من جديد ٠٠

\* \* \*

ولقد اصطدم الفاطميون ٠٠ في أثناء  
فتح دمشق التي دخلوها من منطقة الميدان  
بجناحات الأحداث فيها ٠٠ الذين شكلوا ما  
يشبه المليشيات الشعبية ٠٠ وكان يرأس هذه  
المليشيات شخص ٠٠ اسمه محمد بن عسودا  
٠٠ الذي اتفق مع القرامطة فيما بعد فهزموا  
الفاطميين وقتلوا جمفر بن فلاح والي دمشق ٠٠  
وجعفر بن فلاح هو والي دمشق آنذاك ٠٠  
وقد قتل عام ٣٦٠ هـ ٠ حين وصل القرامطة  
الى دمشق ٠٠ ونصبوا على أسوارها السلام  
٠٠ تملقوا ٠٠ فتقوا الأبواب فصبأ ٠٠  
وأوقفوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن  
سمعت ٠٠

لما وصل القرامطة الى دمشق ٠٠٠  
تجمعوا في الرحبة فجمع جمفر خواصه  
واستشارهم ٠٠ فاجمعوا أن يكون لقاء  
القرامطة في أطراف البرية قبل أن يتمكنوا  
من العمارة ٠٠

ووقعت الواقعة ٠٠ ووجد جمفر قتيلا  
بين الغبار سيما وأنه كان مريضاً ٠

ويقال ان الشخص الذي قتل جمفر  
يدعى أبو محمد محمد الحسن بن أحمد  
القرمطي ( الأعمش ) ٠

أما محمد بن عسودا ٠٠ فقد وصل الى  
جثة جمفر ٠٠ واجتث الرأس ثم صلبه على  
حائط داره ٠

بعد ذلك طلب مالا ٠٠ فدفعه أهل  
دمشق الأفنياء ٠

لم يكتف ٠٠ طلب أكثر ٠٠ فدفع أهل  
دمشق ٠٠ عاد فطلب أكثر ٠٠

وابن مفلح يروح ويجيء ٠٠

طلب منهم الأسلحة فرموها ٠٠

حتى أدرك أن أهل دمشق قد فرغوا من  
كل شيء ٠٠ هدم الخوف ٠

عندئذ ٠٠ طلب تيمورلنك من ابن مفلح  
أن يرسم له أحياء دمشق وحاراتها ٠٠ فاضطر  
ابن مفلح الى رسمها ٠٠ عندئذ قسم تيمورلنك  
المدينة ٠

ونزل أمراء التتار عليها مطالبين  
بالأموال والمتاع ٠٠ وحل البلاء العظيم ٠٠  
ودخل الغازي من الباب الصغير ٠٠ نهت  
البيوت ٠٠ وهدمت الأمراض ٠٠ وسيق  
الذكور ما فوق الخمس سنوات مربوطين  
بالعبال ٠٠

وأشعلت النار في المدينة الغالدة ٠٠

انها من المرات المؤسفة التي رحبت فيها  
دمشق بقدام ما ٠٠ فكان ترحابها خاطئاً ٠٠

قال بهاء الدين البهائي يرثي دمشق  
( المظلومة ) :

لهفي على تلك البروج وحسنتها  
فنت بهن طوارق العدثان

لهفي على وادي دمشق ولطفه  
وتبدال الفزلان بالثيران

وكان يوماً ريحاً حاصفاً ٠٠ ضبباً ٠

طرح الرجال في النار ٠٠ واحترقت  
دمشق حتى سقطت سقوف جامع بني أمية ٠٠

قال الباب :

كنت مغلغاً .. مصفحاً بالعديد ..  
شان كل أبواب دمشق التي تختلف عن أبواب  
القاهرة المغلقة بالجلد .. ترمى الي أن  
الصليبيين أصبحوا على عتبات الأبواب ...  
وأن الفقيه المالكي عبد الرحمن العلحولي  
قد استشهد في ربوة بردى ..

مالت الشمس الى الغروب .. أقبل  
الليل .. أقبل الصمت ..

طلب المتعب راحته .

عاد كل الى مكانه ورقد .. نامت  
الجند والناس .

أهل دمشق ورجالها كانوا على الأسوار  
كلها .. وكانوا قريبين مني ..

العدو كان قريباً جداً .. في منطقة  
القنوات .

وصلت المعونات .. رأيته أنا الباب  
الصغير الغالد .. ورشق العدو بالنشاب  
والأحجار والسهام النارية .. ولم يظهر أحد  
من عساكر دمشق .. كانت الأمور تجري في  
السري .. رجل يصطاد رجلاً .. حتى ظن  
بالمكيذة .

وقد سمعت وصفا لما جرى آخر أيام  
حصار الصليبيين ..

قال : أخرج الناس الصدقات على قدر  
أحوالهم .. جلسوا في الجوامع نساء ورجالا  
وصبياناً نشروا مصحف عثمان .. بكوا  
وتضرعوا ..

وفي الصباح ..

إذا قائد كبير من الصليبيين .. طويل  
الحيية .. يركب حماراً .. وقد علق

فلقد أراد أن يأخذ بثأر أخيه اسحق بن  
عصودا ..

\* \* \*

ولقد ارتبطت معظم الأحداث الشعبية  
والمليشيات بالباب الصغير .. وحتى ما قبل  
ثلاثين عاماً ظلت الأحياء القديمة كالشاغور  
والميدان لها رجالها وزعمائها وشجعانها  
وحمايتها ..

بل أكثر من ذلك .. وبعد المظاهرات  
في حي الميدان والشاغور والصالحية في العصر  
الملوكي كانت تقام استعراضات عسكرية  
للمرافيش .

\* \* \*

بل أكثر من ذلك .. فإن المقاومة  
الحقيقية للأفرنسيين والانكليز .. انطلقت  
من تلك العارات الضيقة المتعرجة الغامضة  
.. من دمشق الحقيقية .. من أبواب دمشق  
الحقيقية .. من دمشق الغريقة في المسك  
والتناديل والليسون والفل ..

يا دمشق الفل .. أما زلت ترجين ؟؟  
أما زلت تذكرين ؟؟

كيف هرب مساجينك أيام العثمانيين في  
الفنطة التي ذكرتها .. هربوا من الباب  
الصغير .. من هربهم ؟؟

حماهم زعماء الأحياء .. ومن زقاق الى  
زقاق .. من بيت الى بيت .. وصلوا الى  
الباب الصغير ثم هربوا الى الفوطه .. ومنها  
الى العالم الواسع ...

\* \* \*

يزوي الباب الصغير حادثة غريبة وقعت  
خلال الحملة الصليبية الثانية على دمشق ..

هذا الأمير الذي لم يبق من ذكره سوى حجر  
بناؤه تربته الذي نقل إلى المتحف الوطني بعد  
هدم القربة ( أثناء شق شارع الثورة ) ..

\* \* \*

يا أبواب دمشق .. يا من شاهدت  
رؤوس القتلى وشعورهم محملة على الجمال  
كل جمل يحمل فارسين .. وراية منشورة ..  
ورؤوساً مدماة لقتلى .. وأهل الشام يفتخون  
الأبواب يصرخون .. يحتفلون بنصرهم ..  
ونصر معين الدين ..

والأسرى مربوطون كل أربعة في حبالة  
مقودة .. مرتزة وتركيولية وسرجندية ..

إنها لوحة من لوحات الهزيمة الصليبية  
.. كان الرومان قد استخدموها حين جروا  
زنبوبيا في روما مكبلة بسلاسل من ذهب ..  
فمنطق الحرب لا يرحم .. غالب  
ومغلوب ..

ولا غالب إلا الله ..

\* \* \*

□ باب توما :

ينسب هذا الباب إلى عظيم من عظماء  
الروم اسمه توما .. وتسميه العرب باب  
توما .. ولقد كانت على بابه كنيسة جعلت  
مسجداً ..

نزل عليه .. يوم فتح دمشق .. عمرو  
ابن العاص .. ودخل منه نور الدين عندما  
فتح دمشق أعاد بناءه الملك ناصر داود ..  
ثم رسمه تنكز ..

في منطقة باب توما دار خالد بن الوليد  
ومسجده .. وفي هذا المسجد كان خالد يصلي  
قبل الفتح ..

التعاويد على رقبته وعلى عنق الحمار ..  
وقد جمع الغيالة .. والكتب .. والرجالة ..

تقدم نحو السور .. والصليبيون من  
خلفه .. وقد شربوا وصلوا للصلاة ...  
للموت .. وركبوا جميعاً إلا من يحفظ  
الغيام ..

وكان يقول : وعدني الله أنني أفتح  
اليوم ..

وفتح أهل دمشق الأبواب .. وخرجوا  
من الباب الصغير .. واستسلموا للموت ..  
وأغاروا وحملوا حملة رجل واحد ..

وإذا بشباب شجاع من أحداث دمشق ..  
يذهب مباشرة إلى الرجل الطويل اللحية ..  
الذي يتقدم الصليبيين .. يخترق هذا الشاب  
الصفوف .. ويضربه في مقتل ويرميه أرضاً ..  
ثم يقتل حماره ثم يأتي شاب آخر فيطيح  
برأس الزعيم الصليبي ..

وحمل الرجال .. وانهزم الفرنج ..  
وتبعهم أهل دمشق إلى الغيام .. حتى حال  
بينهم الليل .. فلما أصبحوا .. وجدوا  
الصليبيين قد أدهروا ..

تري ٠٩ من هو هذا الشاب ٠٩

من هو طربون الحبب الدمشقي ٠٩

من هو هذا القُدائي المجهول ٠٩ لأية  
أسرة كان ينتمي ٠٩ أي أب أنجب ٠٩ وأية  
أم أرخصته ٠٩ لا شك أن له أحماداً إلى الآن  
لا يعرفون عنه شيئاً ولا يدركون شجاعته التي  
كانت عام ٥٤٣ هـ .. هذا الشاب كان من  
آل الدبوسي ..

ولقد دافع أمير دمشق الاتابكي العظيم  
( معين الدين أوتار ) دفاعاً بطولياً خارقاً ..

انه لغز باب السلام المهيمن قرب باب السلام ..

فاسم هذا الباب لم يات عبثا .. أبدا .. لم يات عبثا ..

يعد هذا الباب أجمل أبواب دمشق .. قوسه عربية بديعة .. وقد بناء نور الدين .. ثم تهدم فجدهه الملك الصالح أيوب ... ورمم بعد ذلك حديثا ..

#### □ باب الجابية :

قال أبو هريرة : خلق الله آدم من طين الجابية .. وعجنه بماء الجنة ..

وحين خرج كعب الأحبار من باب الجابية .. ووصل الى الكسوة قال : أما وقوفي على الثنية فلأن البنيان يتصل من باب الجابية حتى يصل اليها ..

نصل الى منطقة باب الجابية ... تستقبلنا عن بعد .. المئذنة الفيروزية (جامع سنان باشا) .. ننحرف الى سوق مدحت باشا .. أول زقاق عن يميننا .. ثم أول زقاق عن يسارنا فإذا .. يبرز .. فجأة .. باب غريب الأطوار .. مطمور في غرابية الهواء الذي تملؤه نثف الصوف .. وأكياس الصوف هنا وهناك .. باب مفروس بين الدكاكين .. يمشي تحته أشخاص لايحفلون به .. يافطات انتخابية ملصقة على أحجاره الأبدية .. أوراق النمي لوجهاء الهي تنمسي الأشخاص .. وتتمسك العجاجة الموغلة في القدم ..

يبكي باب الجابية ..

محاولة لرفع عجلة مرمية هناك !!  
محاولة لزحزحة الباب الغشبي المصنوع

الباب جميل جدا .. له قاعدة من الأحجار الرومانية الضخمة .. وقوسه مخمسة .. وكان أمامه جسر روماني .. اختفى مع الأيام ...

وظل المسجد والمئذنة الى جانبه .. الى عام ١٩٤٠ تقريباً .. حتى رفع المسجد لترميم الطريق .. وتعريضه .. وجاء المهندس ايكوشار فهدم المئذنة بعد ذلك ..

#### □ باب السلامة :

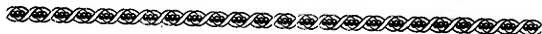
طوله ٤ أراء وعرضه ٢٩٨ سم ..

يسمى باب السلام وهو في شمالي المدينة .. اسم جميل يرمز الى السلام .. ومنه كانت الصمود الفاتكة لأي عدو كان في عملية اختراق المدينة .. فالأشجار الكثيفة .. والأنهار تشكل غابات دفاعية أقسى وأشد صموداً من الأسوار ..

باب السلام باب جميل .. يصل اليه القاصد الى السلامة في طريق عذب يفصله عن النهر خط واحد من الأبنية .. فإذا سكينة مطلقة .. وأصوات الأقدام تسمع على اسمنت العواري النظيفة ..

وهناك في باب السلام .. ( شان الحر ) .. فكان دمشق الحديثة ليست دمشق ... كان شيئاً ما يهيمن على الهي .. شيء من الأمن .. شيء من الاطمئنان ..

أبواب مغلقة لو يفتح أي باب منها .. لو يطل أي انسان .. لو تطل امرأة وتقول أهلاً وسهلاً .. لو تعرف بأحات البيوت .. لو تنقطع أزهار الشام القديمة .. لو عطر النهر يسري .. لو شجرة تين زاهدة هناك .. تنادي .. لو عطر نهر يسري ..



بالحديد ! الباب لا يتحرك... الحديد لا يتحرك...  
الزمان وحده .. هو الذي مشى .. وترك باب  
الجابية .. في هذه الزاوية .

كان هذا الباب هو الباب المقابل للباب  
الشرقي .. قبل أن يتحرف السوق الى وضعه  
الحالي .. وكان له شأن كبير كالباب  
الشرقي تماماً .

باب ثلاثي .. الأوسط كبير .. وحوله  
بابان فرخان .. من كل باب منهما كان ينيق  
سوق يمتد الى داخل المدينة .. وأغرب  
الغرائب أن الباب الأوسط كان للناس ..  
والبابان الجانبيان واحدهما كان لمن يشرق  
بدايته .. والثاني لمن يغرب بدايته .

أي .. وبدقة تامة .. كان نظام السير  
الموحد .. يطبق منذ ألف من السنين ..  
طريق للمجلات الداخلة .. وطريق للمجلات  
الخارجية .. وطريق للبشر .

سد باب الجابية الكبير .. وفرخه  
الصغير الشمالي .. بقي الجنوبي الصغير ..  
فأين ضاع الباب الكبير .. والفرخ الشمالي  
أين !

أمن هذا الباب دخل أبو عبيدة دمشق ؟  
عام ١٤ هـ .

ومن هذا الباب .. كان الانطلاق الى  
الجابية ( أشهر مناطق تجمع القبائل العربية  
في جنوبي الشام .. والجابية اليوم قرب  
( نوى ) في حوران ..

ماذا يريد هذا الباب المتيق أن يتكلم .  
أريد أن يروي لنا قصة قتل الأمير شهاب  
الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين  
أتابك ٩٠

كان ذلك العام .. عام زلازل هائلة ..  
رجت لها بلاد الشام .. من أقصاها الى أدهاها  
ولما دخل شعبان وكان موافقاً شهر نيسان ..  
جاء رعد هائل مختلف من عدة جهات ..  
وانتشر البرق .. ونزلت حبات من البرد ..  
كان وزن الحبة الواحدة منها في الفوطاة والمرج  
ثمانية دراهم .. وقالوا سيمة عشر درهماً .

ومات الطير .. وأتلف الزرع والشجر ..  
وتهمأ الجو المأساوي اذ هلئت ليلة  
الجمعة .. الثالث والعشرين من شوال .

وفي أثناء نوم شهاب الدين في فراشه  
ليلة الجمعة المذكورة .. ولما انتصف الليل  
انقض غلمان شهاب الدين .. وقتلوه ..

كان الأول يدعى : البنش .. حارس  
شهاب الدين الأمين .

والثاني يوسف الغادم .. الذي وثق  
به الأمير في نومه لديه .

والخركاوي .. الفراش الراقص  
حواليه ..

قتلوا الأمير ثم انسلوا في الليل البهيم  
وما درى أحد ..

كشف الأمر في أولى ساعات الصباح ..  
فهرب البنش .. وأمسك بيوسف ..  
والخركاوي ..

أخذوا الى باب الجابية .. وهناك صلبوا  
.. كل منهما في طرف من طرفي الباب ..  
ليكونا عبرة لمن يعتبر . وطعاماً للفرسان  
والنسور .

وظلت الجثتان حتى أمر برفعهما ..  
والباب ساكت .. ودماؤهما المائيك تسيل

أما المغاربة فقد وصلت من ناحية  
( لسؤلة الكبرى ) ( العلبوني ) الى باب  
الجابية وحتى باب الحديد ..

ظلت المناوشات دائرة بين أهل البلد  
والمغاربة وباب الحديد مفتوح على علسم  
الأمير ظالم في دار الاسارة .. فأمر باغلاق  
الباب .. ورتب قوماً على جسر ( باناس )  
للحراسة .. فلما اشتد انهزام الناس ..  
والمغاربة .. ضرب الأمير بيده على فخذة ..  
ثم استدعى رмعه وعبر جسر بانياس وحمل  
على المغاربة .. لكنه انهزم ...

- جاءت المغاربة حتى الفراديس ...

كان هناك أجمل البناء .. وأعلى  
الدور .. وأروع القصور .. وخرجت شرارة  
الحريق الأولى واحترقت دمشق حتى مسجد  
القاضي .

والنار تشتعل .. والمغاربة يهزجون  
باغنياتهم الوحشية .. ويمصرخون صرخات  
الحرب .. ويدخلون دمشق من باب الحديد .

احترق تلك الليلة درب الفقاعين ..  
- درب القصارين - ثم غربت النار مع الريح  
الى مسجد معاوية .. احترقت درب السماق  
- حمام المعجمي - زقاق المشاطين - والقنوات  
واحترقت اللؤلؤتان الكبرى والصغرى .

باب الحديد مفتوح .. العمارة تلتهب  
.. المغاربة يميثون .. دمشق تحترق بأكملها  
.. حتى حجر الذهب ( العسرونية ) احترق  
.. احترق الغرب والشرق والشمال  
والمغاربة والجنوب وقصر حجاج (الهجاجة)  
.. يا للأهوال الكبرى .. للعرائق الكبرى  
.. يا للمجب .

انها نفسها .. التي جمعت دمشق  
تقاوم وتعمر من جديد .

استلم الحكم بعد شهاب الدين ...  
أخوه الأمير جمال الدين اتابك .. فاذا  
مرض يلم به في جمادى الأولى .. وصار  
يثقل ثارة ويغف أخرى .. حتى اشتد به  
المرض .. ووقع اليأس منه الى أن قضى  
نحبه في ليلة الجمعة ..

الغريب ليس هو المرض .. ولا الموت .

الغريب أن الأخ مات في نفس اليوم  
والليلة نفسها .. التي قتل فيها أخوه قبل  
عام وفي الساعة نفسها ..

سار الموكب الجنائزي .. اخترق الحي  
المعروف اليوم بالعمارة .. وحي جيرون .  
اخترق السور القديم .. ثم قطعت الجنازة  
باب الفراديس ليدفن جمال الدين في مقبرة  
الفراديس . ( وقد زالت مقبرة الفراديس  
منذ القديم ) .

### فاين يقع باب الفراديس ؟

انه في القسم الشمالي من المدينة ..  
الباب الذي كان يفتح منطقة العمارة على  
ما كان من فراديس الشام .. يسمى اليوم  
بباب العمارة .. وهو باب مزدوج ...  
الخارجي منه بني بججارة رومانية ضخمة .  
وعلى مقبته كتابة طمست .. وهو من أسوأ  
أبواب المدينة حالا .

هناك نظريات تقول أن هناك عدة  
أبواب فراديس مؤدية الى بعضها بحسب توسع  
المدينة .. باب الحديد - باب عند ستي رقية  
باب الفراديس المزدوج .

□ في باب الحديد :

ظفر المغاربة بالقصارين فاخذوا ثيابهم  
قاتلهم أهل دمشق .. وقالوا النفي .



الواقعة بين البابين ترمي بأكياس الطعين الى الناس .. فيعجن المجانون .. وتوقد الأفران .. وترتفع في الجو الصباحي الباكر رائحة خبز دمشق .. رائحة قمح الشام .

وكان هناك جسر أمام باب الفرج .. كملت عمارته أيام المماليك ٧٣٦ هـ . وكان الباب يخلق كل مساء شأنه . شأن كل الأبواب .

وتبقى دمشق .. سرية .. محفوظة .. آمنة .. مؤمنة ..

أما باب الجينق . فلم تصل الى اليد طرائفه وحوادثه الفاضحة ..

هذه هي الأبواب المفتوحة .. وهناك أبواب كثيرة سدودة أو مزالة منها ... وأهمها

#### □ باب كيسان :

يسبب هذا الباب الى كيسان مولى معاوية على قول ابن عساكر . وقد سده نور الدين وفتح باب الفرج .

وقد جدد فتحه في زمن المماليك ٧٦٥ هـ

وفي عام ١٩٣٩ أقيمت كنيسة على مدخله ( بمساعدة الفرنسيين ) واتخذ من الباب نفسه مدخلا لبعض الكنيسة . فاختفى عن الأنظار .

انه باب له قيمة تاريخية ودينية كبرى وان الحادثة التالية تؤكد قدم هذا الباب لأنها تعود الى عام ٤١ م .

عندما زار القديس بولس دمشق في ذلك العام بعد تجواله في بعض البلاد العربية مدة ثلاث سنوات عاد بعدها الى دمشق .

ايه يا باب الفراديس .. فله تاريخه ومنه عبر كعب الأجبار ومكحول دخولا من قاسيون الى دمشق . العاصمة ذات الجسور الاثني عشر .. فمنذ آلاف السنين ودمشق تركزت على جسورها .. تعبها الناس .. ينظرون في مياه

بردى : فرفار ... وأبنا ... بانياس . ثم بقية الأنهر يزيد وثورا .. والقنوات وغيرها .. ويلشون غد دمشق .

#### □ باب الفرج :

هو باب أحدثه نور الدين .. لم يكن هذا الباب موجوداً من قبل .. أسماء باب الفرج تفاؤلا لما وجد من الفرج لأهل البلد بفتحه ..

إذا لاحظنا أسماء الأبواب الشمالية . فاننا نسمع فيها نفماً : السلامة - الفراديس الفرج - أسماء معطرة آمنة خضراء .. عنى بها العرب الكثير .. وأرادوا الكثير ..

وهذه الأسماء ولا شك .. تعب عن نفسية العربي المستمتع بالطبيعة .. الفارق في تأملات النفس الكبرى ..

الفسرج .. باب مزدوج .. الداخلي على حذاء السور قبل أن يدفع الى ضفة بردى .. مضادته الأولى ذات نقوش عربية مخرومة والثانية اكنتها الدكاكين التالية لمنطقة ( بين السورين ) أمام الباب .. عضادتان .. يقوم عليهما قوس سقطت .. ومن الشرق والغرب .. رسمت زهرة الزينة ( اللوتس ) .. رمز نور الدين الشهيد ( بعض أمراء المماليك ) .. وفي داخله المدرسة النورية في الصباح الباكر .. في دمشق الأيوبية .. كانت طاحونة باب الفرج

دائماً بتقديله ناعم .. وأهل دمشق يعتبرونه  
شهيداً ..

في قبر تحت كنيسة حنانيا .. يوجد  
باب مغلق يؤدي الى سرداب ..

لربما كان هذا السرداب يوصل الى دار  
ما .. ومن بين الدور يصل المتخفي الى منزل  
يوحنا بن أين هذا الباب المجهول .. ؟ أي دار  
هي ؟ لا أحد يدري ..

لقد مر غنم يعقوب .. ورعى في مرج  
الغوطة .. والغوطة مزوج ترابها بدماء  
شهداء أهل الشام .. وهدم الغزاة أيضاً ..

ويا فواكه الشام احلولي .. فبيك  
عصارة الماضي .. بيك سلافة الشهداء ..  
بيك مسك دمشق ..

\* \* \*

حادثه أخرى من كيسان .. يقول

كيسان :

كان يوم أربعماء مستهمل المحرم ...  
والطالع للعالم الجوزاء .. وصل الى ظاهر  
دمشق جيش بقيادة الأمير أسد الدين شيركوه  
.. رسولا من نور الدين صاحب حلب ..  
وخيم العسكر بناحية القصب من مرج دمشق  
( من القصب ) ..

كان عدد العسكر ألفاً ..

وتكررت المراسلات بين الأسوار فلم  
تسفر عن شيء ..

وغلا سمرالاقوات .. لانقطاع الواصلين  
بالغلات من الغوطة .. حتى وصل نور الدين  
بمسكره الى شيركوه .. في صفر .. فخيّم  
بعيون فامرياً عند دومة .. ثم زحف الى

ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود  
ليقتلوه ..

فعلم شامون بمكيدتهم .. وكانوا  
يراقبون الأبواب ليلاً نهاراً ليقتلوه .. فأخذ  
التلاميذ ليلاً وأنزلوه مدلين آياه بسل ..

هذا هو النص القديم .. فماذا تقول  
الحكاية ؟

قبر صغير موجود في حنانيا .. يقال  
له قبر جرجس البواب ..

سمع جرجس بالنصرانية فامن بها ..  
وكان أدري بتنقلات القديس بولس الذي  
تنصر قرب دمشق .. وفي تلك الليلة اجتمع  
رأي اليهود على التخلص من بولس .. وهل  
هناك .. الا القتل من وسيلة .. حوصر  
بولس .. ربما كان في منزل ( يوحنا بن )  
( أو جوداس ) .. ربما كان هناك سرداب  
طويل بين منزل يوحنا وبين منزل حنانيا  
.. فالسور ..

كل شيء ذهب في كتمان العصور ...  
المهم أن القديس بولس وصل الى حنانيا ..

عقد جرجس حبلاً طويلاً .. حول سلة  
من خوص دمشق .. يا خيرزان دمشق المنقذ  
.. في هذا السل تجتمع بولس .. وفيه  
وبمساعدة جرجس البواب وبعض التلاميذ ..  
في ليل كيسان الصامت .. أدلى بولس وهرب  
من اليهود .. حتى طرسوس فأنطاكية ..

النتيجة في الفداء كانت على حساب  
جرجس .. لقد ضحي البواب بنفسه من أجل  
التبشير النصراني وقطع رأسه بعد أن تأكدت  
قصة أسهامه في تأمين هرب بولس ..

وما زال قبره هناك الى اليوم .. مضاماً

ابواب دمشق الغربية .. وكان في موقع سوق  
الأروام في اول سوق الحميدية .

وعندما قرر الوالي الشمالي (شرواني  
باشا ) توسيع سوق الحميدية .. هدم هذا  
الباب العظيم .. وكان ذلك عام ثلاثة وستين  
وثمانمئة ١٨٦٣ م . وفي هذا العام .. منذ  
سنة واحد وعشرون سنة فقط .. هدم هذا  
الباب الذي شهد الفتح السلجوقي الذي كان  
بين عامي ٤٦٨ - ٤٩٠ هـ .

فبعد التخلخل الفاطمي الذي هز البلاد  
هزا .. لم تستطع دمشق أن تصمد أمام  
الفتح السلجوقي التركماني الذي قضى على  
الدولة الفاطمية في دمشق .. ولقد أظهر  
التركمان من الجلاء والفروسة والشجاعة  
العربية ما أدهش الناس في أثناء الحصار .

وكان الظلم قد زاد في الشام أيام  
الفاطميين .. وجلا أهلها عنها .. وخلت  
الغومة من فلاحها .. وارتفعت الأسعار حتى  
أكل الناس بعضهم فعلا .. أكل الناس

ودمشق ما زالت لم تفتح بعد .. دمشق  
الجائعة .. الضعيفة المهزولة .. عندئذ  
عاد ( اسز ) .. السلجوقي التركماني ...  
للمرة الثالثة الى دمشق المعاصرة .. ودخلها  
صلحا بلا مقاومة .. فلم يكن هناك باب  
يقاوم .. أو رجل يقف .. أو امرأة تلد .

في عهد الفوالم .  
كان القمح قد نفذ .. وأصبح سكان  
دمشق ٣٠٠٠ بدل ٥٠٠٠ .. أفناهم الفقر  
والغلاء وبقي خبازان في المدينة .. بعد أن  
كان فيها مئة أو مئتان .

واكلت الكلاب والسنابر والفئران .  
وكان الناس يقفون في الأزقة الضيقة فيأخذون  
المجتازين .. فيذبونهم ويشوونهم ..

البلد من شرقيه .. كان يرسل العيون ..  
ويأتيه الخبر .. حتى كان .. يوم الزحف  
ووقع الطراد بينه وبين عسكر دمشق .. كانت  
الخيول تهمهم .. وقد جن جنون الطراد  
والنزال .. وكل فارس يهيمز فرسه ...  
ويفرس رمحه وبينما هم على هذا الحال ..  
تسلل بعض جند نور الدين الى سور كيسان  
الدباغة .. من قبلي البلد .. وليس على  
السور حارس أو نافع بوق .. لسوء تدبير  
صاحب الأمر ..

وكانت هناك امرأة يهودية تنتظر ..  
فما أن شاهدت عسكر نور الدين حتى أدلت  
اليهم جبلا من سور باب كيسان . فتسلقوه  
وحصلوا على السور ولم يشعر أحد ..

ركض الرجال وقطعوا أخشاب الباب  
الشرقي بغزوسهم .. وكسروا الأغلاق ..  
فدخل منه جند نور الدين ..

ثم فتح باب توما .. ومن هناك دخل  
نور الدين رسمياً مع خواصه ...  
وسر الناس جميعاً .. وزال البأس ..

ربما لغيانة اليهودية .. سد نور الدين  
باب كيسان وفتح باب الفرج .. فلربما  
وقعت الغيانة مرة أخرى من ذلك الحى ..  
عليه لا من أجله هذه المرة ..

في ذلك العام .. ثار في دمشق وباء  
مختلف الحميات .. مات الشيوخ والشبان .  
وعانت دمشق من البلاء .. حتى انحسر عنها  
البلاء .. وكان ذلك في عام ٥٤٩ هـ .

□ باب آخر .. هو باب النصر :

كان باب النصر أو .. باب السرايا ..  
أو باب الجنان .. أو باب السعادة .. أحد

أمن مثذنة الباب الشرقي سوف ينزل عيسى  
عليه السلام ٠٩

وادم خلق من طين الجابية ؟

أغنم يعقوب ترعى في مرج القوطة ؟  
أيبقى الجامع الأموي أربعين عاماً بعد  
خراب الدنيا ٠٩

لم تعد لدمشق الحديثة أبواب

أما أبواب دمشق القديمة ٠٠ فكأنها الآن  
مفتوحة ٠٠ أبواب الأسوار والأبواب الوسطى  
والأبواب الداخلية وأبواب العارات ٠٠ أما  
أبواب نفوس أهل دمشق ٠٠ فيفتحنها  
بقسط كما تفتح الخوخة ٠٠ حتى يشقوا ٠٠  
فاذا وثقوا ٠٠ فآله أكبر ٠٠

\* \* \*

ستظل مدينة الأنهار السبعة قائمة ٠٠  
ستزيد نسب المساء في تشرين الأول ٠٠٠  
وسترضع الينابيع الأزهار في نيسان ٠  
وسبظل أهل دمشق يستقون من مياه  
جبالهم العذبة المخبوءة في مغارات الصواعد  
والنوازل ٠

لن ينزل الآن الملك الأشرف في ظاهر  
دمشق من ناحية القبة ، فيقطع الماء عن  
قلعتها ويسد نهر بانياس ٠٠ لكن يقطع نهر  
القنوات الواصل لى باب الجابية ٠٠  
من أجل الماء خرج عسكر دمشق وقتلوا  
أصحاب الملك الأشرف ٠٠

من أجل المساء والقمح قاتل الرجال  
والنساء حتى أعادوا الماء الى دمشق ٠٠  
وهم دوماً أعادوا بناء ما احترق من  
بلدتهم ٠٠

حتى وصل السلاجقة ٠٠ فعادت دمشق  
فعمرت ٠٠ وعاد أهلها فرجعوا ٠٠ وعادت  
نساؤها فولدن وفتحت الأبواب للجميع ٠

هل رأينا الى بردى ٠٠ فلنتخيله أكبر  
بكثير ٠٠ أعرض بكثير ٠٠ ولنعد الى دمشق  
سنة ١٢٣٥هـ في ولاية درويش باشا العثماني  
انه النهر الذي حمل جثث الفرقي في واقعه  
المزة ٠٠ التي كانت بين درويش باشا والأمير  
بشير ٠

يومها أطلقت عساكر دمشق المدافع  
والزنبركات ٠٠ فهجم الأمير بشير هجمه  
واحدة ٠٠ دكت أسوار دمشق الغربية ٠٠  
فامتلكت الأسوار والأبواب ٠٠

أسر الكثيرون ٠٠ وقطعت رؤوس يومها  
وظل بردى عدة أيام يحمل الفرقي من عسكر  
درويش باشا حتى بلغ عددهم ١٢٠٠ رجل  
بين قتل وجريح ٠

بردى بكى وغسل دماؤه ٠٠ دمشق عادت  
فيحاء رضية ٠٠ يا لجبروتك يا دمشق ٠  
ولنمر على بقية الأبواب عدا :

باب الخضراء - باب الجينيق وقد مرت  
به مرورا - باب العمارة عند مدخل العمارة  
باب المربعة أو المصلية كما تدعى الآن - باب  
الجنان المسدود - باب العديد وقد ذكرته -  
باب ابن اسماعيل عند حارة الغاطب على  
السور الجنوبي ٠

أبواب ٠٠ أبواب ٠٠

البريد وجيرون والغواصين وباب زقاق  
عطاف والقصاصين وباب الشاغور وباب دار  
البطيخ وباب القلعة ٠

\* \* \*

- ودوماً بنوا ما دمره الأعداء ..  
 ودوماً كانوا رضىين في فراديسهم ..  
 ودوماً .. سوف تزهو أشجار الخوطة  
 التي صنعها الإنسان منذ آلاف السنين زرعها  
 .. وستأها وقطفها .. ورعاها شجرة  
 شجرة .. سنبله سنبله .. نبتة نبتة ..
- وتقولون تبقي دمشق تقول أهلاً وسهلاً ..  
 بل أهلاً وسهلاً .. بل مئة أهلاً وسهلاً ..  
 وتبقى لافتتها التاريخية الواسعة كالأقدار ..  
 تقول للجميع بخط عربي أصيل ...  
 أهلاً وسهلاً .. دمشق ترحب بكم ..

★ ★ ★

#### □ الحواشي :

- ١ - وصف زلزال دمشق لكمال الدين الفزي .
- ٢ - الدكتور سهيل زكار .
- ٣ - هو البستان الواقع خلف العلبوني أي « زقاق الجن » وكان تجمع الباصات
- ٤ - بطريك الروم .
- ٥ - احتل به وصنع من أجله الطعام .
- ٦ - الواقع أنه هو الذي شقه بعد أن تراكمت فيه الدكاكين والدور حولها انتظام . ويعتبر الشارع العالي انحرافاً عن الشارع المستقيم خاصة في منطقته الغربية ( باب الجابية ) .
- ٧ - سميت المسكية لانتشار رائحة مسك الجامع الأموي فيها .
- ٨ - هو في المصادر ( قسيس ) لكن حُرِفَتْ منه الفعرة الطائفية .

★ ★ ★

#### □ مراجع البحث :

- خطط الشام ..... للعلامة الاستاذ محمد كرد علي
- تاريخ دمشق ..... لابن عساکر
- مكتشفات لغز تاريخ دمشق القديم ..... للاستاذ عثمان سبانو  
( ادم ذات العماد )
- تاريخ دمشق ..... لابن اللاتسي حققه د. سهيل زكار
- دمشق القديمة : أبراجها ، أسوارها ، أبوابها ..... للدكتور صلاح الدين المنجد
- في رحاب دمشق ..... للاستاذ محمد أحمد دهان
- وصف دمشق ..... للفارس دارفيو Le chevalier d'arvieux

# استدراك على ديوان «ديك الجن»

خير الدين شمسى باشا

(في) أواخر عام ستين وتسعمئة ألف أخرج أديبا حمص الشاعران الأستاذ محي الدين الدرويش رحمه الله ، والأستاذ عبدالمعصين الملوحي مد الله في حياته ، ما عثرا عليه في بطون الكتب من شعر شاعر حمص الذي شهد بتفوقه «أبو نواس» وزاره في منزله تقديرا و إعجابا ، وغرف من بحر «أبو تمام» وحفظ شعره صغيرا ، ذلك هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بـ (ديك الجن) وشرحاه ونشراه ديوانا مرتب القافية . وقالوا في المقدمة :

« ونحن نجد شرفا لنا و اكراما لشاعرنا ، أن يدلنا كل أديب يشمر بقراءة الأدب ، وكل شاعر ، على بيت واحد أو شطر واحد لهذا الشاعر لا يجده في الديوان ، نستطيع ضم ما فاتنا في هذه الطبعة الى طبعات لاحقة . . . ومن أجدر من «ديك الجن» بقراءة الأديباء ونسب اخوان الصفاء ، وهو أول من قرر هذه القراءة حين قال :

بكاك أخ لم تحوهِ بقراءة بلى ان اخوان الصفاء اقارب  
انتهى

و كنت أثناء قراءتي في كتب الأدب أعثر على بعض الأبيات لهذا الشاعر الذي ظلمته الأيام فضاع معظم شعره ، فكنت أنقل ذلك على صفحات الديوان بحسب القافية ، ومنه ما ليس موجودا في الديوان ، وما هو موجود على اختلاف في بعض الألفاظ . وقد أخبرني الصديق الأستاذ عبدالمعصين أن بعض الأديباء مهتم بإخراج ديوان موسع لهذا الشاعر ، فرأيت من المفيد نشر ما عثرت عليه كما قرأته في مصادره ليضاف الى ديوانه . والله الموفق .

١ - روى الشمشاطي في كتابه ( الأنوار ومحاسن الأسمار ) ( نشرته وزارة الاعلام في الكويت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ) في الجزء الأول ص ٣٨٥ في : باب التطير من الأهل والكراهية لها ، لأنها تحمل الطمائن وتشتت الخلان ، وتصيرها كغراب البين ، البيتين التاليين لـ ( ديك الجن ) وأشار المحقق في الحاشية الى أنهما في حاشية الخالدين ( ١٩٥/٢ ) والزهرة ( ٢٥٨ ) :

ما المنايا الا المطايا وما فرّ ق شيء تفريقها الاحبابا  
ظل حاديهم يسوق بقلبي ويرى انه يسوق الركابا

★ ★ ★

٢ - وروى أيضاً في الجزء الثاني ص ٢٧٤ في باب البواشيق الأبيات التالية :  
قال : ولديك الجن من قصيدة :

وخصفا ينتظمن الأرض نظمنا      تنثر فيه حبّات النفوس  
لها في كل معركة ضجّاج      وداهية كداهية البسوس  
وسرب حباريات فوق جلس      أشبهه بمشيخة جلوس  
وفيها :

بطاوية الأجادل او بضاة      معجّمة لداهية شمسوس  
تراها في براها متفصّات      بارؤسها بحس او حيسوس  
فام الطير في شر وعمر      وام الوحش في يوم عبوسوس  
وفيها :

وأحمر مذبح وقرأ وزور      هموس زيارة القرن هموس  
وابيض ما اطمان من الذنابي      الى العاذين كالقصب اللبوس  
واسود لهزم الشيرين جون      وأزرق منسر القنسى نهوس  
واصفر قمة وحجّاج عين      فتعصبه تكعل من وروس  
اذا بلغت سمعت لها زهاء      وجهورة كجهوة القسوس  
كان على القرا ديباج وشي      تكشف من غلالة خندريس  
كان جاجا منها وهاما      اعارتها النفوس يدا عروس

★ ★ ★

٣ - قرأت في ( ثمار القلوب ) للشمالي ( دار نهضة مصر ١٩٦٥ ) ص ٣٣٩ مايلي :

( ثمار النحور ) هي الثدي . من قول مسلم بن الوليد وهو من استماراته الحسنة :

فقطت بإيديها ثمار نحورها      كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع  
وأخذة ( ديك الجن ) الحمصي فقال :

ظلمت بها أجنبي ثمار نحورها      فتوسعتي سباً وأوسعها صبرا  
وأخذة كشاجم فقال :

غذتها نعمة ولذيذ عيش      فانبت صدرها ثمر الشباب  
وما أملح قول ابن المعتز :

لا ورمسان النهود      فوق أغصان القدود  
وقول الصابي من أبيات :

وقال شفاؤه الرمان مما      تضمنه حشاه من السمير  
فقلت له : أصبت بغير قصد      ولكن ذاك رمان الصدور

٤ - وذكر صاحب كتاب ( الأنوار ومحاسن الأشعار ) أيضاً فيما يروي عن  
الغيل ( ج ١ / ص ٣١٧ ) قال :

« ولعبد السلام بن رغبان :

وأحم من أولاد أعوج عجبته      وأظنه للبرق كان حميمما  
متكفئا لو أنه جارى الصبا      شاوآ لبات أديمها محموما  
مستقبلا أعلى الذنرا مستعرضا      بسط القترا مستديرا ملموما  
حرر الأهاب وسيمه بر الأبا      ب كريمه محض النصاب صميما  
ان قيد جارك زينة أو ريش      ريش بنيه أو ريش ريع ظليما  
فارتعت فيها الوحش عن مهجاتها      وجعلته بنفوسهن زميما

وهذا من الكلام الجزل ، الحسن النظام الصحيح الأقسام » .

انتهى

\* \* \*



٥ - وقرأت في كتاب ( ثمار القلوب ) أيضاً ( ص ٢٧ ) ما يلي :

( شمس الله ) عهدي بالأمير السيد أدام الله تأييده ينشدني فانية ( ديك الجن ) من أولها الى آخرها ، وهي فائقة رائقة يزداد حسنها لجريها على لسانه ، وتكتسي شعاراً أنيقاً من عباراته . ومنها :

وصفراوين من جَلَب الأمانسي      إذا جَلِيَّت ومن حَلَب القطافي  
أدرا منها فلکا وشمسا      وشمس الله مسرجة الغلافي

★ ★ ★

٦ - وقرأت في ( ثمار القلوب ) أيضاً ( ص ٦٩ ) ما يلي :

( ديك الجن ) هو عبدالسلام بن رغبان الحمصي : شاعر مقلق في المحدثين . أدرك زمان المتوكل ، حتى قال في قصيدة له :

حتى حسبت أنو شروان من خلعي      وخلت أن نديمي عاشر الغلغا(١)

ولست أعرف سبب تلقيبه بـ ( ديك الجن ) . ويشبه أن يكون قال بيتاً يشتمل على ذكر ديك الجن فلقب بذلك ، كما لقب كثير من الشعراء بأقوال تجري لهم مجرى الشواذ والنوادر . انتهى

٧ - وقال الثعالبي في موضع آخر من ( ثمار القلوب ) ( ص ٤٧٠ ) ما يلي :

( ديك الجن ) يضرب مثلاً للديك النجيب العاذق الكثير السفاذ . ومنه سمي ( ديك الجن ) الشاعر المشهور ، وهو أحد شعراء سيف الدولة بن حمدان . انتهى

★ ★ ★

٨ - وقرأت في كتاب ( خزانة الأدب ) لابن حجة العمري ( دار القاموس الحديث للطباعة والنشر - بيروت ) ص ٧٨ عند ذكر ( التخيير ) في القوالي قوله :

التخيير هو أن يأتي الشاعر بببيت يسوغ فيه أن يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرهما يستدل بتغييرها على حسن اختياره . [ وأورد أمثلة ٠٠٠ ثم قال ] ويمجبنني قول ( ديك الجن ) :

قولي لطيفك ينثنى عن مضجعي عند المنام      الرقاد الهجوع الهجوع الوسن  
فعمسى أنام فتتلفني نار تاجع في العظام      الفؤاد الضلوع الكبود البدن  
جسد- تقلبه الأكف على فراش من سقام      قتاد دموع وقود حزن  
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام      معاد رجوع وجود ثمن

فهذه القوالي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق منها ، والأولى أولى وأرجح . انتهى

★ ★ ★

٩ - وقرأت في الديوان ( ص ٨٦ ) مايلي : وقال يفضل الحب الأخير :

اشرب على وجه العبيب المقبل      وعلى الفم المتبسم المتقبل  
شربا يذكر كل حب آخر      غص ، وينسي كل حب أول  
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى      كهوى جديد أو كوصل مقبل  
ما إن أحسن إلى خراب مقفر      درست معامه كان لم يؤهل

وأشار ناشرا الديوان الأستاذان الدرويش والملوحي ، إلى أن هذه الأبيات في ( معاضرات الأدباء ) - وورد في ( الصناعتين ) قوله ( وهو ديك الجن ) يخالف أبا تمام في قوله :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى      ما الحب إلا للعبيب الأول  
كم منزل في الأرض يالفه الفتى      وحينئذ أبدأ لأول منزل

انتهى

أقول : وجدت في ( ديوان الصبابة ) لابن أبي حجلة المطبوع بخط الامام الشمراني ( رض ) في أواخر شهر ذي القعدة ١٢٧٩ وهو ضمن مجموعة كتب في العشق بمكتبة الدكتور عبدالكريم اليافي ( ص/٣ ) - وهي أيضا في الطبعة اللبنانية لديوان ( الصبابة ) المجلد مع كتاب ( تزيين الأسواق في أخبار العشاق ) من منشورات ( دار : حمد ومحيو ) ص / ٥ : ما يلي :

[ قال في شرح البيت ] :

فيا دارها بالغيف إن مزارها      قريب ولكن دون ذلك أهوال

فان قلت : الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم ؟

قلت : نعم ، في الغمر معنى ليس في المنب ، وأحسن ما في الطاوس الذنب فدع كل صوت بعد صوتي فأنني : أنا الصانع المعكي والآخر الصدى فكم ترك الأول للآخر ، ولا اعتبار بقول الشاعر :

نقل فؤادك . . . . . ( بيتي أبي تمام )

نقد سقط في يده ، وليل في الرد عليه :

افخر بأخر من كلفت بعبه      لا خير في حب العبيب الأول  
أتشكك في أن النبي محمدا      ساد البرية وهو آخر مرسل



وقال (ديك الجن) الحمصي يرد على (حبيب) قوله المتقدم :

كذب الذين تعدثوا أن الهوى لا شك فيه للحييب الأول (٢)  
ما لي أحن إلى خراب مقفر درست معانكه كان لم يؤهل

فقال (حبيب) حين بلغه قول (ديك الجن) المذكور :

كذب الذين تغرصوا في قولهم ما الحب إلا للحييب المقبل  
الطيب في الطعم ما قد ذقت من مأكلي أو طعم ما لم يؤكل

فقال (ديك الجن) أيضا حين بلغه قول (حبيب) هذا :

ارغب عن الحب القديم الأول وعليك بالمستأنف المستقبل  
نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى كهوى جديد أو كوصل مقبل

وقال أبو البرق ، وسلك بينهما جادة الإنصاف ، وبقوله يجب الاعتراف ، لأنه أحسن في المقال حيث قال :

زادوا على المعنى فكل محسن والعق فيه مقالة لم تجهل  
العب للمحبوب ساعة وصل ما الحب فيه لآخر ولأول

انتهى



١٠ - وقرأت في معجم الأدباء ( طبعة دار أحياء التراث العربي - بيروت المطبوعة )  
( ج ١٣ ص ٢٩١ ) هذا البيت :

فما تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في القفل الرقاد

وكتب الشارح ( عبدالخالق ) في العاشية ما يلي :

و كانت في الأصل « ثغرى » ينصب في ثغر القوالي « (٣) »

فأصلحت إلى ما ترى . وقد جهدت أن أعثر عليه في مظانه كشرح المكبري وكتابه  
الإبانة في سرفات المتنبي والوسامة وما شاكل ذلك فلم أجدها . والبيت لديك الجن واسمه  
عبدالسلام ابن رهبان - يفتح الراء - والثقة جمع ثغرة : وهي الثغرة في النحر ، وكل  
ثغرة بين مظمي الثرقوتين . انتهى .

أقول : لعل المحقق لم يخطئ التوفيق في تصحيحه ، ذلك أن البيت ورد في معرض  
( السيوف والرقاب ) عند ذكر بيتي أبي الحسن الناشئ :

قال ياقوت : وحدث الخالع قال : حدثني أبو الحسن الناشئ قال : كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، وأنا ألمي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم ، وهو بعد لم يعرف ولم يلق بالمتنبي فأمليت القصيدة التي أولها :

بأن محمد عرف الصواب وفي آياتهم نزل الكتاب  
وقلت فيها :

كان سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهب  
وصارمه كبيعته بغم مقاصدها من الغلق الرقاب  
فلمسته يكتب هذين البيتين . ومنها أخذ ما أنشدتوني الآن من قوله :

كان الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد  
وقد صفت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد  
قال الخالع : وأصل هذا لأبي تمام :

من كل أذوق نظار بلا نظر إلى المقاتل ما في متنه أودا (٤)  
كانه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد  
وعليه وقع المتنبي : وسبق إلى ذلك ( ديك الجن ) أيضاً في قوله :

فما تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في القفل الرقاد  
[ ثم قال ياقوت ] : وأبيات المتنبي أمثل من الجميع إذا تركت العصبية .

١١ - وقرأت في كتاب ( أبو تمام الطائي تاليف خضر الطائي ) وهو مطبوع في العراق ( ص ٤٢ ) الأبيات التالية على غير ترتيبها في الديوان وعلى اختلاف ببعض الألفاظ :

بها غير معدول فداور خمارها وصل بعشيات الفبوق ابتكارها  
وقم أنت واشرب كاسها غير صاغر ولا تسق الا خمرها وعقارها  
موردة من كف ظبي كانما تناولها من خده فادارها  
فقام يكاد الكاس تحرق كفه من الشمس أم وجنتيه استعارها  
أقول : سقط من المعز لفظة ( من ) ولملأه من خطأ الطابع :  
ففلتنا بأيدينا نلتعج روحها وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها  
فقل من عظيم الوزر كل عظمة إذا ذكرت خاف العفيظان نارها



١٣ - بقافية النون : في الديوان ( ص ١١١ ) :

خذ يا غلام عنان طرفك فاتنه      عني مقد ملك الشمول عناني  
 خذ يا غلام عنان طرفك فاحمه      \* \* \* \* \*  
 في الديوان :      سكران : سكرهوى وسكر مدامة      أنى يُلقيق فتى به سكران  
 \* \* \* \* \*      فمتى      \* \* \* \* \*

\* \* \*

١٤ - قافية الهاء في الديوان ( ص ١١٢/١١٣ ) رثاؤه لجاريته :

- ١ - يا طلعة طلع العِمام عليها      وجنى لها ثمر الردى بيديها
- ٢ - رويت من دماها الثرى ولطالما      روى الهوى شفتي من شفيتها
- ٣ - حكمت سيفي في مجال خفافها      ومدامسي تجري على خديها
- ٤ - فوحق نعليها وما وطىء الحصى      شيء أصز علي من نعليها
- ٥ - ما كان قتلها لأنى لم أكن      أخشى إذا سقط الفجار عليها
- ٦ - لكن ضننت على العيون بحسنها      وانفت من نظر الحسود اليها

قرأتها في ( تزيين الأسواق ) و ( مدامع المشاق ) على اختلاف يسير في ترتيب الأبيات وفي بعض الألفاظ . وفيما يلي البيان :

الترتيب : عند الانطaki وعند مبارك هكذا : الأول ثم الثالث وبعده الثاني فالرابع حتى السادس .

□ الألفاظ :

في البيت الأول : عند الانطaki ومبارك ( فجنى لها )

في البيت الرابع : عند الانطaki ( لما وطىء الحصى )  
 عند مبارك ( وما وطىء الثرى )

في البيت الخامس : عند الانطaki ومبارك ( أبكى إذا سقط  
 الذباب عليها )

في البيت السادس : عند الإنطاكى :

لكن بخلت على الميون بلعظها  
وعند مبارك :

لكن ضنت على الوجود بحسنها  
وانفت من نظر الميون إليها

★ ★ ★

١٥ - وللاديب اللبناني ( رثيف خوري ) رواية ( ديك الجن ، الحب المفترس )  
نشرتها دار المكشوف عام ١٩٤٨ في سلسلة ( أشهر العشاق ) أورد فيها أبياتاً من شعر  
( ديك الجن ) تختلف في بعض ألفاظها عماوردت في الديوان ، نذكرها فيما يلي بحسب  
ترتيب القافية :

قافية السام ص ٢٨ البيت الثالث : قال ذو الجهل قد حلمت

وعند خوري : قال ذو الجهل : لو حلمت

قافية الدال ص ٣٣ البيت الأول : مفارق خُلْتُ من بعد عهد

وعند خوري : مفارق خُلْتُ من بعد عهد

البيت الثاني : بحق الود كيف ظللت بمدي ؟

عند خوري : بحق الود كيف غدوت بمدي ؟

قافية الدال ص ٣٤ البيت الأول : اذا استعبرت في الظلماء وحدي

وعند خوري : « في الظلمات » وهو خطأ

البيت الثاني :

وجدت تنفسي وعلا زفيري وفاضت عبرتي في صحن خدي

عند خوري :

وجدت تنهدي وعلا زفيري وسالت عبرتي من فوق خدي

البيت الخامس : يقول : قتلتها سفها وجهلا

عند خوري : يقول : قتلتها ظلماً وجهلا

البيت السادس : كصياد الطيور له انتحاب

عند خوري : كذباب الطيور له بكاء

قافية الرام ص ٣٩ البيت الرابع : مودة من كف ظبي كانما

عند خوري : مودة من كف ظبي كانه

قافية الرام ص ٤٦ قافية البيت الخامس ( القذرة )

وعند خوري : ( العذرة ) وفسرها بالوسغة الفتنة

ص ٤٧ البيت الرابع : أترك لذة الصهباء عمداً

عند خوري : أترك لذة الصهباء صيرفاً

ص ٥٣ البيت الأول : تكلفن اسماء الغريبة أن يكت

وعند خوري : تكلفن اسماء العزيم اذا بكى

ص ٥٥ البيت الأول : لم تبل عينك أبيضاً في أسود

عند خوري : لم تبك عينك أبيضاً في أسود

ص ٥٦ قافية البيت الثاني ( الدهور )

عند خوري : ( المصور )

ص ٥٧ البيت الثاني :

بابي بذلك بعد صونك للبلبي ورجمت منك صبرت أو لم أصبر

وعند خوري :

بابي بذلك بعد صون للبلبي . . . . .

★ ★ ★

١٦ - ووقفت على البيتين التاليين في كتاب ( المستطرف ) للأبشيبي ( نشر مصطفى

البابي الحلبي ١٣٧١-١٩٥٢/ج٢/٢٠٧ )

ولي كبد حرثي ونفس كأنها بكف عدو ما يريد سراحها

كان على قلبي قطاة تذكرت على فلما ورداً فهزت جناحها

١٧ - في كتاب ( التمثيل والمحاكاة ) لأبي منصور الثعالبي ( نشر ميسى البابي

الحلبي . القاهرة ١٣٨١ هـ ) في ( باب الأمثال السائرة للمولدين ) ( ص ١٠٠ )

هذا البيت ، وهو ليس في الديوان :

سبحان من جعل الآداب في عصب خطك وصيرها غيظاً على عصب



وفي أيضاً ( ص ٩٩ ) :

وشافي النصح يعدل بالأشافي ومن جعل القوام كالغواني

وليس القدير إلا بالأثافي

وفي الديوان ( ص ٦٧ ) :

وشافي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر إلا بالأثافي

وفي ( خاص الخاص ) للشمالي ( دار الحياة بيروت ١٩٦٦ م/ ص ١٢٨ ) :

أبا عثمان معتبة وصيرا وشافي النصح يعدل بالأسافي

وفي ( نهاية الأرب ) للنويري ( المؤسسة المصرية ص ٩٨ ) :

وشافي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر إلا بالأثافي

١٨ - وفي الديوان ( ص ٦٧ ) :

إذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع بالجفاف

وعند الشمالي ( التمثيل والمعاذرة ) ص ١٠٠ وكذلك في نهاية الأرب :

ص ٩٨ :

إذا شجر المودة لم تجده بغيث البر أسرع في الجفاف

وفي ( خاص الخاص ص ١٢٨ ) :

إذا شجر المودة لم تجده سماء البر أسرع في الجفاف

١٩ - وفي الديوان ص ٣٢ :

رقى حتى حسبته ورق الورد جنيها يرف بين الرياح

وفي ( خاص الخاص ص ١٢٨ ) :

رقى حتى حسبته ورق الورد نديا يرف بين الرياح

#### □ الحواشي :

١ - ورد في الديوان ص ٧١ كما يلي :

حتى توهمت نوشروان لسي خولا وحللت أن تدبني عاشر الخلفاء

٢ - ذكر بهذه المناسبة البيت المشهور بمجنون ليلى :

عما جبهها حب الال كمن قبلها وحللت مكانا لم يكن حل سن قبل

٣ - وهي في الديوان : « فتي يلصق في ثغر القياي » وقال ناشراء في الشرح : المعنى : هذا الفتى يالغ الصغار وينصب

فيها انصبابا كما يالغ الذوم العيون وينصب فيها .

٤ - الورد : الامواج .

# ابن البطار

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد

محمد أمين الميداني

□ توطئة :

حفلت كتب التراجم والسير في مكتبة التراث العربي بالحديث عن العلماء والإدباء في شتى الميادين ومختلف المجالات . فكان أن حفلت هذه الكتب أخبار شهرتهم وحوادث علومهم وأمارات نبوغهم ، ودون أصحابها ما ذاع من صيت هؤلاء العلماء والإدباء وما ألفوه ووضعوه من كتب ومجلدات وقد تركوا بصماتهم على أحداث عصرهم شاهدا على ما عرفته تلك العصور من ازدهار وتقدم وتآلق في ميادين المعرفة ومجالات العلوم والآداب والفنون . وجاء المحدثون لينفضوا ما علق على كتب التراث هذه من غبار ويجعلوا ما لف أصحابها من نسيان أو إهمال وليعرفونا على سيرهم وما جادت به قرائعهم وما خطته أقلامهم وما توصلوا إليه من طرق للدراسة ومناهج للبحث والتأليف .

الذي كان حسب رأي ابن أبي أصيبعة<sup>(١)</sup> : « أوجد زمانه وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ومواضع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها »<sup>(٢)</sup> .

وهو بنظر أحد المستشرقين الطبيب العربي الوحيد الذي وقف حياته كلها لدراسة علم النبات<sup>(٣)</sup> .

وكتب التراث العربي ورجالاته قد حظيت بالقدر المقبول من الاهتمام على أن هذه الخطوة لم تكن كافية ولا عادلة فكان نصيب بعضهم من الدراسات والبحوث ووافر الاهتمام بهم وبأعمالهم أكثر من بعض . وانطلاقاً من ذلك جاء مقالنا هذا محاولة متواضعة لتسليط مزيد من الأضواء وللفت انتباه المختصين الى واحد من علماء النبات والأعشاب وهو ابن البطار ،

## ب - رحلاته ومكانته العلمية :

ان العلوم التي وقف عليها ابن البيطار حياته وجه وتقانيه لها كانت دافعا له للانتقال من قطر الى آخر ومن بلد الى بلد .

فبعد أن تلقى هذا العالم علومه الأولى في الأندلس اتجه نحو المشرق حوالي عام ٦١٧-٦١٨ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م - بعد أن سبقه إليها أستاذه أبو العباس حوالي عام ٦١٣-٦١٤ هـ / ١٢١٦-١٢١٧ م (٨) - مارا في البداية ببلدان المغرب العربي ليجتمع هناك بالباحثين في علم النبات والمستغلين به . فكان يجوب الأماكن ليمتحن الأعشاب ويصفها ويذكر فوائدها .

ومن المغرب تابع ابن البيطار طريقه بعد ذلك فزار آسيا الصغرى مارا بمدينة أنطاكية ليصل منها الى سورية ولينتقل بعدها الى مصر، ومنها رحل الى الحجاز، ففزة ، فالقدس، فيبروت ، وقد زار اليونان حسب رواية احمد المستشرقين (٩) .

وقد زادت هذه الرحلات من خبرة هذا العالم في ميدان علم النبات وساعدت على اكتشاف المزيد من الأعشاب . وكما قلنا لم يكن ابن البيطار يالو جهدا في سبيل الاجتماع بالعلماء العرب أينما حل . فكان لقاءه - على سبيل المثال - بنفيس الدين وتاج الدين البلغاري وغيرهم كثير (١٠) .

ولم تقتصر علوم ابن البيطار على النبات والأعشاب بل شملت الطب والصيدلة أيضا ، وفاقت شهرته على جميع الصيادلة في القرون الوسطى (١١) ، حيث كانت له تفاسير لأسماء أدوية كتاب ديستوريدس (١٢) .

## ١ - في التعريف بحياة ابن البيطار :

ان لمحة وجيزة عن حياة هذا العالم العربي وعن رحلاته ومكانته العلمية والمصر الذي عاش فيه ضرورية لأن تجعلنا نتقف على المشوار الذي قطعه قبل أن نتطرق للقسم الثاني من هذه المقالة والذي يبحث في منهج ابن البيطار في الدراسة واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي من كتب ومؤلفات .

## ١ - اسمه ولقبه وتاريخ وفاته :

هو ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد المالقي - نسبة الى مدينة مالقة في الأندلس (١٣) - المعروف بابن البيطار . ولد هذا العالم في الربع الأخير من القرن السادس الهجري (لم يعرف تاريخ ميلاده بالضبط (١٤) ) في مدينة مالقة ، وتلقى تعليمه في مدينة اشبيلية حوالي عام ٦١٧ هـ / ١٢١٩ م ، على أيدي علمائها أبي العباس النبائي ، وعبدالله بن صالح ، وأبي الحجاج .

أما وفاته فكانت في مدينة دمشق في شهر شعبان من عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م .

## مكانته العلمية :

أما في مصر فقد اتصل ابن البيطار بالملك الكامل الأيوبي<sup>(١١)</sup> الذي كان يحكم مصر ودمشق<sup>(١٢)</sup> . واعتد الملك الكامل الأيوبي على هذا العالم في الأدوية والحشائش وجعله مقدماً في أيامه وحظياً عنده<sup>(١٣)</sup>، فسلمه حوالي عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م منصب رئيس العشابين وأصحاب البساتين في الديار المصرية<sup>(١٤)</sup> ، كما جعله رئيساً للأطباء في مصر<sup>(١٥)</sup> . وكان تفاني هذا العالم في خدمة الملك الكامل الأيوبي وأخلاصه لذكراه دافعاً له ليبقى في خدمة ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب<sup>(١٦)</sup> بعد وفاة أبيه ، فكان حظياً مقرباً عنده في الوقت الذي عرف فيه ابن البيطار وذاع صيته واشتهر شهرة عظيمة .

## ج - عصره :

عاش ابن البيطار في عصر عرف باضطراب الأحوال السياسية وتدهور الأوضاع العامة . ففي الأندلس كانت دولة الموحدين على وشك الانهيار ، فحمد الناصر ٥٩٦-٦١١ هـ / ١١٩٩-١٢١٤ م - أحد أحفاد مؤسس دولة الموحدين عبد المؤمن الكومي<sup>(١٧)</sup> - انهزم أمام جيوش الافرنجة وفرّ الى مراكش ، وكان أن سقطت بعدها دولة الموحدين عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م<sup>(١٨)</sup> بعد أن تعاقب على حكمها عدة أمراء لم يفلح أحد منهم في الإبقاء على هذه الدولة .

## أما في العراق فقد كانت الخلافة الإسلامية

تعيش عصب أوقاتها . فالفرس والأتراك يتحكمون بمقائيد الحكم ، ويسيطرون أمور الدولة على حسب أهوائهم . وكان الخلفاء العباسيون المعبود في أيديهم<sup>(١٩)</sup> . وكان الخطر يهدق بالخلافة العباسية منذ أوائل القرن السابع للهجرة . فالمغول بقيادة جنكيز خان استولوا على بخارى وسمرقند وبلخ حوالي عام ٦١٦-٦١٧ هـ / ١٢١٩-١٢٢٠ م ، ولقي المسلمون على أيديهم ضرباً مختلفاً من الذل والهوان والعذاب . وكانت نوايا المغول تتجه نحو غزو العراق الذي اجتاحت جيوشهم بعد معارك مختلفة انقضت بسين كراء وفرّ الى أن بلغوا تخوم بغداد عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م<sup>(٢٠)</sup> ليحاصروها ويضربوها بالمنجنيق وكان أن سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وكان ذلك إيذاناً بزوال الخلافة العباسية .

أما حالة العلم والعلماء فكانت في أعصب أوقاتها . فبعد أن عرفت بغداد ذلك العصر الذي تألقت فيه العلوم والآداب والفنون، حيث كانت حركة الترجمة من لغات الشعوب والأمم المختلفة، على ما حوتها من آداب وعلوم وفلسفات ، الى اللغة العربية على أشدها في ذلك الوقت، وفتحت هذه الحركة أمام علمائنا وأدبائنا آفاقاً جديدة ووضعت بين أيديهم امكانيات هائلة ما كانوا يصلون اليها أو يعرفوها لولا تلك الترجمات الغزيرة، لتجيء بعدها القرائح والأفكار العربية

النبات والصيدلة والطب مبتدئين بشهادة تلميذه فيه .

١ - شهادة ابن أبي أصيبعة في ابن البيطار :

كان ابن أبي أصيبعة صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) تلميذا لابن البيطار ، وقد صحبه في الكشف عن النباتات في منطقة دمشق ، وحدثنا ابن أبي أصيبعة عن اجتماعه بأستاذه وعن أخلاقه ومنهجه في الدراسة والبحث وطريقته في الكشف عن النباتات والأعشاب فقال : « وأول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، ورأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعرافه وجوده أخلاقه ودرايته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النباتات في مواضعه ، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً ، وكنت أحضر عدة<sup>(٢٢)</sup> من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة ، مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والصافي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر جملة ما قاله ديسقوريدس من نعت وصفته وأفعاله وما يتعلق بذلك . ويذكر أيضاً جملاً من أقوال المتأخرين فيه . ومواضع الغلط والاشتباه

فتزيد عليها وتبكر فيها بعد أن تمثلتها ووعتها وشرحتها . بعد ذلك العصر المتألق أصبحت معالم الازدهار والتقدم تضلح وشعلة الحضارة تتلاعب بها رياح الاضطرابات والانقسامات والحروب التي عرفها القرن السابع للهجرة ، الى أن خبت وانطفأت مع استيلاء المغول على بغداد .

أما في الأندلس فإن الحركتين العلمية والأدبية كانتا في أوج الازدهار والتقدم منذ أوائل الحكم الاسلامي فيها وبخاصة أيام الناصر الأموي<sup>(٢٣)</sup> . فقد كان الاهتمام والاعتناء بشتى نواحي العلوم والآداب والفنون جلياً واضحاً ، والآثار العمرانية المتعددة والمتنشرة في أطراف الأندلس شاهدة على هذا الاهتمام ، وذلك الاعتناء . إلا أن هاتين الحركتين سرعان ما أصابهما الضعف مع تعاقب حكم الملوك على الأندلس الى أن سقطت في أيدي الأفرنج عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م<sup>(٢٤)</sup> .

٢ - منهج ابن البيطار في الدراسة والبحث واكتشافاته العلمية وما أغنى به مكتبة التراث العربي :

لعلنا في هذا القسم نبلغ بيت القصيد فنتمتع على ما أسهم به ابن البيطار ، بنموه وتفوقه ومهاراته ، في العلوم التي برع فيها وأضاف إليها المزيد من الاكتشافات مغنياً مكتبة التراث بمؤلفاته ودراساته وبحوثه التي كان لها الأثر البعيد واليد الطولى في تطوير علوم

ما لم يذكره ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتين ما لم يصفاه وأسندت في جميع ذلك الأقوال الى قائلها وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصت بما تم لي به الاستبداً<sup>(٢٥)</sup> وصح لي القول فيه ، وصح عندي الاعتماد عليه .

(الفرض الثاني) صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر ، ادخرته كنزاً سرى وعددت نفسي عن الاستمانة بغيري فيه سوى الله غياً وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والمالمة للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق نبذة ظهرياً وهجرته ملياً وقلت لناقله أو قائله ، لقد جئت شيئاً فرياً ولم أحاب في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتد غيري على صدقه .

(الفرض الثالث) ترك التكرار حسب الامكان الا فيما تس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان .

(الفرض الرابع) تقريب ماأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء ولا تعب .  
(التنبيه الخامس) التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم" أو غلط لمتقدم أو متأخر لاعتماد اكثرهم على الصحف والنقل واعنادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

الذي وقع لبعضهم في نعمته : فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يفادر شيئاً مما فيها ، وأجب من ذلك أيضاً أنه ما كان يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة «<sup>(٢٦)</sup> .

ب - منهجه في الدراسة والبحث :

ان الأسلوب الذي سلكه ابن البيطار في وضع مؤلفاته والطريقة التي اعتمد عليها في بحوثه ودراساته تستحقان كل تقدير واعجاب . وحري بمن يضع مناهج للدراسة والبحث في أيامنا هذه أن يعتد بها لما فيها من براعة ودقة وأمانة علمية . ولترك لابن البيطار نفسه أن يعدثنا عن الأغراض التي توخاها والمهج الذي اتبعه في التأليف حين أخرج كتابه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) .

كتب ابن البيطار في مقدمة كتابه هذا : (الفرض الأول) بهذا الكتاب استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار عند الاحتياج اليها في ليل كان أو نهار ، مضافاً الى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصه وكذا فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية

أن بلغت انتباه الباحثين والمختصين وأن تترجم كتاباته ومؤلفاته لتكون في متناول كل طالب للعلم وكل مجتهد للدراسة والبحث .

ج - اكتشافاته العلمية :

لقد أسهم ابن البيطار في مجالي النبات والصيدلة باكتشافاته العلمية البارزة سواء من طريق العثور على نباتات جديدة أثناء تجواله ورحلاته ذاكراً خواصها وفوائدها الطبية ، أم بالشروح والملاحظات التي دونها فيما يتعلق بتخزين النباتات المختلفة وحفظها وبمؤلفاته الهامة في علم الأبرياذين .

١ - ففي ميدان حفظ النباتات وتخزينها: كان ابن البيطار : « أول من شرح تأثير التخزين والحفظ على المواد الفعالة والمكونات الغذائية الموجودة في النبات » (٢٩) : مما سمح فيما بعد بوضع « الأسس العلمية لحفظ وتخزين النباتات الطبية والفطرية ، بالإضافة الى الجيوب أمثال الحنطة وغيرها » (٣٠) . وبذلك سبق هذا العالم بشروحه الدراسات الحديثة التي اعتمدت أصلاً على مؤلفاته ومؤلفات غيره من العلماء العرب لوضع الأصول التي ساعدت على حسن تخزين وحفظ مختلف أنواع النباتات والحبوب لنصل الى ما نعرفه اليوم من أسس وطرق للحفظ والتعليب .

٢ - أما عن عثوره على نباتات جديدة : فيكون من الاطالة أن نعدد كل ما عثر عليه

(الفرض السادس) في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات مع أنه لم أذكر فيه ترجمة دواء الا وفيه منفعة مذكورة أو تجسرة مشهورة » (٣١) .

ومن هذه المقدمة نلاحظ أن أسلوب ابن البيطار في وضعه لمؤلفاته كان البدء بالتعريف باسم احد الأدوية ثم اعطاء عدة مرادفات لهذا الدواء مع العودة الى ما كتبه العالم اليوناني ديسقوريدس وكذلك العالم جالينوس فيما يختص هذا الدواء ومن ثم يستشهد ابن البيطار بالمحدثين من العلماء العرب في أيامه وبالدرجة الاولى الخافقي واسحاق بن عمران والدينوري (٣٢) كما عرفنا ذلك من شهادة ابن أبي أصيبعة .

وكان ابن البيطار يعتمد على الخبرة والتجربة ولا يتردد عن نبذ ما يراه مخالفاً لما شاهده ولمسه بعد الخبرة والتجربة مع الدقة في النقل وعدم التكرار حرصاً في الوقت نفسه على حسن الترتيب على حروف المعجم مع التنبية على كل وهم أو غلط ارتكبه أحد من الأقدمين او المحدثين مبدئاً رأيه في حال وجود تناقضات او اختلافات بين العلماء المختصين (٣٣) محتفظاً لكل دواء باسمه الذي يعرف في موضع نباته مترجماً له ان كان فيه منفعة أو فائدة. وفي هذا كل الصدق والأمانة العلمية اللتين يجب أن يتحلى بهما كل باحث أو دارس ، وهكذا كان حال ابن البيطار الذي وضع منهجاً فريداً في البحث وطريقة مثلى للدراسة فاستحق

فلوز البربر اسم بربري لأحد النباتات الذي احتفظ به ابن البيطار حين وضع مؤلفه المشهور (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) (٢٥٠) . وفي ذلك ما يدل على الدقة والأمانة العلمية اللتين تحدثنا عنهما أثناء تعرضنا لطريقته في البحث والتأليف .

ومن النباتات التي جاء ابن البيطار على ذكرها والموجودة في مناطق (مصر) هناك العديد المعروف منها في أيامنا هذه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : البامية ، الترس ، الشام ، الطرخون ، الهليون (٢٦) .

أما عن النباتات الجديدة، ففي خلال تجواله بالقرب من مدينة قسنطينة (الجزائر) ، قطف ابن البيطار لأول مرة نبات Le PYRETHRE أو ما يسمى بفرديب . وفي تونس عثر على نبات Le TAFRAIT ، أو ما يسمى بالعريسة دلدغ (٢٧) . وفي ليبيا دون ملاحظاته لأول مرة عن نبات L'OUCHCHAR (٢٨) . هذا عن رحلته في بلدان المغرب (٢٩) ، أما في بلدان المشرق فقد قطف ابن البيطار في غزة La PASSERINE أو ما يسمى بحشيشة المصنور ، وفي القدس قطف Le COIX LACRYMAJOB ، وفي لبنان Le DAPHNOIDES ، وفي أنطاكية L'HIPPOHÆ أو ما يسمى بشولة الصبار (٣٠) .

أما مؤلفاته الهامة في علم الأقرباذين فسنفرد لها فقرة خاصة ألا أننا نشير سلفاً إلى الطريقة

إبن البيطار أثناء تجواله وتنقلاته بين قطر وآخر، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض النباتات سواء المعروفة منها في أيامنا هذه لدى عامة الناس، أو تلك التي هي أقل تداولاً ومعرفة مشيرين في الوقت نفسه إلى ظاهرة جد هامة في طريقة التدوين التي اتبعها ابن البيطار لأسماء النباتات ألا وهي احتفاظه بالأسماء البربرية للنباتات التي وجدها وقطفها (٣١) ، فعلى سبيل المثال نبات Argan أو (أرجان) وهو ما يعرف ثمره في بلدان المغرب باسم (لوز البربر) . فقد كتب ابن البيطار عن هذا النبات ما نصه : « (لوز البربر) ابن رضوان (٣٢) هو ثمر شبيه بصغير البلوط أصفر اللون في أحد جوانبه ثقب غير نافذة إلى داخله ودخله شبيه بحب الصنوبر يجلب من شجر كبار بالمغرب الأقصى حار يابس للبطن ودعنه ينفع من الطرش القديم ووجع الأذن نفعاً يئناً والشرية منه التي تسمى البطن نصف درهم . لي هذا (٣٣) هو الهرجان والبربر بالمغرب الأقصى يسمونه أرجان وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى بقبيلة مراكش ببلاد حاحا وركراكا كثير الشوك حديدته يمنع شوكه من الوصول إلى جني ثمرته ويستخرج من ثمرته دهن بأن تمطى ثمرته المز أو الإبل تاكله عند نضجه على شجره ، فإذا أكلته ورمت بنواه من بطونها فيحتمل يلقطونه ويكسرونه كاللوز يأخذون لبه فيطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن يتأدم به وهو عندهم من أفضل الأدهان وأرفعها ويسمى زيت الأركان (٣٤) .



وتحريرها ومنافعها مبينة الصحيح منها وما وقع  
الاشتباه فيها .

ولقد ذكرنا في معرض حديثنا عن منهجه  
في الدراسة والبحث الأغراض التي توخاها حين  
وضع مؤلفه هذا ، وحسبنا أن تشير هنا إلى  
شهادة ابن أبي أصيبعة - الذي كان كتابه  
(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) أعظم الكتب  
وأوفاهها في تراجم الأطباء العرب<sup>(١٢)</sup> - فقد  
قال : « لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجلّ  
ولا أجود منه »<sup>(١٣)</sup> ، ذاكراً أن ابن البيطار قد  
صنف كتابه هذا للملك الصالح نجم الدين أيوب  
حين كان مقيماً في مصر<sup>(١٤)</sup> .

لقد كان المرجع الأساسي لكتاب (الجامع  
لمفردات الأدوية والأغذية) حسب رواية  
الدكتور مايرهوف<sup>(١٥)</sup> - كتاب أحمد الفافسي  
المتوفى سنة خمسائة وخمسين هجرية .

طبع هذا الكتاب في القاهرة (بولاق) سنة  
١٣٩١ هـ - ١٨٧٤ م في أربعة أجزاء وقد  
ترجمه إلى اللغة الفرنسية الدكتور لوسيان لوكليير  
Lucien LECLERC وساحت هذه الترجمة  
بالقيام بأبحاث عديدة في علم الأقرباذين عند  
العرب . وقد قام ابن منظور صاحب (لسان  
العرب) بوضع مختصر لكتاب ابن البيطار ،  
وهذا المختصر موجود في الخزانة التيمورية<sup>(١٦)</sup> .

٢ - ومن كتب المشهورة أيضاً كتاب  
(المنفي في الأدوية المفردة)<sup>(١٧)</sup> ، وهو مرتب

التي انتهجها ابن البيطار وأمثاله من العلماء  
العرب في وضعهم لكتب العقاقير من شرح  
للمترادفات اليونانية والعربية واللاتينية مما  
جعل علماء الغرب أمثال سيمون دي كوردو  
Simon DE CORDO يحذون حذوهم فيما  
بعد في وضعهم لمعاجمهم ومؤلفاتهم<sup>(١٨)</sup> .

#### د - كتبه ومؤلفاته :

لقد كان حصيلة ما تركه ابن البيطار من  
كتب ومؤلفات دليلاً واضحاً وبرهاناً جلياً على  
تفوق هذا العالم ونبوغه في مجالات النبات  
والطب والصيدلة مما جعله يرقى إلى مصاف كبار  
علماء المسلمين الذين أغوا المكتبتين العربية  
والاسلامية بالبحوث والدراسات والمجلدات ،  
وان لم نفلح نحن أحفاد أو تلك العلماء باستغلال  
ذلك الرصيد الهائل من المعرفة والعلوم تاركين  
لأوروبا أن تستفيد منه وتستغله في بناء  
حضارتها ومجدها العلمي ، فحريّ بنا اليوم  
أن نولي هذه الثروة العلمية اهتمامنا ونكرس  
لها من وقتنا ما يعيد إليها بريقها ولعانها بالبحث  
والدراسة والتنقيب .

أما ما عرفناه من كتب ابن البيطار  
ومؤلفاته فهي :

١ - كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية :

هذا الكتاب من أشهر كتب ابن البيطار  
عمد فيه إلى ذكر الأدوية المفردة وأسائها

الفصل العشرون : يحوي على الأدوية الأكثر استعمالاً في الطب<sup>(٥٠)</sup> .

ولم يكتب ابن البيطار في كتابه هذا بذكر الأدوية بل أدلى برأيه فيها بعد أن أخضعها للتجربة والملاحظة . فمثلاً مما ذكره عن مرض الجدري . أنه حالماً تظهر البقع عند الطفل يجب أن ندلك له باطن القدم بالحنة مما يجنبه - حسبنا لاحظ ابن البيطار - أن تظهر مثل هذه البقع على العيون<sup>(٥١)</sup> .

وقد لاحظ لوكثير أن (المغني في الأدوية المفردة) كان معتدلاً في التفاصيل المتعلقة بعلم الأمراض على خلاف تلك المتعلقة بالتاريخ الطبي وفي هذا النطاق نجد عدة وقائع لا نجدها في كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)<sup>(٥٢)</sup> .

ولا يزال كتاب (المغني في الأدوية المفردة) مخطوطة<sup>(٥٣)</sup> ، وقد ساعد هذا الكتاب على التعرف على حياة ابن البيطار<sup>(٥٤)</sup> . وقد أهدى هذا العالم كتابه المغني للملك الصالح نجم الدين أيوب<sup>(٥٥)</sup> .

٣ - كتاب (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) : والمنهاج هو كتاب ابن جرّولة<sup>(٥٦)</sup> (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) - مخطوط - وقد رتب ابن جرّولة على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية<sup>(٥٧)</sup> . وفي كتابه (الإنبابة والإعلام بما في المنهاج من

بحسب مداواة الأعضاء ، وقد استعمله ابن الشوَيْدِي<sup>(٥٨)</sup> - تلميذ ابن البيطار - لتأليف كتابه (السمات في أسماء النبات)<sup>(٥٩)</sup> .

لقد ألف ابن البيطار كتابه هذا بعد أن كتب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) مما أتاح لهذا العالم أن يضيف عدداً لا بأس به من الوثائق الجديدة في كتابه المغني ، الذي ينقسم إلى عشرين فصلاً يحوي كل واحد منه على الأدوية النافعة لمعالجة مرض من الأمراض ، فعلى سبيل المثال :

الفصل الأول : يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الرأس .

الفصل الثاني: يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض الأذن .

الفصل الثالث: يحوي على الأدوية المتعلقة بمعالجة أمراض العيون .

أما الفصول الأربعة الأخيرة من هذا الكتاب القِيم فهي :

الفصل السابع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة للتجميل .

الفصل الثامن عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد الحرارة أو فساد الجو .

الفصل التاسع عشر : يحوي على الأدوية المستعملة ضد السموم .

العالم الإسلامي ابن البيطار ، الذي شملت علومه واختصاصاته مجالات النبات والصيدلة والطب ، وإن كنا قد أغفلنا من ذكر أخباره أو كبير قدره وسعة اطلاعه وعلومه وعظيم تفوقه ونبوغه فعدزنا أنها محاولة متواضعة أردنا منها أن نلفت انتباه اخواننا المشتغلين والمتخصصين في علوم ابن البيطار لعل ما بقي من كنه المخطوطة أو المطبوعة - وما أندرها - يلقى الاهتمام للترغيب للطبع والشرح والتعليق ، فمهما تعاقبت القرون والسنين على كتب التراث فإن قيمتها لا تنضب وبريقها لا يتلاشى وبخاصة ما جاء به نبوغ ابن البيطار وذكاؤه ، فما قامت عليه علوم الصيدلة والنبات قد بني على هذه الكتب وعلى غيرها من مؤلفات العلماء العرب والتي لها علينا ولأصحابها الحق كل الحق بالحفظ والإشادة والتذكير .

الخلل والأوهام) عمد ابن البيطار الى شرح أدوية كتاب ديسقوريدس<sup>(٤٩)</sup> .

٤ - كتاب (ميزان الطبيب) ولا يزال مخطوط<sup>(٥٠)</sup> .

٥ - كتاب (الأفعال الغريبة والخواص المجيبة)<sup>(٥١)</sup> .

٦ - (رسالة في الأقضية والأدوية)<sup>(٥٢)</sup> .

٧ - (مقالة في الليمون وشرابه ومنافع)<sup>(٥٣)</sup> .

٨ - كتاب (جامع المنافع البدنية في طب البرية)<sup>(٥٤)</sup> .

٩ - (رسالة في تدوي السموم)<sup>(٥٥)</sup> .

□ الغاتمة :

وبعد ، فهذا غيض من فيض لما احتوته مكتبة التراث العربي ، وما كتبه المستشرقون عن

★ ★ ★

□ هوامش :

- ١ - هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن بونس الغرزي : طبيب مؤرخ ولد في مدينة دمشق عمام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٠ م . سليل عائلة خرجت عدة أطباء . أقام في مدينة دمشق وتولى بصرخد - المعروفة اليوم بصلخد - ( حران ) عام ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م . له عدة مؤلفات أشهرها ( ميون الأنباء في طبقات الأطباء ) . راجع الأعلام لغير الدين الزركلي منشورات مطبعة كوستانسوماس وشركاء . القاهرة : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م . الطبعة الثانية ج ١ ص ( ١٨٨ - ١٨٩ ) . والموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية الطبعة الثانية منشورات : E. J. BRILL LEYDE - G. - P. MAISONNEUVE et LAROSE S. A. PARIS 1971

الجزء الثالث ص ( ٧١٥ - ٧١٦ ) .

- ٢ - ابن أبي أصيبعة . ميون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر ص ( ٦٠١ ) . شرح وتعليق الدكتور نزار رضا . منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م .

- ٣ - لوسيان لوكلير : دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . - مقالة منشورة في المجلة الأسبوعية الصادرة باللغة الفرنسية ص ( ٤٣٧ ) . شهر حزيران من عام ١٩٦٦ م .

LECLERC lucien « Etude Historique et Philologiques sur EBN BEITAR » , Journal Asiatique. Juin 1962, p. 497.

٤ - جلال مظهر . اثر العرب في الحضارة الأوروبية . منشورات دار الرائد بيروت ١٩٦٧ م . ص ( ٢٧٣ ) .

٥ - ديسقوريدس : طبيب يوناني ولد في عين زوبة في آسيا الصغرى في القرن الاول بعد الميلاد .

٦ - معلقة - حسب ما اخرجها ياقوت الحموي في معجم البلدان - منشورات دار صادر بيروت ١٩٧٧ م . الجزء الخامس ص ( ٤٣ ) :  
« مدينة بالاندلس عامرة من اعمال ريشة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والقرية » .

٧ - هناك من المستشرقين من ذكر ان ولادة هذا العالم كانت في عام ١١٤٧ م . الا ان الدكتور لوكلير لم يعتمد هذا الرأي .  
راجع لوسيان لوكلير . تاريخ الطب العربي . منشورات برث فرانكلين - نيويورك ١٨٧٦ م . الجزء الثاني ص ( ٢٢٥ ) .

LECLERC lucien. Histoire de la médecine arabe. Editions Burt Franklin, N.Y. 1876. Tome II, p. 225.

٨ - المرجع السابق ص ( ٢٢٦ ) .

٩ - ريشة ياسية . الاسماء البربرية للنباتات في الجامع لفردات الادوية والاغذية لابن البيطار . في مجلة الجمعية الاسيوية الايطالية . لعام ١٨٩٩ م . ص ( ٥٣ ) .

BASSET René. les nom berbères des plantes dans le traité des simples d'Ibn ELBEITAR.  
Giornal della Societa Asiatica Italiana. Volume Doelicesion 1899, p. 53.

١٠ - لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص ( ٢٢٨ ) .

١١ - هو محمد بن محمد بن ايوب من سلاطين الدولة الأيوبية . ولد بمصر وتولى حكمها بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٧ م .  
وامتدت حدود الدولة الأيوبية أيام حكمه لتصل إلى ديار الشام . كما دخل ابنه ( الملك المسعود ) سنة ٦٢٠ هـ /  
١٢٢٢ م . مكة المكرمة . وقد توفي الملك الكامل في دمشق عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م . ودفن في قلعته . راجع الاعلام  
للزركلي . الطبعة الثانية الجزء السابع . ص ( ٢٥٥ ) .

١٢ - الدكتور احمد السعيد سنيما . تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة . منشورات دار المعارف بمصر  
عام ١٩٧٢ م . الجزء الاول ص ( ١٤٢ ) .

١٣ - محمد بن شاذي بن احمد الكتبي . فوات الوفيات ص ( ٤٣٤ ) . وهو ذيل على كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان . حققه  
ونسطه وعلق حواشيه محمد معني الدين عبد الحميد . وطبع في مطبعة السعادة بمصر . ١٩٥١ م .

١٤ - ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

١٥ - أرنست سيكينبرجر . النباتات المصرية لابن البيطار . مقالة منشورة في مجلة المعهد المصري الصادرة باللغة الفرنسية .  
الجزء الثاني . رقم ( ١٠ ) لعام ١٨٨٩ م . القسم الثاني من العدد ص ( ٣ ) .

SICKENBERGER Ernest. « les Plantes Egyptiennes d'Ibn Belthar ». Bulletin de l'Institut  
Egyptienne. Deuxième Série No. 10. Année 1889. Deuxième Partie, p. 3.

١٦ - هو ايوب بن محمد بن أبي بكر بن ايوب من كبار ملوك بني ايوب في مصر . ولد في القاهرة عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م .  
وولي الحكم بعد وفاة أبيه عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م . مات الملك الصالح بالمنصورة في مصر عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٦ م . وقد  
عرف بالشجاعة والعزم أيام حكمه . راجع الاعلام . للزركلي . الطبعة الثانية الجزء الاول ص ( ٣٨٧ ) .

١٧ - هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن علي بن مروان . أبو محمد الكومي . مؤسس دولة الموحدين في المغرب . واهريقية  
وتونس . كانت ولادته عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م في مدينة تاجرت قرب تلمسان في الجزائر . بنوع أمير للموحدين عام  
٥٢٦ هـ / ١١٣١ م بعد ان تم له الامر في المغرب الإفريقي عقب وفاة المهدي ابن تومرت . دخل مراكش عام ٥٤١ هـ

١١٦٦/ م وخضع له المراسن الألفى والأوسط . استولى على اشبيلية وقرطبة وهرنطة والجزائر والمهدية  
وطرابلس الغرب . توفي في رباط سلا عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م ونقل الى تينمل ليندف فيها . راجع الأعلام . للزركلي .  
الطبعة الثانية . الجزء الرابع . ص ( ٣١٩ ) .

١٨- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الاولى . منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٥٨ م .  
ص ( ٢٥٤ ) .

١٩- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية عصر الانحدار . الطبعة الاولى منشورات دار الأندلس بيروت ١٩٦٣ م . ص ( ٨ ) .  
٢٠- المرجع السابق ص ( ٩ ) .

٢١- هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ،  
أبو الحرف المرواني الأموي . كان أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس وكان ذلك عام ٣١٦ هـ /  
٩٢٨ م . ولد في عام ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م في قرطبة وتوفي فيها عام ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . راجع الأعلام للزركلي الطبعة  
الثانية . الجزء الرابع . ص ( ٩٩ - ١٠٠ ) .

٢٢- محمد أسعد طلس . تاريخ الأمة العربية . عصر الاتساق . الطبعة الاولى ص ( ٢٥٧ ) .

٢٣- ولعله قصد : أخطر دراسة عدة من الكتب ...

٢٤- ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء . الباب الرابع عشر .

٢٥- ولعله قصد ( الأستاذ ) .

٢٦- نقلنا ما جاء في هذه المقدمة من إحدى نسخ كتاب ابن البيطار ( الجامع لفردات الأدوية والأغذية ) . الجزء الأول  
ص ( ٢ - ٣ ) . والطبوع حسب ما ورد في المصنفين ( ٣١٠ - ٢١١ ) من نهاية الجزء الرابع في مطبعة ( أسماعيل  
ابن ابراهيم بن محمد علي ) - بولاق - حيث تمت طباعة هذه الفلسفة في أواخر ذي القعدة من سنة مائتين والف وأحدى  
وتسعين هجرية . ( وهذه الفلسفة موجودة في المكتبة الوطنية لمدينة ستراسبورغ بفرنسا تحت الرقم س ١١٢٥٩ ) .

٢٧- هو أحمد بن داود بن وند الدينوري . أبو حنيفة . عالم ودرج نباتي وهو من أوائل المسلمين الذين قاموا بوضع أسس  
تصنيف النبات في القرن الثالث الهجري . ترك عدة مؤلفات منها ما طبع مثل - الأخبار الطوال - وهو مختصر في  
التاريخ . لم يعرف تاريخ ميلاده ، إلا أن وفاته كانت في عام ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م . راجع الأعلام . للزركلي . الطبعة  
الثانية الجزء الأول . ص ( ١١٩ ) .

٢٨- لوكلير . دراسة تاريخية ولغوية عن ابن البيطار . ص ( ٤٣٦ ) .

٢٩- الدكتور علي مجنوب . علوم الزراعة والبيطرة في الحضارة الإسلامية . الإسلام اليوم : مجلة المنظمة الإسلامية للثقافة  
والعلوم والثقافة . العدد الأول ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . ص ( ٥٧ ) .

٣٠- المرجع السابق . ص ( ٥٧ ) .

٣١- لوكلير . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص ( ٢٢٦ ) .

٣٢- بدأ ابن البيطار يذكر ما كتبه أحد العلماء العرب عن هذا النبات وهو ابن رضوان . وابن رضوان هذا هو علي  
ابن رضوان بن علي بن جعفر ، أبو الحسن ، طبيب ، رياضي ومن العلماء من أهل مصر . لم يعرف تاريخ ميلاده وكانت  
وفاته عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م . له عدة مؤلفات وترجمات ومن كتبه المطبوعة « دفع مضار الأبدان » . وله كان حسب  
ما ذكره ابن قفري بطني : من كبار الفلاسفة في الإسلام . ومن كتبه في هذا المجال « حل شكوك الرازي على كتب  
جالينوس » و « المستعمل من الخلق في العلوم والصنائع » و « التوسط بين أرسطو وخصوصه » . راجع الأعلام . للزركلي .  
الطبعة الثانية . الجزء الخامس ص ( ١٠٠ ) .

٣٣- ويقصد هنا ابن البيطار نفسه .

٣٤- ابن البيطار . كتاب الجامع لفردات الادوية والاذقية . مطبعة اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م .  
الجزء الرابع ص (١١٢) .

٣٥- ريشة ناسية . الاسماء البربرية للنباتات في الجامع لفردات الادوية والاذقية لابن البيطار . ص (٥٨) .

٣٦- اولست سيكينجر . النباتات المصرية لابن البيطار . ص (٩ ، ١٠ ، ١١) .  
ذكر سيكينجر ان ابن البيطار اشار الى تسع وتسمين نباتا من نباتات مصر وانه ( اي سيكينجر ) اكد وجود واحد  
وخصمين من هذه النباتات . وان هناك احد عشر نباتا لم يتعرف احد على وجودهم وانه قد توصل لتحديد خمسة  
منهم على خلاف الستة الباقية وانه رفض وجود او طمن في ستة وثلاثين نباتا وبذلك يكون المجموع تسما وتسمين نباتا .  
راجع مقاله ص (٦) .

٣٧- جاء ابن البيطار على ذكر هذا النبات في كتابه ( الجامع لفردات الادوية والاذقية ) ، الجزء الثاني ص (٩٥) :  
( دلدغ ) ابو العباس النباتي يقال مضموم الفالساكن اللام بعدها دال اخرى مضمومة لم يكن معجمة اسم  
ببلاد بيت المقدس للسنوس العريض الورق من الكلكش المعروف بفرناطة من بلاد الاندلس بالكلكش الفلبي وبلغها من  
بلاد البربر بالشافيرا معتبر عندهم في النفع للاوجاع ويزيد في الباء شربا قال المؤلف هذا الدواء المسمى باليونانية  
سفندوليون .

٣٨- لوسيان لوكلي . تاريخ الطب العربي . الجزء الثاني ص (٢٢٦) .

٣٩- المرجع السابق . ص (٢٢٦) .

٤٠- المرجع السابق . ص (٢٢٨) .

٤١- جلال مظهر . اثر العرب في الحضارة الأوروبية . ص (١٩٨) .

٤٢- الدكتور نشأت حمارة . تراجم الاطباء العرب . مجلة التراث العربي . العدد الرابع . السنة الثانية . آذار ١٩٨١ م .  
ص (٣٦) .

٤٣- ابن أبي أصيبعة . عيون الانبياء في طبقات الاطباء . الباب الرابع عشر .

٤٤- شحاته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط . منشورات دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .  
ص (١٩٩) .

٤٥- المرجع السابق ص (١٩٩) .

٤٦- راجع مجلة التجمع العلمي العربي . دمشق . المجلد الثالث . الجزء الحادي عشر - تشرين الثاني عام ١٩٢٣ م .  
ص (٣٦١) .

٤٧- في ترجمة فوات الوفيات اسم الكتاب ( الخفي في الطب ) .

٤٨- هو ابراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الانصاري ، ابو اسحاق ، عز الدين ، من ولد سعد بن معاذ . من الاوس ،  
نسبته الي السويداء . طبيب دمشقي كانت ولادته عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م . عمل طبيا في - البيمارستان الشوري  
وبيمارسان باب البريد - في دمشق . له في الطب - التذكرة الهادية . و - الباهر في خواص الجواهر . توفي عام  
٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م . راجع الاحلام . للزركلي . الطبعة الثانية . الجزء الاول ص (٦٠) .

٤٩- شحاته فتواتي . تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط . ص (١٩٩) .

٥٠- لوسيان لوكلي . تاريخ انطب عند العرب . الجزء الثاني ص (٢٣٥ - ٢٣٦) .

٥١- المرجع السابق • ص (٢٣٦)

٥٢- المرجع السابق • ص (٢٣٦)

٥٣- هذه المخطوطة موجودة في باريس وهناك عدة روايات لرقم هذه المخطوطة • فقد كتب لوكلي أنها تحت الرقم /١٠٠٨/ في المجموعة القديمة ، أما في المجموعة الجديدة فهي تحت الرقم /١٠٢٩/ • أما في موسوعة بروكلمان ص (٦٤٨) فالمخطوطة موجودة في باريس تحت الرقم ( ٢٩٩٠ / I ) ، أما في الملحق الأول للنفس الموسوعة ص (٨٩٧) فهي تحت الرقم ( ٥٧٧٧٩٦٢٣ ) •

٥٤- لوسيان لوكلي • تاريخ الطب عند العرب • الجزء الثاني ص (٢٣٦)

٥٥- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية • الطبعة الثانية • الجزء الثالث ص (٧٩٠)

٥٦- هو يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي ، أبو علي • لم يعرف تاريخ ميلاده • كان باحثاً من أهل بغداد ، وإمام اعطب في عصره • كان مسيحياً وأسلم في سنة ٤٦٦ هـ واتصل بالمعتزلي بأبي العباسي • من كتبه بالإضافة للمنهاج : « تقويم الأبدان » وهو مطبوع • و « الاشارة في تلخيص العبارة » • ورسالة « الرد على النصاري » • ورسالة في فضائل الطب • كانت وفاته في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م •  
راجع الاعلام • للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء التاسع • ص ( ٢٠٢ - ٢٠٣ ) •

٥٧- في الفاتيكان نسخة منه وقد ترجم الى اللاتينية عام ١٥٣٢ م • الاعلام للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء التاسع • ص (٢٠٢) •

٥٨- ابن أبي أصيبعة • هيون الأنباء في طبقات الأطباء • الباب الرابع عشر •

٥٩- الاعلام • للزركلي • الطبعة الثانية • الجزء الرابع ص (١٩٢) •

٦٠- ابن أبي أصيبعة • هيون الأنباء في طبقات الأطباء • الباب الرابع عشر •

٦١- الموسوعة الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية • الطبعة الثانية ١٩٧١ • الجزء الثالث ص (٧٥٩) •

٦٢- موسوعة بروكلمان • الصادرة باللغة الألمانية • الملحق الأول لعام ١٩٣٧ م • ص (٨٩٧) •

٦٣- المرجع السابق • ص (٨٩٧) •

٦٤- موسوعة بروكلمان • الصادرة باللغة الألمانية طبعة عام ١٩٤٣ م • ص (٦٤٨) •

★ ★ ★

# كتب تراثية وفكرية

العالم الاسلامي اليوم THE MUSLIM WORLD TODAY

تأليف س. أمجد علي (١)

هو الكتاب المصور الوحيد الشامل الذي يتناول العالم الاسلامي الراهن في مجلد واحد. مقدمته تزود بمعلومات ثمينة كتبها العلامة البارز ن. بالوخ وتوطئته المنيرة وضمها ال. بروهي ومدخله يروي بقصة مشيرة لتحرر العالم الاسلامي وخلصه من سيطرة الاستعمار واليقظة السياسية والدينية التي كانت سبب ذلك الخلاص والتحرر.

يتناول الكتاب بفصوله البلدان الستة والأربعين الاسلامية المستقلة ويفرد لفلسطين دراسة خاصة.

وهو يصف في كل فصل ارض البلد جغرافيا ثم يصف شعبه الذي يعيش فيه ثم يعطي خلاصة عن تاريخه من أوغله في القدم الى أحدثه في العصر الحاضر. ويتطرق الكتاب الى الاقتصاد أيضاً بوقائمه وأرقامه وثمة مقاطع عن الشؤون المالية والتخطيط والزراعة والصناعة والنقل والتجارة والتربية والصحة ويخص الكتاب ببحثين مستقلين في الفصل السادس انتشار الاسلام والنجاح الذي لقيه في أوروبا وأمريكا.

وثمة خريطة لكل بلد من البلاد الاسلامية والعربية وألف صورة ملونة وهذا يضيف على الكتاب قيمة وأهمية خاصة:

- الفصل الأول : مقدمات .
- الفصل الثاني : مسلمو الشرق الأقصى .
- الفصل الثالث : مسلمو الشرق الأوسط .
- الفصل الرابع : مسلمو شمالي افريقية .
- الفصل الخامس : مسلمو جنوبي الصحراء الافريقية .
- الفصل السادس : مسلمو أوروبا وأمريكا .



والكتاب صدر ضمن سلسلة يصدرها المجلس الوطني للهجرة في باكستان احتفالاً بدخول القرن الخامس عشر الهجري وقد ظهر عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥ م في اسلام آباد ويقع في ٦٢٧ صفحة من القطع الكبير تزينه اللوحات والرسوم الملونة والخرائط وهو بحق موسوعة ممتازة في التاريخ الاسلامي والعربي باللغة الانكليزية . والراجح ان كل بلد اشرف على كتابة الفصل الذي يتعلق به وحيداً وعمد البلاد العربية الى اصدار موسوعة أكثر تفصيلاً وتخصصاً بالوطن العربي أجمع .

★ ★ ★

ملتان تاريخها وفن عمارتها : تأليف : احمد نبي خان

MULTAN HISTORY AND ARCHITECTURE

كتاب صادر عن معهد التاريخ والثقافة والحضارة الاسلامية التابع للجامعة الاسلامية في اسلام آباد باللغة الانكليزية .

تعد ملتان من أقدم مدن باكستان وقد استمر تاريخها الثقافي والديني بشكل متواصل مدى خمسة آلاف سنة . وبعض البراهين الأثرية تثبت أن تلك المنطقة قطنها الناس حتى قبل التاريخ في حضارة يسمونها الهندوسية Indus Civilization وفي فجر التاريخ كانت ملتان متوازية في الظل حتى بداية التاريخ الميلادي إذ أصبحت إحدى عشرين مقاطعة تابعة للإمبراطورية الأخامانية في القرون الأولى الميلادية وشاعت فيها عبادة الشمس وشيدت لذلك معابد في أرجاء المدينة إلى أن جاء الفتح الإسلامي فأدخل قيساً اجتماعية ودينية جديدة . بعد انهيار إمارة بني سراج انتشرت فيها الدعوات الاسماعيلية التي كانت تنظمها الخلافة الفاطمية في مصر ثم تحولت المدينة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر إلى مركز كبير للسلسلة السهروردية التي كان على رأسها شيخ الشيوخ بهاء الدين زكريا ، وخانقاه هذه السلسلة في تلك المدينة كانت مشهورة في العالم الإسلامي بأسره وفي هذا الوقت تدفقت جموع المهاجرين من مختلف المراكز الثقافية والحضارية في آسية الوسطى وإيران عندها اجتاحت المسؤول مدينة ملتان وقد أعطى هذا الوضع تلويها متنوفاً للمجتمع المحلي فظهر أدباء بارزون وصوفية وعلماء وقادة وشعراء ومعماريون ومهندسون وملوك وحكام . وبينما كانت قوافل الناس المتاجرة من مختلف البلدان تأتي إلى ملتان تعيداً وتجارة كان بعض الملثانيين يذهبون لزيارة المراكز الأخرى في العالم الإسلامي وبالفعل تكونت فيها لبنة اجتماعية وثقافية وسياسة جديدة متميزة عن المراكز الجغرافية السياسية في شبه القارة الهندية .

لقد ساهمت ملتان خاصة في وضع وتطوير أسلوب في فن البناء متميز وفريد ورغم أن أقدم شواهد هذا الأسلوب ظهر في مواضع أخرى ولكن استقطابه وتمثله تما في هذه

المدينة بالذات بسبب الخدمات المتميزة التي كان يتطلبها الصوفية السهرورديون وخاصة بهاء الدين زكريا وحفيده الشيخ ركن الدين ركن العالم .

لقد شاهد الداعية السهروردي العظيم بهاء الدين نماذج فن العمارة الاسلامي اثناء اقامته في مختلف مراكز العالم الاسلامي وعندما قدمت به السن وأراد أن يبني قبره في ملتان نقل ملاحظاته الى عمال البناء والمهندسين في أسية الوسطى وكانت تلك المحاولة الأولى من نوعها على أرض باكستان وتبعه حفيده الشيخ ركن الدين ركن العالم الذي بنى بدوره نصباً فاحراً يكون قبراً له بعد وفاته وهو مضمن القاعدة يستدق كلما ارتفع وتزيينات الضريح أصبحت نموذجاً يحتذى للنصب الجنائزية على مدى القرون الثلاثة التالية .

الكتاب يقع في ٣٩٠ صفحة من القطع الكبير مزين بالزخارف والنقوش ولوحات الأضرحة الشهيرة التي تمثل فن العمارة الاسلامية في أوجه . وفي الملاحق ذكر لما رواه المؤرخون العرب عن مدينة ملتان ومعبد الشمس فيها ( باللغة العربية ) من أمثال القزويني والاصطخري وياقوت الحموي وغيرهم .

نقتطف ما جاء على لسان ياقوت في معجم البلدان في مادة ملتان . « مولتان : بضم أوله وسكون ثانيه واللام يلتقي فيه ساكنان وتاء مثناة من فوق وآخره نون وأكثر ما يسمعون فيه ملتان بغير واو ، بلد في بلاد الهند على سمت غرقة قال الاصطخري . وأما المولتان فهي مدينة نحو نصف المنصورة ويسمى قَرْجُ بيت الذهب وبها صنم تعظمه الهند وتجع الىه من أقصى بلدانها ويتقرب الى الصنم كل عام بمال عظيم ينفق على بيت الصنم والمتكفين عليه منهم وسمي المولتان بهذا الصنم . وانما سمي المولتان فرج بيت الذهب لأنها فتحت في أول الاسلام وكان بالمولتان ضيق وقطعت فوجدوا فيها ذهباً كثيراً فأتسموا به الخ ... »



مدينة اج او اش - تاريخها وفن عمارتها - تأليف أحمد نبي خان

UCHCH HISTORY AND ARCHITECTURE

قدم المعهد القومي للأبحاث التاريخية والعنصرية في باكستان لهذا الكتاب بقوله : « جرت العادة أن نقرأ تواريخ الملوك وممالكهم ونعرف الكثير عن عواصمهم ولكن ندر أن ننوه بأهمية المراكز أو المدن الصغيرة التي أثرت تأثيراً بالغاً في النمو الحضاري والثقافي لمنطقة ما . وإذا أردنا أن نذكر أحد هذه المراكز للتنبيه على أهمية الاسلام في وجهه الاجتماعي الحضاري فأننا لن نجد في مناطق الهند الوسطى أفضل من ( اج ) . »

مدينة صغيرة تجثم على طرف الصحراء وتحمل في طياتها اخبار الماضي وتطلبننا أن نسبر سطور صفحتها التاريخية في العصر البرونزي وفي المصور التاريخية الموهلة في القدم وهو أمر لا بد من بحثه في المستقبل بانتظار ذلك فان الدكتور أحمد نبي خان أخذ على عاتقه أن يجمع في مؤلف واحد جميع الوقائع التاريخية التي يمكن التقاطها في

المؤلفات المتوافرة ويحكيها في قصة عن مدينة آج ذلك أن تاريخ منطقة ما هو جزء لا يتجزأ من قدرها .

وفي هذه الصفحات لا يتكلم الدكتور خان على الملوك فقط بل ينظر نظرة أوسع فيتناول بالبحث الأولياء ومريديهم لأنهم هم الذين أعطوها المكانة الدائمة والقيمة اللاتئة في تاريخ المنطقة بأسرها ومن خلال هؤلاء الأولياء والصوفية ندرك إلى أي مدى وإلى أي عمق كان تأثير الإسلام في شعوب الهند . وأن التعداد الزمني أو التاريخي لأولئك الأولياء مع الرؤساء الإداريين والشخصيات السياسية يزودنا بمقياس نقيس به مجريات التاريخ ودون ذكرهم يصبح تاريخ آج قصة فقيرة إذ أن هذه المدينة تمتعت بكونها عاصمة مرة واحدة طوال تاريخها وذلك بزمان ناصر الدين قباجة - ( المعزى ) ( ١ ) ولكنها ظلت على التاريخ ملتقى الثقة من الدراويش الذين أثروا الإقامة في الجزء الأسفل من المجرى الشرقي لنهر ( السوتلج ) ونفثوا آثارهم اللطيفة على السواء في المستوطنين وفي القبائل الرحل من الصحراء الشرقية . ولا عجب أن المساكن التي شغلها أولئك الأولياء ومقاماتهم وبيوتات عبادتهم تشغل اليوم أمكنة بارزة بين الأبنية التي لم تندثر . وقد خصص الدكتور خان جزءاً كبيراً من كتابه للنسق المعماري الذي شيدت به تلك الأبنية كما أبرز المكانة التي تشغلها في النموذج العام لتطور الآثار في المنطقة . فهندسة العمارة وهي جزء مما كان يسمى ( مدرسة الملتان ) أمر مزدهر وجذاب وهي تبني بالتأثيرات الواردة من آسية الوسطى . والدراسة تبرز الأسلوب المتكسر بصرف النظر عن الطين والخشب المتوافرين في تلك المنطقة ذلك أن أسلوب الأجر هو الصفة المميزة لهذه الهندسة والأطر الخشبية هي هيكلها الخلفي ولكن القرميد المتألق الصقيل كان يجذب المؤمنين والنبوذيين على السواء . وما دام ذلك السحر المعماري يسم تلك المباني فإن الناس يحتشدون حولها يطلبون الارشاد والعزاء من الأولياء في دار الغناء لأجل دار البقاء .

ان ( آج ) تجسد في التاريخ الرسالة الغالبة للمرب المسلمين . وقد أجاد الدكتور أحمد نبي خان في وضع خطة كتابه كما أجاد في الأسلوب والكتابة لذا جاء مؤلفه المصدر الرئيسي للمعلومات عن تاريخ المدينة وفنها المعماري « . يذكر المؤلف في مدخل الكتاب لمحة عن باكستان ويمتدحها أرضاً قامت عليها أعظم حضارات الشرق القديم ونشأت فيها مدن كبيرة وصغيرة ساهمت في صنع التاريخ بعضها عواصم في فترات معينة بينما شهر بعضها الآخر مثل آج وملتان وديالپور وباكبانتان ولاهور وبيشاوور بكونها مراكز للثقافة والحضارة منذ فجر التاريخ .

ويذكر أن آج عندما أصبحت عاصمة بزمان ناصر الدين قباجة المعزى تحولت إلى مركز عالمي استقطب علماء الدين والأدباء والفنانين والمهندسين وأن بلاطه أصبح ملتقى جميع أولئك المهاجرين من البلاد البعيدة إلى آسية الوسطى لاجئين أو مستعطفين أو مؤيدين كما أن وزيره عين الملك كان زعيم الفن والعلم وظهرت في المدينة شخصيات بارزة أمثال : محمد عوفي منهاج الدين سراج جزجاني ، ضياء الدين سجزبي ، شمس الدين محمد الكاتب البلخي الخ . ويروي كيف أنشأ قباجة الخانقاهات والمعاهد والسراي ( القصور )

في أرجاء المملكة ومن بين المدارس التي اشتهرت المدرسة الفروزية ومن أشهر من كان فيها المؤرخ منهاجي سراج الذي أشرف على كتابة أول تاريخ للسند ( الشاهنامه ) وأقدم مختارات من تراجم الشعراء الفرس وهو ( لباب الأدب ) . ومع زوال ملك ناصر الدين تقلص المجد المادي لمدينة اج ولكن عظمتها الروحية ظلت متألقة ومسيطرة دائماً وقدم اليها صوفية عظام وشخصيات روحية عالية تتمتع الناس وتدعو الى الحياة الفضلى وبفضل هؤلاء ثبت الاسلام أقدامه في القارة .

قيل الكثير عن أصل كلمة اج ربما كانت مشتقة من أوشاس الهة السحر وربما شيدها غزاة في الألف الثانية قبل الميلاد ثم فقدت أهميتها على مر الزمن حتى القرن الرابع ق م ، اذ يذكر المؤرخون اليونان أن الاسكندريه مدينة جديدة هناك وسماها الاسكندرية لذا يطلق عليها البعض اسم أوشا الكسندريه أما زجين الاسم القديم بالاسم الجديد .

ويرى الكسندر كاننهام ان الاسم ربما اشتق من أوشا أو أوشا أي المكان العالي والمشرف ولكن هذا غير مرجح وقد أطلق عليها أسماء أخرى مثل باسماد أو ساوندي عند المؤرخين العرب وشاشبور أو اسكالاندا الكوفي واج المعصوم على أي حال فان الاسم الذي تصرف به الآن هو اج أو اش .

والمدينة القديمة تقسم الى عدة أحياء يعيش في كل حي اتباع أحد الأولياء المشهورين اج الجيلاني اتباع بانداغيني محمد غاوس المشهور بالجيلاني الثاني اج البخاري وكانت أكبر قسم من المدينة بخدماتها وبيوتها يسكنها اتباع البخاري المغدوم في حين اج مغل Mughla كانت مركز المقاطعات الادارية للسلطنة الدهلية حيث يعيش نخبة أهل المدينة والمهاجرون المغول . وقد دعت المناطق الثلاث من وقت لأخر بالحصون وبالبوابات القوسية ويفصل ٣٠٠ ياردة بين اج البخاري واج الجيلاني بينما تقع اج مغل نائية منهما ولا تبدو هذه الفواصل في المدينة الآن مع أن معالم هذا التقسيم يمكن تمييزها فما تزال اج الجيلاني واج البخاري تزدهران منطقتين من مناطق المدينة على حين اج مغل أصبحت قرية قريبة على الأرباض . وثمة عدد لا يحصى من المباني الخربة والأكوام التي تدل على حضارة بائنة تتناثر هنا وهناك وتذكر بالماضي المجيد . المساجد والخانقاهات وأضرحة الشيوخ تلقى التقدير والاحترام الذي تستحقه ولا بد أنها كانت ، أيام الازدهار ، تزين مختلف الأماكن في المدينة لقد صممها المعلم المعماري ونفذها بكفاءة عالية وبها نشأ أسلوب جديد في فن العمار متميز عن الفن الذي كان مالوفاً في الأماكن الأخرى المجاورة فقد كان السقف المسطح تطوراً حقيقياً والأضرحة ذات القباب والمساجد كانت اشتقاقاً رفيعاً ومتطوراً لأسلوب ملتان في فن العمارة ولكن تميز شخصية فن العمارة في اج أمر بديهي في البناء كما في التزيين .

ويلقي المؤلف نظرة تاريخية على المنطقة ماراً بالعهود القديمة ثم يفتح الاسكندر والحكام اليونان حتى يصل الى الفتح الاسلامي فيروي سببه كما ورد على لسان المؤرخين العرب ونسمح لأنفسنا عرض تلك الرواية مهبة نظراً لقلة تداولها ورغبة في التذكير .

و الحجاج بن يوسف الثقفي سير عبدالله بن نبهان الى خور الديبل لتخليه النسوة اللاتي ولدن في جزيرة الياقوت مسلمات ومات أباهن وكانوا تجاراً فأراد ملكها التقرب بهن الى الحجاج فأعداهن اليه فعرض للسفينة التي كن فيها قوم من ميد الديبل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن وكانت من بني يربوع يا حجاج ! وبلغ الحجاج ذلك فقال ليبيك ! فأرسل الى داهر يسأله تخليته النسوة فقال انما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم فأغزى الحجاج عبيدالله بن نبهان الديبل فغزاهم وقتل في ذلك الغزو بأرض السند في فتوح البلدان (٣) \*

ثم استأذن الحجاج الخليفة وسير محمد بن القاسم الثقفي ومع ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط ، فسار محمد الى مكران فأقام بها أياماً ثم أتى قزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل يد عظيم عليه دقل ( الدقل الخشبة العظيمة يرفع عليها القلع الذي تجري به السفينة وهو السارية العظيمة ) عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذابت الريح أطاقت بالمدينة وكانت تدور ، والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم يد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بجعر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمداً أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردّهم الى البلد وأمر بالسلام فصبحت وصعد عليها الرجال وفتحت عنوة ٠٠٠ ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر عقدة - وذاهر مستخف به - فلقية محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتلاً شديداً ثم يسمع بمثله وترجل داهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وقال قاتله :

الغيل تشهد يوم ذا هر والقنا      ومحمد بن القاسم بن محمد  
انى فرجت الجمع غير معرد      حتى علوت عظيمهم بمهند  
فتركته تحت العجاج مجندلا      متعفر الغدين غير موسد

فلما قتل داهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لداهر فخاصفت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواربها وجميع مالها ثم سار الى برهمنابادا المتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ ، كان موضعها خيضة وكان فيها المنهزمون من الكفار فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وسار يريد الرور وبغور فلقية أهل ساوندي ( أي اج ) فطلبوا الأمان فأعطاهم آياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم أسلم أهلها بعد ذلك ثم تقدم الى بسند وصالح أهلها ووصل الى الرور وهي من دائن السند على جبل فحصرهم شهوراً فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى اللتان فقاتله أهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعهم فلعشوا فآلقوا بأيديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البد

وهم ستة آلاف وأصابوا ذهباً كثيراً فجمع في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية أذرع  
يلقي إليه من كوة في وسطه فسبيت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر . وكان بد الملتان  
تهدي إليه الأموال ويعج من البلاد ويحلقون رؤوسهم ولعاهم عنده ويزعمون أن صنمه  
هو أيوب النبي ﷺ وعظمت فتوحه ونظر العجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت  
ستين ألف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف فقال ربنا  
سبن ألفاً وأدركننا ثارنا ورأس ذاهر(١) .

كان محمد بن القاسم الثقفي في السابعة عشرة من عمره عندما فتح السند ثم مات  
الوليد بن عبد الملك وولي سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على  
خراج العراق وولي يزيد بن أبي كثير السكسكي السند فعمل محمد بن القاسم مقبداً  
مع معاوية بن المهلب فقال محمد متمثلاً :

**أضاعوني واي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر**

فبكى أهل الهند على محمد وجسه صالح بواسط فقال :

**فلئن نويت بواسط وبارضها رهن الحديد مكبلاً مغلولاً**

**فلرب فتية فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلاً**

وعذبه صالح في رجال من آل بني عفيل حتى قتلهم وقال حمزة بن بيض الحنفي  
يرثي محمدًا :

**إن المروءة والسماحة والتدنى لمحمد بن القاسم بن محمد**

**ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سودداً من مولد**

وكانت وفاة العجاج في شوال سنة خمس وتسعين ووفاة الوليد وتولية سليمان في  
جمادى الآخرة سنة ستة وتسعين وفي تلك السنة عذب محمد وقتل بواسط كما في الكامل وفتح  
البلدان وغيرها من كتب الأخبار .

واليوم لم تفقد أج على صغرها مكانتها مركزاً دينياً يقصده المؤمنون لمشاهدة مزاراتها  
وقبور الصوفية والأولياء المشهورين أمثال أبي حنيفة الكاظمي وبيبي جاوودي . وقد كان أعيد  
إصلاح المزارات وترميمها في القرن التاسع .

كتاب أج يقع في ١٠٠ صفحة من القطع الكبير وهو مزين بالرسوم والصور واللوحات .

## الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني

كتاب يضم أبحاث الندوة التي دعا إليها المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية في بغداد وعقدت في تونس في الفترة بين ١٣ - ١٥/١٠/٨٤ وحضرها نخبة من الديمغرافيين العرب ليعالجوا المسألة السكانية للشعب العربي الفلسطيني من كافة جوانبها الفكرية والإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية مع كيفية استخدام المقاييس المباشرة وغير المباشرة ولا يخفى ما لهذا الكتاب من أهمية نظراً لأنه يتناول بالبحث حالة مفردة لشعب يتعرض كل يوم لمحاولات الإبادة ولا يشع ألوان الاستعمار الاستيطاني الذي يقتل مجموعات من البشر من أراضيهم ليصبغوا الأجنين ويحتلب مكانهم شذاذ الألفاق من كل أقطار المعمورة ليصنعوا وطناً كسيعاً في أرض لا يمتلكونها .

يقع الكتاب في ٦٩٣ صفحة ، بعض مقالاته كتب باللغة الانكليزية وطبع في بيروت ، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٥ .

★ ★ ★

## ملخص حول الأوضاع والامكانات الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني

صدر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وطبع في الأمم المتحدة في نيويورك عام ١٩٨٥ . وهو دراسة موجزة ومكثفة للأوضاع والامكانات الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني الموزع حالياً في مختلف بلدان عربي آسيا نتيجة تشرد الجزء الأكبر منه مع قيام العدوان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ ، ووقوع الجزء الآخر تحت سيطرة هذا العدوان المباشرة في الأراضي المحتلة .

وتهدف الدراسة الى التعرف على هول المعاناة التي يعيشها الفلسطينيون بعد أن جردوا من أراضيهم ومواردهم . وفي الفصل الأول فقرة عن الشعب الفلسطيني من الزاوية التاريخية وفيها فوائد تاريخية وتراثية مهمة منها ما ورد عن تزييف الدعاية الصهيونية فيما يخص جذب فلسطين قبل مجيء الصهاينة . فقد ركز عدد من الصهاينة ومنهم الخبير الزراعي غرانوت والمندوب السامي هربرت صموئيل على مقولة جذب فلسطين فوسف صموئيل مثلاً سهل مرج ابن عامر الذي انتقل الى الحركة الصهيونية بأنه « صحراوي في معظمه وغير مستغل قبل مجيء الاستيطان الصهيوني » على حين ان هذا السهل نفسه ورد ذكره في كتاب لورانس أوليفانت *Half a Life of Modern Palestine* عام ١٨٨٧ بأنه « بحيرة ضخمة من القمح المتماوج حيث ترتفع تلاله المتوجة بالقرى كالجزر وسطها وهي تقدم للناظر احدى الصور البالغة التأثير عما يمكن تصوره من الغصب الوفير » وفي عام ١٨٩٧ وصف الكاتب الأمريكي مارك توين فلسطين لدى زيارته لها بأنها « رقعة من الخضرة المتشابكة » لقد كانت فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني أرضاً خصبة عامرة بالزراعة والمزارعين الفلسطينيين .

ومنها ما يعلن للناس جميعاً عداوة بريطانيا المستحكمة للعرب وذلك فيما يتعلق بتطبيق قانون الطابو وهو قانون أصدرته الدولة العثمانية في القرن السابق ولم يتم تطبيقه على نحو شامل حيث بقيت مساحات عديدة من الأراضي غير معدة أو مسجلة واستمر الفلاحون يمشون ويعملون فوق الأرض على النحو الذي كانوا عليه في القرون السابقة . وكان أول اجراء اتخذته السلطات البريطانية عقب احتلالها فلسطين مباشرة خلال الحرب العالمية الأولى وقبل صدور صك الانتداب هو تعليق عمليات انتقال الأراضي وذلك من تشرين أول ١٩١٨ حتى أيلول ١٩٢٠ وعندما أعيد فتح السجلات البريطانية في ذلك التاريخ الأخير تبين وجود استملاكات يهودية تقدر مساحتها بنحو ٦٥٠ ألف دونم ويرجع الدارسون لتلك الفترة بأن هذه الاستملاكات تمت على شكل انتقالات غير مشروعة في غضون فترة التعليق التي استغرقت ٢٢ شهراً .

وفي الفصل الثاني احصاء للشعب الفلسطيني ومناطق توزيعه ثم تتوالى الفصول فتتناول أوضاع الشعب الفلسطيني الاقتصادية والاجتماعية والتقرير يقع في ٢٩ صفحة من القطع الكبير .

#### □ العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية ١٩٣٤ م - ١٩٨٤ م :

مسرد كامل لمقرراته اللغوية ، تسجيل تصويري لمؤتمراته السنوية ١٩٧١-١٩٨٤ بقلم الدكتور عدنان الخطيب .

يسرد الدكتور المؤلف في الفصل الأول وقائع احتفالات مجمع اللغة العربية في القاهرة بعيده الخمسين وقد دامت خمسة أيام من ١٨ جمادى الأولى الموافق ٢٠ شباط حتى يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٤ شباط ١٩٨٤ في هذا الاحتفال يصف 'الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع ما سمعه المجمعين خلال نصف قرن بقوله : ه ان درس المجمعين جاد' وان بحثهم عيسق واستقرت لديهم مبادئ لها شأنها فهم يرون ان اللغة ظاهرة اجتماعية تسير بسير الزمن وتتطور بتطور المجتمع وهي ملك لأهلها وفي وسعهم أن ينفذوها بقدار لا ينقطع واستطاعوا أن ييسروا العربية في الفاظها وتراكيبها ، في كتابتها واملاؤها ، وبرهنوا على أنها في سروتها واستقامتها ليست أقل كفاية من اللغات الحية الكبرى في مواجهة متطلبات العلم والعضارة واجهت ذلك في الماضي البعيد ولا تزال أهلا لمواجهة اليوم وللمجمعين في ذلك توصيات وقرارات تملأ صفحاتهم ومحاضر جلساتهم ويضيفون إليها جديداً كل عام ويقبل الباحثون والدارسون عليها ويفيدون منها ما استطاعوا » .

صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ وهو في ٣٦٥ صفحة .

#### □ نداء اقبال ، مؤتمر اقبال بدمشق :

احتفالاً بذكرى ميلاد اقبال قامت السفارة الباكستانية في دمشق بالتعاون مع وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية بتنظيم ندوة فكرية مدتها ثلاثة أيام في مكتبة الأسد في الفترة الواقعة من ٩ - ١١ تشرين الثاني ١٩٨٥ التي فيها مجموعة من العلماء



والمفكرين البارزين بحثوا تناول حياة الشاعر وفلسفته ولا غرو فان اقبال هو الشاعر الوطني للباكستان ويدعونه شاعر الشرق وكان لا يني يخاطب الأمة العربية في مؤلفاته ويذكرها بأجادها الغابرة .

طُبعت المعاضرات والقوائد الملقاة في هذا المهرجان في كتاب ليتمكن من فاته سماعها الرجوع اليها والافادة مما تتضمنه من معلومات زاخرة تقوي الأواصر الفكرية المتيدة بين الشعبين السوري والباكستاني صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٦ في ١٨٤ صفحة .

#### □ العلاقات بين الحضارتين العربية والأوربية :

هذا الكتاب هو سجل وقائع ندوة هامبورغ ( المانية الغربية ) التي عقدت بين ١١ - ١٦ نيسان عام ١٩٨٣ وكانت الحلقة الأولى من الحوار العربي الأوربي وشارك فيها عدد من كبار الشخصيات الثقافية والفكرية من البلاد العربية ومن أوربة الغربية وكان الهدف منها تقريب وجهات النظر لدى الفريقين ازالة المشكلات الانسانية المعاصرة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها بروح من التعاون والتفاهم دعماً للسلام العالمي وتحقيقاً للتنمية التي تتطلبها اليها الدول العربية وتمميهاً للاحترام المتبادل. وقد أعد للندوة لجنة متخصصة ضمت ممثلين عن كل من المجموعتين الأوربية والعربية عقدت عدة اجتماعات في السنوات ١٩٧٨ و ١٩٨١ و ١٩٨٢ و ١٩٨٣ وأقرت برنامج الندوة وموضوعاتها .

ولكل موضوع طرح في الندوة دراستان يقدم الجانب الأوربي واحدة والجانب العربي واحدة وكل بحث كان يلقى مفكر من أحد الطرفين يحق عليه مفكر من الطرف الآخر .

انتهت الندوة الى اصدار مجموعة من التوصيات منها أن يصار الى طبع وقائمه في كتاب وقد أشرف على هذه الطباعة لجنة من مستشاري وموظفي جامعة الدول العربية الى جانب لجنة من المفكرين الأوربيين والكتاب في ٤٥٨ صفحة وصدر عن الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٥ .

#### □ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الوطنية والجامعية .

كتاب من منشورات معهد المخطوطات العربية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أعده الدكتور نزيه كسبي . بعد أن صدره الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير معهد المخطوطات العربية قدم له المؤلف فاعطى لمحة عن مكتبة ستراسبورغ وما تحويه من مؤلفات مهمة تتعلق بالحضارة العربية الاسلامية . في المكتبة سبع مجموعات غالباً ما أهملت أهميتها في المصادر البيبلوغرافية .

١ - مجموعة ورق البردي منها ٦٨٠ بردية باللغة العربية .

٢ - مجموعة النقود والمسكوكات ومنها ٥٠٠ قطعة اسلامية .

### ٣ - القطع الفخارية والعظمية .

٤ - مجموعة الأختام والموازين الزجاجية الاسلامية - الصنوج ( ١٢٥٠ قطعة ) .

٥ - الخرائط ومنها نسخة منقولة بالحرف العربي من خريطة الشريف الادريسي عن البنجاب تاريخ ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م

٦ - مجموعة الكتب المطبوعة النادرة كمؤلفات ابن رشد والزهرائي والكندي المترجمة الى اللاتينية .

٧ - المخطوطات ومنها ٢١٤ مخطوطاً باللغة العربية .

وهذا القسم الأخير هو موضوع الكتاب وقد رتب المؤلف هذه المخطوطات حسب تسلسل الأحرف الهجائية والحق ممله بفهرس لها حسب موضوعاتها العامة وفهرس للأعلام والأماكن والمصادر والمراجع . والكتاب في ١٩٥ صفحة وصدر عام ١٩٨٥ في الكويت .

### □ المدرسة القرآنية :

كتاب يضم محاضرات أو دروساً القاها سماحة الامام محمد باقر الصدر سجلها الناشر صوتياً ثم نشرها دون زيادة أو نقصان تتناول لتفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي في القرآن الكريم ثم السنن التاريخية في القرآن الكريم وأخيراً عناصر المجتمع في القرآن الكريم نشره دار المعارف للمطبوعات في بيروت ١٩٨١ .

وهو يميز بين مدارس التفسير المختلفة اتجاهين مهمين : أحدهما يسميه التجزيئي والمفسر في إطار هذا المنهج يسيّر مع المصنف ويفسّر سورة تدريجياً بأن يلتقي الضوء على مدلول الآيات التي يريد تفسيرها في سياقها الذي وردت به وهذا الاتجاه بدأ في عصر الصحابة والتابعين بتفسير لبعض آيات القرآن وشرح مفرداتها وانتهى بالصورة التي قدمها ابن ماجة والطبري وغيرهما من كتب في التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه التوحيدي أو الموضوعي فيحاول أن يقوم بدراسة موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية كما ظهرت في القرآن الكريم مثل عقيدة التوحيد في القرآن أو النبوة في القرآن أو المذهب الاقتصادي في القرآن . وهو يرى أن هذين الاتجاهين مختلفان في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية . ولكن لا ينبغي أن يكون المقصود الاستغناء عن التفسير التجزيئي وإنما إضافة اتجاه الى اتجاه ثم يختار موضوعاً ليفسره هو سنن التاريخ في القرآن الكريم هل للتاريخ البشري سنن في مفهوم القرآن الكريم ؟ هل له قوانين تتحكم في مسيرته وحركته وتطوره ؟ ويؤكد فكرة السنن التاريخية مستخلصة من نصوص أكد عليها القرآن .

وأخيراً يبحث عناصر المجتمع في القرآن الكريم وهي :

١ - الانسان .

٢ - الأرض أو الطبع .

٣ - العلاقة المعنوية التي تربط الانسان بالأرض كما تربط الانسان بأخيه الانسان .

ويتناول كل عنصر بالدراسة ليصل الى صورة شاملة للفلسفة القرآنية من وجهة نظره، فهو يرى ان القرآن الكريم لا يطرح نفسه بديلاً عن قدرة الانسان الخلاقة ولا عن مواهبه وقابلياته كاداً في ميادين الحياة والمعرفة والتجربة وانما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للانسان مفجرة لطاقاته محركاً له في المسار الصحيح فهو كتاب هداية وتوجيه لا كتاب اكتشاف وعلم .

والكتاب في ٢٥٧ صفحة من القطع المتوسط .

□ آراء حول قديم الشعر وحديثه :

دأبت مجلة العربي على اصدار سلسلة فصلية باسم ( كتاب العربي ) كل عدد منها يتناول موضوعاً واحداً بقلم عدة مؤلفين أو يكون مجموع مقالات أو موضوعات لكاتب واحد .

وقد تناول الكتاب الثالث عشر الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٤ الشعر قديمه وحديثه دراسات بقلم عدد من أشهر النقاد العالم العربي نذكر منهم على سبيل المثال الدكتور محمد مندور والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور أنيس المقدسي والأستاذ شوقي بغدادي وغيرهم وقدم لهذه الدراسات الأستاذ محمد الرميحي رئيس التحرير .

والكتاب في ١٧٦ صفحة وفيه آراء طريفة وصريحة ومفيدة .

□ وحدة الوجود في الفكر العربي :

صدر من منشورات اتحاد الكتاب العرب كتاب للأستاذ محمد الراشد بعنوان « وحدة الوجود في الفكر العربي الله والانسان والعالم » . يدرس في المقدمة وحدة الوجود كاشكال حضاري وبيّن أهمية هذه المشكلة فيقول :

« وحدة الوجود من أهم التيارات الفكرية في التراث الانساني عامة والعربي خاصة ولكن أهميتها ذات حدين سلبي وإيجابي فهي التي تساهم باعطاء الحضارة أفقها الوجودي كما أنها قد تساهم بانهايار الحضارة » .

وفي المدخل العام يقدم تعريفات ومواقف ليدخل بعد ذلك الى الفصل الأول فيبحث فيه وحدة الوجود في الشرق الأقصى ( الهند - الصين ) . في الفصل الثاني يتناول المؤلف وحدة الوجود في الفكر الغربي عند الاغريق والغرب الأوروبي وخاصة عنداسبينوزا وفي الفصل الثالث يدرس وحدة الوجود في الفكر العربي القديم . ثم يعالج في الفصل الرابع مواقف الفارابي وابن سينا من هذا الموضوع . في الفصل الخامس يتناول وحدة الوجود في المغرب

المربي عند ابن سرّة وابن السيد البطليموس وابن باجه وابن طفيل وابن رشد وفي الفصل السادس يصل الى وحدة الوجود في الفكر ( العربي ) الحديث فيذكر محمد اقبال واحمد حيدر وغيرهما .

ويختتم الدراسة في الفصل السابع بوحدة الوجود في الفكر العلمي .

والكتاب معالجة حديثة لتيار فلسفي قديم فيه الكثير من المعلومات المفيدة والكاتب في الختام يرحب بكل حوار أو مناقشة تخطر على بال القارئ وهو في ٢٧٩ صفحة .

□ شعر من المهجر :

ديوان زكي قنصل ج ١ دققه لفويّا وعروضياً ابراهيم جمعة من منشورات وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٨٦ والكتاب يضم بين دفتيه معظم منظومات الشاعر حتى أواخر سنة ١٩٨٤ ولم يراع في ترتيب القصائد التسلسل الزمني .

وفي مطلع الكتاب حياة الشاعر في كلمات مع اشارة الى بداياته الصعبة في أرض المهجر وعصاميته وميله الى المطالعة وتكون ثقافته الأدبية بعد أن سبقه أخوه الشاعر الياس قنصل ووالدهما .

وقد زار الشاعر وطنه سورية عدة مرات ولقي الحفاوة وأعجب بالنهضة العمرانية والثقافية الحديثة .

الكتاب يقع في ٤٧٠ صفحة والشعر رقيق عميق عذب ولا عجب فالشاعر أحد أعمدة أدب الاغتراب الذي يتناول على البعد الأم الوطن وآماله بريشة مضخمة بالعينين .

□ جواد العلم للشاعر خوان فان هالين :

صدر عن المعهد الاسباني العربي للثقافة كتاب ( جواد العلم ) للشاعر خوان فان هالين قدم له بكلمة فرانشيسكو غارفياس ضمن مجموعة ابن زيدون الشعرية برقم ٥ في مدريد عام ١٩٨٥ .

وللمؤلف مجموعة من الدواوين نال عليها جوائز أدبية متعددة ورغم أن المؤلف مولود في محافظة مدريد في قرية توريلدونيس فانه يحس بأنه أندلسي وكتابه ذاك حافل بالأصداق العربية الأندلسية فواح بعواطف تاريخية عميقة الجذور .

□ محنة العرب في الأندلس : تأليف الدكتور اسعد حومد .

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٠ في بيروت وهو الآن قيد الطبعة الثانية . ويتألف من مقدمة وخمسة أقسام يعرض المؤلف فيها ما لقيه العرب المسلمون في الأندلس على يد السلطات الاسبانية بعد سقوط دولتهم في غرناطة عام ١٤٩٢ ويشير الى نكثهم بالهدم وحتشهم بالايماص الذي قطعوه اذا أسلم العرب المدن والقواعد صلحاً . ثم يعقد مقارنة طويلة بين نكبة الأندلس ونكبة العرب في فلسطين ويخشى أن تكون حبات الاستعمار ما تزال شركاً ممدوداً ويأمل ونأمل معه ألا تصبح فلسطين ملكاً مضاعاً !

في القسم الأول من الكتاب تناول المؤلف باختصار قصة الفتح الإسلامي للشمال الأفريقي وإسبانيا ثم تناول التاريخ العربي في الأندلس حتى سقوط غرناطة وتوقف عند حكم الطوائف الذي كان مقدمة لانهايار الدولة الإسلامية ثم يذكر سقوط أمهات المدن بسطة وروندة والمرية ومالطة وانتهاء الحكم العربي في الأندلس بسقوط غرناطة .

في القسم الثاني تعرض المؤلف للمعاملة التي عامل بها المسلمون الأسبان أبان حكمهم في الأندلس وفصل في بسط القواعد الأساسية التي وضعها الفقهاء في معاملة أهل الذمة والأحكام التي تطبق على أشخاصهم وأموالهم وأرضهم وأشار إلى احترام عهود الأمان التي يعقدونها مع أهل البلاد المفتوحة صلحا ثم يبحث ما لقيه العرب من الحكم الأسبان بعد سقوط غرناطة من المعاملة السيئة التي دامت مدة قرن وربع القرن .

وفي القسم الثالث : تناول المؤلف الثورات التي قام بها العرب وكيف كانت السلطات في إسبانيا تجد هذه الثورات ذريعة لإبادة بقايا العرب ونهب أموالهم ولجبارهم على ترك أراضيهم .

القسم الرابع جعل عنوانه خاتمة المحنة وتناول فيه إفعال محاكم التفتيش الشنيعة . وفي القسم الأخير أورد المؤلف بعض مآقاله الأندلسيون من الشعر يرثون به أنفسهم وحضارتهم في الأندلس .

في العليمة الثانية هذب المؤلف الطليمة الأولى وأضاف ثلاثة فصول فتوسع في بسط تاريخ دول الطوائف وفي إبراز المواقف المغزية لبعض ملوكها أبان حروب المصير مع الأسبان وكذلك تناول الأسباب التي رآها قررت مصير الأندلس وقضت على الحضارة الأندلسية الفريدة .

فاطمة عصام صبري

□ الحواشي :

١ - س أبجد علي ولد وتعلم في دلهي وحصل على درجة الشرف في شهادته الجامعية وحصل على شهادة الماجستير على يد البروفيسور س.ب. يونغ . زاول التدريس قبل الاستقلال في دلهي وبعد الاستقلال في لاهور وأصبح رئيس تحرير مجلة فصلية باكستانية وظل يكتب مدى عشرين عاما كما شغل منصب مدير عام لقسم الاصلام والطبوعات في وزارة الادتم في باكستان .

٢ - السلطان ناصر الدين قباة المغزي الملك العادل كان من مماليك الشهاب محمد بن سمام الغوري خنعة زمانا وقاتل اعداءه فولاه الشهاب السند ففتحها وفتح البلاد التي ساحل البحر وفتح لاهور في مرة وساس الأمور وأحسن إلى الناس وقاتل جلال الدين خوارزم شاه سنة احدى وعشرين وستمائة وقاتل الخلع سنة ثلاث وعشرين وستمائة فهزمهم وتزوج بابنتي قطب الدين ايبك واحدة بعد أخرى وكذلك تزوج بابنة تاج الدين الدز وكان ولي عهد بعدد ابنه علاء الدين بهرام شاه سبط قطب الدين ايبك . ووزيره بين الملك فخر الدين العسني بن أبي بكر الاشعري . وكان من من اجداد الدنيا اجتمع اليه السادة والاشتراف ووفد العظماء عليه من العراق وخراسان والقوقر وغزلة وكان مصره احسن المصور وزمانه انشر الإيمان ولم يزل على ذلك حتى هزمه شمس الدين الايلتمش وفارق ناصر بقاء السند في التاسع عشر من جمادى الآخرة خمس وعشرين وستمائة .

٣ - كتاب نزهة الفواطر وبهجة السامع والنواظر .

٤ - الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١١١ ذكر قتل داهر ملك السند ٨٩ .

# نشاطات في خدمة التراث

اعداد: عبد اللطيف الأرنؤوط

والثقافة والعلوم ، واتحاد الجامعات  
العربية لتحقيق هذا المشروع العربي  
الهام .

٢ - ضرورة تدعيم الجامعات العربية  
للرابطة علمياً ومادياً بتسهيل مهمة  
المقارنين وتوفير الظروف الملائمة للقيام  
بنشاطاتهم العلمية والمساهمة في أعمال  
الرابطة ومؤتمراتها ودفع اعانات  
واشتراكات وتسهيلات أخرى لعمل  
الرابطة .

٣ - ضرورة دعوة الجامعات العربية  
للرابطة الى ائمة نشاطات علمية أو  
ملتقيات أو مؤتمرات لها علاقة ما  
بالأدب المقارن .

٤ - ضرورة تأسيس فروع للرابطة في مختلف  
الأقطار العربية لتكون روافد لها ،  
وعلى أعضاء الرابطة العمل على تحقيق  
ذلك .

٥ - يوصى المؤتمر كل المقارنين العرب  
بضرورة مكاتبة الأمانة العامة لإعلامها  
بكل ما يجري من مستجدات في مجال

□ توصيات المؤتمر الثاني للرابطة العربية  
للأدب المقارن (١) :

بدعوة من رئاسة جامعة دمشق ( كلية  
الأدب ) عقدت الرابطة العربية للأدب  
المقارن مؤتمرها الثاني ، في الفترة الممتدة  
من ٦ - ٩ تموز ١٩٨٦ وكان موضوع  
المؤتمر [ الأدب العربي المقارن : مجالاته  
النظرية والتطبيقية ] وحضر المؤتمر باحثون  
جامعيون من ثمانية بلدان عربية هي :  
سورية - الأردن - فلسطين - الكويت -  
العراق - مصر - السودان - الجزائر .

وقد دارت الأبحاث العلمية في ثلاثة محاور :

١ - الأدب العربي المقارن .

٢ - الأدب العربي المقارن والعالم .

٣ - الأدب العربي في علاقته مع الآداب  
الأخرى .

كما اتخذ المؤتمر في ختام أعماله  
التوصيات التالية :

١ - ضرورة تأسيس مركز عربي للأدب  
المقارن ، ويطلب من مكتب الرابطة  
الاتصال بالمنظمة العربية للتربية

وقد اهتم المحور الأول بالتطور التاريخي للمدينة العربية ، التي تعيش حالة من الجذب الدائم بين الأصالة والمعاصرة فهي لم تعد مجرد بنايات معمارية ، يحكم أنها أصبحت خاضعة لمنطق التطور المعاصر . ولكن الجدير بالاهتمام هو البحث في أشكال تطور هذه المدينة لفهم طبيعتها تغيرها حتى تتلاءم مع حاجيات العصر . فهناك جهد ملحوظ لتحديث المدينة العربية الإسلامية ، واخضاعها لمنطق العصر ، ولكن هذا الجهد يحتاج الى تخطيط يأخذ بعين الاعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والديمقراطية والحضرية ، فقد كان للمدينة العربية الإسلامية نظام معين تخضع له ، وتنظم حياتها وحاجياتها وفق ذلك النظام . ولكن هذا النظام بدأ يتعرض الآن الى الاهتزاز ، نتيجة دخول الحضارة المعاصرة بكل ثقلها الى المدن العربية المعاصرة .

فإذا كانت المدينة العربية الإسلامية توفر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجوامع والمدارس والعمام... فان مقتضيات الحياة المعاصرة تفرض تغييراً في مورفولوجية المدينة حتى تتلاءم مع حاجيات الحياة .

فالمدينة العربية تواجه عدداً كبيراً من التحديات التي فرضها العالم المعاصر ، ورغم الارتباط الروحي بين هذه المدينة والانسان العربي . فهي لم تعد تمكس اليوم القيم الروحية والجمالية المحيطة بها ، أي أنها أصبحت في شبه قطيعة مع محيطها الخارجي ،

ويتحدث الدكتور شوقي شعث عن أشكال وطرق صيانة مدينة من المدن العربية الإسلامية ، متغذاً من مدينة ( حلب ) نموذجاً ، ذلك أن البحث في صيانة المدن العربية الإسلامية ليس بالأمر الهين ، رغم تشابه

الأدب المقارن عربياً وعالمياً لنشر تلك المعلومات والأخبار في نشرة الرابطة .

٦ - يوصي المؤتمر أعضاء الرابطة بتزويد الأمانة العامة ، والمقر الدائم بكل نتائج أعضاء الرابطة لتكون أرشيفاً ، ومنطلقاً للبحث .

٧ - تدعيماً لما ورد في بيان المؤتمر الأول بمناسبة ( ١٩٨٤ ) بشأن ترجمة كتب في الأدب المقارن فان المؤتمر يؤكد ضرورة ترجمة كتب نظرية في الأدب المقارن .

٨ - كما يوصي بضرورة عقد ندوات علمية في مختلف الجامعات حول أسهامات رواد الدراسات الأدبية المقارنة العرب .

٩ - يوصي المؤتمر أن تدور أعمال المؤتمر الثالث ( ١٩٨٨ ) حول موضوع : « المذاهب الأدبية وتمثلاتها في الأدب العربي ونقده » .

\* \* \*

□ الآثار الإسلامية في الوطن العربي (٢) :

عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وضمن سلسلة وقائع مؤتمرات الآثار التي تقدم نتائج المكتشفات الأثرية الجديدة في البلاد العربية في شكل بحوث ودراسات ، والتي تناقش مستقبل العمل الأثري . صدر كتاب بعنوان ( الآثار الإسلامية في الوطن العربي ) وينقسم الكتاب الى ثلاثة معاور تبحث في العمارة العربية الإسلامية والتقنيات الأثرية والفن والحضارة .

الفنون في العصرين ، وبعد تبيان مختلف وجوه الالتقاء والاختلاف ، يخلص الباحث الى أن الجسور متصلة بين الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، وذلك لأن العرب هم مادة الاسلام ، فكان طبيعياً أن ينقلوا تجربتهم الانسانية الى الشعوب التي فتحوها ، ويبلوروا تجربتهم هذه بما يتناسب مع الرسالة التاريخية للاسلام .

أما الدكتور عفيف بهنسي فقد عرض بحثاً عن أثر الفن العربي الاسلامي على الفن الغربي ، ذلك ان الفن العربي الاسلامي ليس الا حصيلة حضارية مجسدة لعالم الشرق العربي ، وكان على الفنانين الذين زاروا هذا العالم ، أن يأخذوا عن هذا الفن اساليب جديدة استحوذت بسرعة على قلوب المتذوقين ، وكان لها رواج بعيد المدى ، مما دفع الفنانين المستشرقين وبسرعة الى أعلى مراتب الشهرة .

وقد استهوى الأوروبيون الفن الشرقي الغريب لديهم والذي يقترب مما أسعيناها بالفن التطبيقي ، أما التصوير والنقش ، فلم يكن بطرافة الفنون التزيينية الأخرى رغم تقدمه وتطوره ، خلافاً للاعتقاد السائد بأن الرسم كان ممنوعاً على المسلمين .

وقد ازدهر الفن الشرقي في حياة الأوروبيين ، في البلاد التي كان بينها وبين العرب تجارة مستمرة ، أو مبادلات للتشكيل الديبلوماسي كما كان في أيام الحكم العثماني .

وتحدث الدكتور عبدالهادي التازي عن [ مصادر الآثار الاسلامية ] ، معتبراً أن القرآن الكريم هو أهم تلك المصادر باعتباره قد اهتم بتعديد أقدس الأكنسة في عالمنا الاسلامي ، كما أكد على وجود مصدر آخر من المصادر المبكرة أيضاً ، وأعني بذلك

عناصر وجودها ، نظراً للوحدة الجغرافية والتاريخية والبشرية والمقادية التي كانت قائمة فيما بينها في فترات طويلة من فترات التاريخ .

ثم تعرض باحثون آخرون الى نماذج من المعمار العربي ، شارحين كيفية تطوره ونوع الاهتمام الموجه اليه ، باعتبار أن التراث المعماري جزء لا يتجزأ من فكرة الأمة ووعيها التاريخي .

وفي هذا الجزء الخاص ، تعرض باحثون الى تجارب متعددة في مجال صيانة المدن كشكل من أشكال صيانة الوجه الحقيقي للمدن العربية الاسلامية . وقد كشف هذا الجزء عن ثراء المعمار العربي الاسلامي وغزارة ابداعاته في مختلف المجالات .

ولا غرابة في ذلك لأن المدينة العربية ساهمت مساهمة فعالة في نشر الاسلام وتركيز الحضارة الاسلامية لأن الاسلام دين حضارة ، لا يستوفي كل أغراضه ولا يحقق كل آماله الروحية والاجتماعية الا في اطار المدينة حيث تتوافر الأجهزة والمنشآت الدينية والاجتماعية كالجامع والمدرسة والعمام ...

واذا ما تحدثنا عن الناحية المعمارية في التاريخ العربي الاسلامي ، فلا بد من الإشارة الى أثر الفنون العربية قبل الاسلام في الفن الاسلامي ، من حيث اهتمامها بالمعمارة وتخطيط المدن ، والنحت والتشكيل والفنون الزخرفية ، والكتابة والزراعة وطرق الري ، والمعمارة وتخطيط المدن .

وفي هذا الاتجاه يتحدث الدكتور عبدالرحمن الانصاري عن أثر الفنون العربية قبل الاسلام في الفن الاسلامي مبرزاً جوانب الاستفادة وطبيعة الروابط التي تجمع بين



## □ مكتبات المخطوطات في الهند : (٢)

وضع الاستاذ عبدالرحمن عبد الجبار الغريواني تقريراً عن أهم مكتبات المخطوطات في الهند التي تشتهر بمخطوطاتها ومطبوعاتها القديمة في التفسير والحديث والفقه واللغة العربية . مع الإشارة أن هناك مكتبات قيمة في كل مركز من مراكز التربية والتعليم المنتشرة في أنحاء بلاد الهند :

### ١ - مكتبة رضا الشيعية :

رام فور ( شمال الهند ) : وهي من أقدم مكتبات الهند الشهيرة للمخطوطات النادرة ، أنشأها النواب السيد فيض الله خان بهادر والي رامفور في ١٧٩٤ م / ١٢٠٨ هـ ، وطار صيتها في الافاق في النصف الآخر من القرن التاسع عشر الميلادي بفضل جهود الأمير السيد كلب علي خان بهادر ، وازدهرت المكتبة في عصر محمد رضا علي خان بهادر الذي تولى عرش الولاية سنة ١٩٣٠ م ، وعين الأستاذ امتياز علي عرشي أميناً للمكتبة ، وبعد استقلال الهند أدارتها الحكومة ، ويبلغ عدد المخطوطات فيها ١٤٠٠٠ مخطوطة ، معظمها باللغة العربية والآرية والفارسية . ونشر فهرس المخطوطات العربية في ستة مجلدات ، وعدد مخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال ١٤٢٠ مخطوطة .

### ٢ - مكتبة خدا بغش للعلوم الشرقية :

بانكي فور بته ، ( ولاية بهار ) : وهي مكتبة عظيمة تمتاز بين مكتبات الهند بمخطوطاتها النادرة في علوم القرآن والحديث ، وضع حجرها الأساسي والد خدا بغش الشيخ محمد بغش ( ف ١٨٧٦ م ) الذي كان مولماً باقتناء الكتب النادرة ، وترك لابنه خدا بغش ١٤٠٠ مخطوطة حين وفاته ،

مصنفات الحديث الشريف ، وخاصة كتب الصحاح ، البخاري ومسلم ، وما يأتي في منزلتهما من الرويات والمأثورات .

هذه المصادر مجتمعة تؤكد على ثراء المعلومات وفرتها ، خاصة فيما يتصل بتطور المعمار العربي الاسلامي ، كما لا يفوتنا في هذا المجال أن نبين أهمية الرحلات كمصدر للأثار الاسلامية ، فستظل هذه الرحلات المرجع الأساسي لما شيده المسلمون في الشرق والغرب .

وتضمن هذا الكتاب جزءاً كاملاً تحدث عن الوثائق والنصوص ، المصاحبة لندوة صنعاء . وقد أبرزت هذه الوثائق جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال المحافظة على المدن والمواقع التاريخية ، ومدى تطور الحملة العربية الاسلامية لصيانة مدينة القيروان .

كما تضمن هذا الجزء أيضاً تعريفاً بمشروع قانون الآثار الموحد وعرضاً لتقارير الدول العربية عن أوضاع الآثار .

ويأتي هذا الكتاب في نصوصه وتوصياته تأنيذاً على الاهتمام العربي في كل المستويات ، بالمعمار العربي الاسلامي صيانة ورعاية واهتماماً ، باعتباره وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة العربية الاسلامية ، وترسيخاً للهوية القائمة منذ عصور تاريخية .

★ ★ ★

كما روى الشيخ عبدالغني في حيدر آباد وهو من أفراد الأسرة ، واشتهرت مكتبة مدراس « بمكتبة أماني » .

#### ٦ - المكتبة السعيدية :

بحيدر آباد : هي مكتبة ثانية لأسرة القاضي بدر الدولة ، وفيها ثلاثة آلاف مخطوطة في الحديث والقرآن والفقه والكلام ، ومديرها العالي الشيخ عبدالغني حفظه الله وكلتا المكتبتين لأسرة القاضي بدر الدولة تملكها السيدة خیر النساء زوجة الشيخ محمد غوث ، وهي خالة الشيخ عبدالغني المذكور ، وكلتا المكتبتين في حالة كنيية ، تحتاج إلى نظام وإدارة وتنسيق ومعونة مادية ، وإلا يغشى التلف والفساد عليها .

#### ٧ - المكتبة الأصفية :

هي مكتبة أنشأها الأمراء المسلمون في حيدر آباد ، والآن تديرها الحكومة وهي كبرى المكتبات في حيدر آباد ، وفيها مخطوطات جيدة ، ومطبوعات قديمة .

#### ٨ - مكتبة متحف سالار جنك :

أنشأها نواب مير يوسف علي خاں سالار جنك ( الثالث ) ، وهي من المكتبات الشهيرة في الهند ، تحتوي على مئتي ألف كتاب من مطبوع ومخطوط ، وعدد المخطوطات فيها ٧٦٥٠ مخطوطة ، والعربية فيها ٢٤٥٩ ، ومخطوطات علوم القرآن والحديث وأسماء الرجال والفتاوى لأهل السنة تبليغ ٢٩٨ مخطوطة . وكتب السنة والتفسير والفقه والفتاوى للشريعة تبلغ ٢٧٤ مخطوطة ، ولها فهرس منشور من دائرة المعارف بحيدرآباد .

وفي حيدر آباد مكتبات أخرى مثل المكتبة العثمانية ومكتبة آزاد .

واستطاع خدا بخش بجهوده الفردية أن يقدم للامة الاسلامية اروع مكتبة طار صيتها في الافاق ، وسار اليها الركبان ، ويبلغ عدد المخطوطات والمطبوعات فيها ٢٦٢٩٨ نسخة ، وعدد المخطوطات العربية : ٤١٠٦ نسخة ، وقد ظهر الى الان ٣٢ جزءاً من فهارسها ، منها جزءان للحديث وجزآن للقرآن وعلومه ، ويقدر عدد مخطوطات التفسير والحديث حوالي ألفي مخطوطة ، ومن نفائس المخطوطات : مصحف بخط النسخ بقلم ياقوت ( ٦٨٨ هـ ) ، والإمامي لابي القاسم عبدالملك بن محمد بن عبدالله ، وتاريخ دمشق ، وهي نسخة وحيدة كاملة في العالم .

#### ٩ - مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا :

أيضاً من المكتبات الشهيرة في الهند لمخطوطاتها الكثيرة ومطبوعاتها ، ويقدر فيها عدد المخطوطات أكثر من ألفي مخطوطة ، وتديرها حكومة البنغال .

#### ١٠ - مكتبة الحكومة الشرقية :

هي مكتبة قيمة عظيمة في جنوب الهند ، وصدرت فهارسها المشروحة في اللغة الانجليزية ، وعدد المخطوطات العربية فيها حوالي ١٥٠٠ مخطوطة ، معظمها في الحديث والتفسير والأدب والكلام .

#### ١١ - مكتبة أسرة القاضي بدر الدولة :

بمدراس : أسرة بدر الدولة من الاسر العلمية التي لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة الاسلامية في الهند ، وهاجر بعض اصحابها الى حيدر آباد واشتهر من هذه الاسرة الأستاذ الدكتور حميد الله ( فرنسا ) ، وتوجد في هذه المكتبة ٧٠٠٠ مخطوطة ، غالبها في علوم القرآن والسنة والفقه والكلام والعربية .

#### ١٤ - مكتبة ندوة العلماء - بلكناؤ :

هي مكتبة لدار العلوم ، وكبيرة جدا ، يرجع تاريخها الى وقت تأسيسها قبل ست وثمانين سنة ، وأهديت اليها مكتبة العلامة عبدالحى العسنى ومكتبة النواب نجم الحسن ومكتبة النواب علي حسن خان بن النواب صديق حسن خان . وعدد المخطوطات فيها : التفسير ٧١ مخطوطة . وعلوم الحديث والمصطلح وأسماء الرجال ٢٢٠ مخطوطة ، والفقه وأصوله ١٥٠ مخطوطة .

#### ١٥ - المكتبة الناصرية :

في لكاناؤ وهي مكتبة مشهورة بكتبها القيمة النادرة ، وفيها مخطوطات جيدة .

#### ١٦ - مكتبة دار المصنفين :

أعظم كره : دار المصنفين تعتبر أكاديمية علمية ، اسلامية كبيرة ، أسسها العلامة شبلي النعماني بعد أن عزاله عن دار العلوم ( ندوة العلماء) ، ثم خلفه تلميذه البارالعلامة السيد سليمان الندوي ، ثم اجتمع في هذه الأكاديمية نخبة ممتازة من المؤلفين ، وبجهودهم صارت مكتبتها من نفائس المكتبات في الهند ، ويوجد فيها عدد من المخطوطات العربية ، وهي أكبر مكتبة في شمال الهند للمكتب الدينية والاسلامية .

#### ١٧ - مكتبة طوك :

وقد أخبرني بعض الاخوة أن في طوك عدداً كبيراً من المخطوطات الجيدة في مختلف العلوم والفنون الا أن مكتبة طوك غير معروفة ، ولذلك لا نستطيع القول فيها أكثر من ذلك .

#### ١٨ - مكتبة بومباي :

وهي مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة وفيها بعض المخطوطات ، وقد سمعت من

وزرنا بعض أسر النواب ورأينا هناك مئات من المخطوطات يعرضونها على المشتريين يبيعونها بشئ بئس .

#### ٩ - مكتبة المعهد الهندي :

للدراستات الاسلامية ( تابعة لمؤسسة همدرد بدلهي ) : هي مكتبة حديثة أنشأها الحكيم عبدالحميد الدهلوي ، وصارت المكتبة من كبرى مكتبات الهند من حيث المخطوطات توجد فيها خمسة آلاف مخطوطة معظمها بالعربية . وجليد بالذکر أن فيها مخطوطات كثيرة مصورة من مكتبات روسيا ، وهي من أبداع المكتبات في تنسيقها ونظفها وإدارتها .

#### ١٠ - ١١ - مكتبة الجامعة العربية : بدلهي ومكتبة أبي الكلام - آزاد بدلهي :

مكتبتان قيمتان ، وفيهما عدد غير قليل من المخطوطات ، والجليد بالذکر أن ما في مكتبة الجامعة المليية أهديت اليها من مكتبة دار الحديث الرحمانية وقت استقلال الهند سنة ١٩٤٧ م التي كانت من أهم مكتبات الهند .

#### ١٢ - مكتبة آزاد بالجامعة الاسلامية بعلي كره :

وهي مكتبة عامة للجامعة ومن كبرى مكتبات العالم وفيها عدد من المخطوطات العربية من الكتاب والسنة والفقه والأدب .

#### ١٣ - مكتبة دار العلوم ديوبند :

هي مكتبة عظيمة شهيرة في الهند ، تحتوي على آلاف من الكتب القيمة ، وفيها عدد كبير من المخطوطات ، الا أن شهرة المكتبة من كثرة الكتب المطبوعة القديمة .

ونظراً لأهمية المخطوطات أصدرت الحكومة الهندية قراراً بمنع اخراج المخطوطات من الهند الى البلاد الأخرى ، ومن المعلوم أن هناك مكتبات أهلية ، يعض عليها أصحابها بالنواجز مع عدم امكاناتهم ليحتفظوا بها .

\* \* \*

#### □ سلسلة « نصوص تراثية » : (١)

تقرر إصدار سلسلة تراثية من مائة كتاب بعنوان « نصوص تراثية » : وقد وضع السيد محمود الأرناؤوط الذي كلف بالإشراف على السلسلة منهاجاً لها وهدفاً ، تم التأكيد من خلاله على تقديم نصوص مختارة بمنأى ودقة من بطون المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة ، أو المطبوعة من كتب التراث ، على أن يكون لها تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، كما تم التأكيد على أن هذه السلسلة مفتوحة لمشاركة الأساتذة الباحثين في كل مكان من الوطن العربي ، بشرط أن يلتزم المشاركون بالمنهج الموضوع .

وجاء في التقديم الذي كتبه الأستاذ محمود لأول نص صدر من السلسلة - وهو نص « الأوائل » من كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ بتحقيق محمد بدر الدين القهوجي - جاء فيه :

لقد كانت غايتنا من إصدار هذه السلسلة هي تقديم الزاد الثقافي الى القراء على طبق من ذهب ، فكان أن اقتصرنا في البرنامج الذي وضعناه لها على تقديم نصوص مختارة بمنأى ودقة من بطون بعض المصنفات والمجاميع التراثية المخطوطة . وربما انتقينا مجموعة من النصوص مما

بعض الاخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدي معلومات عن المكتبة .

#### ١٩ - مكتبة الجامعة السلفية :

بنارس : مكتبة حديثة أنشئت سنة ١٩٦٦ م ، وقد أهديت الى المكتبة بعض المكتبات الأهلية كمكتبة العلامة محمد أبو القاسم المحدث البنارسي التي يبلغ عددها قرابة خمسة آلاف كتاباً من نفائس كتب التفسير والحديث والأدب .

#### ٢٠ - مكتبة بومباي :

مكتبة شهيرة تحتوي على كتب قيمة وفيها بعض المخطوطات وقد سمعت من بعض الاخوة عنها كثيراً ، ولكن ليس لدي معلومات كثيرة عنها .

ومكتبة العلامة الأديب عبد المجيد الحريري البنارسي التي تحتوي على أكثر من ألفي كتاب في علوم الأدب واللغة ، والحديث والتفسير ومكتبة عبد الرحمن بقا الغازي فوري ، وبعض مكتبات ميرته وغيرها . وبهذه المكتبات الأهلية صارت هذه المكتبة من أنفس المكتبات للكتب القديمة .

هذه هي نبذة عن المكتبات الإسلامية التي نالت شهرة عظيمة في بلاد الهند ، وطال صيتها في الآفاق ، ومعظم هذه المكتبات تحتاج الى مساعدة مادية وتشجيع أدبي ، فان قلت وجود الخبراء في مكتبات الهند بلغت الى حد كبير ، وقد لاحظنا في بعض المكتبات سوء التنظيم والتنسيق ، وهذا لقلة امكاناتهم المادية والأدبية ، حتى رأينا في بعض المكتبات القيمة أن بعض المخطوطات النادرة قد أكلتها العشرات ، وتحتاج الكتب الى تجليد جديد ،

كان من الأعلام ، مقاس المخطوطة والمصادر والمراجع التي ذكرت المخطوطة ومؤلفها ، بالإضافة الى الإلماع الى طبقات المخطوطة ، اذا كانت قد طبعت ، والإشارة الى كونها محققة أو غير محققة ، وآخر طبعة صدرت لها .

ومن نواذر المخطوطات التي تضمنها الفهرس نسخة من « سحر البلاهة وسر البراعة » للشمالي ، كتبت في عام ٤٨٢ هـ و « ديوان المستنصريات » بخط ابن أبي الحديد ، و « ديوان العماسة الكبرى » لأبي تمام كتب ٥٠٤ هـ ، و « نهج البلاغة » كتبت ٥٥٦ هـ ، ونسخة فريدة من « الفصول الأدبية والمراسلات العبادية » للمصاحب بن عباد ، كتبت ٦٢٨ هـ ، ومجموعات تضم كتباً ورسائل فريدة ، منها « فصول التماثيل في تبشير السور » لابن المعتز ، و « دارات العرب » للأصمعي ، و « وصايا أفلاطون » و « المختار من شعر ابن المعتز » ، كتب ٦٤٥ هـ .

وذكر المدان أنها فصلا الحديث عن المجاميع الشخصية ، التي هي أشبه ما تكون بالملذذات الخاصة ، والتي تنقل الكثير من الرسائل والفصول والقصائد غير المعروفة ، كما في « المجموعة الوسطى » لأبي التمام الألويسي ... كما أن بعض المجاميع تضمنت حكايات ومحاورات شعرية ومناظرات وخواطر وتعليقات وردوداً ونقولات ، إضافة الى تسجيل بعض الأحداث والأخبار والفوائد التاريخية . . . وبعض تلك المجاميع تشمل نتاجات لما كان يدور في المجالس الأدبية ، ومنها : مجموعة أحمد بن رمضان الهيتي وصالح السعدي الموصلبي وأبي الفتح التونسي الدمشقي وغيليل النماحي المقدسي ومحمد أمين العمري وعبد الوهاب النائب ويحيى بن عبدالرحمن البعلبكي وغيرهم ، ومعظم هذه المجاميع كتبت بخطوط جامعيها .

جرت طبعه من كتب التراث ، على أن يكون للنصوص المختارة تأثير طيب النتائج في الأوساط الاجتماعية كافة ، فكان أن اشترطنا لقبول أي من النصوص التي رشحت للصدور في « السلسلة » - أو تلك التي سيجري ترشيحها مستقبلاً - أن تنال حقها من الدراسة والتحقيق ، بحيث لا يدع محقق النص أي لفظة ترد في النص مما يحتاج الى الضبط ، والشرح ، والتعريف ، والبيان ، والتفريغ ، والتوثيق دون أن يغني به على أفضل وجه . وأن يشير في نهاية كل نقل الى المصدر الذي استقى منه المعلومات التي دونها ، وأن يقوم بفهرسة علمية لجميع ما ذكر في النص من الآيات ، والأحاديث ، وأبيات الشعر ، والأعلام ، والبلدان ، والأماكن ، والموضوعات .

#### فهرس مخطوطات الأدب في المتحف العراقي (١) :

صدر فهرس بعنوان « مخطوطات الأدب في المتحف العراقي » أعده أسامة ناصر النقشبدي وظمياء محمد عباس وضمناه وصفاً لألف وتسع مائة وسبع وخمسين مخطوطة ، فيها أربع مائة ديوان ، من بينها مجموعة مهمة من دواوين شعراء العراق الذين عاشوا بعد القرن العادي عشر للهجرة ، ومجاميع شعرية وأدبية نادرة .

وقد اشتمل الوصف على ذكر عنوان المخطوطة ، اسم المؤلف ، ترجمته ، اقتباس بعض الأسطر من أول المخطوط ، معلومات عن المحتويات وسبب التأليف والأبواب والفصول والمباحث ، أهمية النسخة ومميزاتها وما تتضمنه من حواشٍ وشروح وتعليقات وتملكات وساعات واجازات ومقابلات وفوائد وقرارات ، نوع الخط ، اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه وترجمة الناسخ اذا

المؤلفة من كتب العلم والحكمة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل زعم بعض الكتاب أن هذا العمل الشنيع قام به والي مصر عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

بحجة أن المسلمين ليسوا بحاجة إليها ، ولكن هذا الزعم الباطل يسقط أمام كل من تمعن في تعاليم الاسلام ، وتتبّع أخلاق المسلمين ، أبان الفتوحات الاسلامية ، اذ يجد أن المسلمين ليس من عادتهم اطلاقاً حرق الكتب الدينية اليهودية والنصرانية ، واذا حصل شيء من هذا فلا يتجاوز الكتب ، التي تتحدث عن الوثنية ، وتروج لها ، كما يجد حرص المسلمين على الانتفاع بكتب الطب والحكمة ، والفلسفة ، وينفقون الكثير في سبيل ترجمتها ، وتعمير المسلمين بها . أما أعداء العرب فالتاريخ يشهد بأن هناك ممن يحرمون على منس معالم الحضارة ، ودك حصون المدنية ، وغير دليل على ذلك - المأساة الكبرى ، التي أصابت البلاد والعباد ، من الهجوم المغولي ، وما رافق ذلك الهجوم من اعتداء على الكتب والمخطوطات ، حتى أن مياه نهر دجلة اصطبغت بالسواد ( لو نمداد المخطوطات ) من جراء القاء الاف الكتب والمخطوطات فيها . ولم يغادر القائد المغولي ( هولاكو ) مدينة بغداد الا بعد أن حولها الى خراب ، في حين أنها كانت تعد من أجمل مدن العالم آنذاك .

وبمثل تلك الفظاظة يستمر أعداء الثقافة في ممارسة نشاطهم العدواني تجاه الفكر الانساني ، حتى القرن العشرين ، وخير شاهد على ذلك جرائم اليهود المستهدفة للكتب العربية والثقافة الاسلامية ، ولا أحد يجهل دور الصهاينة البارز في قضية احراق المسجد الأقصى ١٣٨٩/٦/١٧ هـ وما تلك الجريمة النكراء

وقع الفهرس في ٧٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وذيل بكشافين للاعلام والأمكنة استغرقا الصفحات من ٦٦٣ الى ٧٥٨ . وعرضت في بقية الصفحات نماذج مصورة لبعض المخطوطات .

\* \* \*

## □ أعداء المكتبات والكتب التراثية: (٥) :

كتب الباحث الأستاذ ( محمد حافظ عبدالله الرفاعي ) دراسة قيمة عن أعداء التراث المكتوب . والتي نشرت في الملحق الاسبوعي «ألوان من التراث» لجريدة المدينة السعودية العدد ٦٠٥٠ ويعد فيها أبرز وأهم أعداء الكتب والمكتبات التي تضم في خزائنها ذخائر التراث العربي والاسلامي وهي :

### اولا - البشر :

لعل بعضنا تصيبه الدهشة عندما يسمع بأن البشر من أشد أعداء الكتب . وبخاصة عندما يقف على الجهود ، التي بذلت ، ولا تزال تبذل ، في المحافظة على الكتب والمخطوطات ، ولكن عجبه سيزول عندما يدرك أن التاريخ سجل لنا أحداثاً أليمة ، ووقائع جسيمة . أصابت مجموعات هائلة . وأعداداً كبيرة من الكتب ، كان للانسان دور كبير في وقوعها ، سواء كان ذلك الدور عدائياً ، قصد به الاعتداء على ثمار الفكر الانساني ، أو غير عدائي مقصود . انما وقع نتيجة الجهل والاهمال وعدم الحيلة .

وعلى سبيل المثال : فقد امتدت يد العدوان على مكتبة الاسكندرية ، قبل الفتح الاسلامي . وبعده ، فقضت على الآلاف

يترتب عليه اضعاف الورق ، وتحول لونه الى  
بقع كريمة ، ذات لون اسود أو بني ، كما  
تسبب في جفاف الجلد ، الذي يحمي الأوراق .

أما الرطوبة القليلة التي تقل عن ٣٠٪  
فإنها تسبب في جفاف الورق واضعافه  
وقابليته على التقصف ، لذا يستحسن أن  
تكون نسبة الرطوبة قريبة من الوسط ، أي  
بين ٤٥-٥٥٪ فقط .

#### رابعاً - الحرارة والضوء :

عند تعرض الأوراق للحرارة أو الضوء  
القوي لفترة طويلة ، ونتيجة سقوط أشعة  
الشمس عليها ، أو نتيجة الاضاءة الصناعية ،  
فإنها تفقد لونها وتضعف مقاومتها ، وتصبح  
هشة ، وسرعان ما تتقصف وتتكسر ، عند  
أدنى استعمال ، ولكي نحافظ على الكتب  
القيمة ، والمخطوطات النادرة ، والوثائق  
المهمة ، أكبر فترة ممكنة من الزمن ، يجب  
أن نهيم لها الجو المناسب ، بحيث يكون جو  
المكتبة ، بين ١٨-٢٤ درجة مئوية فقط ،  
وهذا يساعد على إطالة حياة الأوراق ،  
ويؤخر تقادمها .

#### خامساً - الهواء الجوي :

يعتبر الهواء الجوي الملوث مسؤولاً  
مباشراً عن بعض التلف ، الذي يحدث للكتب  
نتيجة تفاعله مع المواد الداخلة في تركيب  
الورق ، وتحلل مواد اللصق والتجليد ، وذلك  
لثوفر عناصر التحلل والأكسدة فيه  
( كالأكسجين ، النتروجين ، بخار الماء ، ثاني  
أكسيد الكربون .. الخ ) كما أن الهواء  
الملوث يصدم المصان ، ويفقد المادة  
البرونزية الموضوعية على أغلفة الكتب  
بريقها ولمعانها .

ألا واحدة من الجرائم الموجهة ضد الفكر  
الإنساني ، بهدف القضاء على التراث  
المكتوب .

#### ثانياً - النار والماء :

لا يخفى على الجميع أن ما تلتهمه  
النار من الكتب ، خلال فترة قصيرة ، قد  
لا يمكن تعويضه في سنوات ، وربما لا يمكن  
استعادته على الإطلاق .

أما الماء فرغم أنه من الوسائل الشائعة  
في اخماد النار ، إلا أنه غير مجد ضد الكتب  
والمخطوطات ، وذلك لاحتمال التلف ، الذي  
قد يسببه وصول الماء إليها من التصاق  
الأوراق ، وإصابتها بالعفن ، إلى سيلان  
المواد بالنسبة للمخطوطات ، وغير ذلك من  
الأضرار ، التي تصل إلى أبعد حد من التلف ،  
الذي تسببه النار نفسها ، الأسر الذي  
يجعلنا نعتبر الماء ضمن أعداء الكتب ، شأنه  
شأن النار .

وحرصاً على المواد المكتبية يجب أن  
يكون مبنى المكتبة ممدداً لمقاومة الحريق ،  
ومزوداً بالمنبهات « الأوتوماتيكية » ببيداعن  
شبكة المياه والجاري المائية ، أما في حالة  
نشوب الحريق فيجب استعمال الأجهزة ،  
المحتوية على « ثاني أكسيد الكربون » كما  
يجب التشديد على عدم التدخين ، داخل  
المكتبة .

#### ثالثاً - الرطوبة :

تلعب الرطوبة دوراً هاماً في تلف الكتب ،  
رغم أن وجودها بنسبة معينة يعد ضرورياً  
لمرونة الورق . وقابليته على الانثناء ،  
فالرطوبة العالية جداً والتي تصل إلى ٧٥٪  
تمطي الفرصة لشمس العفط ( العفن ) الذي

الذي يلحق الكتب ، وذلك بتمزيقه ، أو قصه بعض الصور والخرائط والأوراق من الكتب ، ويكون ذلك إما بدافع العبث ، والعلش ، أو بدافع الأنانية ، وحسب التملك ، الأمر الذي يوقع المسؤولين بالمكتبة في حرج أمام القراء والباحثين الآخرين .

ويمكن الحد من هذه الظاهرة الخطيرة بتأمين أكثر من نسخة واحدة ، بالنسبة للكتاب ، وتسهيل عملية الإعارة ، بالإضافة إلى نشر الثقافة والوعي المكتبي ، بين عموم القراء المترددين على المكتبة ، وتعتبر عملية ملاحظة القراء عن طريق الشاشة « التلفزيونية » من أنجح وسائل القضاء على ظاهرة العبث ، واختفاء بعض الصور واللوحات والخرائط ! ومن الوسائل الحديثة المستعملة ، لحماية الكتب والوثائق في المكتبات الكبيرة عملية المغنطة الكهربائية و « الألكترونية » بالنسبة لجميع مقتنيات المكتبة ، بحيث تصدر إشارات تنبيهية متتالية ، عند محاولة أي شخص الخروج بأي كتاب أو ورقة ، من داخل المكتبة ، وهذه الوسيلة أثبتت نجاحها وفعاليتها في المحافظة والابقاء على مقتنيات المكتبة .

\* \* \*

#### أهم مراجع البحث :

- ١ - الاجراءات الفنية للمكتبات : د. أحمد أنور علي .
- ٢ - عالم الكتب والقراءة والمكتبات : د. محمد أمين البنهاوي .
- ٣ - ماذا بعد احراق المسجد الأقصى : عبد الحميد السائح .
- ٤ - أشهر مشاهير الاسلام في العروب والسياسة : رفيق المظم .
- ٥ - الاسلام وفلسطين : رفيق شاكر الننتشة .

ولكي نتفادى خطورة الهوام لا بد أن يكون بالمكتبة جهاز تكييف مركزي ، يمكن التحكم في درجة حرارته ، بحيث تكون درجة جو المكتبة بين ٢٠-٤٠ درجة مئوية ، وأن يتولى فريق الصيانة مسؤولية تشغيل التكييف ، والإشراف عليه ، طوال ٢٤ ساعة يومياً لأن أي تعطيل في التكييف - ولو لمدة قصيرة - تنعكس آثاره الضارة على السواد المكتبية نتيجة التغير الكبير المفاجيء . الذي يحدث في درجة الحرارة والرطوبة .

#### سادساً - العشرات والقوارض :

هناك عدد كبير من العشرات والقوارض ، بعضها يعيش بين الكتب ، ويتغذى على صفحاتها ، وبعضها الآخر يشن هجومه عليها ، كلما سنحت له الظروف الملائمة ، وقد أمكن التعرف على أكثر من سبعين نوعاً من العشرات ، كلها بمثابة أعداء الكتب ، منها على سبيل المثال ( قارضة الورق ، الأرضة ، دودة الكتاب ، العثة الفطريات ... الخ ) .

لكن العلماء تمكنوا من إيجاد طرق مقاومتها ، ووسائل القضاء عليها ، ومن هذه الوسائل طريقة التبغير الكامل للمكتبة والمخازن ، وهي طريقة ناجعة في القضاء على العشرات وإبادة منها ، كما أن هناك طرقاً أخرى ، الهدف منها طرد العشرات ، والقوارض ، ومنعها من زيارة المكتبة ، مثل طريقة توزيع خليط من حامض «البوريك» و « النشا » على ظهور الرفوف والدواليب ( وهي طريقة وقائية ) .

#### سابعاً - الأنانية والعبث :

يعتبر جمهور القراء نفسه في بعض الحالات مسؤولاً ومسؤولية مباشرة عن الضرر ،



## □ المسرح والتراث العربي : (٥)

في الثقافة العربية فان أفضل السبل هو العودة الى التراث العربي الذي يختلف عن الحضارتين اليونانية والاغريقية لاستنباط أشكال ومضامين تمثل بحق الروح العربية .

٢ - ولأن التراث العربي يحمل طابعا مميزا خاصا، هو نتيجة تطور تاريخي للمجتمع العربي الاسلامي بفنونه وآدابه وهولمه فان استلزام هذا التراث لا بد بالضرورة أن يؤدي الى اثره أي عمل مسرحي عربي ينشد التاصيل على صعيد الهوية القومية .

٢ - ان التراث العربي هو نتاج الثقافة المدونة والمنقولة والشفاهية وهو يشكل مجرّع التكوينات المميزة للشعب العربي في المشرق والمغرب وهذا ما يؤهله لاعطاء البديل الحقيقي لغياب الفعل المسرحي من ساحات الاداب العربية في الماضي وللمسرح العالي القائم أساسا على النقل والاقتباس من الغرب أو على الأشكال الغربية في المسرح .

والجيل الجديد الذي تحمل مسؤولية توظيف التراث في المسرح العربي يحاول تأصيل عطائاته انطلاقا من تقديم أعمال مسرحية هادفة ابتداء من الستينات حيث عرف المسرح العربي العديد من الأبحاث والدراسات والتجارب التي دارت كلها أو معظمها حول محور أساسي هو : هل عرف العرب المسرح أم لا ؟ وهل بالامكان التعامل مع التراث العربي كركيزة أساسية للمصل المسرحي العربي ابرازا للشخصية الثقافية المميزة للأمة ، وانطلاقا من ضرورة البحث عن صيغة مسرحية عربية مميزة ومختلفة عن المسرح الغربي ؟

في محاضرة للدكتور سمير سرحان عن [ المسرح والتراث العربي ] يحاول أن يجد العلاقة بين المسرح والتراث العربي . وذلك من خلال المراحل التاريخية التي ظهر وتطور فيها مسرح خيال الظل . الى أن وصل الى شكله وصيغته المعاصرة . ويرى أن الفن المسرحي الذي أضحي جزءا من وجداننا لا يمكن بأي حال أن ينمزل عن تاريخ الأمة وعن أصالة تراثها .

ففي التراث العربي المكتوب والمسودون وفي الفولكلور العربي المتوارث مواقف بطولية شامخة ، وشخصيات إنسانية أخاذة وأشكال احتفالية ومسرحيات مؤثرة .

واذا عرفنا أن الفن الحقيقي الأصيل هو التقاط للظواهر الجوهرية والتيارات الرئيسية في الحياة الإنسانية واستبصار لكل ما هو سطحي ووقتي ، لمرنا أهمية استلزام تراثنا العربي في صيغته الجدلية التي تبعث في كل القيم والخصائص الإنسانية المتميزة في حضارتنا العربية الإسلامية وعندئذ نستطيع أن نركن الى الحصيلة المنتقاة من تراثنا لنستغلها استفلا لا مجزيا في أعمالنا الفنية بالأسلوب الأمثل والتناول الأنفع والمعالجة الأجدى .

من هذه الزاوية يمكننا أن نستنتج الحقائق التالية :

١ - ان المسرح العربي الحالي - في معظمه - يقوم في شكله ومضمونه على التراث المسرحي الأوروبي خاصة الاغريقي اليوناني .

وحيث أن تأصيل هذا المسرح مهد جذوره في الثقافة العربية يتطلب ايجاد بديل

مستخدمين أشكالاً أوروبية ، بل عندما كانوا يكتبون أيضاً عن أوضاع محلية ، كان الوجدان أو الوعي الأوربي هو المائل دائماً وبذلك لم يحصل المسرح العربي على هويته وفرديته . وفي رأي يوسف ادريس أن القول بأنه لم يكن أمام الدراما في الشرق الأوسط إلا طريق واحد هو الطريق الأوربي فحسب هو قول مفضل وغير صحيح .

فالامة العربية قد أوتيت تاريخاً غنياً من الأدب الشعري والفولكلوري ، وشيئاً من الأشكال المسرحية المبكرة بحيث يحتاج للكاتب العربي أن يستلهم هذا الموروث الغني من الثقافة العربية الأصيلة .

وفي عام ١٩٦٧م صدر كتاب « قالينا المسرحي » لتوفيق الحكيم دعا فيه الى ايجاد صيغة مسرحية عربية خاصة تقوم أساساً على الحكواتي والمداح ولكن الحكيم - كمولف مسرحي - لم يشأ أو لم تتح له الفرصة لأن يؤلف مسرحية ضمن هذا قالب ، وبالتالي ظلت دعوته دعوة نظرية لم يختبرها في مجال التطبيق العملي .

ويجئنا الكاتب المسرحي سعد الله ونوس من سوريا معتمداً في مسرحياته على شخصية الحكواتي . الشخصية العربية المعروفة في هذا المجال والتي تعتبر إحدى الشواهد التي يدلل بها النقاد والمهتمون على انها تميز مسرحنا العربي .

« فالحكواتي » في مسرح سعد الله ونوس عنصر فعال يفتي الحدث وليس مجرد راو يروي الأحداث وينظر إليها من الخارج أو يعلق عليها دون أن تكون له بها أدنى صلة . ويهدف سعد الله ونوس من استخدامه لصيغة

ومن أهم هذه التجارب والدراسات والارهاصات والمحاولات في هذا المجال دعوة الدكتور يوسف ادريس في مطلع الستينات الى ابتداء مسرح عربي أصيل عن طريق الاعتماد على النموذج التراثي المتمثل في مسرح السامر .

وكان يوسف ادريس قد عرض نظريته عن الدراما العربية الأصيلة في ثلاث مقالات بمجلة الكاتب نشرها عام ١٩٦٤م بعنوان « نحو مسرح مصري » .

ويشعر يوسف ادريس أن الكاتب المسرحي لكي يبدع مسرحاً عربياً أصيلاً ينبغي أولاً أن يفتش عن الذات والهوية العربية ، ويقترح في هذا السبيل أن ينظر الكاتب الى ماضي بلاده التاريخي والأدبي ، وهو يشجع الكتاب على البحث عن أدبهم الشعبي المنسي فهناك سيجدون هويتهم الأصيلة . ويعد يوسف ادريس من المصادر القيمة في ابتداء شكل مسرح عربي معتمد على الأشكال التراثية « القافية » أو الحوار المغني الذي هو لون من الكوميديا المرتجلة يمارسها الناس في مجالات عدة ، وكذلك مسرح السامر والفصل المضحك الذي يوجد في الريف ، وكذلك مسرحيات خيال الظل وأخيراً القراقوز أو الأراجوز .

وفي رأيه أن كل هذه الوجوه من الأدب الفولكلوري كان ينبغي أن تستخدم عندما برزت مسرحيات القرن العشرين ويمتد يوسف ادريس أن المسرح العربي - حتى الآن - الأخيرة - كان مقلداً للدراما الأوروبية في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين . فالكاتب المسرحيون العرب عن طريق الترجمة والاقتباس بل عن طريق الابتكار أيضاً قد عبروا عن أفكار أوروبية .

الفنية والفكرية لجيل الستينات بعدما  
استعانوا بدراساتهم الأكاديمية والعلمية ،  
وبالرصيد الهائل المتطور من الإمكانيات  
المسرحة التي ميّنتها الأجيال السابقة ليحدد  
اختباراته من خلال ادراكه الواعي للتراث .

الحكواتي الى ايجاد لغة مسرحية متميزة  
تستفيد من التراث العربي مستخدمة الحكاية  
الشمسية أو وقائع التراث اطاراً وهيكلًا .  
وتأتي تجارب مجموعة المؤلفين المخرجين  
العرب الذين تزودوا بكل خبرات التجربة

\* \* \*

### البلاغة والبلاغيون العرب في مجلة الفكر العربي :

تقوم مجلة الفكر العربي بتخصيص عدد خاص بالبلاغة والبلاغيين  
العرب . وإيماناً من رئاسة التحرير والهيئة الاستشارية للمجلة بالثقة المتبادلة  
والدور المشترك للعاملين في التراث الإسلامي والمشتغلين في الثقافة العربية .  
فقد وزعت الرسالة التالية :

#### تحية طيبة وبعد :

تمثل مجلة « الفكر العربي » على تخصيص أحد أعدادها لدراسات وأبحاث  
معوها بالبلاغة العربية ورجالها . فأي رائد من رواد هذا العلم يمكن أن يشغل - من  
خلال فكره - عدة أبحاث . وأي موضوع أو مفهوم أساسي في البلاغة يمكن أن يدرس عند  
أحد البلاغيين أو عند أكثر من واحد . وإننا للبلاغة العربي من جهة ، ولشخصيات البلاغيين  
نرحب بذلك إذ الهدف من هذا المشروع إطلاع القارئ والمثقف على صورة واضحة المعالم  
من جهة ثانية . وهكذا يكون أملنا أن ينهض العدد المنشود بجناحين :

١ - البلاغة والبلاغيون من الجاحظ حتى عبدالقاهر الجرجاني .

٢ - البلاغة والبلاغيون من الجرجاني حتى الشريف الجرجاني وكتاب « الاتقان »  
للسيوطي .

وقد جاءت علوم البلاغة منتشرة ومتناثرة ضمن أدبيات شتى ، بيننا وبين استقصائها  
النظر في أعمال أناس لم يكونوا ( بعضهم على الأقل ) يفكرون في التأسيس لعلم جديد  
هو ( علم البلاغة ) وأولئك القوم ينتمون الى فروع معرفية متعددة ، فمنهم الموسوعي  
الجاحظ الذي التزم في البيان والتبيين نصوصاً أدبية نثرية وشعرية بالإضافة الى آراء  
مختلفة في اللغة والأدب على درجة عالية من الذكاء والعبقرية . ومنهم من ينتمي الى اللغة  
والأدب كـ « الكامل » للمبرّد الذي يستهل الباب ٤٦ من كتابه بقوله : « نذكر في هذا  
الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارئ وانتقال ينفي الملل » فهذه قاعدة  
بلاغية تليها ثانية في السطر عينه : ونخلط ما فيه من الجدد بشيء من الهزل ليسترى الى  
القلب وتسكن اليه النفس . تلي ذلك أقوال سيقنت كالشواهد لأبي الدرداء وعلي وابن  
سمعود وابن عباس . ويمكن أن نضيف الى هذين « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وكتاب  
« النوادر » لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها ، كما جاء في

مقدمة ابن خلدون • ويلي هؤلاء نوع من الكتابة المتخصصة إذ تعددت المؤلفات في الشعر مفصولاً عن النثر من مثل « قواعد الشعر » لثعلب ، و « البديع » لابن المعتز ، و « عيار الشعر » لابن طباطبا العلوي ، و « نقصد الشعر » لقدامة بن جعفر •

ثم جاءت حلقة جديدة من التخصص قائمة على نقد شاعر واحد أو الموازنة بين شاعرين أو أكثر كـ « الموازنة بين أبي تمام والبحري » للأمدي ، و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني •

تبع ذلك المؤلفات الاعجازية حيث قام الإعجازيون بجهد بالغ في الكشف عن أسرار أعجاز القرآن • كأنما جاشت حميتهم إزاء التأليف المختص بالشعر أو بالشعر والنثر ، فالف الرمثاني ( أبو الحسن علي بن عيسى ) كتابه « النكت في أعجاز القرآن » • وتداول النقاد من نظائر الفنون الكلامية والتأليف في قواعد الجمال التعبيري الكلامي ضامّين جناحيه المقدس أي القرآن وغير المقدس أي الشعر والنثر • وكان الشريف الرضي حلقة الوصل بين هؤلاء ومن سبقهم ، فكتابه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » يشكل إشارة إلى اشتراك المجاز في القرآن مع المجاز في الشعر والنثر بالاسم ، كما أشرك ابن نايقا البغدادي الاثني في تمييز « التشبيهات » من خلال عنوان كتابه « المجاز في تشبيهات القرآن » • ويقابل هذا الالتفاف كتب مثل كتب « الصناعات : الشعر والنثر » ، لأبي هلال العسكري • واستفاق الفلاسفة فتناولوا موضوع العبارة اللفظية وبالتحديد الفنية • فكتب ابن سينا : « الحكمة المروضية في معاني الشعر » ، ولا يمنع ذلك من التأثر بكتاب الفارابي « الموسيقى الكبير » ( بغض النظر عن تأثرهما بأرسطو ) • ويكون بذلك قد انتقلت العدوى إلى نظائر جدد يتطلعون إلى الجمال التعبيري من زاوية تختلف عن زوايا من عداهم ، نعني بهم أصحاب النظر والحكمة •

ظلت الدراسات البلاغية ملتزمة بغيرها من ضروب القول حيث تؤخذ الفكرة البيانية أو البلاغية إلى عند هذا النص من النثر أو هذه المقطوعة من الشعر حتى قبض للبيان رجل عالم عاشق لعلمه ، فاستقدم إلى أفكاره النصوص من القرآن والشعر الجاهلي وغير الجاهلي والأقوال والخطب وغير ذلك – مبرراً ذلك بقبول الإسلام النظر في ما هو موضع اشكال – ليبنى أول مؤلفين في ما يصح أن نسميه ( البلاغة العامة ) وذلك في كتابيه الشهيرين : « دلائل الأعجاز » و « أسرار البلاغة » يشير إلى تحرره من عقدة الفصل بين كلام الخالق وكلام المخلوق • وظهر أنه غير متمسك بشيء أكثر من تمسبه للعلم الذي وضع « أسرار » : البلاغة كعلم محور تدور به آذيتته وبدورانه سائر النصوص المختلطة من الكلاميين •

بعد الجرجاني ، اتضح في المؤلفات الأدبية النقدية فرعان : فرع أصل النظر في علم البلاغة ، مهتدياً بهدي صاحب « الأسرار » ، وفرع أصل النظر والمضاهاة في المباحث الأولى : أعجاز القرآن ، وتفسير الدواوين و « بديع الشعر » والنثر وسرقات الشعراء •

غير أن مؤلفات البلاغة ، على خطى عبد القاهر ، لم يسعها أن تفوق أستاذها مع أنها ناقشت مفاهيم من مفاهيمه وراثتها غير مازآها ، فبدلت في تمرينها ، وبعضهم فرّع على أصول

الجرجاني وفروعه . ثم تلا هذه المرحلة مرحلة التطويل والاختصار أو التلخيص والتسويق ثم الشروح ومواقف مختلفة .

الى أن كان النظر المعاصر في قضايا اللغة والأدب بقيام سور في التأسيس لمعلم اللسانية فانهضت الأنظار نحو الأسس التي جاء بها الرجل . وتفرعت الدراسات اللسانية تفرعاً غير تفرع دراساتنا النقدية ثم البلاغية . ولم يفتح بمدمجى دراسات التعبير بالكلام على آفاق دراساتنا البلاغية بمثل ما تستحقه . ولذلك ظلت علوم البلاغة والبيان العربي في حالتها الأولى دون أن يسمح التيار باستشراف آفاقها في ضرورتها منصة للانطلاق نحو الطور الثاني من علم البلاغة .

فانطلاقاً نحو هذه المرحلة الجديدة المؤمل فيها ندعو كثنائنا الى مراجعة دقاتنا بما عهدنا من فكر بلاغي ، والتعريف برجاله من خلال مغاضهم ونشاطهم طريق التأسيس لعلم البلاغة والبيان . فعلينا أن نستبر هذا العلم ونصيده من مظانه في المؤلفات التي تعتبر بلاغية والتي تنتمي الى دراسات علم النطق سواء كان ميدانها الفلسفة أو الدين أو النقد الشعري والنثري أو الدراسة اللغوية بشتى فروعها ، وسواء كانت أشتاتاً في مجامع القول أو تتداولها الألسن مشافهة . منا حفظه القرآن الكريم في مثل هذه الآية الكريمة : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

وبما أن طموحنا كبير وقدراتنا في مجال ضم الجهود البلاغية الى بعضها يمكن أن تنمو شيئاً فشيئاً ، فأننا نقصر عددنا العالي من مجلة « الفكر العربي » على أبحاث في البلاغة البلاغيين الأصوليين راجين أن يربو العمل الذي نتتظر على ما هو في الانتظار . وعلى المكافأة المتواضعة التي نخضع له . وأتينا نرسل ربطاً قائمة بأسماء المشاهير من علماء البلاغة والنقد مع أسماء مؤلفاتهم المتداولة وقد رتبناها زمنياً لتوحي رؤية التطور من رجل نقدي أو بلاغي الى آخر وللتركيز على الوجهة العامة للدراسات التي نطلبها . ان في هؤلاء الرجال من خلال أعمالهم . وان في فرع من علوم البلاغة تناولاته مختلف الأقلام تناوولا جديراً بالرصد البحث . ونحن على استعداد للتشاور معكم ، أخي الكاتب ، في الموضوع الذي تريدون . فنرجو أن توافونا باسم موضوع البحث الذي اخترتم مع صورة أولية للتصميم لتكون على اتصال وتشاور في ما يلزم . ونحب لو تزودون خزانة مجلتنا بقائمة من أعمالكم المنشورة تبين تاريخ ومكان النشر لغير نرجو لسيمكم سميناً . ونرجو لكم التوفيق .

رئيس تحرير مجلة الفكر العربي  
د. حسن قبيسي

مستشار المدد  
نعيم علوية

## بعض رواد النقد والبلاغة

### مع بعض مؤلفاتهم وتسلسل وفياتهم

- ١ - ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ت ٢٣١ هـ
- ٢ - الجاحظ البيان والتبيين ت ٢٥٥ هـ
- ٣ - ابن قتيبة الشعر والشعراء ، أدب الكاتب ت ٢٧٦ هـ
- ٤ - المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد الكامل في الأدب ت ٢٨٥ هـ
- ٥ - ثعلب ، أبو العباس أحمد بن ثعلب قواعد الشعر ت ٢٩١ هـ
- ٦ - ابن المعتز البديع ت ٢٩٦ هـ
- ٧ - الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ت ٣١٠ هـ
- ٨ - ابن طباطبا العلوي عيار الشعر ت ٣٢٢ هـ
- ٩ - ابن وهب ( أبو الحسن اسحق الكاتب البرهاني في وجوه البيان ت ٣٣٥ هـ
- ١٠ - قدامة بن جعفر ، أبو الفرج نقد الشعر ، ( نقد النثر ؟ ) ت ٣٣٧ هـ
- ١١ - الفارابي ، أبو النصر الموسيقى الكبير رسالة في قوانين ت ٣٣٩ هـ  
صناعة الشعر - كتاب الخطابة -  
كتاب الحروف
- ١٢ - القاضي الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ت ٣٦٦ هـ
- ١٣ - الأسيدي الموازنة ت ٣٧٠ هـ
- ١٤ - الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى النكت في اعجاز القرآن ت ٣٨٤ هـ
- ١٥ - المرزباني ، ( أبو عبد الله محمد بن عمران ) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ت ٣٨٤ هـ
- ١٦ - العاتمي ، أبو علي محمد بن الحسن سرقات أبي الطيب المتنبي ت ٣٨٨ هـ  
وساقط شعره
- ١٧ - ابن وكيع التنيسي المنصف للسارق المسروق ت ٣٩٣ هـ
- ١٨ - أبو هلال العسكري كتاب الصنائع ت ٣٩٥ هـ
- ١٩ - أبو حيان التوحيدى الهوامل والشوامل ، الامتاع ت ٣٩٣ هـ  
والمؤانسة ، المقابلة



- ٢٠- الباقلائي ، أبو بكر اعجاز القرآن ت ٤٠٣ هـ
- ٢١- الشريف الرضي تلخيص البيان في مجازات القرآن ت ٤٠٦ هـ
- ٢٢- القاضي عبدالجبار اعجاز القرآن ت ٤١٥ هـ
- ٢٣- المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد شرح ديوان العماسة ت ٤٢١ هـ  
ابن الحسن
- ٢٤- ابن سينا الحكمة المروضية في مكاني كتاب ت ٤٢٨ هـ  
ريطوريقا - رسالة في البلاغة والخطابة -  
الفن التاسع : الشعر - أسباب  
حدوث الحروف
- ٢٥- ابن رشيق القيرواني العمدة ت ٤٥٦ هـ
- ٢٦- ابن حزم ( أبو محمد علي الأندلسي الاحكام في أصول الأحكام ت ٤٥٦ هـ
- ٢٧- ابن سنان الخفاجي سر الفصاحة ت ٤٦٦ هـ
- ٢٨- الجرجاني ، عبدالقاهر أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ت ٤٧١ هـ
- ٢٩- الشنتمري ، ( يوسف بن سليمان ) في علم مجازات العرب - شرح ت ٤٧٦ هـ  
شواهد سيبويه
- ٣٠- ابن نايقا البغدادي الجمان في تشبيهات القرآن الشافيت ت ٤٨٥ هـ
- ٣١- الراغب ، الأصبهاني ، أبو القاسم محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ت ٥٠٢ هـ  
حسن بن محمد
- ٣٢- الغزالي ( أبو حامد ) المصطفى من علم الأصول ت ٥٠٥ هـ  
مقيار العلم في فن المنطق
- ٣٣- الزمخشري أساس البلاغة ، تفسير الكشاف ت ٥٢٨ هـ  
عن حقائق التنزيل
- ٣٤- الشهرستاني ، محمد نهاية الاقدام في علم الكلام ت ٥٤٨ هـ
- ٣٥- أسامة بن منقذ البديع في نقد الشعر ت ٥٨٤ هـ
- ٣٦- ابن رشد ( أبو الوليد محمد ) الكشف عن مناهج الأدلة في ت ٥٩٥ هـ  
مقائد الملة
- ٣٧- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ت ٦٠٦ هـ  
التفسير الكبير : مفاتيح الغيب

- ٣٨- علي بن ظافر بن حسين الازدي بدائع البدائش ت ٦١٣ هـ  
 ٣٩- أبو البقاء المكي شرح التبيان في شرح الديوان ت ٦١٦ هـ  
 ٤٠- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر مفتاح العلوم ت ٦٢٦ هـ  
 ٤١- ابن الأثير ( ضياء الدين ) الجامع الكبير في صناعة المنظوم ت ٦٣٧ هـ والمنثور  
 ٤٢- ابن يمين ( موفق الدين أبو البقاء ) شرح المفصل للزمخشري ت ٦٤٣ هـ شرح التصريف الملوكي  
 ٤٣- ابن الزملكاني ( أبو المكارم ) التبيان في علوم البيان ت ٦٥١ هـ  
 ٤٤- الزملكاني ( كمال الدين ) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ت ٦٥١ هـ  
 ٤٥- ابن أبي الاصبغ المصري تحرير التعبير ت ٦٥٤ هـ  
 ٤٦- حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء ت ٦٨٤ هـ  
 ٤٧- الخطيب القزويني ، جلال الدين التلخيص في علوم البلاغة ت ٧٣٩ هـ  
 ٤٨- يحيى بن حمزة العلوي الطراز ٣ ج ت ٧٤٩ هـ  
 ٤٩- التفتنازي ، ( سعد الدين مسعود بن عمر ) المطول في شرح تلخيص المفتاح ت ٧٩١ هـ  
 ٥٠- الشريف الجرجاني ( السيد أبو الحسن ) حاشية السيد على المطول ت ٨١٦ هـ  
 ٥١- السيوطي الاتقان في علوم القرآن ت ٩١١ هـ



#### □ منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية :

- أصدر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانيول - تركيا ، عددا خاصا من نشرته الاخبارية ، استعرض فيها أهدافه ونشاطاته ومنشوراته . وفيما يلي قائمة بالأعمال التي نشرها المركز المذكور :
- ١ - النشرة التمريرية المصورة لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، ١٩٨١ . ( نفذت ) .
  - ٢ - دليل المؤسسات الثقافية الإسلامية ، باللغة الانجليزية ( نفذ ) .
  - ٣ - النشرة الاخبارية ( صدر العدد الأول منها في شبان ١٤٠٢ هـ مايو ١٩٨٢ باللغات الثلاث ) .
  - ٤ - أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ، بالعربية والانجليزية . ( نفذ ) .
  - ٥ - عناوين المؤسسات الثقافية في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ، بالانجليزية ١٩٨٢ ( نفذ ) .
  - ٦ - الفهرس الموحد للتقاويم العشمانية ( السالنامات والنسالات ) بالعربية والانجليزية ، ١٩٨٢ . ( نفذ ) .
  - ٧ - مركز الأبحاث . . نشرة تمريرية مصورة ، باللغات الثلاث ، ١٩٨٣ . ( نفذ ) .
  - ٨ - الأشرطة الوثائقية ( شريطان وثائقيان ، أولهما بعنوان « حياة الخطاط حامد



الأمدى وآثاره الهامة وفن الخط الاسلامي « وثانيهما : « فن التذهيب والزخرفة  
الاسلامية » . والشريطان بالعربية ، وقد أرفق بهما نص بالانجليزية .

- ٩ - الدليل الدولي للمؤسسات الثقافية الاسلامية .
- ١٠ - فهرس مخطوطات الطب الاسلامي ( يشمل حصرا لكتب الطب الاسلامي في ١٢٩  
صفحة مكتبة في تركيا ) .
- ١١ - التعليم العربي الاسلامي في السنغال .
- ١٢ - بيبليوغرافيا لأقدم كتب الكيمياء ، ١٩٨٥ .
- ١٣ - البيبليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم ، بالانجليزية ، ١٩٨٦ .
- ١٤ - فهرس المخطوطات الاسلامية في مكتبة كوبريلي باستنبول ، بالعربية ، ٣ مجلدات  
( ٢٠٠٠ صفحة ) ، ١٩٨٦ .

★ ★ ★

#### □ الجمعية المغربية للتراث :

أسست مجموعة من أساتذة الجامعات المغربية جمعية علمية أطلقوا عليها اسم  
« الجمعية المغربية للتراث » ، وذلك بهدف احياء تراث الأمة العربية في مختلف ميادين العلم  
والمعرفة . وقد اهتمت الجمعية عدّة وسائل لتحقيق أهدافها ، منها : الفهرسة - التصدير  
- التحقيق - الطبع والنشر والتوزيع - التأليف والدراسة - الترجمة - إصدار  
النشرات والمجلات المتخصصة - تنظيم الندوات والمحاضرات - عقد المؤتمرات واللقاءات  
الثقافية والمشاركة فيها داخل المغرب وخارجه .

وتعقد الجمعية آمالا كبيرة على المعاهد والمؤسسات والجمعيات المعنية بالتراث .  
وعلى الأفراد من الباحثين والعلماء ، في مساعدتها ومد يد العون لها لوضع أهدافها  
موضع التنفيذ ، كما تضع بالمقابل كل امكانياتها المتواضعة في خدمتهم .

★ ★ ★

#### □ المصادر :

- ١ - نشرة ( انباء جامعة حلب ) .
- ٢ - نشرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم العدد ١٢ آب ١٩٨٦ .
- ٣ - اخبار التراث الاسلامي العدد ٢ السنة الثانية مايو ١٩٨٦ .
- ٤ - نشرة « اخبار التراث العربي » العدد ٣٦ تموز - آب ١٩٨٦ .
- ٥ - صحف ومجلات مختلفة من البلاد العربية والأجنبية .

## في رحاب الرحمة والخلود

كان هذا العدد من مجلة التراث قد خُتِمَ صفته حين نَمَى مجمع اللغة العربية بدمشق رئيسه الأستاذ الدكتور الحاج حسني يحيى سبح الذي انتقل الى رحمة الله ورضوانه يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الآخر = ٣٠ كانون الأول ١٩٨٦ وفي ليلة الأربعاء قبيل منتصفها بمد أن ملا صدرحياته الفاضلة كلها حتى آخر يوم منها علماً وتديساً وعملاً وجهداً في خدمة الطب واللغة العربية والادارة العازمة الحسنة .

وكان فيمن شيّعه عصر يوم الأربعاء تلاميذه الأطباء الكثر وأعضاء مجمع اللغة العربية ، وقد أبّنه فيمن أبّنه عند مشواه الأخير الدكتور عبدالكريم الياني عضو المجمع بهذه الأبيات :

سمعت بنعيه فوجمت حزناً	وكيف وانه الركن المنيع
تجمعنا فوا أسفا عليه	لتندبسه المجمع والربوع
فكم خدم العلوم وذاد عنها	له في افقها العالي سطوع
الا انّ النجوم على علاها	يصير الى الغروب بها الطلوع
ومن للطب بعد أبي نصير	ومصطلحاته وهو الضليع
حياة من طبيعتها الرزايا	ولكن العلوم هي الشفيع
نشيّعه ونعرف من فقدنا	ولا ينفني التفجع والدموع
نؤبّنه وتكتمل ما بناه	ويعصر حبة القلب الغشوع
مضى عبقّ الشوائب والمزايا	طوال العمر يعمده الجميع
مآثره كثير ليس تخصي	ففي الجنّات منزله رفيع

اسبغ المولى الكريم على الفقيد العالي فيض رحمته وجميل رضوانه .

## رسالة من اتحاد الكتاب العرب الى الكتاب والأدباء والأصدقاء في العالم

### الأصدقاء الاعزاء :

نتوجه اليكم مثقلين وزملاء قلم ، تمنون بالحقيقة وتبحثون عنها، تؤسسون قناعاتكم في ضوء وقائع وقيم أخلاقية وروحية وإنسانية محكمين في ذلك العقل والضمير والوعي المعرفي وترفعون أصواتكم مع الحق والعدل ، مهما كانت القوى التي تمارس الظلم وتتحكم بالواقع .

لا نشك في أنه تنأى اليكم ما عاناه شعبنا العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة من ويلات الحرب والاضطهاد والتشريد منذ نفذ الاستعمار البريطاني تصريح بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، حيث أعطى الذي لا يملك للذي لا يستحق وطن شعب بات مشرداً وملاحقاً بالمذابح وأنواع الارهاب الروامية الى ابادته لاثبات الكذبة الكبرى التي روجتها الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا شعب .

واستمرت منذ اقامة دولة اسرائيل في فلسطين أعمال المدوان واحتلال الأراضي بالقوة واضطهاد الشعب الفلسطيني وملاحقته وابعاده وتشريده ، كما استمرت الحروب وعمليات الاستنزاف الدورية لطاقات شعبنا العربي وثرواته بهدف منعه من التحرر والتقدم .

وانكم تذكرون دون شك حرب السويس ١٩٥٦ وحرب حزيران ١٩٦٧

واكتوبر ( تشرين ) ١٩٧٣ وغزو اسرائيل للبنان وحصارها لبيروت عام ١٩٨٢ ومذبحة صبرا وشاتيلا التي كانت آخر سلسلة المذابح العلنية التي ارتكبت ضد شعبنا ، وتذكرون عمليات الارهاب الدولي التي مارستها اسرائيل مثل عملية مطار عنتيبي ، ومهاجمة المفاعل النووي العراقي ، والهجوم على تونس ، وممارستها الارهابية اليومية ضد الشعب اللبناني واحتلالها لجنوب لبنان والجولان السورية ، واقدامها على اعتراض الطائرات العربية المدنية وأحيانا تدميرها كما حدث لطائرة ليبية فوق سيناء .

هذا عدا ممارساتها اليومية لأنواع وأشكال تشويه الثقافة الوطنية والتاريخية ونهب الآثار وتزوير الحقائق في المنطقة .

وتقوم اسرائيل بكل ذلك بدعم مستمر يغذي احتلالها ونزوعها العدواني يأتي بالدرجة الأولى من الولايات المتحدة الأمريكية حيث يبلغ متوسط الدعم السنوي في الثمانينات ثلاثة مليارات دولار سنوياً عدا المساعدات العسكرية المستترة .

ولأن سورية بقيادة الرفيق حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية وقفت وتقف في وجه مخططات أميركا واسرائيل للسيطرة على المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية على نهج كامب ديفيد الذي رفضته جماهيرنا ، ولأنها أحبطت خطة أميركا التي قادت الدول الاستعمارية للسيطرة على لبنان وتقسيمه واحتلاله من جديد وواجهت بحزم المخططات والمؤامرات الامبريالية والصهيونية في المنطقة ، وقادت حركة التحرر العربي مطالبة بالحرية وبحق تقرير المصير لشعبنا العربي عامة وللفلسطيني خاصة فقد قررت الامبريالية الأمريكية والصهيونية بتخطيط وتعاون مع بريطانيا حصار سورية ومنعها من ممارسة دور تحرري في المنطقة ، وقد مارست ضدنا حصاراً اقتصادياً وسياسياً بعد طرد القوات الأمريكية من لبنان والغاء اتفاق ١٧/ أيار الذي فرضته اسرائيل على اللبنانيين بقوة الحديد والنار ، وعندما لم تفلسح بتركيع سورية لجأت الى تشويه سمعتها الدولية ، وبثت ضد أبنائها خاصة وضد العرب بشكل عام روح العداء والعنصرية التي أخذت تنفوح من بعض العواصم الامبريالية متهمة اياها بممارسة الارهاب وتم التواطؤ بين أجهزة المخابرات

الأميركية والبريطانية والأمريكية لافتعال قضية ( هنداي ) في مطار لندن من أجل تصعيد حملة العداء ضد سورية وذلك تمهيداً لشن عدوان مباشر عليها تحت ستار مقاومة الارهاب ، تدبره اسرائيل وأميركا وبريطانيا على نسق ما سبق ومارسته تلك الدول من ارهاب دولي في هذا العصر منذ حرب السويس وحتى آخر عمليات قوات التدخل السريع الأميركية مروراً بالعدوان على السكن الشخصي للمقييد القذافي في طرابلس وعمليات بريطانيا ضد جزر المالديف وممارسات الأساطيل الأميركية ضد الشعوب في البحار والمحيطات وتهديدها المستمر لتلك الشعوب .

ان شعبنا الذي كان ضحية الارهاب ، ودفع وما زال يدفع أغلى ثمن لأشنع عملية ارهاب دولي في العصر الحديث وهي انشاء اسرائيل في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني ، يكره الارهاب ويدينه ويقاومه ولكنه يفرق بين الارهاب والمقاومة الوطنية المشروعة لتحرير الأرض والارادة واستعادة الحقوق المنتهبة وتثبيت حق تقرير المصير للشعوب في أوطانها بحرية ، ويرفض محاولات بريطانيا وأميركا واسرائيل تشويه صورة المقاومة الوطنية وخطط أوراق المقاومين على أرضهم ضد الاحتلال بأوراق الارهابيين الجبناء .

اننا من موقعنا كزملاء لكم في البحث عن الحقيقة والدفاع عنها ، وفي الحفاظ على حقوق الانسان وحرياته وكرامته ، نعلن اذانتنا لكل أشكال الارهاب وخاصة تلك العمليات التي توجه ضد المدنيين والطائرات ، ونعلن وقوفنا الى جانب المقاومة الوطنية التي تعمل بشرف من أجل حرية أوطانها وحقوق شعوبها وحرريات الانسان وحقوقه الأساسية ، وتنتطلع بأمل كبير الى تفهمكم العميق لمخاطر تشويه صورة الشعوب والبلدان التي تدافع عن وجودها ومستقبلها وحرياتها وحقوقها في تحرير أراضيها وتقرير مصيرها .

اننا نتوجه الى وعيكم وضمائركم وقيمكم النبيلة وحبكم للحق ، لثمنوا موقفكم بصدق ووضوح من ممارسات بريطانيا واسرائيل وأميركا ضد شعبنا وبلدنا وثقافتنا ، ولتتنبهوا وتنبهوا العالم الى التهديد والتمهيدات التي تتم الآن لشن عدوان جديد على شعبنا في سورية لأننا نرفض أن نستسلم ونرفض

أن نقدم أرضنا المحتلة الى اسرائيل ، ونرفض أن نخضع للاستعمار الأمريكي ومخططات الهيمنة الامبريالية ، ونصر على أن نعيش بحرية وشرف واستقلال في اوطاننا .

ان الحرس على السلام العادل لجميع الشعوب ، وعلى توجيه الطاقات والثروات البشرية والجهد العلمي والتقني لخدمة الانسان ولترسيخ قيم الحضارة والسلام على أسس دائمة وثابتة ، وعلى حق تقرير المصير لجميع الشعوب هو الذي يوجه طاقاتنا الابداعية وجهودنا اليوم من أجل عالم ينتفي فيه كابوس التهديد النووي عن البشرية ، وتزول عنه آلام المرضى والمقهورين ، ولا يموت فيه الأطفال جوعاً ، ولا تخرب فيه البيئة ، ولا ينعم فيه الانسان بشمس الوعي والحرية نتيجة الأمية والاضطهاد والجهل ، من أجل عالم لا تتحكم فيه نزوعات السيطرة على الآخرين والاستلاب والثقافة الاستهلاكية ، والتزييف الاعلامي وأجهزة المخابرات .

يا زملاء الكلمة ، ان شرف كلماتنا يستنبت في الحقيقة والحرية والالتزام بالحق والانسان ، والدفاع عن المظلومين وعن الشعوب ، من أجل السلام العادل والمستقبل الأفضل والوعي الأعظم بالذات وبالآخر ، من أجل رفع أشعة الأمل أمام البشرية لتميش بسعادة وهذا ما ندعوكم الى الدفاع عنه في وجه الارهاب الدولي والعدوان والافتراء الذي تمارسه أميركا وبريطانيا واسرائيل وأطراف الأحلاف الاستعمارية ضد شعبنا وبلدنا ، وضد الانسانية ، والنصر للحق والكلمة الشريفة وللانسان .

المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب

\* \* \*